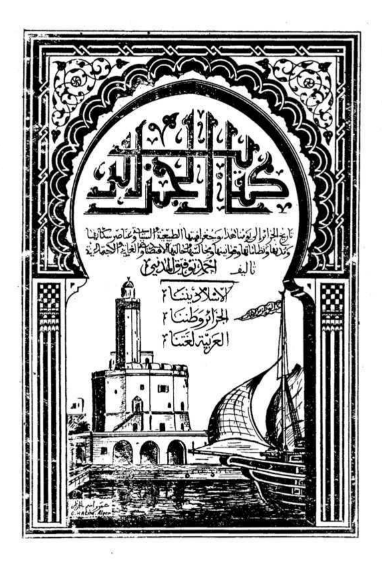


كتاب الجزائر
تاريخ الجزائر الى يومنا هذا، وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها
وتمدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعقلية والاجتماعية
تأليف احمد توفيق المدني
الاسلام ديننا
الجزائر وطننا
العربية لغتنا

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا آتنا من لدنك رحمة

وهيء لنا من أمرنا رشدا

مستهل

اليكم ، أيها الشبان المسلمون في أرض الجزائر الكريمة ، أتقدم بهذا الكتاب . فأنتم في هذه الامة النبيلة روحها ، وأنتم فيها مركز الحركة والشعور والاحساس . وعليكم ، أيها الشبان البررة ، وعلى اعمالكم يعتمد هذا الوطن ، كي يبني صرح مجده عاليا ، ويتبوأ مقعده بين الامم العربية الناهضة ، ويعيش في هذا الوجود محترم الجانب ، عزيزا سعيدا .

انكم ترون كما رأيت ، ان ابناء العربية في الجزائر يجهلون عن الوطن الجزائري كل شيء .

يجهلون تاريخه .

يجهلون طبيعته .

يجهلون نظمه وقوانينه

يجهلون عناصر سكانه

يجهلون حالته الادبية وقوته الاقتصادية .

فكأنهم بذلك يعيشون في ديار غير ديارهم ، وارض لم تنبت آباءهم واجدادهم ، اوكأنهم خلقوا على ارض مبتورة الاصل ، مجهولة النسب ، فاقدة كل مقومات الحياة ، فهم لا يبحثون عن حوادث امسها ، ولا يهتمون لحالة يومها ، ولا يتساءلون عن مستقبل غدها .

ماكان ذلك تنكباً منهم عن طريق المعرفة ، او ابتعادا عن الدرس والبحث ؛ وما ذلك لقلة شعور فيهم او لعدم احساس ، تعالوا عن ذلك علوا كبيرا . انما هم ماعاشوا ويعيشون جاهلين وطنهم ، وانفسهم مفعمة ألما وحسرة ، الا لانهم لم يجدوا بين ايديهم وفي متناولهم كتبا تبين لهم في لسانهم العربي المبين ، ما يجب ان يعرفوه عن هذا الوطن المحبوب

اقتنعت نفسي بان سد هذه الثلمة الكبيرة واجب محتم ، بل فرض مقدس يجب ان يقوم به من استطاع الى ذلك سبيلا .

ثم سمعت من ضميري صوتا ، طالما سمعته في مراحل حياتي ، يستفزني للقيام بهذا الواجب، ويقول لي بلهجة الحاكم الآمر :

وهل تجد ياأحمد أحسن من هذا عملا تقدمه للجزائر المسلمة العربية ، اعترافا منك بفضلها وجميلها ، وهي التي انبتت من قبل في مواطن العزة والكرامة اجدادك ، ثم آوتك من بعد ونصرتك واحلتك على الرحب والسعة ، لما انتزعتك السلطة القاهرة من بين اهلك وذويك ، ورمت بك تخلصا منك وراء الحدود ؟

لبيك لبيك ياصوت الضمير المحبوب !

انت امامي وقائدي ؛ وانت اميري ومرشدي . ما خالفت ولن اخالف لك في حياتي امرا . فالى العمل اذا ؛ وليكن عملا خالصا لله ؛ وللامة ؛ وللوطن

* * *

ها أناذا ياشبان المسلمين أقدم لكم «كتاب الجزائر» . وقد جمعت لكم بين دفتيه ، ما يجب على كل جزائري مسلم ان يعرفه عن بلاده ؛ وفيه نهاية ما اوصلني اليه بحثي واجتهادي في هذا المضمار .

فتقبله مني أيها الشباب المسلم الجزائري عملا خالصا ، لا أريد عليه جزاء ولا شكورا ، ان اريد به الا مد يد الاعانة اليك حسب استطاعتي ؛ حتى تعرف وطنك حق المعرفة ، فلا تزداد بمعرفتك اياه الا حبا له وغراما فيه ؛ فهو وطن ماجد ، تاريخه

نبيل ، ورجاله ابطال ، وارضه صالحة ، وأمته حية شريفة ، ولن تكون لمعرفتك اياه من نتيجة الا اقبالك على خدمته الخدمة المثلى ، فتقيله من عثرته ، وتسير به بحول الله نحو المستقبل السعيد .

تذكر ولا تنس ان الجزائر لا تسعد الا اذا عملت في دائرة دينها ولغتها وقوميتها . فكن ايها الشباب متحدا متظافرا ، وكن عاملا نشيطا ، وكن وطنيا جسورا ، وكن غيورا متحمسا ، وكن متفائلا قوي الايمان بمستقبل الجزائر الباهر . ولتتخذ شعارك ، في حياتك واعمالك ، هذه الكلمات :

الاسلام ديني

العربية لغتي

الجزائر وطني

وفقك الله وايدك ، وسدد في طريق الصلاح والاصلاح خطاك .

الجزائر في غرة محرم ١٣٥٠

[signature]



القســم الاول

فذلكة عن تاريخ الجزائر
من أقدم العصور، الى الاحتلال الفرنسي

الفصل الاول

البربر والجاليات الكنعانية

أكدت لنا الآثار القديمة التي اكتشفت في بلاد الجزائر، ان هذه الارض كانت مأهولة في العصر الحجري، بأقوام هم غير العنصر البربري؛ كانوا يسكنون الكهوف والمغاور؛ وكانت حضارتهم الحجرية دون حضارة معاصريهم في بقية البلاد. ويقول كثير من العلماء ان البرابرة الشقر الذين نجدهم في عدة نواح من البلاد انما هم اعقاب هذا العنصر الذي كان أول سلالة بشرية سكنت هذه الديار. ومن هؤلاء العلماء الاستاذ استيفان قزال.

فالعنصر البربري الذي استوطن كامل شمال افريقيا، منذ عصور قديمة جدا، لم يستطع البحث اكتشاف مجاهلها، كان هو العنصر الذي عرف شمال افريقيا، لما عرف التاريخ هذا الشمال. فالبربر بصفة تاريخية هم اول سكان هذه الاقطار.

ما هو اصل البربر ومن أين قدموا؟ وما هي قبائلهم واقسامهم؟ ذلك ما سأحدثك عنه بتفصيل في القسم الثالث من هذا الكتاب

انما حسبك ان تعرف الآن، لتستطيع السير معي اثناء هذه الجولة التاريخية، ان عناصر البربر قدمت كلها مهاجرة من آسيا مخترقة مصر ولوبيا، وانها من ارومة مازيغ بن كنعان بن سام بن نوح، فالبربر ابناء عم العرب والفنيقيين

وهم قوم اشراف ؛ يدعون انفسهم «الامازيغ» اي السادة الاحرار. لا يتحملون الخضوع لسلطان ؛ لا يرضخون الا للقوة وعلى مضض. يخالطون ولا يختلطون .

ولم تكن لهم في القديم رابطة جامعة او وحدة : بل كان نظامهم الوحيد هو نظام العائلة ، ونظام القبيلة . ولربما كان للام عندهم المرتبة السامية والحكم المطلق ، كما هو نظام قبائل الطوارق اليوم في بلاد الصحراء . حيث لا يعترف بسلطة الاب .

وكانت كل قبيلة منهم تعيش مستقلة في قريتها ؛ وتعتبر القبيلة المجاورة عدوة لها . وما كان للقبائل دين عمومي ؛ انما كانوا يشعرون الشعور البشري بوجوب العبادة ؛ فكانت العائلة تتخذ لنفسها ربا يحميها من الاخطار ، وكثيرا ما كان الحامي قطا ، او شجرة او نضوة حصان . وللقرية كذلك رب يحميها ، وذلك الرب عندهم يكون حرشا ، او غابة ، او نبع ماء(١) . وكانوا بصفة عامة يعبدون الشمس والقمر والكواكب .

كانوا يرعون الماشية ، ويلبسون البرانس من صوفها او جلودها ، وياكلون لحومها مع ما تنبت لهم الارض بعد عمل بسيط من فول وقمح وزيتون وتين .

وكانت في البلاد جماعات كثيرة من الحيوانات الضخمة او الكاسرة : كالفيل ، والاسد ، والنمر .

تلك كانت حالة الجزائر حوالي سنة ١٠٠٠ قبل ميلاد المسيح .

* * *

في تلك الاثناء كان الكنعانيون سكان فنيقيا ، وهم ابناء عم البربر والعرب ؛ قد بلغوا في المدنية شوطا بعيدا . وكانت لغتهم عربية محرفة قليلا عن العربية الفصحى ؛ تشبه كثيرا العامية المستعملة في بلادنا اليوم(٢) . وقد احتكروا تجارة الدنيا المعروفة اذ ذاك ؛ واصبحت سفنهم التجارية تعمر البحر المتوسط كله ، تنقل الى سواحله مواد التجارة ومبادي المدنية وكانوا قد أتقنوا الصناعة اتقانا كبيرا ، واخترعوا الاحرف الهجائية حسب النطق ، بعد ما كانت الكتابة هيروغليفية ، اي تصويرية .

---

(١) والى يومنا هذا لا تزال بقايا هذه الاعتقادات فاشية في الاوساط الجزائرية السفلى عموما ؛ فلا تكاد تجد نبع ماء خصوصا ان كان حارا الا ورايت حوله البخور والتعاويذ والتمائم . كذلك في كثير من الاحراش . (٢) انظر تقويم المنصور سنة ١٣٤٨ ص ٧٦

وكان هؤلاء البحارة المغامرون اول من عرف بلاد الجزائر وسائر شمال افريقيا ، و ربطها ببقية العالم . واصبحت بواخرهم تروح وتغدو على سواحلها، ثم اسسوا بها مراكز للتجارة اهمها على سواحل الجزائر : جيجل ، وهبو (عنابة) ، .وما عتمت هذه المراكز ان صارت مدنا جسيمة ، واختلط فيها الفنيقيون بالبربر اختلاطا كبيرا . فكانت المدنية الفنيقية الكنعانية هي أول مدنية طبعت بلاد الجزائر بطابعها ، وصادفت قلبا خاليا فتمكنت لانها مدنية دخلت على طريق السلم و المبادلة الحرة ، و لم تدخل على طريق السيف والنار .

وقد كان الفنيقيون كالبربر يعبدون الشمس تحت اسم — بعل — ويعبدون القمر تحت اسم — تانيث —

و في القرن الخامس قبل الميلاد كان اختلاطهم بالبربر عظيما وكان نفوذهم قويا .

الفصل الثاني

قرطاجنة وسلطانها

في سنة ٤٨٠ قبل المسيح ، قدمت الاميرة «عليشة ديدو» الكنعانية من مدينة صور ، صحبة حاشية من كبار القوم ، وأسست باعانة الكنعانيين المستقرين بالسواحل التونسية مدينة «قرطاجنة» ، فعظمت هذه المدينة وجل شانها، حتى اصبحت سيدة الحوض الغربي من البحر المتوسط ، يمتد سلطانها من طرابلس الى بوغاز جبل طارق . و يحتكر اسطولها حرية البحر .

و ما كانت قرطاجنة دولة سيف وعنف، و ما انتشرت هذا الانتشار في الارض المغربية الا بواسطة المعاملات التجارية الودية . فكان تراب قرطاجنة الوطني يشمل شمال بلاد تونس ووسطها، اما بقية السواحل الجزائرية والمغربية فكانت لها ادارات بربرية تحت حماية قرطاجنة . والقرطاجنيو ن هم الذين اسسوا مدن بجاية، وتنس، وشرشال ، وسافروا في رحلة علمية حتى بلغوا بلاد الكمرون.

وفي الوقت الذي كانت الدنيا تخضع فيه لسلطان الملوك المطلق، كانت قرطاجنة جمهورية دستورية محكمة النظام، يتولى امرها رئيسان : « سفط البر » و « سفط البحر » ؛ ولها مجلس نواب يشمل اعضاؤه ٣٠٠ يمثلون اصحاب المصالح في البلاد ، ومجلس القدماء او الشيوخ وهو يشمل مائة واربعة اعضاء.

ولم يكن الجند القرطاجني جندا وطنيا ، بل كان جندا مرتزقا ، تستاجره قرطاجنة من مختلف البلاد للدفاع عنها ؛ وكان ذلك من اسباب ضعفها.

كان القرطاجنيون يعبدون « بعل » وتانيث « القمر » ولهم هياكل جسيمة منبثة في كل البلاد ، ولهم هياكل اخرى لعبادة « ملك » الذي يزاحم « بعل » في الوهيته ، ويقول التاريخ انهم كانوا يقدمون الضحايا البشرية الى « ملك »

وكان النظام العمراني القرطاجني بالغا درجة عظيمة من الرقي . فقد كانت قرطاجنة التي تجمع الثمانمائة الف من السكان ترتبط مع كل البلاد المغربية بطرق معبدة كانت الوحيدة من نوعها في الدنيا . واهمها الطريق الذي يصل قرطاجنة بطرابلس ولبدة ، من جهة ، ويصل بينها وبين طانجة من جهة اخرى ؛ ثم الطريق الذي يصل بين قرطاجنة وشرشال على طريق تبسة ، وسيرته (قسنطينة) وسطيف ؛ الى غير ذلك من الطرق الجسيمة التي يدعونها اليوم ظلما وتطاولا على التاريخ بالطرق الرومانية والحال ان الرومان لم يكلفوا انفسهم الا عناء اصلاحها وترميمها. اما المراسي القرطاجنية فقد كانت متقنة الى درجة الابداع .

تلك كانت قرطاجنة لما باغتتها روما بحربها الجنائية التي انتهت بفوز الظلم ومحق الدولة القرطاجنية . ولقد كان الطمع الاستعماري وحب التسلط هو السبب في هذه الحروب ، فاشتعلت روما نارها ثلاث مرات متوالية ، ولم تحترم عهدا ولم ترع للقرطاجنيين إلا ولا ذمة . واستمرت تلك الحروب اكثر من قرن : من سنة ٢٦٤ الى سنة ١٤٦ قبل المسيح . واثناء هاتيك الحروب العظمى ظهرت شخصية حنبعل العظيمة ، وهو ابن القائد (عبد ملك الارض) ولد سنة ٢٤٧ ق . م . وكاد يفتتح روما لولا فقد المدد .

لعب البربر دوراً حاسماً في هذه الحروب، وقد اخذوا يشعرون بضرورة الاستقلال الوطني ؛ فمنهم من حاول ان تحصل عليه بواسطة قرطاجنة و باعانتها ، مثل الملك سيفاكس العظيم ؛ و منهم من حاول التحصيل عليه باعانة روما و بواسطة انتصارها ، امثال الملك ماصينصا الباسل. وكانت الحرب بين الملكين البربريين متواصلة ؛ توجد الرومانيون من ماصينصا وفرسانه البربر مؤيداً لهم على قهر جموع القرطاجنيين ، و يعتبر ماصينصا بحق اول ملك بربري نظم نوميديا وجعلها دولة ذات شان يذكر ، وسك لها النقود ، والف لها جنداً وشيد لها اسطولاً .

اراد ماصينصا ان يوحد المغرب تحت سلطته ، وصمم على محق قرطاجنة وانصارها ، فخرج من عاصمته « سيرتا » قسنطينة لمهاجمتها ، وكان سنه ٨٨ عاماً . واخيراً نصب الرومان والنوميديون الحصار على عاصمة البلاد القرطاجنية ، واظهر اهلها من البسالة والاستماتة في الدفاع ما خلد لهم اسماً شريفاً ؛ ولئن قال قائل ان القرطاجنيين لم يعرفوا كيف يعيشون ، فليس هنالك من يقول انهم لم يعرفوا كيف يموتون . ولقد دام الحصار حولاً كاملاً ، لم يبق معه بيد المحصورين اي شيء ، واقتحم عليهم الرومانيون الاسوار واحرقوا المدينة حتى لم يبق فيها حجر على حجر ؛ ودام احراقها نصف شهر ، و ذبح الرومانيون اهلها ذبحاً فظيعاً ؛ فقد كان فيها زمن الحصار ٧٠٠ الف من السكان ، لم يبق منهم بعد الاحراق والمذبحة الا نحو ٢٥ الفا من الرجال و ٣٠ الفا من النساء بيعوا بيع الرقيق.

و هكذا اتلفت النار الاستعمارية الرومانية اعظم مدنيات البحر المتوسط في ذلك التاريخ ، ولم تبق الا على النزر اليسير من آثارها فكانت جناية الرومان باحراق قرطاجنة من اعظم الجنايات التي عرفها التاريخ .

الفصل الثالث

الرومان والبربر

سحق الرومانيون قرطاجنة، واستولوا على كامل البلاد المغربية؛ الا انهم لم يحسبوا حسابا للبربر الذين طمعوا في تحصيل استقلالهم فما جنوا من اعانة روما غير خيبة الآمال.

قضى الملك ماصنيصا بقية ايامه هادئا في سيرتا، يشتغل بامور مملكته «تحت حماية روما» الى ان قضى نحبه خائب الامل.

نهض ابن اخيه يوغورطة باعباء الملك؛ فكان بطلا من اكبر ابطال الدنيا، ورجلا من رجال البربر الذين تفتخر بهم البلاد الى الابد. جعل يوغورطة همه محصورا في انجاز برنامج عمه ماصنيصا، وادرك ان الاستقلال البربري لا يتفق مع السلطان الروماني، فنفخ في صدور قومه روح الحمية، ودفعهم الى محاربة روما وتشييد صرح الاستقلال.

كانت الحرب بين الفريقين هائلة فظيعة من اشنع حروب العصور السالفة، وتمكن البربر الاحرار من دحر الرومانيين وتشتيت شملهم عدة مرار؛ وبعد ما اذاقهم يوغورطة الامرين سافر الى بلاد موريطانيا الغربية «المغرب الاقصى» يستنجد صهره الملك «بوكوس» فاعانه اول الامر، ثم خشي سلطة الرومان وبطشهم فسلم بكل نذالة بطل الاستقلال الى خصومه وكان ذلك سنة ١٠٦، وبسقوطه سقط الاستقلال البربري وانتهت مملكة نوميديا العتيدة. اما يوغورطة فقد سار به الرومانيون الى روما فمات في سجنها جوعا وظمأ.

حكم الرومانيون من بعد هذه البلاد بواسطة «ملوك» من البربر، هم في الحقيقة موظفون رومانيون يحكمون باسم روما وينفذون اوامرها.

وما انتهى دور الحروب البربرية حتى جاء دور الحروب الداخلية بين القواد

الرومانيين ، وطمع البربر في تحصيل استقلالهم من وراء ذالك ، فانضم فريق لسيلا وفريق لماريوس ؛ ثم انضم فريق لقيصر وفريق لبومباي . وكان يوبا الاول حفيد يوغورطة وملك « سيرتا » قد انتصر لبومباي ، فهاجمه قيصر ودحره فانتحر ، وهو آخر ملوك سيرتا ونوميديا الشرقية التي اصبحت مستعمرة رومانية يحكمها الرومانيون مباشرة وذالك سنة ٤٦ ق. م.

و ما استقر بعض النظام بالبلاد الا عند ما انتهى عصر جمهورية روما وتوطد حكم الامبراطورية فيها .

ولا نغفل عن ذكر يوبا الثاني ، ابن يوبا الاول ، فقد كان ملكا بربريا عظيما ، وان لم يكن مستقلا ؛ فلقد نشأ نشأة رومانية ووضعه الرومان « ملكا » على نوميديا الوسطى ، فلما نظمها احسن نظام ضموها الى مستعمرتهم « افريكا » التي هي تراب قرطاجنة الوطني سابقا ، ووضعوه على رأس موريطانيا الغربية وموريطانيا الطنجية ، اي ما يقارب عمالة وهران وبلاد المغرب الاقصى . وكانت عاصمته مدينة شرشال ، فاجتهد في جعلها مدينة « عصرية » تباهي وتفاخر سائر المدن الرومانية ، وكان مغرما بالثقافة الاغريقية والفن الاغريقي . وكان عالما فنيا كبيرا . ومات سنة ٢٢ ق. م.

ثار البربر بعده في وجه روما ، انما لم تجدهم ثورتهم شيئا ؛ لفقدهم النظام والزعيم. وساد عندئذ ما اتفق المؤرخون على تسميته بعصر السلام الروماني ، فدام ذلك العصر مدة مائتي عام تقريبا ، وان كانت الثورات البربرية الكبيرة تقضي على ذالك السلام وتحطمه مرة اثر اخرى .

كان الاحتلال الروماني احتلال تسلط واستعمار . وكانت وفود المستعمرين تفد الى هذه الارض زرافات فتستولى على احسنها ، وكان الجنود ينالون كذلك منحا ارضية ، فانتشر الاستعمار وازدهر ، وقام الرومانيون باعمال باهرة لخدمته ؛ الا ان البربري المسكين كان لا ينال من ذلك اي شيء ؛ وكان لا يملك من الارض الفلاحية شبرا ؛ انما كان عليه ان يستاجر من الرومان القطعة التي يستثمرها لتحصيل قوت عياله . فكانت سياسة

الرومان سياسة استئثار واحتكار. وكان الرومانيون يأنفون من مخالطة البربر ومعاملتهم، فكانوا لا يعيشون الا في مراكزهم الخاصة ومدنهم الكبيرة امثال قرطاجنة وتيمقاد وجميلة وغيرها ؛ فالعنصر البربري لم ينل من الاحتلال الروماني الطويل أي فائدة بل خسر ارضه وراحته وحريته ولم يربح أي شيء لا مادي ولا أدبي . الا ان الثقافة الكنعانية كانت بعكس ذلك مرتكزة في البلاد ، حتى ان الرومان انفسهم تاثروا بها.

وكان يتولى امر المغرب حاكم عام يدعى « بروقنصل » مركزه قرطاجنة وينتخبه اعضاء مجلس الشيوخ ، اما حاكم نوميديا ، وحاكم موريطانيا الشرقية وحاكم موريطانيا الغربية فالقيصر هو الذى ينتخبهم . قال اوغستان تيارى « ان الظلم الذى لا حد له كان ينزل من هؤلاء الولاة على رؤوس القرويين فيصيبهم فى اموالهم وابدانهم » . وكان الحاكم يمسك بين يديه زمام السلط المدنية والعسكرية والمالية والقضائية.

اما الجند الروماني فقد كان عدده بارض الجزائر نحو ٣٢ الفا ؛ منهم ٨٠٠٠ من ابناء الرومان ؛ والبقية من البربر المعاونين . ويحق لهؤلاء المعاونين ان يحرزوا على الحقوق الرومانية بعد ٢٥ عاما فى الخدمة العسكرية . ولم يكن الرومانيون يحتلون عسكريا الا اهم المواقع والنقط الحربية .

كانت المدن الرومانية تتمتع بكثير من الحقوق البلدية ، اما المدن البربرية فلم تكن تتمتع بأي حق . وكثير منها كان محافظ على نظامه البونيقي العتيق . فكل ما تراه من آثار البذخ والترف في المدن الرومانية انما كان خاصا بالرومان دون سواهم.

في سنة ٢٩٧ فصل الرومانيون السلطة المدنية عن السلطة العسكرية ؛ وقسموا ارض الجزائر تقسيما اداريا جديدا ، فجعلوها اربع ولايات : نوميديا السرتية من طبرقة الى الوادي الكبير عند مساقة ؛ ونوميديا السطيفية من مساقة الى صلدوى (بجاية) ؛ وموريطانيا القيصرية من بجاية الى نهر الملوية ؛ ثم نوميديا العسكرية وهي اراضي الجنوب وقاعدتها لبيز.

ابتدأ التدهور الروماني بانتشار الديانة المسيحية في البلاد . فالرومان كانوا وثنيين

يعبدون الاصنام، يؤلهون أباللون (أشمس) ويقيمون له الهياكل، وكانوا مع ذلك يؤلهون أي صنم يعثرون عليه في المشرق والمغرب؛ فاخذوا بعض آلهة البربر. ولما جاء الدين المسيحي اصبح له انصار واصبح له اضداد. وانقض اضداده على انصاره فمثلوا بهم تمثيلا شنيعا ورموا بهم الى الاسود تمزق اشلاءهم: ورأى البربر انهم بواسطة هذا الخلاف يمكنهم تحطيم السلطان الروماني، فاقبلوا على الدين المسيحي يعتقدونه لما فيه من تعاليم المساواة، ونكاية في رجال السلطة الرومانية.

فما كادت روما تعتنق الديانة المسيحية وتجعلها دينا رسميا، عام ٣١٢ م. حتى اخذ البربر يفرون من ذلك الدين افواجا؛ وما عتىوا حتى اعلنوا الاعتزال في المسيحية وائتمروا بامر راهب بربري يدعى دونات، والفوا جندا ظاهره نصرة المذهب الدوناتي، وباطنه تحطيم السلطان الروماني، فزرع هذا الجند بذور الفتنة في كل بلاد المغرب، وكان النظام الاستعماري الروماني اكبر اسباب هذا الهيجان، لانه جعل الارض ملكا للمستعمرين ولم يبق منها بيد البربر أي شيء. واثناء هذه القلاقل اخذ الرومانيون يعودون جموعا الى بلادهم.

انهزم الدوناتيون في عدة مواقع امام الجند الروماني، انما اصبحوا يدفعون الزعماء البربر الى الثورة ويؤيدونهم، فأصبح تاريخ الاحتلال الروماني عبارة عن قلاقل وفتن ومذابح لا نهاية لها، وكان الوالي العام يومئذ يدعى الكونت بونيفاس، وهو متزوج من امرأة وندالية؛ وكان له عدو عظيم النفوذ بروما. فخشي سلطة عدوه وتمكنه منه، فاعلن الانفصال عن روما واستقدم الوندال الجرمانيين المستقرين ببلاد اسبانيا، واليهم تنسب بلاد « واندالوسيا » الاندلس، واتفق مع زعيمهم على ان يحفظ بونيفاس بارض افريكا لنفسه ويترك لهم المغرب الاقصى وارض الجزائر. وهكذا تدهور الاحتلال الروماني نهائيا على يد الخيانة والنذالة. ولقد اتفق جل المؤرخين على ان الاحتلال الروماني لم يكن الا احتلالا سطحيا عسكريا ماديا، ولم يكن هم البربر الذين لم يستفيدوا منه اي فائدة الا خلع نيره والتخلص منه. ولقد حافظوا طول هذه المدة على

لغتهم واخلاقهم وعوائدهم وعواطفهم الملية، ويقول البعض ان ما نراه اليوم في ارض الجزائر من القبب والحمامات ونظام الاسواق والحاريث العتيقة ، والبرنس وحتى طعام الكسكسو انما هو مما تركه الرومان لكن الحقيقة ان كل ذلك كان بربريا بحتا ، اقتبسه الرومان اثناء احتلالهم ثم راحوا وتركوه . وهكذا مكث الرومان ستة قرون في البلاد فما استفاد منهم البربر لا قليلا ولا كثيرا . استعمروا البلاد لفائدتهم الخاصة وبنوا سعادتهم على شقاء البربر، وانغمسوا في الملاذ والترف الى ان اضمحلوا ،وابتلعت البلاد البربرية بعض فلولهم ، فلم يبقوا في البلاد من اثر الا الخرابات ليس الا .

الفصل الرابع

الوندال

هاجم الوندال ارض المغرب وانقضوا عليه كما تنقض نقمة الله على قوم حل عليهم العذاب. وقد جاءوا في ثمانين الفا تحت امرة كبيرهم « جنصريق » ، سنة ٤٢٩ ؛ واتوا معهم بالثالوث الرهيب : الخراب والمحق والدمار. وبين طرفة عين وانتباهتها ، كانت المعالم الرومانية قد اصبحت خرابا ، والأرض الزراعية قاعا صفصفا ؛ اما الرجال الرومانيون والنساء الرومانيات فقد نالهم من الذبح والتنكيل والانتهاك ، اضعاف ما اذاقه من قبل آباؤهم لاهل قرطاجنة البائسين. وان الله ليمهل الظالم حتى اذا اخذه لم يفلته . ولقد كان البربر يشاهدون بكل جذل وسرور تلك النكبة التي حلت بالرومانيين فجعلتهم اثرا بعد عين ؛ وكانت ايدي البربر تمتد بعامل الانتقام الى الوندال مساعدة على تحطيم السلطة الرومانية الجائرة .

هال بونيفاس الخائن ما رآه فعزم على المقاومة ؛ مقاومة اليائس المستميت ؛ وامده الرومان وامده الروم ؛ لكن ذلك لم يكف لتعطيل سير الاعصار الوندالي ، و ما لبثت قرطاجنة ان استسلمت لجموع جنصريق سنة ٤٣٩ . ولم يمت الرومانيون تحت اسوارها مدافعين كما مات الكنعانيون ، بل استسلموا استسلام الاذلاء ، فسلبوا ونهبوا

وانتهكت حرمتهم ؛ واصبحوا عبيدا اذلاء . وعرف البربر يومئذ لذة الانتقام .

استقر النظام الوندالي بالبلاد التونسية حول قرطاجنة، واقتسم الجند ارض تلك البلاد . انما الاحتلال الوندالي كان ضعيفا الى درجة انه لا يشعر بوجوده في ارض الجزائر ؛ حيث كان يكتفي باقامة مراكز ضئيلة للحراسة . وبذلك استرجع البربر كامل حريتهم؛ واسترجعوا بصفة اخص كامل اراضيهم الفلاحية

استمر الوندال على طباعهم الحربية طيلة حياة جنصريق ؛وقد ابتنوا لهم اسطولا وساروا الى روما نفسها ففتحوها ونهبوها نهبا مدة نصف شهر . فلما مات ملكهم المذكور سنة ٤٧٧ ، خلفه ابناؤه واحفاده ؛ وكانوا ضعافا ؛ واخذت جموع الوندال تنغمس في المدنية والشهوات ؛ وفقدوا كل مراقبة على البربر الذين استقلوا بصفة فعلية خصوصا في ارض الجزائر ؛ وكان الوندال مع ذلك يزدادون شدة وقسوة في معاملة الرومان وخصوصا رجال الدين منهم ؛لان الوندال كانوا مسيحيين على المذهب الآري ، لا يعترفون بسلطة البابا والكنيسة الرومية ، وفقد الوندال ملكهم بالمغرب على ايدي الروم سنة ٥٣٣ ، فلم يمكثوا بالبلاد الا ٩٥ عاما ؛ كان عملهم الوحيد اثناءها هو محو السلطة الرومانية وتخريب معالمها ، واستفاد البربر منهم استرجاع حريتهم المسلوبة وارضهم المغتصبة .

الفصل الخامس

الروم

الروم يسكنون الامبراطورية الرومانية الشرقية . وكانت عاصمتها بيزنطة (استامبول) التي انتزعها منهم فيما بعد السلطان العظيم محمد الفاتح العثماني. والروم يونان اكثر منهم رومان .

ارسل امبراطور بيزنطة القائد بليزار صحبة اسطول جسيم وجند عتيد ؛ فاحتل قرطاجنة ونسف سلطة الوندال نسفا . وارتكب الروم في الوندال ما ارتكبه هؤلاء في الرومان ، وما ارتكبه الرومان في القرطاجنيين ؛ وتشرد من بقي من الوندال على

قيد الحياة ولم يدخل الجندية الرومية في البلاد وعفى اثرهم. قال ميرسي « لم يمض على اغتصاب الروم بالبلاد ستة اشهر حتى كانت آثار الوندال كلها قد انعدمت ، وهذا يدل على ضعف الجذور التي بثها الاحتلال بالبلاد »

اخذ الروم يضطهدون انصار المذهب الآري فاستمرت القلاقل الدينية ؛ وارادوا ان يسطوا على كامل البلاد سلطانهم كما كانت روما من قبل تبسط سلطانها ، فاصطدموا بالبربر الذين الفوا حياة الحرية ؛ فاصبحت القلاقل دينية وملية. وكانت الدولة الرومية دولة رشوة تباع فيها المناصب لمن يبذل اغلى ثمن لها. وعلى المتوظف ان يسعى لاسترجاع ما بذله ، فينزل على رؤوس محكوميه كالكابوس الرهيب ، وكان لعامل نوميديا ؛ وعامل موريطانيا الشرقية مجلس ادارة به ٥٠ عضوا ؛ كانوا في اغلب الاحيان شركاء العامل في لصوصيته . وقد ارادوا قسمة الاراضي الفلاحية في البلاد كما كانت ايام الرومان ، فحاولوا نزع اراضي البربر لتقسيمها على جنودهم وعلى بقايا الرومان ؛ فساد من اجل ذلك شغب مستمر .

كان الجند الرومي مؤلفا من فرق بيزنطية وفرق بربرية معاونة ؛ وكان الروم يقيمون المعاقل والحصون في اطراف البلاد ، فاذا لم يجدوا كلسا عمدوا الى ما ابقته ايدي الوندال من تماثيل الرومانيين البديعة فاحرقوه كي يبتنوا به حصونهم . وهكذا كانوا شركاء المتوحشين في اتلاف بدائع الفن الروماني .

قال الاستاذ قاليبرت عن سلطان الروم بهذه الديار :

« لقد وصل الخراب بهذه البلاد ايام جوستينيان الى درجة ان المسافر كان يجول اياما عدة في بعض النواحي فلا يصادف نفسا بشرية » . الى ان يقول ... ذلك ان الرجال القادرين قد هاجروا الى بيزنطة وصقلية ؛ ومن مكث منهم بالبلاد اهلكته الحروب والمصادرات »

فيمكننا ان نقول بان عصر الروم كان اظلم واهول من عصر الوندال . وما كانت لعمري نتيجة عملية الاستماتة البربر في سبيل استقلالهم ومقاومتهم للتسلط الاجنبي مقاومة محسوسة

تدهور سلطان الروم بنفس الطريقة التي تدهور بها سلطان الرومان . ذلك ان احد الولاة المسمى بطريق والذى يسميه العرب جرجير ، اعلن انفصاله عن بيزنطة ، واستقل بالبلاد جاعلا عاصمته مدينة « سبيطلة » . وارسلت بيزنطة والياً مكانه على قرطاجنة . فسادت الفوضى وعم الخراب . وبات الناس في كرب جسيم ينتظرون الخلاص النهائي .

الفصل السادس

الفتح الاسلامي

وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

ارسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ، بشيرا للناس ونذيرا ؛ ليخرجهم من ظلمات الطغيان والاستبداد الى انوار العدل والحرية ؛ ولينقذهم من الفوضى الاخلاقية والدينية والاجتماعية التي اصبح عليها العالم يومئذ . فصدع محمد صلى الله عليه وسلم بالامر ، وبلغ الرسالة ودخل الناس في دين الله افواجا ؛ وما انتقل صاحب الرسالة العظمى الى الرفيق الاعلى ؛ حتى كان النور الاسلامي ؛ نور الهدى واليقين ؛ قد عم جزيرة العرب . فاصبح اهلها بنعمة الله اخوانا متحدين ؛ وقد كانوا من قبل اعداء متنافرين ؛ واصبح لهم شان وأى شان . فخرجوا من جزيرتهم لانقاذ البشر من طغيان دولة الاكاسرة ، واستبداد دولة الروم ، واضطهاد سلطنة بيزنطة ؛ فحطموا تلك الدول الطاغية ، وافتتحوا العراق والشام ؛ وارمينيا وفارس ومصر ؛ ورفع الله منار المسلمين فارتفع به منار الحق والحرية والعدل والمساواة . واصبح الذين كانوا بالامس عبيدا اذلاء للملوك والقياصرة ؛ سادة احرارا . يقفون مع العربي الفاتح على قدم المساواة التامة ؛ وقد سوى بينهم الاسلام الحنيف ووحدهم ؛ حتى اصبح الخليفة عمر الفاروق يقول لعامله حينما اعتدى ولده على ولد احد الرعايا : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا ؟

خرج العرب للفتح والهداية، وقد اصطبغوا بصبغة القرآن الشريف، فاصبح شعارهم في فتوحاتهم هذه الآيات الكريمة : «لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » «انما المومنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم » « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » « ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي »

اولئك هم العرب الكرام الذين قدموا سنة ٦٦٧ لفتح بلاد المغرب و بث النور الاسلامي فى ارجائها.

كان امير المومنين يومئذ عثمان بن عفان ؛ وكان قائد الجند العربي عبد الله ابن سعد ، ومعه عبد الله بن الزبير، وكان العرب لا يزيدون عن العشرين الفا . فجمع لهم بطريق جموعه من الروم والرومان والبربر الخاضعين . وسار في مائة وعشرين الفا لملاقاتهم . وما هي الا ساعة صبر وجهاد فى سبيل الله حتى انتصر المسلمون انتصارا حاسما . وقتل بطريق اثناء المعركة . واحتل العرب عاصمته سبيطلة . فغنموا فيها مغانم كثيرة . ثم صالحوا الروم بعد ان اخذوا منهم جزية مقدارها مليونان وخمسمائة الف دينار ذهبا ، وقفلوا راجعين .

بعث الامبراطور البيزنطي واليا من قبله وارهقه بالمطالب فلم يستطع صبرا . وسار الى الشام يبين لمعاوية أهمية البلاد ويكشف له عن عورات الروم فيها .

ارسل معاوية بن ابي سفيان والي مصر الى بلاد المغرب . فانتصر وظفر . واحتل بعض السواحل. ثم جاء البطل العظيم عقبة بن نافع الفهرى فابتنى القيروان واخذ يجمع حوله البربر واخترق من بعد بلاد المغرب سنه ٦٩٢ م حتى وصل الى الساحل الاطلسي؛ وعاد على طريق السوس والصحراء . وفيما هو يتقدم جنده صحبة طليعة صغيرة هاجمته فرقة بربرية يرأسها «كسيلة» الذي كان فى اسر العرب وفر . ومات عقبة واصحابه موت الابطال . وقبره الآن فى مدينة « سيدى عقبة » . واضطر العرب للانسحاب فانتصب كسيلة ملكا في القيروان واراد ان يشيد ملكا بربريا جديدا دينه الاسلام .

الا ان العرب اعادوا عليه الكرة فشتتوا ملكه وقتلوه اثناء معركة . وقد كان بطلا صنديدا ورجلا عظيما . ورأى البربر انهم لا يتمكنون من المقاومة الا اذا أووا الجبل . فاعتصموا بجبل أوراس وأمروا عليهم امرأة يجري في عروقها دم الابطال وهي الكاهنة .

هنا وقعت المعارك الحاسمة بين قوتي الاسلام والمسيحية والوثنية في البلاد . فلقد جاء حسان بن النعمان قائدا ليتم الفتح وليزيل نهائيا سلطان الروم . فدمر قرطاجنة الرومية . ثم سار بجموعه نحو الكاهنة . وبعد محاربات عديدة كانت سجالا بين الجانبين ، وبعد ما احرقت الكاهنة اغلب البلاد والمزروعات ظنا منها انها بذلك تصد غارات العرب ، انتصر حسان عليها ، فماتت اثناء المعركة موت الاشراف ، واسلم ابناؤها .

رأى البربر ان الفاتحين الجدد يختلفون كل الاختلاف عن الفاتحين الاقدمين؛ ورأوا انهم لاول مرة في تاريخهم اعتبروا سادة ولم يعتبروا عبيدا ، ورأوا انهم بواسطة المساواة الاسلامية يمكنهم ان يحققوا كل رغبتهم ، فاقبلوا على الاسلام يدخلون في دين الله افواجا؛ وقد ارسل لهم الخلفاء من يفقههم في الدين ويعلمهم العربية ، فلم يمض وقت وجيز حتى اصبح البربر من احسن الناس ايمانا واشدهم اخلاصا للدين القويم؛ وبقوا على ذلك الى يومنا هذا ، وسيبقون كذلك الى يوم الدين . وهكذا تمكن العرب بواسطة الاسلام من توحيد شمال افريقيا ، وجمع كلمة البربر حول راية القرآن . وتمكنوا في سنوات قليلة من عمل ما لم يستطع الرومان عمله في ستة قرون .

واستمر تداول الولاة العرب ، ولكل منهم سياسة خاصة ، الى ان جاء دور تأسيس الدول الاسلامية البربرية .

الفصل السابع

دولة تيهرت الرستمية

بودنا لو افردنا قسما كبيرا لدرس الدولة الرستمية انما ذلك يخرجنا عن الايجاز الذي نتوخاه في هذه الفذلكة ؛ فقد كانت الدولة الرستمية اول دولة اسلامية بربرية نشأت في هذه الديار ، وازدهرت ونمت ونالت شهرة عالمية واسعة ،

ولانتصاب دولة بني رستم مقدمة لا مناص من ذكرها .

في سنة ١٤٠ هجرية ظهر في تلمسان التي تسكنها قبيلة بني يفرن احد رجال البربر يدعى «ابو قرة» معتنقا مذهب الصفرية ، فجمع حوله البربر وانتصب خليفة بكامل الغرب والوسط الجزائري . وانتشرت دعوته حتى عمت الجزائر باسرها ، ونهض البربر نهضة رجل واحد ، فاحتلوا القيروان ، وانفصلوا عن مذهب مالك واعتنقت الاغلبية الكبرى منهم المذهب الاباضي الذي نشره بينهم من قبل دعاة الامام ابي الخطاب من طرابلس الغرب

في هاتيك الاثناء اسس المولى ادريس الاكبر الدولة الادريسية بالمغرب الاقصى وجعل فاسا عاصمة لها ، واصبحت هذه الدولة تنازع بني يفرن ملكية تلمسان ؛ واستولت عليها اعواما طويلة .

كان قاضي القيروان اذ ذاك عبد الرحمن بن رستم يقاتل بعض الثائرين في جهة الجنوب ، وانهزم امامه ، فرجع الى القيروان ووجدها قد انتقضت عليه ؛ فخرج ابن رستم مع ما خف من متاعه صحبة ولده ومملوكه ، وحط رحاله بجبل من امنع الجبال وسط القبائل البربرية الاباضية فاكرمت مثواه واحلته على الرحب والسعة ، وتتبعه اضداده فلم يستطيعوا عليه سبيلا ؛ فانتقل صحبة انصاره الى تيهرت ، واسس الدولة الرستمية الاباضية سنة١٦٠ ؛ فكانت اول دولة وطنية اسلامية اسست بهذه الديار ؛ والمظنون ان مدينة تيارت الحالية مقامة على انقاض تيهرت العتيقة .

اصبحت هذه الدولة البربرية الاسلامية باسطة سلطانها العادل على كل ربوع الجزائر، ما عدا ناحية الزاب الاغلبية، وناحية تلمسان الادريسية . وكان المذهب العام يومئذ للبربر في كل بلاد الدولة هو المذهب الاباضي؛ وقليل منهم كان معتنقا المذهب الصفري . واصبحت تيهرت مدينة من اعظم مدن المغرب مدنية وعمرانا . واتخذ ائمة تيهرت القصور البديعة لسكناهم، واسسوا الدولة فاحسنوا تأسيسها؛ وقد توطدت على البر والتقوى. وعملت على نشر الثروة والرفاهية فعبدت الطرق الطويلة، ووسعت نطاق التجارة مع كل البلاد، واقبل البربر المسلمون على خدمة الارض فاصبحت مملكة تيهرت حديقة غناء، فيها من كل فاكهة زوجان. وقد تغنى المؤرخون والواصفون المسلمون بذكر هذه المدنية الجزائرية وصفوها فاطنبوا في وصفها . وكانت الصناعة كذلك قد بلغت شاوا بعيدا في الاتقان . واخذ الرستميون ينون المدن والقرى ويجددون ما اندرس منها .

اما الدولة فقد كانت مؤسسة على سنن الجمهورية الاسلامية في ايام الخلفاء الراشدين رئيسها يدعى امير المومنين؛ ينتخبه القوم في اول الامر انتخابا حرا، وهو يستشير في كبار الامور « الشراة » أي عظماء المذهب وعلماءه؛ وفي الامور العامة يستشير وجوه القوم والقبائل. والامام يعين القضاة بعد استشارة « الشراة » وكان قضاة الرستميين على اكبر نصيب من الاستقامة والنزاهة . وكان الضبط على نوعين: فهنالك فرقة الشرطة التي تقوم بالحراسة والسهر على الامن؛ وهنالك فرقة الحسبة التي اسسها الامام ابو اليقظان؛ وهي مختارة من وجوه القوم وصالحيهم تطوف المدينة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، حاثة على الرفق بالحيوان . وكانت مداخيل الدولة من اموال الزكاة وحدها . وتصرف في مصالح الدولة العامة .

وخلاصة القول انه يحق للجزائر ان ترفع رأسها مفتخرة بهذه الدولة الوطنية التي قلما شاهدت بلاد الاسلام قاطبة مثلها بعد دولة الراشدين.

الا ان هذه الدولة قد اعتراها في آخر ايامها ما يعتري الدول الهرمة من الفتن

الداخلية والشقاق وضعف السلطة المركزية ؛ زد على ذلك تفاقم الخلافات المذهبية وظهور دعوة الشيعة وطغيانها . حتى تضت على هذه الدولة واتلفتها . ودخلت البلاد في طاعة عبيد الله المهدي .

دامت الدولة الرستمية ١٣٦ عاما ، من سنة ١٦٠ هجرية الى سنة ٢٩٦ ، وتولى امرها ستة من الائمة ، اولهم عبد الرحمن بن رستم وآخرهم اليقظان . و من اشهرهم ابو اليقظان وابوه افلح اللذان بلغت الدولة في ايامهما اوج عزها ومنتهى سؤددها .

الفصل الثامن

الادارة الاغلبية

بينما كان الغرب الجزائري يذوق لذة الحضارة والامن تحت سلطة الدولة الرستمية الوطنية ؛ كان شرق الجزائر — الزاب — يتمخض عن حادث جسيم هو تأسيس الدولة البربرية لاسلامية العظيمة ، دولة بني الاغلب وازدهارها ، ولقد أسست الدولة الاغلبية سنة ١٨٤ هجرية ، واستمرت الى سنة ٣٠٣ زاهية زاهرة وجعلت عاصمتها مدينة القيروان التي اصبحت من اعظم الحواضر الاسلامية .

وكانت بلاد الزاب الجزائرية ، وهي بلاد نوميديا القديمة ، تمتد من بجاية على البحر المتوسط الى الصحراء وتشمل غربا مسيلة و برسعادة ، كانت قطعة من بلاد الدولة الاغلبية ؛ يولي الامير الاغلبي ولاتها ، ويمنحهم استقلالا اداريا واسعا ؛ ويولي قاضي القيروان قضاتها يحكمون بين الناس بالعدل والانصاف ، لافرق بين عربي و بربري ؛ ولم تعرف بلاد نوميديا — الزاب — قبل ذلك مثل تلك الرفاهية والخصب والامن ، والزيادة في الاموال والانفس والثمرات ؛ وكان كل ذلك بيد ابناء البلاد من بربر و جاليات عربية قليلة . وقد جلب الفرس الذين صحبوا الجند العربي بدائع صناعتهم فاخذها البربر

واتقنوها ، ومن ذلك صناعة الزرابي البديعة واصبحت بلاد الزاب روضة غناء تعمل بها الايدي البربرية والعربية فكانت الحضارة الاسلامية في الزاب اثناء العصر الاغلبي من أزهر الحضارات الاسلامية ببلاد الجزائر .

الفصل التاسع

الادارة الفاطمية

عمل رجال الشيعة العلوية الذين وطد امرهم بالمغرب عبيد الله بن محمد ،على بث الدعوة الشيعية في قبائل كتامة التي تسكن اكبر اقسام الزاب الاغلبي ؛وكانت الدولة الاغلبية قد شاخت وهرمت ، فلقيت الدعوة آذانا صاغية ،وتولى زعامة كتامة الداعية ابو عبد الله الشيعي . فلما آنس من نفسه القوة هاجم بني الاغلب فدمر ملكهم في واقعة الاربس ، وفر آخرهم زيادة الله الثالث الى المشرق سنة ٢٩٦ .

وفي تلك السنة نفسها حول ابو عبد الله نظره نحو دولة بني رستم فحطمها كذلك بدون شديد عناء . وهكذا اصبحت الجزائر خاضعة لسلطان الدولة الشيعية الفاطمية . وقد اتخذ عبيد الله الذي لقب بالمهدي عاصمة ملكه مدينة « المهدية »

وكانت مطامع الشيعة لا تقف عند حد ؛فلما تولى المعز سنة ٣٤١ افتتح مصر والشام واسس مدينة القاهرة ، ثم انتقل اليها طامعا في بسط سلطانه على بلاد العالم الاسلامي كلها .

لاول مرة في التاريخ دخل المغرب كله — تونس والجزائر والمغرب الاقصى — تحت حكم دولة واحدة وادارة واحدة . ولقد نالت ارض الجزائر في ايام الادارة الفاطمية راحة وامنا ، وعاد لها ما كادت تفقده ايام الفتن السالفة من الازدهار

والرفاهية ؛ وشيدت الجزائر الفاطمية اسطولا كان ذا اهمية كبرى في البحر المتوسط، كما ان الجزائريين كانوا واسطة نقل التجارة والحضارة الى السودان بواسطة الصحراء. وقد كان الرستميون مهدوا من قبل طرق تلك التجارة الواسعة النطاق

الفصل العاشر

دولة مسيلة

اختط ابو القاسم بن عبيد الله المهدي مدينة « المحمدية » وهي المسيلة ، ثم اولى على الزاب الفاطمي ابا الحسن عليا بن حمدون ؛ فاتخذ مركز ادارته مسيلة ؛ واصبح وكأنه ملك مستقل ؛ واصبحت مسيلة عاصمة اسلامية كبرى، ذات عمران متسع ومدنية شامخة ،وقد تولاها بعد ابي الحسن ابناؤه ؛ وأم المسيلة العلماء والفضلاء والشعراء ؛ الى ان قضى عليها بلكين بن زيري بن مناد سنة ٣٦٢ . و بلكين هذا يعتبر مؤسس دولة صنهاجة بتونس ، وصنهاجة من اكبر واقوى القبائل البربرية ، وهو الذي ابتنى مدينة « جزائر بني مزغنة » التي اصبحت اليوم مدينة الجزائر .

الفصل الحادي عشر

دولة بني حماد العظيمة

كان زيري بن مناد قد اعان الفاطميين يوم تفاقمت ضدهم ثورة ابي يزيد وقضى ابنه بلكين على دولة مسيلة الناشئة ، فلما رحل المعز الى مصر استخلف بلكين هذا على افريقيا والمغرب . ونشأت دولة صنهاجه فكانت من اعظم واكبر دول الاسلام بهذه الاقطار، وبلغت في الحضارة والرقي شأوا عظيما .

اسس حماد الصنهاجي مدينة «القلعة» سنة ٣٩٨ ، وبقاياها لا تزال الى اليوم باسم «قلعة بني حماد». وكان حماد هذا قد خلع بيعة الفاطميين سنة ٣٨٧، واعلن سيادة بني العباس. وانفصل عن دولة صنهاجة التي كان يتولاها يومئذ ابن اخيه باديس. واسس دولة بني حماد الكبرى ؛ فجعل عاصمتها اولا «القلعة» ثم اسس ابناؤه من بعده مدينة «بجاية» سنة ٤٦٠ ، ونقل اليها يحيى الحمادي سنة ٥٣٨ كل ما كان بالقلعة من معدات البذخ والترف.

وقد كان الناصر بن علناس مؤسس بجاية، اعظم ملوك هذه الدولة واكثرهم دهاء وحزما ؛ وقد وسع سلطانه فاصبح ملكه يمتد من حدود المغرب الاقصى الى القيروان وصفاقس ؛ وكانت دولة المرابطين قد وطدت دعائم ملكها بالمغرب الاقصى واشتهر امرها على يد يوسف بن تاشفين ؛ فجرت بين الفريقين بعض حروب، الا انها كانت حروبا طفيفة حول تنازع السلطة في الناحية الغربية.

اسس الحماديون دولة جزائرية باتم معنى الكلمة ؛ تشمل تقريبا كل بلاد الجزائر بحدودها الحاضرة. وقد كانت الدولة بربرية بحتة ؛ لغتها العربية ودينها الاسلام. وعمل الحماديون على نشر العربية وعلى تعليم القبائل وتوحيد غايتهم ؛ فكان عمل الحماديين من الجهة الادبية جسيما ؛ كما كان من الجهة المادية عظيما ، فقد اتسع العمران ورقت الحضارة ؛ ونالت الصناعة والفلاحة رقيا باهرا ؛ وساد الامن وانتشر العدل ، فكان عصر الحماديين عصرا حيا فعالا من عصور الجزائر الخالدة.

وتدهورت الدولة الحمادية بعاملين : عامل هجرة الاعراب الهلاليين من جهة؛ وعامل الانتشار الموحدي من جهة اخرى.

اراد الخليفة الفاطمي بمصر ان ينتقم من المعز الصنهاجي لخلعه سلطانه وانتمائه للعباسيين ؛ فارسل عليه وعلى بلاده القبائل الاعرابية من بني هلال وبني سليم ومن معهم ، فاقبلوا بخيلهم ورجلهم ، وطغت موجتهم الاولى على دولة صنهاجة بالبلاد التونسية ، ثم اجتاحوا دولة الحماديين .

يتهم التاريخ هؤلاء الاعراب بانهم حطموا مدنيات بلاد المغرب وكانوا في هذه البلاد عنصر فساد وتخريب ؛ وكاد بعض المؤرخين يلصقهم بالوندال المخربين . لكن كلّ ذلك صادر عن غرض وجهل . فالاعراب الذين قدموا افريقيا ، لم يكونوا متحضرين ، وتلك حقيقة لا ريب فيها ، انما هم قدموا من بلاد الصعيد المصري ببداوتهم العربية ، يحملون الاخلاق العربية والخلال العربية وكل ما في العرب من محاسن ومن مساو . فكانت هجرتهم هجرة قوم اتوا ليستقروا في البلاد ، ولم ياتوا ليغزوا ويعودوا بالغنيمة ادراجهم ، وكان الواجب على الادارة الصنهاجية بتونس ، والادارة الحمادية بالجزائر ، ان تنظرا في امر هؤلاء النازحين المهاجرين نظرة درس وبحث ، وتعتبرهم عنصرا جديدا استقر في البلاد ، يجب ان تتقبله البلاد على الرحب والسعة وان تستوطنه حتى يصير فيها عنصرا اساسيا اصيلا ؛ وكانت الارض شاسعة تسع هؤلاء المهاجرين واضعاف اضعافهم ؛ فكان من الممكن الميسور اقطاعهم ما يكفيهم من الارض ، والاستفادة منهم .

لكن دولة صنهاجة اولا ، ودولة بني حماد ثانيا ، قد اعتبرتا الاعراب النازحين عدوا تجب مقاومته ؛ فاخذت نيران الفتن والحروب تشتعل بين الفريقين . ولم يستقر الاعراب بالبلاد الا بعد عناء طويل . فالمؤرخ المنصف لا يستطيع ان يجعل مسؤولية الحوادث التي وقعت ، ملقاة كلها على جانب الاعراب .

وعلى كل فهجمة الاعراب هي التي طبعت البلاد الجزائرية بالطابع العربي أبديا ، وركزت فيها اللغة العربية والعقلية العربية على اساس متين .

وفي ايام بني حماد حدث حادث آخر بالجزائر لم يكن اقل تأثيرا على مستقبل حضارتها من هجمة الاعراب ، وذلك هو نزوح الكثير من مهاجري الاندلس الى السواحل الجزائرية ، عند ما اخذوا يشعرون بوهن السلطة الاسلامية باسبانيا ، فنقلوا الى هذه الديار حضارة الاندلس الرقيقة البديعة .

دامت دولة الحماديين العظيمة بالبلاد الجزائرية ١٧١ عاما ؛ وكانت دولة يحق

للجزائر ويجب عليها ان تفتخر بها وان تذكرها وان تدرس تاريخها حق الدراسة .
ولقد تولى امر هذه الدولة تسعة من الملوك ، نظموها فاحسنوا تنظيمها ، ورتبوا فيها المصالح الدولية اجمل ترتيب ، وكانوا على الاغلب ملوكا مطلقين لا يعرفون الشورى ، وليس على وزرائهم وعمالهم الا السمع والطاعة . وقد اصبح للجزائر في ايامهم اسطول ضخم يضرب بسهم وافر في التجارة العالمية ؛ وعقدوا المعاهدات التجارية مع اغلب الدول البحرية بالمتوسط . وانتهى امرهم بضربة عبد المؤمن بن علي الذي انزل آخر ملوك الحماديين يحيى بن عبد العزيز عن ملك بجاية سنة ٥٤٧

الفصل الثاني عشر

ادارة الموحدين

نبغ البطل الاكبر والاداري الحكيم عبد المؤمن بن علي الكومي ، خليفة المهدي محمد بن تومرت الذي اسس في السوس الاقصى دولة الموحدين ؛ وكان عبد المؤمن جزائريا من مدينة ندرومة . تولى عن استعداد سنة ٥٢٤ امر الدولة الفتية ، وقادها بقوة الايمان ومتانة العزيمة الى النصر والفلاح ، فحطمت دولة المرابطين تحطيما ؛ ورأى عبد المؤمن ان الوهن قد استولى على دولة الحماديين ؛ وان النرمان عاثوا فسادا في السواحل التونسية ، فنهض على رأس جنده العتيد ، وفتح بلاد الجزائر كلها . وانتهت على يديه دولة بني حماد الرفيعة ؛ ثم افتتح البلاد التونسية ، واصبحت افريقيا الشمالية كلها تحت سلطة مراكش يحكمها من قبلها الولاة .

احدث ابن غانية الاندلسي المرابط قلاقل كثيرة ببلاد الجزائر قصد نسف سلطة الموحدين ، الا انه اندحر في آخر امره وتم الامر للسلطة الموحدية في البلاد .

كان عصر الموحدين في جملته عصر رفاهية وامن وسلام . وقد اخذت البلاد تهضم الاعراب الهلاليين ومن معهم ، واعتنى عبد المؤمن بامر هاتيك القبائل العربية فاقطعها الارض ؛ واخذ منها فريقا كبيرا سار به الى الاندلس .

وكان عبد المؤمن وخلفاؤه موحدين في كل شان من شؤون الحياة؛ موحدين في الدين يعبدون الله ولا يشركون به شيئا ، موحدين في السياسة يجمعون تحت سلطتهم كامل الشمال الافريقي ؛ موحدين في الاجماع ، امروا الناس بالغاء كل كتب الفروع ، والرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله التي جمعها المهدي ابن تومرت في مدونته التي اسماها : «اعز ما يطلب» ياخذون منها احكام الدين مباشرة .

فكانت ايام الموحدين بالجزائر، رغم قضائهم على الدولة الحمادية ، ايام راحة واطمئنان ، اقبل فيها الناس على الاعمال الفلاحية والصناعية وانتشرت فيها العلوم والآداب انتشارا واسعا . ودامت السلطة الموحدية تحكم البلاد الجزائرية كلها مدة السبعين عاما .

الفصل الثالث عشر

دولة بني زيان

لا ريب ان دولة بني زيان العظيمة، كانت أعظم وازهر دولة اسلامية تاسست بهذه الديار ، فكان نجمها الزاهر يتألق في الغرب سناه ، اسطع مما كان نجم بني حماد قبل ذلك في الشرق .

قامت بتاسيس هذه الدولة العظيمة قبيلة بني عبد الواد ؛ وقد كان الموحدون اقطعوا هذه القبيلة البربرية العتيدة ارضا فسيحة ، فدانت اليهم بالولاء ، الى ان اخذ نفوذ بني عبد المؤمن يتضاءل ، فأسس جابر بن يوسف سنة ٦٢٧ دولة بني عبد الواد ؛ واعلن استقلالها في تلمسان عن سلطة الموحدين سنة ٦٣٣ على يد يغمراسن العظيم .

كان يغمراسن يقف موقفا خطرا بين مزاحمين عظيمين : في الشرق تزاحمه الدولة الحفصية التونسية ، وفي الغرب تزاحمه الدولة الموحدية المراكشية ، وفي نفس مملكته تزاحمه بعض القبائل الوطنية . الا ان يغمراسن كان مخلوقا من طينة الابطال ؛ وفي

عروقه يجري دم عظماء الرجال . فما اكترث بتلك الخطوب ولا وهنت عزيمته امام هاتيك العقبات الجسيمة . وتمكن بسياسته من النمو بين تزاحم الحفصيين والموحدين واقد حار به ابو زكرياء الحفصي ، وسير جنده على تلمسان ، لان يغمراسن اظهر بعض الميل الى الموحدين ؛ فتوسطت ام يغمراسن في الصلح ؛ ورجع ابو زكرياء بجنده الى تونس بعد ان استوثق من مخالفة يغمراسن له ضد الموحدين .

ولقد خشي يغمراسن شر القبائل المحيطة بتلمسان ، فاتى بالقبيلة العربية العتيدة قبيلة بني عامر المخلصة وجعلها فاصلة بين تلمسان وبين قبيلة المعاقيل تقيها شرها ، وتدرأ خطرها . ثم ارتبط مع الملك الحفصي بمصاهرة فزوج ولي عهده ابنه ابا سعيد عثمان من ابنة ابراهيم ابن ابي زكرياء الحفصي .

مات يغمراسن سنة ٦٨١ ، وقد ترك دولة مؤسسة على دعائم ثابتة واسس متينة .

وكانت دولة بني مرين قد نشأت في المغرب الاقصى ، واتخذت مدينة فاس عاصمة لها . واصبحت بعد حين خطرا جديدا يهدد دولة بني عبد الواد . اما ابوسعيد بن يغمراسن فقد اخذ يوسع اطراف مملكته في وسط الجزائر وشرقها فوصل الى تنس ومازونة والمدية ، وتوجه نحو الجنوب فاتحا . وفي هاتيك الاثناء كان الملك المريني ابو يعقوب قد وطد العزم على اخذ تلمسان واستئصال شأفتها . فنصب الحصار عليها بكيفية لم يسبق لها في التاريخ مثيل ؛ ذلك بانه ابتنى امام المدينة المحصورة مدينة اخرى عظيمة ، ذات قصور ومساجد وحمامات واسواق ، ودعاها « المنصورة » ، ولا تزال بقايا منارتها الى الآن على بعد نحو ٤ كيلومترا من تلمسان ،

استمر الحصار على هذه الصفة ثمانية اعوام ؛ وبلغت الفاقة بتلمسان مبلغا هائلا ، ومات من اهلها جوعا وقتلا نحو المئة والعشرين الفا . ولما اشتد الكرب الى هذه الدرجة ، عزم الملك ابو زيان بن ابي سعيد على الخروج والاصطلاء بنار معركة حاسمة ؛ في تلك الساعة الرهيبة التي ظن كل انسان ان تلمسان ستذهب فيها فريسة لبني مرين انقض احد العبيد على السلطان المريني فقتله وانسحبت جنوده بعد ان اخلت

المنصورة واشترطت على الامير التلمساني عدم مسها بسوء ، وحق لهذا ان يقول :

ضاقت ولما استحكمت حلقاتها * فرجت وكنت اظنها لا تفرج

اراد خليفة هذا الامير ان يدخل الزاب تحت سلطته ، والزاب يومئذ خاضع لسلطة بني حفص التونسيين؛ فارسل جنده وكاد يستولي على بجاية وقسنطينة ، لولا خيانة بعض القبائل ، فانكسر الجند اولا ؛ ثم اعاد امير تلمسان الحملة على الحفصيين وكانت حملة صادقة ، فاحتل الجند التلمساني تونس وفر ملكها الحفصي؛ واستعان على المنتصر ابي تاشفين بالملك المريني ، فلم يقبل ابو تاشفين تداخلا واصر على البقاء بتونس ، وغاضب بني مرين فتحركوا ضده ، واعادوا حصر تلمسان؛ وفي ٢٨ رمضان سنة ٧٣٧ دخلوا المدينة عنوة ومات فيها السلطان وابناؤه موت الابطال . وبذلك انتهت دولة بني عبد الواد بعد ما ملكت ١٠٤ اعوام .

لم يدم الاستيلاء المريني بتلمسان طويلا ؛ فما عمر الا ٢٣ عاما ، الا ان المرينيين اظهروا اثناءها من حسن الادارة ومن الاقبال على تشييد القصور والبنايات العامة للمصالح الشعبية ما اصبح مثالا يحتذى .

وفي سنة ٧٦٠ ، جهز ابو موسى حمو زياني جندا عربيا من تونس ، ووثب على تلمسان وثبة صادقة ففتحها واعاد ملك بني عمه ، الا ان الدولة الحديثة لم تتخذ اسم بني عبد الواد ، بل كانت دولة بني زيان .

واظهر ابو موسى حمو الثاني من العظمة في الملك والادارة ما اظهره يغمراسن قبله في ميدان الحروب والجلاد ، وتألقت انوار الحضارة التلمسانية في ايامه تألقا ساطعا ، وانتظم امر الدولة انتظاما بديعا . واصبحت تلمسان حاضرة من اعظم حواضر العالم الاسلامي ، يؤمها العلماء والادباء والشعراء من كل الاقطار .

واتخذ ملوك بني زيان لقب «امير المومنين» واحاطوا ذلك اللقب العظيم بسياج من النظم السلطانية اسوة بما كان يجري في بلاد المشرق من نظام الخلافة ، وقسموا الادارة الى قسمين : الادارة العسكرية المكلفة بكل ما يتعلق بالحروب الهجومية

الدفاعية ، ويراس تلك الادارة وزير يدعى صاحب السيف ؛ ثم الادارة المدنيــة وهي تشرف على الحياة العامة كلها من اقامة العدل ، ونصب الامن ، وادارة البلاد ؛ ويسمى الوزير المشرف على كل ذلك « صاحب القلم » . وتحت سلطــة صاحب القلم يوجد « صاحب الاشغال » وهو المكلف بكل الاعمال المالية من جباية الضرائب والانفاق على المصالح العامة وغير ذالك . وفي اواخر الدولة الزيانية اصبحت السلط المدنيــة والعسكرية تجتمع في يد الوزير الاكبر الملقب « المزوار »

وكان من اكبر دواوين الدولة يومئذ « ديوان الانشـاء » وهو المكلف بالمراسلات العامة ، وقد تولى الكتابة فيه رجال ممن خلد التاريخ اسماءهم في عالم الادب .

وكان يتولى السلطة الادارية في كل مدينة « الحافظ » والسلطة القضائية « المحتسب » وقاضي الجماعة المستقر بتلمسان هو الذي يراس الهيأة القضائية كلها ، فيسمي قاضي الحضرة المكلف بالقصر السلطاني . وقاضي الجند الذي يحكم بين العساكر ويسير معهم أينما ساروا ؛ والمحتسبين المنبثين في اطراف البلاد .

وكان ملوك بني زيان رغم حروبهم الداخلية ، ورغم الاضطراب الـذي يسـود البلاد احيانا ، يحبون العلم ويقربون العلماء ويكرمون وفادة الادباء ، وكثير منهم كان ينظم الشعر الجيد ويضرب في الآداب بسهم صائب . ومنهم من كان ينفق فيسرف في الاكرام والعطاء والهبات لمن يستحق ومن لا يستحق حتى اختلت امور المالية بسبب سخائه وكرمه ، (سعيد بن ابي حمو ، سنه ٨١٤) .

كانت الدولة الحفصية كثيرة التدخل في ذلك العهـد في امر مملكة تلمســان ؛ وكانت لا تتدخل الا لنصرة أخ على أخيه او قريب على قريبه وكان بعض ملوك الزيانيين اذا اشتدت عليهم الازمة يلتجئون الى قبيلة بني عامر فتحميهم وتنصرهم .

ولما كانت ايام الامير محمد الثابتي ؛ وثب الاسبان وثبتهم المشؤومـة على مملكة غرناطة ، آخر معاقل المسلمين بالاندلس ؛ فدكوا اسسها وحطمـوا ملك المسلمين

فيها. فخرج آخر ملوكها ابو عبد الله ابن الاحمر باكيا كالنساء ملكا لم يدافع عليه كالرجال، واستقر بمدينة تلمسان، فاكرم وفادته الامير الزياني.

الفصل الرابع عشر

الاسبان والاتراك والزيانيون

كان الاسبان قد ثملوا بخمرة النصر على المسلمين ؛ فاخذوا يتتبعون اولئك البؤساء الاشقياء في البحر، يسلبونهم ما ابقته بايديهم يد الطغيان والظلم. ورأوا ان يعيدوا الكرة على المسلمين في عقر دارهم فاخذوا يعتدون على السواحل الافريقية وما عتدوا ان احتلوا المرسى الكبير ثم مرسى وهران سنه ١٥٠٩ م

وكانت يومئذ القرصنة الاسبانية البرتغالية على اشدها فظاعة وهولا، وكانت تفتك بالمسلمين الفتك الذريع وتستذل رقابهم في عقر دارهم ؛ لولا ان الاتراك العثمانيين كانوا قد وطدوا في المشرق اقدامهم، وشيدوا لهم اسطولا عتيدا. واشتهر من رجال البحر فيهم عروج وخير الدين، وقد كانا تطوعا بتقل المسلمين من الاندلس الى سواحل المغرب، ثم تعاقدا مع الامير الحفصي التونسي على ان يجعلا قاعدة اعمالهما البحرية في جزيرة جربه، واصبح النفوذ الاسباني يزداد في البحر والاسبانيون يتكالبون بكل جراءة على المسلمين.

وكان الضعف والوهن قد استولى على دولتي بني حفص وبني زيان معا. ووجه الاسبنيول انظارهم الدنسة الى هذه البلاد فجعلوا احتلالها نصب اعينهم، وكان احتلالهم لوهران وبجاية وتونس نفسها مثلا من افظع وابشع مثل التاريخ، وارتكبوا من المذابح والنهب وانتهاك الحرمات ما يعجز عن وصفه القلم ويخجل من ذكره الفم.

في ذلك الجو الاقتم والعصر المظلم، ظهرت مراكب القرصان الاتراك كما تظهر

بارقة الامل في وسط اليأس والقنوط . وكانت الحروب الكبيرة بين الاسبان والاتراك ؛ وكانت الدسائس وكانت الفتن ، الا ان بربروس خير الدين تمكن اخيرا من امتلاك مدينة « الجزائر » سنة ١٥١٦ م

وقد كانت الجزائر « جزائر بني مزغنة » تحكمها هيأة بلدية مستقلة ، كان على رأسها العلامة الاكبر والرجل الصالح الاشهر سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه ؛ فلما مات خلفه سالم السالمي وانتقلت الرئاسة من الثعالبة الى بني سالم ؛ وخشي اهل المدينة ان يطمع فيهم الاسبان ، وسئموا حكم سالم الجائر ، فارسلوا يستنجدون بربروس ، فقدم وجعل مدينة الجزائر عاصمة مملكته التي اسسها على حسابه

اصبحت القوات التي تتنازع ملك الجزائر ثلاثا : قوة بني زيان الواهية ؛ وقوة الاسبان المتكالبة ؛ وقوة الاتراك المهاجمة .

وجد الاتراك من مهاجري الاندلس عضدا متينا ضد الاسبان ، فاخذت الحروب تتوالى بين الفريقين ؛ والنصر فيها سجال ؛ ورأى ملوك بني زيان انهم يقفون بين خطرين جسيمين ؛ خطر الاسبان وخطر الاتراك ؛ فكانوا تارة يعتمدون على الاسبان ضد الاتراك ، وتارة يلتجئون الى الاتراك ضد الاسبان. ورأى خير الدين انه لا يستطيع بناء ملك تركي مستقل بالجزائر ، فارسل الى السلطان العثماني بالاستانة يشعره بدخول الجزائر تحت تبعيته . وقبل السلطان ذلك . وسماه بايلار بك « باي البايات » وامده بجند واسطول . واصبح الاتراك يقفون وجها لوجه امام الاسبان المعتدين . واذاق بربروس الاسطول الاسباني مر العذاب ، ودمره شر تدمير في عدة مواقع كبيرة ؛ ثم اشتعلت الملحمة الكبرى بين النصرانية التي تمثلها اسبانيا والاسلام الذي يمثله الاتراك ، وكان ميدان الحرب في الجزائر يمتد من تلمسان الى البحر المتوسط

وانتهت دولة بني زيان وسط تلك العواصف الهائلة بعد ان عمد ملوكها الى الدخول تحت حماية الاسبان خشية السقوط تحت سلطة الاتراك .... حتى سئما بل

تلمسان ذلك الجور والعسف، وافتى مجلس علماء تلمسان بخلع الحسن آخر امراء بني زيان؛ فخرج من تلمسان والتجأ الى اسبانيا، وبها مات. واستقر الحكم نهائيا للاتراك العثمانيين الذين انقذوا البلاد من بين المخالب الاسبانية وخلصوها من شر الاحتلال الاسباني الوبيل؛ ولولا تداخل الاتراك يومئذ لكان للاسبان بهذه الديار هجمات سوداء يسجلها لهم التاريخ بكل خزي وعار.

انتهت دولة بني زيان بعد ان حكمت مدة ثلاثمائة سنة وعامين؛ منها ١٠٤ اعوام باسم دولة بني عبد الواد، و١٩٨ عاما باسم دولة بني زيان

ولقد كانت هذه الدولة كما اسلفنا، رغم ما كان فيها من اضطراب وقلاقل، اعظم دولة وطنية تأسست في ارض الجزائر، وكانت نهضتها العلمية والصناعية والتجارية من اكبر النهضات التي عرفتها هذه البلاد.

الفصل الخامس عشر

الجزائر التركية العثمانية

سَادَ الاتراك ملكا عسكريا في هذه البلاد؛ للجندية فيه المقام الاسمى. وللجندية فيه التصرف المطلق. وقد ابتدأ الاتراك امرهم بادخال كامل البلاد تحت تصرفهم وسلطانهم، فتم لهم ما ارادوا في وقت قريب، ولم يجدوا مقاومة تذكر غير ما مر بنا من حوادث الزيانيين والاسبان، وما وقع لهم مع احمد ابن القاضي الذى كان اسس بجبال الجرجرة دولة مستقلة قضى عليها العثمانيون

والذي يلاحظ بوجه عام، هو ان الجزائر تمتعت في داخليتها بهدوء كبير اثناء الاحتلال التركي فلا تكاد ترى اثناء ذلك الاحتلال من ثورات دموية كبيرة ومن قيام القبائل العربية بعضها على بعض. بل يمكننا ان نقول بان الاحتلال التركي كان حدا فاصلا لهاتيك الحروب والفتن الداخلية التي كانت لا تخبو نارها

بين مختلف القبائل الكبيرة ، اللهم الا بعض الحوادث التي كانت تقع احيانا بين الجنود الاتراك و بين بعض القبائل والنواحي التي تريد ان تنزع للعصيان لسبب من الاسباب.

كان الجند التركي يشمل فرقتين ؛فرقة الينيجارية ،وهم قوم من المشارقة فيهم التركي والارمني واليوناني وفيهم حتى الايطالي والكورسكي ؛ يتدربون منذ نعومة اظفارهم على العسكرية النظامية وهم قوام الدولة وعدتها . وكان عددهم في ارض الجزائرقليلا جدا ، ثم فرقة العرب والبربروهم الجند المعاون الذى يعتد به في الازمات تحت قيادة الضباط الاتراك

والى جانب تلك الجندية البرية توجد الجندية البحرية ، وهي قوة البلاد العتيدة . وتشمل جموعا من الاتراك والعرب والبربر وسكان المتوسط المختلفين؛ وكانوا جميعا في البحر اولي قوة و بأس شديد

وكانت العلائق فى اكثر الاحيان على غاية مايرام بين السلطة التركية وابناء البلاد؛ الا ان الاتراك كانوا يستاثرون بكل مصالح الدولة لانفسهم ولا يستعملون ابناء البلاد الا بصفة معاونين فقط. واحيانا كان الولاة او اعوانهم يسلكون سياسة ذالة يذوق منها العرب والبربر الامرين الا اننا اذا القينا نظرة عامة على حالة العالم يومئذ. راينا ان اكثر الامم والشعوب فى مشارق الارض ومغاربها لم تكن اسعد حالا من بلاد الجزائرولم يكن العدل فيها اوفر مما هو هنا .ولم يكن حكامها ارحم ولا اعدل من حكام الاتراك .

اما الاتراك الذين انتهت فى البلاد اعمالهم العسكرية والاتراك الذين قاموا بصفة فردية للبلاد ، فقد اختلطوا مع اهلها اختلاطا متينا ، وكانوا في اغلب الاحيان مثال الكمال والفضيلة ؛ وهم الذين اوقفوا الاوقاف الطائلة على مشاريع البر والاحسان ؛ وشيدوا المساجد واجروا المياه للمنفعة العامة . وكثرت مصاهرتهم مع ابنا البلاد فنشأت منهم الطبقة الكورغلية ، وابتلعتهم الارض الجزائرية فاندمجوا فيها واصبحوا من احسن ابنائها وابرهم واتقاهم .

كان الوالي العام الجزائري يدعى الباشا ، او الداي ، او الآغا ؛ وكانت ولاية الجزائر بحدودها الوضعية المعروفة الآن تتمتع باستقلال داخلي واسع ، تحت سيادة البـاب العالي الاسمية ؛ فكانت البلاد تتمتع بنظام اشبه بنظام «الدومنيون» الانكليـزي ، فالاتراك في الجزائر هم الذين يرفعون لرتبة الباشوية احد قدماء الجنـود ، ثم يشعرون الباب العالي بذلك فيصادق على تسميته ؛ والباشا يحكم بواسطة وزرائـه الجزائـر وناحيتها ، ويسمي البايات على المقاطعات الثلاث : مقاطعـة قسنطينـة ، ومقاطعـة تيطري وعاصمتها المدية ، ومقاطعة وهران . ولكل باي من هـؤلاء البايات تصـرف واسع وسلطة كبيرة في حدود مقاطعته ؛ وتكاد علاقاته مع باشا الجزائر تنحصر في امرين : اولا مال الجبايات الذي يجب ان تدفعه المقاطعة للخزينة العامـة . وثانيـا الجندية .

وكان للباشا في مدينة الجزائر مجلس وزراء ، لا يقطع الباشا امرا بدون استشارتـه واخذ رأيه ويتألف من ستة اشخاص :

١ — خوجة الخيل ، وهو وزير الحرب والناظر على املاك الدولة

٢ — وكيل الحرج ، وهو وزير البحر والتموين والناظر على اعمال القرصنة

٣ — الخزناجي ، وزير المال وضابط حسابات الدولة

٤ — الآغا ، وهو القائد العام للجند البري

٥ — القبودان رايس ، وهو القائد العام لجند البحر

٦ — الباش كاتب ، وهو رئيس ديوان الانشاء .

ويجتمع مع هذا المجلس كبار رجال الدين قضاة ومفتيين وأئمة ونقيب الاشراف

والى جانب هذا المجلس الحكومي الذي ينظر في المصالح العامة كان يوجـد مجلس الديوان العسكري وفيه رؤساء الجنود ، وله تأثير عظيم على الحياة العامة ؛ بحيث انه لا يكاد يتسنم كرسي الباشوية الا من قدمه الديوان اليه ، وكذلك مجلس «الرياس» او الطائفة يجمع قواد البحر ورؤساء المراكب الجهادية ، ولهذا المجلس ايضا نفوذ كبير .

اما اقامة قسطاس العدل بين الناس فقد كانت من خصائص القاضي الاكبر، وهو من علماء الترك يقدم من الاستانة، وتحت نظره القضاة المنبثون في كل انحاء البلاد، منهم التركي ومنهم العربي ومنهم البربري. ويقوم في الجزائر مجلس القضاء الاعلى، فيه قاضي القضاة والمفتون والقضاة من مذهبي المالكية والحنفية، ووظيفة هذا المجلس اعادة النظر في احكام القضاة، فهو بمثابة مجلس استئناف شرعي. وكان فوق ذلك يجتمع هذا المجلس نفسه تحت رئاسة الباشا وبحضرة جمهور الفقهاء والعلماء لينظر في القضايا الكبرى ويكون بمثابة محكمة النقض والابرام.

كانت في الجزائر طبقة العلماء ممتازة محترمة الجانب موفورة الكرامة؛ ولم يرو التاريخ ان علماء المسلمين فى هذه البلاد اهينوا او مسوا في كرامتهم او نالهم اي اذى من رجال السلطة التركية، بل كان رجال السلطة بعكس ذلك يتملقونهم ويستجلبونهم اليهم ويخشون بأسهم ويسمعون نصائحهم وبها يعملون.

وكان النظام البلدي موجودا في الجزائر قبل الاحتلال التركي وبقي اثناء ذلك الاحتلال قائما وانتظم شانه، فيراس المدينة «شيخ البلد» ويكون غالبا عين اعيانها، وله مجلس يختاره من اعيان البلاد، وهو مجلسْ الحرف والصنائع يشمل امناء الصنائع والحرف المختلفة؛ يحدد معهم اسعار المواد الضرورية حتى لا تقع العامة ضحية احتكار التجار. وتحت نظره امور الحرف والصنائع، وفض ما يشجر من خلاف بين اصحابها بما يجمع بين مصالح الطرفين.

كانت القرصنة فى الجزائر صناعة وطنية؛ انما كانت لها نظم وقوانين لاتتعداها؛ بينما كانت قرصنة البرتغالبن مثلا لاتعرف الخصوع لقانون ولاتتقيد بنظام. كانت القرصنة الجزائرية نوعا من انواع الحروب مع الدول البحرية التي لم تردان تربط علائقها التجارية مع حكومة الجزائر. فكانت الدول التي لها قناصل بالجزائر تتمتع بالحرية البحرية ولا ينالها من المراكب الجزائرية أي أذى وتدفع مقابل ذلك اداء معلوما سنويا للباشا اما الدول الاخر فقد كانت تعتبر في حالة حرب دائمة؛ تتقاتل مع

المراكب الجزائرية حيثما التقتا ؛ ويكون المغلوب ملكا للغالب . وقد كانت الجزائر تغص احيانا بافواج الاساري المسيحيين ، فكان اهل المدينة من اتراك و وطنيين يحسنون معاملة اولئك الاسرى اي احسان ، ويسمحون لهم باقامة معالمهم الدينية علنا فى الوقت الذى كانت فيه اسبانيا لم تكد تفرغ من احراق اليهود والمسلمين احياء ـ وقد روى اولئك الاسارى فى رسائلهم المحفوظة في كتب التاريخ ان اهل المدينة كانوا يأتون اليهم فى ايام عيد الفصح «الباك» بالزرابي البديعة وادوات الزينة وبعض الاطعمة الفاخرة ، ليقوموا بعيدهم الديني خير القيام وينسوا فيذلك اليوم ماهم عليه من الاسر ؛ وكانوا يخترقون المدينة فى موكب دينى ومعهم الرهبان والصلبان ، فكانوا يتمتعون يومئذ فى بلاد الاسلام بحرية دينية لاتتمتع بها كثير من الطوائف المسيحية في بلاد اروبا النصرانية . وطالما اعتنق منهم الكثير الاسلام ، وفضلوا البقاء في الجزائر على الرجوع لبلادهم .

حاربت الدول الاروبية الجزائر واندحرت امامها المرات العديدة . و لقدانكسرت الجنود الاسبانية امام الجزائر اشنع كسرة وغنم الجزائريون كل ما اتت به الحملة من سلاح و عدد واعادوا الكرة فانكسروا . وقدمت عدة اساطيل و رمت القنابل على الجزائر من غير جدوى لان مدينة الجزائر كانت يومئذ اعظم مدينة حصينة بالبحر المتوسط كله . و بها من المدافع الضخمة ما يفوق فى رميه و قوته مدافع اروبا . وكان الاسطول الجزائري مؤلفا من ٧٢ قطعة بحرية بكل منها ٤٠ مدفعا ، و نحو ١٤٠ سفينة من ذات العشرين مدفعا فما دون . وكان عدد البحارة يبلغ نحو الثلاثين الفا اغلبهم من ابناء البلاد ونالت مدينة الجزائر بواسطة الغزوات البحرية ثروة ورفاهية تفوق حد التصور .

الفصل السادس عشر

العلائق مع فرنسا

وفي يوم ١٤ مارس ١٧٩٢ ، قرر المجلس الوطني الفرنسي تخصيص مقدار ١٠ ملايين فرنكا لابتياع القمح من الخارج وتوزيعه على الجهات الفرنسوية المحتاجة وامرت الوزارة الخارجية قنصل فرنسا في الجزائر بان يشتري اكثر ما يمكن من قمح البلاد - وكان يتولى امر الجزائر يومئذ حسان داي ؛ فابدى من ضروب المساعدة للقنصل فاليار ما ادهش الرأي العام الفرنسي يومئذ ، واقرضه من خزينة الجزائر مقدار ٢٥٠٠٠٠ فرنكا بدون فائض كي يبادر باشتراء القمح من جهة قسنطينة وعنابة وكتب القنصل رسالة لحكومته يسجل فيها عمل والي الجزائر ويسطر شكره ويقول انه بذل لنا اعانته رغم مساعي قنصل انكلترة لصده عن ذلك . ولما تعصبت أروبا كلها على فرنسا بادر والي الجزائر حسان داي بامدادها بكل انواع المدد ، من حبوب وخيل ؛ ومواد غذائية مختلفة . حتى ان حكومة المديرية التي يراسها بونابارت اسست خطا بحريا خاصا يوم ٢٨ اوت ١٧٩٤ لنقل البضائع من الجزائر الى فرنسا .

وفي مارس سنة ١٧٩٥ اعتدت سفينة اسبانية على سفينة فرنسية واسرتها على مقربة من الجزائر ونهبتها ؛ فارسل حسان داي عمارة من مدفعياته فكت اسر السفينة الفرنسية واجبرت الاسبان على رد ما سلب منها .

تلك كانت العلاقات الودية الجميلة بين حكومة المديرية الفرنسية وحكومة الجزائر التركية .

كان اليهودي الجزائري يوسف بوخريص قد استقر بمدينة ليفورن الايطالية واسس دارا تجارية كبرى ، وطلين اسمه فجعله « باكري » وكان يشتغل باشتراء البضائع التي يغنمها الرياس الجزائريون ويتولى بيعها . ثم انتصب في الجزائر واشتغل

باشتراء القمح للحكومة الفرنسية على حسابه . وفي اوائل سنة ١٧٩٦ كان له بمرسى مرسيليا مقدار اربعين الف قنطار من القمح . ولما لم تستطع حكومة فرنسا ان تسلم له قيمتها او على الاقل شيئا من ثمنها على الحساب ، امتنع من تسليم قمحه لها . وتداخل الانكليز لفائدتهم الخاصة وارادوا اخذ القمح لانفسهم ؛ الا ان باكري خشي سوء العاقبة فسلم القمح للحكومة الفرنسية حسب شروطها . وفي تلك السنة نفسها اقرض حسان داي حكومة فرنسا مبلغ مليون من الفرنكات ايضا ، وبدون فائض لمدة عامين.

توفي حسان داي وخلفه حفيده مصطفى باشا ، فكان اول عمل قام به هو مطالبة حكومة فرنسا بدفع المال الاول الذي اقترضته اي ٢٥٠ ٠٠٠ فرنك وجاء أجل دفع المليون المقترض لمدة عامين ؛ فاستلم الداي من قنصل فرنسا مقدار المائتين والخمسين الفا من فرنكات . وبقي دين باكري الخاص على الحكومة الفرنسية . فاخذ هذا بواسطة نائبه ابو قايا بباريس يطالب الحكومة بدفع ماله ، لكن هذه رأت وجوب عدم التسديد وتأجيل ذلك الى اجل غير مسمى . فتداخل الداي بدعوى انه غريم باكري ، وان هذا لا يستطيع ان يسدد دينه الا اذا استخلص ماله على حكومة فرنسا وكاد الاتفاق يتم بين الطرفين ؛ وقررت فرنسا ان تدفع مبلغ ٤٤٥ ٢٩٧ ٢ ليرة الى باكري وذلك كل ما له عليها . واتفق الطرفان على ان يقع دفع ٥٠ الف ليرة كل اسبوعين الى ان ينتهي المقدار.

في ذلك الوقت نفسه سافر بونابارت الى مصر ، فساءت العلاقات بين الباب العالي وفرنسا واوقفت هذه دفع دين باكري.

ارسل السلطان الى مصطفى باشا يامره باعلان الحرب على فرنسا فأبى وادعى انه غير مستعد لذلك ؛ واعاد السلطان الكرة وارسل امرا محتما فاطاع الجزائريون واعلنوا على فرنسا الحرب وسجنوا القنصل و رعايا فرنسا ، فسجنت فرنسا بدورها باكري ونائبه ابو قايا بباريس . وفي ٢ فراير ١٧٩٩ اطلق سراح الاسارى . ويوم ١٩ جويليه ١٨٠٠ انعقدت الهدنة بين الجزائر وفرنسا .

مات ابو قايا فارسل باكري نائبا عنه ميشل بوشناق وكان باكري والداي مصطفى معا يلحان على فرنسا في دفع ثمن القمح ، فتفق الطرفان على تصفية الحساب فكان في ذمة دولة فرنسا ٩٩٢ ٩٤٢ ٧ فرنكا وعندما جاء وقت الدفع رات فرنسا ان القمح لم يكن كله من النوع الجيد ولهذا اوقفت دفع الحساب ريثما يقع الخصم من ذلك المقدار . وبعد طول جدال وقع دفع ٦٣١ ٧٢٥ ٣ فرنكا على الحساب وذلك سنة ١٨٠١ وبقي من الثمن الاصلي ٣٦١ ٢١٧ ٤ فرنكا

وفي ١٩ دصامبر ١٨٠١ انعقدت بين مصطفى باشا وفرنسا معاهدة صلح ، اعادت بها الجزائر لفرنسا كل ما اخذ من رعاياها عند اعلان الحرب وخاصة بالمراكز الساحلية الفرنسية التى كانت مخصصة لصيد المرجان والتى اشترطت حكومة الجزائر على فرنسا ان تجعلها خالية من كل سلاح

استمر باكري وبوشناق على اعمالهما باعانة مصطفى باشا ، فاحتكرا كامل قمح البلاد وارسلاه الى الخارج ، حتى ضج الناس وقتل احد الجنود بوشناق ، لكن خلفاء مصطفى باشا ارجعوا لتلك الشركة اليهودية نفوذها واستمروا يطالبون فرنسا بدفع بقية الدين .

في ٨ اكتوبر ١٨١٧ وقع حادث كبير يستحق الذكر ، الا وهو نسف الباشا على خوجة لنفوذ الجند التركي ، واعتماده على الجند الوطني الزواوي واتخاذه « القصبة » مسكنا بدل « الجنينة » حتى لا يكون العوبة بيد اولئك الجنود الاتراك وساد الفرح في المدينة لان اهلها راوا ان الباشا الجديد سيحكم معتمدا على جنود الزواوة وبهذه الصفة اخذت الحكومة شكلا وطنيا واضمحلت اغلب علاقاتها مع الباب العالي الذى لم تبق له الا سلطة اسمية ضئيلة .

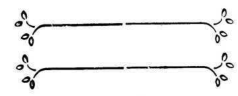
مات الباشا علي خوجة ماسوفا عليه ، وعهد قبل موته بالولاية على الجزائر لكاتبه ووزيره حسين ؛ فاستولى هذا دايا على الجزائر في ٢٧ فرائر ١٨١٨ .

كان حسين باشا رجلا شهما ذاهمة وعزم ، تولى والبلاد مضطربة والجندية ضعيفة ،

والاسطول واهي القوى ؛ فلم تمض على ولايته مدة وجيزة حتى بسط سلطنه على كامل البلاد . واعاد نظام الجندية ، واستقدم فرقا من الاتراك ، واعتنى باسطوله عناية فائقة .

. قرر مؤتمر ايكس لاشابيل في ٣٠ سبتمبر ١٨١٨ الغاء القرصنة وسافر وفد انكليزي فرنسي الى الجزائر ليقنع الباشا بوجوب العدول عن تلك الحرب البحرية ، الا ان كل المحاولات ذهبت عبثا ، واصر حسين على انه سيستمر على حربه البحرية مع كل دولة لا تتعاقد معه بمعاهدة .

وفي ١٢ جويليه ١٨٢٤ جاء الاسطول الانكليزي لمحاربة الجزائر واستمرت الحرب الى يوم ٢٩ جويلية ، ولم يستطع الانكليزي ان ينال من حصون الجزائر او اسطولها اي منال فقفل راجعا . وكان الاسطول الجزائري قد عمل اعمالا كبيرة في الشرق . فظن حسين بذلك انه اصبح ذا قوة لا تغلب وانه يمكنه ان ينال من دول اوربا كل ما يصبو اليه ، واغتر غرورا كبيرا .



القسم الثاني

خلاصة تاريخ الجزائر
من الاحتلال الفرنسي الى اليوم

الفصل الاول

الخلاف الفرنسي الجزائري والاحتلال

لم تكن هنالك اية معاهدة بين الجزائر ودولة البابا ،فكانت الجزائر تعتبر نفسها في حالة حرب مع الدولة الرومانية . وضبط الاسطول الجزائري بعض قطع من مراكب تلك الدولة ،فتدخل قنصل فرنسا مسيو دوفال طالبا من الباشا ارجاع تلك المراكب الى اصحابها ،قائلا ان ملك فرنسا يسمى « الابن البكر للكنيسة » لذلك فهو يتدخل نيابة عن الحبر الاعظم البابا . لكن باشا الجزائر لم يستمع قولا في ذلك الصدد ، ورفض مطلب القنصل .

كانت شركة باكري ، بوشناق مستمرة على اعمالها مع فرنسا . وكانت عليها ديون كثيرة بعضها للباشا ،وهو مقدار جسيم ،وبعضها للخواص ، وبما ان الباشا يهمه ان تتصل الخزينة الجزائرية بالملايين التي لها على باكرى ، فقد اخذ يلح في وجوب انهاء قضية الدين حتى يتصل كل ذي حق بحقه . واخيرا حررت اتفاقية ٢٨ اكتوبر ١٨١٩ و تقرر فيها ان مجموع دين باكرى على فرنسا هو سبعة ملايين فرنكا ؛ وتقرر دفعها في ١٢ قسطا كل خمسة ايام . وكان على خزينة الدفع الافرنسية ان تبقى تحت يدها حسب هذا الاتفاق مقدارا يوازى جملة الديون الصحيحة التي على باكوى الى ان تنتهي قضيته مع غرمائه

اما باتفاق او بواسطة المحاكم؛ فدفعت الحكومة لباكري مقدار ٠٠٠ ٥٠٠ ٤ فرنك وابقت في خزينة الودائع ٠٠٠ ٥٠٠ ٢ فرنك

ولقد تغافلت حكومة فرنسا عن وضع حصة الباشا على حدة عند ما دفعت الاربعة ملايين والخمسمائة الف فرنك لباكري و بوشناق فاستولى هذان على المبلغ ، وذهب باكري الى ليفورن ، وجنس بوشناق بالجنسية الفرنسية وسكن باريس .

ادرك الباشا ان حق خزينة الجزائر سيضيع لان باكري و بوشناق اخذا لانفسهما المال الذي اتصلا به . وان ما بقي انما هو وديعة بذمة الغرماء الخواص ، فتحصل على اعتراف من عائلة باكرى بحقه ، وارسل الى ملك فرنسا رسالة يقول فيها ان عائلة باكرى كاما قد اتفقت على ان يكون مبلغ المليونين والخمسمائة الف فرنك المودعة في خزينة الودائع الفرنسية راجعا لسمو الباشا مقابل دينه على الشركة . اما بقية الغرماء فيطالبون باكرى رأسا ، ويدفع لهم مما استلم من خزينة فرنسا . الا ان ملك فرنسا لم يجب على تلك الرسالة

في تلك الاثناء اخذ الفرنسيون يضعون المدافع في مركزهم التجاري ويحصنونه نكثالللا تفاقات السالفة .

كانت الثورة في تلك الاوقات تضطرم تحت الرماد في فرنسا ضد الملك شارل العاشر المتجاسر على خنق حرية الشعب ومحق حرية الصحافة ، فكان الملك يرى وجوب اشغال الرأي العام بحرب خارجية.

قال مسيو هنرى قارو في كتابه : التاريخ العام للجزائر ، الذي توجته الاكاديمية الفرنسية ما نصه :

« كانت حكومة فرنسا قد عزمت على ان تضع حدا للقرصنة الجزائرية ، وارادت ان تغتنم فرصة مغيب اكبر السفن الحربية الجزائرية في المشرق كي تجد دعوى تبرر بها اعلان الحرب على الجزائر؛ فارسلت تعليمات خاصة الى قنصلها تامرة بان يغتنم اي فرصة لايجاد الخلاف النهائي . » .

يوم ٢٧ ابريل ١٨٢٧ ليلة العيد ذهب القنصل مشبعا بتعليمات دولته الى الباشا ليقدم له التهاني . وكان دوفال يتجرأ على الكلام باللغة التركية ، فاخذ الباشا يحتج لدى القنصل على تسليح مركز القالة التجاري ، ونكث العهود المتعلقة بذلك . وعرج على ذكر دين باكرى سائلا القنصل : لماذا لم اتصل برد من ملك فرنسا على سؤالي ؟ وكان الانفعال باديا على الباشا فاجابه دوفال محتدا «ان ملك فرنسا لايتنازل لاجابة داي الجزائر! » واعقب ذلك بكلمات تهديدية اخرى .

ثار ثائر حسين باشا لهذه الاهانة الغريبة ، وصاح بالقنصل مشيرا بمروحة من ريش النعام كانت بيده: « اخرج من هنا يا ابن الكلب اخرج! » وبتلك الاشارة لمست اطراف المروحة وجه دوفال ، فخرج هذا صاخبا محتجا . وقد وجد الفرصة التي اوصته حكومته بايجادها . فارسلت فرنسا تطلب اعتذارا علنيا كانت تعلم ان الباشا لايقبله باي حال ، ويوم ١٦ جوان ١٨٢٧ اعلنت فرنسا الحرب على الجزائر ونصبت الحصار على السواحل الجزائرية ثم اخذت في تهيئة الحملة العسكرية .

وفي تلك الاثناء كانت معركة « ناوارين » الدنيئة تشتعل نارها ؛ وكان يمثل الاسطول الجزائري ثمانية من السفائن الكبيرة وبعض قطع صغيرة يركب جميعها نحو الاربعة آلاف من رجال البحر وتحطمت تلك السفن مع ما تحطم من الاسطول الاسلامي .

كان الاسبان قد خابوا خيبات مؤلمة امام الجزائر سنة ١٥١٦ و ١٥١٩ و ١٥٤١ و ١٧٧١ ؛ لذلك راى رجال الحرب الفرنسيون ان ينزلوا جندهم في فرضة « سيدي فرج » التي تبعد عن الجزائر نحو ٢٤ كيلو ميتر . وتجعل هنالك قاعدة اعمالها .

وجهزت فرنسا فرقا عسكرية كاملة العدة والسلاح ، يبلغ مجموعها ٣٤١٦٤ رجلا ، يعاونهم ٣٢٠٧ من الرديف ، وتولى قيادة الحملة الجنرال دي برمون وزير الحرب وقد كان هذا القائد اكبر سبب في نكبة نابليون بوقعة واترلو .

ويوم ٢ مارس سنة ١٨٣٠ قال الملك شارل العاشر في خطاب العرش «ان العمل

الذى ساقوم به ترضية للشرف الا فرنسي ، سيكون باعانة العلي القدير لفائدة المسيحية كلها. »

ركب الجند في ١٠٣ سفن حربية من مختلف الاشكال ، تحمل كلها ٢٩٦٨ مدفعا مختلف الحجم. وصحب ذلك الاسطول الحربي عمارة تجارية تشمل ٣٨٣ سفينة تحمل المؤن والذخائر ، وجاء معها من مراكب تجار جنوى وكاتالانيا (باسبانيا) ١٠٥ مراكب صغيرة ، وكانت الحملة تشمل من المؤونة والذخيرة ما يكفي لمدة شهرين.

كان الباشا يعلم ان الجند سينزل في سيدى فرج ، وقد جمع ديوانا عسكريا للنظر في الامر ، فاستقر الرأي على اتباع اشارة ابراهيم آغا ، وهي ترك الجند ينزل في شبه الجزيرة ، ثم تهجم عليه القوات التركية العربية المتجمعة في مصطفى والي (اسطاوالي) وتلقيه في البحر وتستولى على سلاحه وذخيرته ، كما وقع قبلا مع الاسبان ، وقد كان الباشا راسل سائر النواحي الجزائرية فاجابته بانها مستعدة لارسال رجالها للحرب ، فتجمع لدى الباشا — في الرسائل فقط — نحو الثلاثمائة الف رجل . وارسل الميزابيون الف رجل للمشاركة في الدفاع . وتجمعت الجموع كلها في اسطاوالي ؛ بينما تمكن الجند الفرنسي يوم ١٣ جوان ١٨٣٠ من النزول الى البر واحتل شبه جزيرة سيدى فرج وتحصن بها بدون مقاومة تذكر.

وكان الباشا واثقا تمام الوثوق بالنصر . مقتنعا بان جنده في اسطاوالي سيمحق الجند المهاجم . وكان قد امر بتوزيع السلاح والاموال على الجموع العربية والقبائلية القادمة لاجل الدفاع . الا ان القائد العام ابراهيم آغا كان لا يعلم من امور الحرب شيئا . وكان مستقرا في خيمته لا يتحرك في وسط جند من الاتراك والعرب والبربر يناهز الستين الفا.

و يوم ١٩ جوان وقعت المعركة الحاسمة التي كان حسين باشا وصهره ابراهيم آغا يظنان انها ستكون القاضية على الجند الفرنسي . فعند طلوع الفجر امر ابراهيم آغا بالهجوم العام على شبه الجزيرة ، فوقع الهجوم التركي العربي وكان شديدا صارما

وكادت اقدام الفرنسيين تتزعزع في خط اليسار ؛ وكاد الجزائريون يربحون المعركة ، الا ان القائد الفرنسي جمع جنده من جديد .وقام بهجوم على القوات الجزائرية فاوقف تقدمها اولا ثم اخرها ،وكان في تاخرها القاضية ، لان الجند الجزائري الذي كان فاقد القيادة لم يحسن التأخر فانقلب تأخره انهزاما . واستمر الهجوم الفرنسي حتى وصل الى معسكر « اسطا والي » فاستولى عليه بكل ما فيه من العدة والمتاع ، وتحطمت قوة الدفاع الجزائري .

اسند الباشا القيادة الى مصطفى بومزراق باي تيطري ، فاخذ يجمع القوات المتفرقة ويجعلها صفوفا بين المراكز الفرنسية ومدينة الجزائر . واخيرا وصل الجند الفرنسي الى برج مولاى الحسن المسمى قلعة السلطان ، وهو مركز الدفاع الاكبر عن عاصمة الجزائر . وكانت الحرب بين الفريقين عنيفة فتاكة . ونصب الفرنسيون منطقة الحصار على القلعة ، فدافع اهلها دفاع الابطال ، حتى نفد كل ما عندهم من سلاح ، ومات كل المدافعين ؛ وكان الخزناجي وزير المال هو المتولى القيادة هناك فلم يبق بقيد الحياة سواه وسوى جندي تركي وعبد مملوك . وخشي ان يحتل الفرنسيون القاعة ويرموا منها القنابل على المدينة وعلى القصبة ؛ فاوقد النار في خزينة البارود ، فانفجر انفجارا هائلا واندك البرج بصفة مهولة . عندئذ علم الجزائريون انهم اخذوا ، فذهبوا الى حسين باشا يطلبون منه ان يفاوض الفرنسيين فاجابهم : انني ما دمت حيا ساقاوم حتى النهاية ، وان اردتم التسليم فانني ساتلف القصبة واموت فيها ، ونهض ليوقد النار في خزينة البارود ، فما استطاعوا صده عن ذلك الا بجهد جهيد .

واخيرا ارسل الباشا الباش الكاتب سيدى مصطفى ليفاوض القائد العام في الصلح ، ويعرض عليه ان يدفع لفرنسا كل مصاريف الحرب . فقال القائد انه لا يقبل اى مفاوضة قبل تسليم المدينة وحصون باب عزون وباب الواد . فرجع مصطفى الى سيده يخبره بذلك . وجاء رجلان من اهل المدينة هما احمد بوضربة وحسان بن عثمان يطلبان الصلح باسم سكان المدينة ، وعرضا على القائد العام ان ياتيـاه برأس الباشا موضوعا في

طبق اذا كان ذلك يرضيه ويقيهم شر الحرب . فضحك القائد العام ومن معه من هذا الطلب الغريب .

واخيرا حرر الجنرال صك الصلح والتسليم وارسله الى الباشا فتلاه هذا وسط ديوانه ولم يسعه الا الرضوخ والتسليم ، وقد وقع تحرير المعاهدة في قصر الرايس حميدو بالابيار . ووضع الباشا عليها امضاءه . وبذلك انتهى ملك الاتراك بالجزائر بعد ان استمر مدة ٣٢٠ عاما . وهذا نص الاتفاق الذى وقع تسليم الجزائر لفرنسا على مقتضاه :

الفصل الاول — على الساعة العاشرة من صبيحة يوم ٥ جويلية يسلم الى الجند الفرنسي حصن القصبة وسائر الحصون الاخرى التابعة للجزائر ومرسى هذه المدينة .

الفصل الثاني — يتعهد القائد العام للجند الافرنسي نحو صاحب السمو داي الجزائر بان يترك له حريته وكل ثروته الخاصة .

الفصل الثالث — يستطيع الداى بكل حرية ان يسافر صحبة عائلته واموالها الى المكان الذى يختاره ، وما دام مستقرا فى الجزائر فانه يكون تحت حماية القائد العام للجند الافرنسي وتسهر فرقة من الجند الافرنسي على حراسته وحراسة عائلته .

الفصل الرابع — كل الجنود الاتراك التابعين اوجاق الجزائر يتمتعون بنفس الحقوق المقررة فى الفصول السالفة .

الفصل الخامس — اقامة الشعائر الدينية المحمدية تكون حرة ولا يقع اى مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات ، ولا بدينهم ولا باملاكهم ولا بتجارتهم وصناعتهم ، وتحترم نساؤهم . والقائد العام يتعهد بذلك عهد الشرف .

الفصل السادس — يقع تبادل هذه الوثيقة ممضاة يوم ٥ جويلية قبل الساعة العاشرة صباحا ، وفى الحال تستلم الجنود الفرنسية القصبة وقلاع المدينة الاخرى .

دخلت الجنود الفرنسية ذلك اليوم المدينة واستلمت قلاعها . وكان الكثير من اهل الجزائر قد خرجوا حاملين عيالهم ومتاعهم الى داخل البلاد الجزائرية على طريق الحراش . ووقعت في المدينة عمليات سلب وانتهاك ، قالت عنها لجنة البحث في

تقريرها يوم ٢٢ اكتوبر ١٨٣٠ « واقد حدثت اضطرابات ببعض المنازل الخاصة ، قام بها رجال ليس لهم شرف ، يندمجون دائما ضمن الجنود » .

ثم وقع استلام الخزينة العامة الحكومية بدار الامارة . فوجد بها الفرنسيون :

من النقود الذهبية	٠٠٠ ٧٠٠ ٢٤ فرنكا
« « الفضيـة	٥٢٧ ٩٨٤ ٢٣ فرنكا
الجملة من النقـود	٥٢٧ ٦٨٤ ٤٨ فرنكا

ولقد اتهم الكثير من الفرنسيين والكثير من الوطنيين والداى نفسه الماريشال دى بورمون واركان حربه بانهم اختلسوا من الخزينة مبالغ طائلة لانفسهم الا ان تقرير لجنة البحث المذكورة آنفا قد نفى ذلك .

وكانت الغنائم تشمل فوق ذلك الفي مدفع مختلف منها ثمانماية مدفع من البرونز الخالص . قيمتها على مقتضى ثمن وزن البرونز ٠٠٠ ٠٠٠ ٤ فرنك . وكان فى مخازن الحكومة من الصوف والبضائع المختلفة ما قدر الفاتحون ثمنه بثلاثة ملايين فتكون جملة الغنائم هكذا :

نقدا	٥٢٧ ٦٨٤ ٤٨ فرنكا
مدافع برونز النحاس	٠٠٠ ٠٠٠ ٤ «
صوف وبضائع مختلفة	٠٠٠ ٠٠٠ ٣ «
جملة الغنائم الفرنسية	٥٢٧ ٦٨٤ ٥٥ فرنكا

وقد كانت نفقات الاحتلال العسكرية والبحرية الى يوم ٢٠ اكتوبر تبلغ ٠٠٠ ٥٠٠ ٤٣ فرنك . فيكون الاحتلال قد ربح من الحملة بعد تسديد مصاريفه ٥٢٧ ١٨ ١٢ فرنك .

لم يؤثر احتلال الجزائر في فرنسا التاثير المطلوب ، وكان الشعب متهيجا ضد

الملك الطاغية شارل العاشر فاشتعلت ثورة جويلية وخلع شارل وانتصب على سرير الملك لوي فيليب الاول . وعزل المارشال دى بورمون عن الجزائر واسند القيادة للجنرال كلوزيل .

وبعد ان اخضع الفرنسيون احواز الجزائر وبعض ناحية تيطرى لم يعرفوا كيف يسلكون مع بقية البلاد فى باديء الامر ، فمن قائل منهم يجب المكث فى الجزائر مع احتلال بعض المراسي فقط ؛ ومن قائل بوجوب احتلال المملكة كلها .

الفصل الثـاني

دولة الامير عبد القادر الهاشمي

اختل النظام قد اختل فى ارض الجزائر اثر سقوط العاصمة ؛ فاستقلت كل ناحية بنفسها واخذت تنظم الدفاع ؛ اما فى ناحية قسنطينة فقد التف الوطنيون حول الحاج احمد باي وحصنوا المدينة تحصينا ؛ واما في ناحية الغرب فقد اجتمع رؤساء القبائل المختلفة في مؤتمر عام ؛ وبايعوا بيعة شرعية الامير عبد القـادر ابن سيدي محي الدين الهاشمي ، وعاهدوه على السمع والطاعة . وكان عبد القادر يومئذ فى الرابعة والعشرين من عمره ؛ عالما فاضلا تقيا نقيا شاعرا فصيحا ، شجاعـا باسلا ؛ بعيد النظر قوي الايمان ؛ ولد سنة ١٨٠٧ وبويع بالامارة سنة ١٨٣٢ فانشأ دولة فتية بين عشية وضحاها ، وماكاد الجنرال دى ميشال ينتصب بوهران حتى وجد قـوة الامير عبد القادر امامه . ولقد راى دى ميشال هذا ان احسن سياسة يسلكها هي التعاقد مع هذا الامير بمعاهدة يعترف فيها بامارته ويصد بواسطتها غارات المسلمين على وهران ومشتى غانم (مستغانم) فانعقدت المعاهدة بين دى ميشال وبين امير المؤمنين عبدالقادر سنة ١٨٣٤ ؛ واشترط عبد القادر في تلك المعاهدة ان يكون له الحق فى اشتـراء السلاح والذخيرة من المدن المحتلة .

في تلك السنة عزل الجنرال دي ميشال وتولى مكانه الجنرال تريزيل فرأى ان سلفه قد ارتكب غلطة فادحة بتعاقده مع عبد القادر ؛ ففكك المعاهدة وخرج بجنده من وهران بقصد تحطيم سلطة الامير ، الا ان هذا كان على بينة من الامر ، فصمد للجند عند مضيق « المقطع » وانتصر على القوات المهاجمة انتصارا كبيرا اضطر بعده تريزيل للرجوع على اعقابه الى وهران صحبة فلول الجند .

ارسلت فرنسا كاوزيل وخولته السلطة لقهر نفوذ الامير ؛ فجند جندا كبيرا وهاجم « المعسكر » وهي عاصمة الامير عبد القادر فاحتلها ؛ واحتل مدينة تلمسان ؛ وكان الامير تحاشى الوقوف في وجه المهاجمين في معركة حاسمة ، فما كاد كاوزيل يرجع للجزائر حتى عاد الامير الى الميدان ونصب الحصار على معسكر التافنة وعلى تلمسان .

في تلك الاثناء كان الجنرال كلوزيل قد ارسل قوته من عنابة قصد احتلال قسنطينة ؛ فهاجم المدينة هجوما عنيفا الا انه لم ينل منها اي منال ، فرجع الى عنابة والاعراب يهاجمونه من وراء هجوما عنيفا .

ارادت السلطة العسكرية في الجزائر ان تخضع قسنطينة وتتم فتح شرق الجزائر ، فارسلت الجنرال دانريمون قائدا ، وامرت الجنرال بجو ان يعقد مع الامير عبد القادر في الناحية الغربية معاهدة جديدة ، فانعقدت هذه المعاهدة في ٣٠ ماية ١٨٣٧ ؛ وهي المعروفة بمعاهدة التافنة ، وقد اعترف فيها الامير بسلطة فرنسا على مدينة الجزائر ووهران ومستغانم وسوادها . واعترفت فرنسا اعترافا رسميا بسلطان الامير عبد القادر على عمالة وهران كلها وسلمت له جزء كبيرا من عمالة الجزائر ؛ وتبادل الفريقان السفراء . واخذ الامير عبد القادر ينظم دولته الناشئة فاحسن تنظيمها ؛ وجهز جندا مدربا على الطرق الاروبية الحديثة ، وضرب النقود باسمه في معسكر ؛ وارسل الولاة والقضاة من قبله الى كل نواحي مملكته الشاسعة . واستعد لكل الظروف .

تفرغ الفرنسيون لحرب قسنطينة فساروا اليها في ١٢٠٠٠ رجل تحت قيادة دانريمون ، وما كادوا ينصبون الحصار على المدينة حتى اصابت رصاصة القائد

الفرنسي فاردته قتيلا ، فاخذ القيادة الجنرال فالي ، وامر بالهجوم ، فتقدم الزواف تحت امرة لاموريسيار ، وكانت النار الحامية تنصب عليهم من فوق الاسوار ومن كل الديار الاهلية التي اصبحت جميعا حصونا ومعاقل . وقد تمكن الفرنسيون من فتح ثلمة في السور تسمى الى اليوم «لابريش» فاندفعوا من تلك الثلمة للاستيلاء على المدينة ؛ وراى الوطنيون والحاج احمد باي انه لم يبق امل في الدفاع ، فاشعلوا النار في خزينة البارود ، وكان الانفجار هائلا سقط تحت مفعوله القائد لاموريسيار والكثير من جنده مثخنين بالجراح . ودخلت الفرقة المدينة واستمرت الحرب في وسطها حتى احتلها الفرنسيون دارا دارا .

اما الحاج احمد باي فقد فر صحبة بعض الجند الى جهة الاوراس محتميا بخاله شيخ العرب ابن قانه وكلف الفرنسيون من يذهب وراءه للقبض عليه ، واما القائد ابن عيسى الذي دافع ايضا عن المدينة دفاع الابطال ، فقد قاوم الى النهاية ؛ ثم تدلى بحبل من صخور وادي الرميل وانسحب الى الجنوب . ولقد وقع احمد باي في الاسر واوتي به الى مدينة الجزائر فبقي فيها حتى مات ، ودفن بضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي .

عندئذ التفت الفرنسيون الى عبد القادر وعزموا على تحطيم سلطته ، فاخترقوا اثناء رجوعهم من قسنطينة الى الجزائر الارض التابعة له . واشتعلت الحرب من جديد بين الطرفين . ولقد كانت الدسائس قد عملت في القبائل العربية عملها ؛ فقبائل الدوائر اصبحوا من اكبر اعداء الامير يعملون على محق سلطانه ويحاربون رجاله حربا قطيعة ، ويسيرون دائما في مقدمة المهاجمين ، وكثير من القبائل الاخرى امتنعت من دفع الضرائب والزكاة للامير وبعض جهات الجنوب لم ترد الاعتراف بسلطته اصلا كناحية عين ماضي التيجانية واضرابها حتى اضطر لمحاربتها .

اشتعلت الحرب من جديد ، وقد وقف البربر الزواويون مع الامير اول الامر موقف صدق محمود ، وهاجم الفريقان بلاد متيجة ، واستمرت الحرب عاما كاملا بدون نتيجة تذكر ؛ الى ان اعادت فرنسا الجنرال بجو قائدا عاما بدل فالي ، وذلك

سنة ١٨٤٠ فابتدأت الحرب الكبرى بين الفريقين ؛ وكانت ذات فظائع واهوال كثيرة ، فاحتل بجو معسكر والبخاري وتلمسان ، وكان يتبع عبد القادر فلا يستطيع ان يعثر عليه الى ان وقعت كارثة الزمالة سنة ١٨٤٣ ، حيث استولى الدوق دومال على خيام الامير عبد القادر واسر فيها نساءه وامواله وانصاره ، فكان مجموع الاسرى يبلغ نحو الثلاثة آلاف نسمة.

انهزم الامير الى المغرب الاقصى يستنجد سلطانه مولاي عبد الرحمن ،وكان الشعب المغربي تائقا الى الجهاد فلم يسع سلطان المغرب الا اعلان الحرب على فرنسا ، وارسل مع عبد القادر ثلاثين الفا من الجنود ، خيموا على وادي ايزلي. وكان يقودهم مولاي محمد نجل السلطان ؛ وكان ذلك الجند مختل النظام فاقد القوة المادية والادبية معا ؛ اشرف عليه المارشال بجو من عل فقال : ليس هذا جندا ،انما هو غوغاء . ! وحمل عليهم بثمانية آلاف من رجاله فهزمهم ورمى الاسطول الفرنسي القنابل على طانجة والصويرة. فبادر سلطان المغرب بعقد معاهدة طانجة سنة ١٨٤٤ يلتزم فيها باخراج عبد القادر من ممالكه.

وفي هاتيك الاثناء هاجم الفرنسيون بصورة قاسية بلاد القبائل الكبيرة ، فاستولوا على دلس سنة ١٨٤٤ ، ثم هاجموا بصرامة كلية بلاد القبائل الصغرى واستمرت الحرب فيها فظيعة ضد الزعيم بومعزة الى ان استسلم سنة ١٨٤٧.

عاد عبد القادر الى الظهور في الجزائر سنة ١٨٤٥ عند ما اعلنت القبائل العربية الثورة العامة ؛ ونال انتصارا في سيدي ابراهيم ، والتف حوله المسلمون من جديد ، واخذ امره ينتظم . لكن المارشال بجو كان قد اعتزم القضاء النهائي على سلطة الامير عبد القادر ؛ فجهز مائة الف جندي فرنسي فيهم كثير من القبائل الموالية امثال الدوائر وغيرهم .وقسم الجند ١٨ فريقا ، واندفعوا كلهم يتعقبون عبد القادر ويشتتون انصاره بكل صرامة . واخيرا خذلته القبائل وتفرق عنه انصاره فالتجأ من جديد الى المغرب، وحاول ان يستثير القبائل هنالك فاسره السلطان مولاي عبد الرحمن بالخروج حالا من بلاده والا فانه يقبض عليه ويسلمه لاعدائه . فخرج وفي عزمه التوجه الى الجنوب

الا ان القائد لامور يسيار كان يترقبه عند الحدود وقد سد في وجهه المسالك، فلم يسعه الا التسليم صحبة النفر القليل من بقايا رجاله ونسائهم. وذلك في ٢٣ دسامبر ١٨٤٧، فقابله الغالبون بالحفاوة التي يوجبها الشرف العسكري لرجل بطل حارب على استقلال بلاده دون كلل ولا هودة مدة ١٥ عاما، وكان في كل اعماله وحركاته وسكناته شريف الظاهر والباطن صادق الوعد منجز العهد. ولقد وعدوه بالسفر به حالا صحبة ثلة من حاشيته الى الشرق، الا ان الاضطرابات السياسية بفرنسا كانت قد حالت دون ذلك، فاستمر اسيرا الى سنة ١٨٥٢، حتى اطلقه الامبراطور نابوليون الثالث بعد ما اكرمه اكراما لائقا بجليل مقامه. ونقله الى المشرق فلقي جميل الوفادة من سلطان تركيا، واستقر في بروسة مدة. ثم طلب الى السلطان نقله الى دمشق الشام، وسكن اقدم مدن الدنيا، وقد التف حوله علماؤها واعيانها ورجال الفضل والادب فيها؛ ولما قامت مذبحة دمشق حمى المسيحيين حماية تذكر وفتح ابوابه في وجه اللاجئين منهم، فاعترف له السلطان وكل رجال اروبا بالجميل، وارسلوا اليه الاوسمة الشريفة جزاء. وتوفي بها سنة ١٨٨٣ عن ٧٦ عاما رحمه الله ورضي عنه.

ولا باس ان نذكر هنا كلمة عن حسين باشا بعد خضوعه للمقادير في ٥ جويلية ١٨٣٠؛ فانه قد حمل على مركب فرنسي صحبة حريمه وخواصه، فكانوا ١٢٠ شخصا واختار السفر الى نابولي الايطالية فوضعه المركب الحربي فيها. واخذ يهيء اسباب رجوعه الى الجزائر، وكانت المراسلات مستمرة بواسطة احد الصالحين في ناحية بجاية اسمه «بابا الحاج» ولقد اشار بابا الحاج على حسين باشا بان ينتقل الى ليفورن الايطالية لان لتجارها اليهود علاقة كبرى مع مرسى بجاية فتحسن بذلك المواصلات بين الفريقين ويمكن التفكير في تجهيز حملة عسكرية لارجاع ملك حسين.

ذهب حسين اثر ذلك لباريس وطلب من الملك لوي فيليب ان يرجع اليه املاكه المحجوزة بالجزائر نكثا للمعاهدة فرفض الملك الطلب، ورجع حسين الى ليفورن واخذ هنالك يهيء مركبا يعد به للجزائر ويستانف الحرب من جديد،

كان الجزائريون على علم من محاولات حسين باشا ، واخذوا يجمعون له الاعانات واقترض حسين من يهود ليفورن وعلى رأسهم « برشناق » مالا جزيلا ، استأجر به سفينة ، ووضع بها ٤ مدافع ضخمة ، و ٤ مدافع جبلية و ١٥٠٠٠ كيلو من البارود ، ووضع المركب ومن به تحت امرة مصطفى بن محمد الجزائري واستعد للسفر في أوت سنة ١٨٣٢ ، قاصدا النزول بمرسى ازراو . وفي تلك الاثناء ضبط الفرنسيون في مرسى الجزائر مركبا جزائريا يحمل علما ايطاليا ، فوجدوا به عدة رسائل من حسين باشا لرؤساء المسلمين بارض الجزائر يحيطهم بها علما عن غايته وآماله . وفي الوقت نفسه خرجت من تونس ثلاث سفائن صغيرة مشحونة بالذخائر قاصدة سواحل الجزائر ؛ وكانت مراكب الفرنسيين تراقبها فاوقفتها ، ورأى البحارة الفرنسيون ان التونسيين القوا الى البحر صندوقا فاسرعوا بانتشاله ، فاذا به يحوي رسائل من حسين باشا الى اعيان القطر الجزائري ايضا . وبذلك انكشفت المؤامرة وخابت المحاولة . وطلبت فرنسا من حكومة فلورنسا ان تحجز السفينة فحجزتها .

لكن حسينا لم ييأس وجهز سفينة ثانية فانكشف امرها ، ثم سفينة ثالثة وكان مصطفى بن محمد يبذل جهدا جبارا في ذلك السبيل ، لكن السفينة الثالثة حجزت ايضا ، فاستاجر حسين ومصطفى سفينة رابعة ، وعزما على ان يرسلاها تحمل بضاعة لمختلف المراسي الجزائرية حتى يتعود الفرنسيون رؤياها فلا يتوقعون منها خطرا ، لكن تلك الحيلة لم تخف ايضا على جواسيس فرنسا فاخفق المشروع .

وردت الاموال التي جمعها الجزائريون لحسين فلم تكن كافية لدفع ديون بوشناق الذي انفق على تلك الحملات ، فرأى حسين وجوب انسحابه الى ارض اسلامية يعمل فيها باكثر حرية ، وطلب من سلطان المغرب السماح له بسكنى طانجة فرفض ، عندئذ طلب من فرنسا ان تنقله هو وعائلته الى مصر ؛ فاطمأنت فرنسا بذلك لان علاقاتها مع محمد علي كانت ودية للغاية القصوى . وما كاد حسين يطأ ارض مصر حتى « نصحه » محمد علي بالعدول عن كل محاولة لاسترجاع الجزائر . فقضى بقية ايامه في الاسكندرية ومات سنة ١٨٣٨ عن اثنين وسبعين عاما ، رحمه الله تعالى .

الفصل الثالث

الادارة والاستعمار من عام ١٨٣٠ الى ١٨٧٠

وجد الفرنسيون انفسهم وجها لوجه امام العرب في هذه الديار ، ولم يكونوا قبل ذلك قد فكروا في الطريقة السياسية التي يسلكونها معهم ، فانشاوا في اول الامر « المكتب العربي » ومهمته جمع كل ما يتعلق بالاهالي وترجمة المكاتيب والوثائق وكان هذا المكتب يعمل تحت امرة القائد العام للجند الافرنسي .

وبعد ذلك بقليل انشئت الادارة الاهلية سنة ١٨٣٤ فكانت كذلك تعمل تحت امرة القيادة العسكرية .

استولى الفرنسيون على املاك الجنود الاتراك وعلى ارض المحاربين في المتيجة وهو السهل الخصيب المحيط بمدينة الجزائر ، فاخذت فكرة الاستعمار تتكون ، وانتصب فى تلك الارض عدة مستعمرين من الذين صحبوا الجند ، ولم تكن لهم دراية بالبلاد ولم يتعودوا طقسها ، فكانت الامراض تفتك بهم فتكا ذريعا حتى انهم كانوا يقولون « ان المقابر تعمر في الجزائر اكثر من القرى » وكان الدكتور مايوقد اكتشف سنة ١٨٣٣ خاصية الكينا القوية في مقاومة الحمى ، فخفف بذلك من ويلات مواطنيه ؛ الا ان المستعمرين الاولين لم يكونوا الا من رجال الاحتكار الذين اكتفوا باخذ الارض او ابتياعها من اهلها بابخس الاثمان ، فاكتسبوا بذلك ثروات طائلة . ثم اخذ الفرنسيون يقدمون من بلادهم على نية الاستعمار ، فكانت الادارة تمنحهم القطع الاستعمارية وكانت قرية القبة وقرية دالي ابراهيم اول ما انشيء من مراكز الاستعمار ثم بوفاريك . ثم اخذ المستعمرون يتقدمون في المتيجة الى ان اشعل عبد القادر الحرب العامة في الجزائر فحطم الجزائريون مراكز الاستعمار بالمتيجة واخفقت المحاولة الاولى .

جاء بجو فكانت سياسته تتلخص في كلمتين : « الفتح بالسيف و بالمحراث » فابتدأ عصر الاستعمار الرسمي ، باختيار الحكومة للمستعمرين واقطاعهم الارض ، وتعبيد الطرق لهم ، واتبناء المساكن وغير ذلك . وكانت كل قطعة استعمارية تشبه حصنا حصينا محاطا بحفير واسوار . وكان المستعمر عند ما يقدم من بلاده ياخذ من الادارة قبعة عسكرية وبندقية وكمية من الخرطوش ، ويعتبر من جنود الرديف واخذ توارد هؤلاء القوم يتزايد ، والمراكز الاستعمارية تنتشر.

في سنة ١٨٤٨ حدثت ثورة جديدة في فرنسا ،فكان لها تأثير على الاستعمار بالجزائر. ذلك ان المجلس الوطني الفرنسي اراد التخلص من العملة الباريسيين العاطلين فصادق على تخصيص ٥٠ مليونا من الفرنكات لارسال واقرار ١٢٠٠٠ من الباريسيين بالارض الجزائرية ،وكل معمر منهم ينتقل الى الجزائر مجانا ، و ياخذ مجانا ارضا من ٢ الى ١٠ هكتارات ، و ياخذ مجانا كذلك ما يلزمه للبذر والقوت . فتزاحم الباريسيون العاطلون على هذه اللقمة السائغة . وكان عدد القادمين يبلغ نحو العشرين الفا . توزعوا على ٤٢ مركزا استعماريا . لكن هؤلاء القادمين لم يكونوا يعرفون شيئا من الاعمال الفلاحية ، فاخفقت المحاولة ورجع اكثر من نصف القادمين من حيث أتى

و في تلك السنة سنة ١٨٤٨ ، اعلن المجلس الوطني ان الجزائر ارض فرنسية ، ينتخب سكانها الفرنسيون ٤ نواب لمجلس الامة و٣ للمجلس العالي؛ وكان ذلك كما لا يخفى خاصا بالفرنسيين وحدهم. ولما اخفق الاستعمار الباريسي ، اخذت الادارة تستدعي الاجانب للاستعمار ، وخاصة الاسبان ، فكان عدد الاوروبيين بارض الجزائر نحو ١٢٠٠٠٠ نصفهم من الفرنسيين ؛ وثلثهم من الاسبان ، والباقون من عناصر مختلفة .

و في سنة ١٨٤٥ ،صدر مرسوم ملكي فرنسي بتقسيم الجزائرالى ثلاثة اقسام :الارض المدنية ، والارض المختلطة ، والارض الاهلية . اما الارض المدنية فتشمل بلاد التل الساحلية وسوادها . ويحكمها الفرنسيون المدنيون.

اما الارض المختلطة والارض الاهلية، فقد وضعت تحت سلطة العسكرية ، ولرجال القيادة السلطة المطلقة عليها فيما يتعلق بالادارة والقضاء وكانت احكامهم صارمة .

استلم المارشال راندون الولاية العامة والقيادة العامة على الجزائر فرأى ان عليه اتمام الاحتلال، وكانت الجهات الخارجة يومئذ عن السلطة الفرنسية هي بلاد القبائل او الجرجرة. وبلاد الجنوب فعمل على اتمام ذلك الاحتلال بكل شدة وصرامة .

وكانت واحة الزعاطشة قرب بسكرة تحت امرة وطني يدعى بوزيان ، فهاجمه الجنرال هربيون ، واستولى على الواحة فاتلفها تماما ؛ والقى القبض على بوزيان فاعدمه رميا بالرصاص وانتقضت الاغواط سنة ١١٥٢ فسار اليها الكولونيل بيليسي واخضعها يوم ٤ دسامبر ؛ ومات اكثر اهلها وخربت وتلف عمرانها .

ثم التفت المارشال راندون الى بلاد الجرجرة فسار اليها بجند جرار، ونهضت الجرجرة للقتال نهضة رجل واحد ؛ واشتعلت سلسلة من الوقائع المتتابعة ، كانت اكبرها موقعة « بني منقلات » فاندحر القبائل ؛ واضطرت اكبر فرقهم الى الرضوخ والاستسلام .

وما كادت تنتهي حوادث القبائل حتى ثارت قبائل « اولاد سيدي الشيخ » التي تمتد ارضها من ورقلة الى حدود المغرب ، وتولى زعامتها سيدي سليمان بن سيدي بوبكر واشتد امرها سنة ١٨٦٤ فسار الكولونيل بو بريتر لاخضاعها صحبة جند فرنسي وفريق من « القوم » العرب ؛ فانضم القوم الى فريق الثائرين وقتلت الفرقة الفرنسية عن آخرها ، ومات اثناء المعركة الكولونيل والسيد ابن سليمان معا واثر ذلك النصر على القبائل العربية ونهض لشد ازرها عدة قبائل في الشمال ، واستمرت الحرب بين الفريقين عنيفة قاسية مدة الخمسة اعوام الى ان تمكن الجند الفرنسي من قهر قوة المجاهدين ومحقها في جبل عمور سنة ١٨٦٩ .

كانت ثورة عام ١٨٤٨ قد نصبت الجمهورية الثانية بفرنسا ؛ فاعطت للفرنسيين بالجزائر كما راينا حق الانتخاب للمجلسين بفرنسا ؛ كما سنت لهم قانون الانتخابات

البلدية ؛ وجعلت الجزائر مقسمة مثل فرنسا الى مقاطعات ، واعلنت حرية الصحافة الفرنسية . وكانت محاولة «المستعمرين الباريسيين» التي خابت كما سلف بيانه اكبر محاولات الجمهورية الثانية التي لم تعتن بالاهالي اي عناية .

انتهى امر الجمهورية الثانية سنة ١٨٥٢ باعتلاء البرنس نابوليون عرش الامبراطورية باسم « نابوليون الثالث » فكانت عنايته بالجزائر عظيمة . فاسس وزارة خاصة باسم «وزارة الجزائر» اسندها الى ابن عمه جيروم نابوليون .

في سنة ١٨٥٦ تفاقم امر الخلاف بين السلطتين المدنية والعسكرية في الجزائر ؛ وكان رجال الاستعمار قد ضجوا من وجود المكاتب العربية « البيرواراب » التي يتولى امرها رجال العسكرية ، لان هذه المكاتب اصبحت تحمي ارض العرب ضد مطامع الاستعمار ، بعد ان كانت تؤيد الاستعمار تأييدا كبيرا . فتفاءل المستعمرون خيرا من انشاء « وزارة الجزائر » لكن تلك الوزارة لم تستطع ان تعمل اي عمل لوقوعها بين رجال السلطتين المدنية والعسكرية . فاستقال جيروم نابوليون سنة ١٨٥٩ ،وتولى الوزارة الكونت شاسلوب ، فارضى المدنيين بان وسع في سلطة الاحكام المدنية واسس المجالس العمومية (الكونساي جنرال) في الجزائر ووهران وقسنطينة، وارضى العسكريين بان ارجع لهم « المسؤولية المشتركة في القبائل العربية » . لكن المكاتب العربية التي كان المستعمرون يتهمونها بمعارضة انتشارهم ، والعرب يشتكون من صرامتها وقساوتها كان نفوذها قد تضاءل كثيرا ايام نابوليون الثالث .

وفي سنة ١٨٦٣ اعلن نابليون الثالث سياسته الرشيدة بالنسبة للجزائر الاسلامية فكانت هي السياسة الاولى الاهلية التي سلكت بحكمة منذ وقع الاحتلال الافرنسي ذلك ان نابليون الثالث لم يتجاهل مثل من سبقه وجود «العنصر الاهلي» ولم يتجاهل ان لهذا العنصر حقوقا وانه يجب ان يعيش وينمو ، فزار الجزائر مرة اولى سنة ١٨٦٣ ثم كتب يقول للوالي بيليسي « انني لست امبراطور الفرنسيين فقط بل انا امبراطور العرب ايضا » ثم زارها مرة ثانية وكتب الى المارشال ماكماهون الوالي يقول « ان الجزائر ليست

مستعمـرة باتم معنى الكلمة بل هي مملكة عربية . وان الاهالي يجب ان يلقوا منا كل مساواة ونفس الحماية التي يلقاها المستعمرون » .

وكانت نية الامبراطور هي ان يجعل الاهالي المسلمين في امن تام من جهة حريتهم واملاكهم ؛ ويعترف لهم بحق الملكية المطلقة على الارض المشاعة بينهم ريثما يتمكن من قسمتها عليهم وتعميم الملكية الخاصة .

ثار ثائر المستعمرين ورجال السلطة ضد اعمال وتصريحات الامبراطور ، والفوا الكتب في تفنيد آرائه لكنهم لم يستطيعوا اقلاعه عن عزمه . واصدر قانون السيناتوس كونسولت في ٢٢ افريل ١٨٦٣ بعدما شارك في تحريره مجلس شورى الدولة وصادق عليه مجلس السينات .

ولقد كان هذا القانون ضربة قاسية للاستعمار وقتئذ وتحطيما لآمال المستعمرين الذين كانوا يريدون الاستيلاء على كل اراضي العروش بدعوى ان تلك الارض ملك الدولة التركية سابقا ، فالدولة الفرنسية التي هي وارثة الدولة التركية يجب ان تستولي على تلك الارض وتوزعها على الاستعمار ؛ ولقد كانت الدولة اصدرت عام ١٨٥١ امرا يقتضي جعل القبائل العربية ذات سيادة على الارض المشاعة المتروكة لها ؛ لكن ذلك القانون لم يقع احترامه وانتهك لفائدة الاستعمار فساد القلق والانزعاج في القبائل العربية التي رات انها ستفقد آخر قطعة لديها ، ورفعت امرها الى الامبراطور المنصف فاصدر قانون السيناتوس كونسولت المذكور في ٢٢ افريل ١٨٦٣ يقول في الفصل الاول منه « ان الارض المشاعة التي تستغلها القبائل المختلفة في ارض الجزائر بصفة مستمرة منذ امد طويل انما هي ملك قار رسمي لهاتيك القبائل » وبهذا القانون اصبحت ارض العروش كلها ملكا رسميا لاصحابها الشرعيين ؛ وقرر قانون السيناتوس كونسولت وجوب تحديد ارض القبائل المختلفة ؛ ثم توزيع ارض كل قبيلة على الدواوير (جمع دوار) المتالفة منها القبيلة ؛ ثم توزع ارض الدوار على الاشخاص الذين يتالف الدوار منهم ؛ بحيث تصبح اراضي العروش املاكا خاصة شخصية للمسلمين .

اخذت الادارة تنفذ ذلك القانون ببطء شديد ؛ بحيث انه لم يتم من امر تحديد الارض المختلفة عام ١٨٦٩ الا ما يتعلق بمائتين وخمسة وتسعين من القبائل العربية ، تنقسم الى ٥١٥ دوارا ، اما بقية ارض العروش فقد بقيت على الشياع ولم يتم تحديدها وتوزيعها على الدواوير .

ولم يكن قانون السيناتوس كونسولت قانونا عقاريا فحسب ، بل كان قانونا اداريا ايضا ؛ ذلك انه اعتبر كل دوار وحدة ادارية او شبه « بلدية »

وكان هذا القانون الذي قسم ارض الجزائر الى املاك خاصة تابعة للقانون العام ؛ واملاك اوقاف المسلمين التي ينفق ريعها فيما وقفت لاجله ؛ وارض العروش التي اصبحت ملكا خاصا للمسلمين المستقرين بها ؛ سببا فى توقف الاستعمار الفرنسي دفعة واحدة ؛ من سنة ١٨٦٤ الى سنة ١٨٧٠ .

وسنعود الى ذكر قانون السيناتوس كونسولت في موضع آخر من هذا الكتاب .

الفصل الرابع

الادارة والاستعمار من عام ١٨٧٠ الى عام ١٩١٤

في ٥ مايه ١٨٦٩ اجتمعت لجنة قصد تحرير قانون اساسي للجزائر ؛ فحررت مشروع دستور عام يقتضي قسمة الجزائر الى قسمين : الارض المدنية والارض العسكرية ؛ وكان هذا القسم الثاني ضئيلا جدا بالنسبة للقسم الاول ؛ اما الادارة الجزائرية فيوضع على رأسها الوالي العام ، انما يتمتع هذا الوالي باستقلال داخلي واسع ، ويكون للوالي مرتبة الوزراء ؛ ثم تنقسم الارض المدنية الى مقاطعات ولكل مقاطعة يتولاها عامل (بريفي) مجلس عمومي ينتخبه السكان ؛ وفي كل مدينة مجلس بلدي منتخب ايضا ؛ وكل دوار فى الارض المدنية يعتبر بلدية . اما الميزانية العامة الجزائرية فتكون مستقلة ايضا ويشرف عليها المجلس الاعلى الجزائري . وقدم

هذا المشروع الى مجلس شورى الدولة ؛ وبينما هو يتامل فصوله اشتعلت نار الحرب الالمانية الفرنسية التي سببها العدوان الالماني ، وكونها البرنس بيزمارك ؛ فكانت هذه الحرب سبب انهيار صرح الامبراطورية الفرنسيه ، واستسلم الامبراطور نابوليون الثالث للاسر اثرخيانة القائد الفرنسي المارشال بازين ؛

وقبل هاتيك الحرب كانت الجزائر قد اجتازت سنوات بأساء وضراء ، فحدث الجفاف العظيم سنة ١٨٦٧ ، واعقبته مجاعة هائلة في السنة الموالية مات فيها العدد الجسيم من العرب، واعقب كل ذلك وافدة الكوليرا والتيفوس ، ففتكت بالذين اعقبتهم المجاعة فتكا ذريعا ، وتقدر السلطة الفرنسية عدد العرب الذين اهلكتهم الوافدة بمائتي الف نسمة .

في هاتيك الاثناء ظهر الكاردينال لافيجري اسقف الجزائر ، فكان يطوف الانحاء التي فتكت بها المجاعة والامراض ، والصليب في يمينه ، والخبز والدواء في شماله ، وجمع طائفة عظيمة من الايتام واليتيمات يبلغ عددهم نحو ١٥٠٠ شخصا ، فرباهم في ظل الكنيسة وعلى دين المسيحية ، ولا تزال بقايا هؤلاء موجودة في كثير من الجهات ، وبعضهم بقي مسيحيا صادق المسيحية الى اليوم ، ويقطنون دشرة العناناف .

سقطت الامبراطورية في فرنسا وقامت الجمهورية الثالثة ، واضطربت الادارة عام ١٨٧١ ؛ فرأى كثير من سكان الجزائر ان الفرصة سانحة للانتقاض ، خصوصا وقد اعقب دور الاطمئنان الامبراطوري دور المخاوف والشكوك

وكان مسيو كريميو اليهودي ينوب عن الجزائر في لجنة الدفاع الوطني ، واغتنم تلك الفرصة فاستصدر قانونا فرنسيا يعتبر اليهود الجزائريين الساكنين في الارض المدنية وطنيين فرنسيين . ويسمى ذلك بقرار ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٧٠ ، وكان اليهود الذين يشملهم هذا القرار يبلغون ٣٠٠٠٠ ، فكان ذلك مما زاد في استنقاص المسلمين للحكومة التي يستطيع — كما قال المقراني — ان يفعل فيها يهودي ما يشاء .

اعلن الباش آغا الحاج محمد المقراني الثورة فى بلاد القبائل الجرجرة ، واجتمع حوله البربر من كل فج عميق ؛ وفي تلك الساعة نفسها كان رجال الكومون يعلنون الثورة في باريس . وكانت الثورة القبائلية قوية فاكتسحت كل المراكز الفرنسية الصغيرة في دلس والاربعاء وبرج بوعريريج وبجاية وذراع الميزان وتيزي‌وزو وتقدم الثوار نحو الجزائر حتى وصلوا الى قرية الماء.وكانت الاحوال قد انتظمت فى فرنسا فارسلت جندا لمقاومة الثائرين ؛ ووقعت موقعة بويرة العظيمة التي استشهد فيها الحاج المقراني واندحر فيها من كان معه .

انما لم ينته امر الثورة ببلاد القبائل الا بعد نصف سنة من تلك المعركة ؛وكانت عملية الاخضاع قاسية عنيفة ، واعمال الحرب فظيعة ، ولما تمكن الجند الفرنسي من ناصية رجال القبائل فرضت الحكومة عليهم غرامة حربية ثقيلة مقدارها ٢٦ مليونا من الفرنكات . وحكمت بالاعدام على زعماء الثورة وارسلت الباقين الى سجون الاشغال الشاقة ثم حجزت ارض سائر الثائرين وجعلتها ملكا دوليا ومنحتها للاستعمار لفائدة مهاجرى الالزاس لورين وكانت مساحتها تبلغ نصف مليون هكتارا .

فى هاتيك الاثناء كانت الثورة قد امتدت الى ناحية التل كله من جيجل الى شرشال وفي مدينة الجزائر نفسها اعلن احد المسلمين السيد البدوى استقلال الجزائر الاسلامية الفرنسية ، فالقي عليه القبض وحكم عليه بالسجن سبعة اعوام .

وحدثت بعد ذلك ثورات جبل اوراس البربرية سنة ١٨٥٣ ، وثورات الجنوب الوهراني سنة ١٨٨١ ؛فاما ثورة الاوراس فقد اخمدت بعد قليل ؛ واما ثورة الجنوب الوهراني التي تولى كبرها الشيخ ابو عمامة ، ونهض معها اولاد سيدي الشيخ ، فقد تفاقم امرها حتى اخضعها الجنرال نيقري ، والتجأ الشيخ ابوعمامة الى المغرب الاقصى .

اغتنمت فرنسا فرصة اخضاع تلك الثورات ، فاعلنت في ٣٠ نوفمبر ١٨٨٢ الحاق بلاد ميزاب بالارض الفرنسية ، ناكثة بذلك معاهدة الحماية التي انتصبت على البلاد سنة

١٨٥٣ ؛ بدعوى ان الميزابيين تركوا الثائرين يغشون اسواقهم خلافا لما جاء في صك الحماية المؤرخ في ٢٩ ابريل سنة ١٨٥٣ فقد جاء فيه ما نصه :

« انبرم اتفاق بين والي عموم الجزائر الكونت راندون ونواب المدن السبع عن الامة الميزابية » . ثم يقول : « تطلب فرنسا خضوع المدن الميزابية ودفعهن خراجا شعارا لذلك الخضوع وهي في مقابلة ذلك تمنحهم حق الحماية في الطرق والمدن »

الى ان قال : « على ان فرنسا لا تريد بالمرة التدخل في امور داخلية ميزاب بل تريد بقاءها محرزة على امتيازاتها القديمة وتترك للمدن السبع ان تعين فيما بينها القسط الذي تحمله كل مدينة من الخراج الموعود به . اما السلطة الفرنسية فانها تقتصر على حفظ النظام العام في البلاد وحرمة حقوق الفرنسيين وحقوق القبائل الراضخة . والتزم الميزابيون باغلاق مدنهم واسواقهم في وجوه العرب المعادين لفرنسا وبدفعهم عند الضرورة بالقوة كما تقتضيه التبعية الخالصة » .

ومما جاء في بلاغ م تيرمان المؤرخ في اول نوفمبر ١٨٨٢ ما نصه :

« نحن اتيناكم لنردكم من الحالة المضطربة الى الحالة المنتظمة الشاملة للهدو والاطمئنان . وان رأيتمونا موثرين حبل المواصلة الرابط بينكم وبين فرنسا منذ مدة قصدا في تقربكم منا وانضمامكم الينا فما مرادنا الا احترام عوائدكم المتواترة بل نتركم على حسب ما توجبه فوائدكم ومرافقكم مرتبطين بجماعاتكم فيما يؤول الى تصرفاتكم متعلقين بمشائخكم الاباضية فيما يرجع الى فصل نوازلكم ونكون نحن معضدين مؤكدين لحكم رؤسائكم ممضين منفذين لآراء مشائخكم مهما حكموا بالعدل والانصاف »

وارادت فرنسا اثر ذلك التوغل في الصحراء؛فلقيت من الطوارق مقاومة عنيفة ، وفتكوا ببعثات فلاتيرس سنة ١٨٨١ ، وبلات سنة ١٨٨٦ ، ودولس سنة ١٨٨٩ وموريس ١٨٩٥ ، فاوقفت موقتا امر اختراق الصحراء .

كانت الادارة العسكرية قد اضمحلت بصفة تامة من الجزائر (الا في ارض

الجنوب) مع الحكم الجمهوري، ولم تبق الجزائر مكتسبة الصبغة التي اراد نابوليون الثالث صبغها بها ، بل اصبحت تعتبر عند الفرنسيين « فرنسا الافريقية » واصبحت تعتبر قطعة من البلاد الفرنسية ملحقة بها الحاق متينا ، وليس لها اي استقلال داخلي في شؤونها ؛ يمثلها في مجلس النواب ومجلس الشيوخ نواب ينتخبهم الفرنسيون.

وكان اول هم الجمهورية العناية بالاستعمار الرسمي ، فأتت بآلاف من الالزاسيين الذين لم يرضوا الرضوخ للنير الالماني واقطعتهم الارض التي انتزعتها من القبائل البربرية اثر الثورة ، وفتحت كذلك باب المنح الارضية للمستعمرين القادمين من فرنسا فاخذ عددهم يتكاثر بصفة قوية .

وفيما بين سنتي ١٨٧٥ و ١٨٨٠ هاجمت حشرة الفيلوكسرا الكروم الفرنسية في الجنوب , فالتجأ الفلاحون الى ارض الجزائر وانشأوا غراسة الكروم.

ولقد كان نشاط الاستعمار كبيرا ، الى درجة انه قد وقع انشاء ١٩٨ قرية استعمارية ، يسكنها ٣٠٠٠٠ من المستعمرين وذلك فيما بين سنتي ١٨٧١ و١٨٧٧ وفيما بين سنتي ١٨٧١ و ١٨٨١ انتقل عدد الفرنسيين في الجزائر من ٣٠ الفا الى ١٩٥ الفا ؛ والاجانب من١١٥ الفا الى ١٨١ الفا ؛ والمستعمرون الاروبيون على الاطلاق من ١٠٠ الف الى ١٤٦ الفا . اما عدد الاهالي فانه لم ينم نموا يذكر ؛ بينما كانت الارض الفلاحية تخرج من بين ايديهم بكل وسيلة .

ثم لما اعلنت فرنسا قانون فصل الدين عن الدولة ؛ سنة ١٩٠١ ضبطت كافة الاوقاف الاسلامية التي كانت تقوم بحياة المساجد ورجال الدين والقضاء الاسلامي وادخلت كل ذلك ضمن املاك الدولة ، ووزعت الارض على الاستعمار . فلم تبق بارض الجزائر من اوقاف عامة اسلامية الا ببلاد ميزاب وحدها ؛ نسأل الله ان يقي تلك الاوقاف عوادي الحدثان .

ولكي ينمو عدد الفرنسيين بسرعة اصدرت فرنسا قانون ١٨٨١ ، القاضي بان ابناء الاجانب الذين يولدون في الجزائر يعتبرون فرنسيين الا اذا ارادوا عند بلوغهم سن الرشد البقاء على جنسية آبائهم . ثم اخذت الادارة الجزائرية تعتني عناية ضئيلة بالتعليم الاهلي . الى ان جاء مسيو جونمير الذي بذل في ذلك السبيل جهدا مشكورا .لكن العناية الكبرى ببث التعليم الفرنسي انما كانت ببلاد القبائل البربرية .

فى سنة ١٩٠١ افتتحت الجزائر دورا جديدا من ادوار حياتها ،اذ ايقن رجال الحل والعقد بفرنسا انه يعسر كل العسر ادارة الجزائر بصفة فرنسية بحتة ، لما بين الجزائر وبين فرنسا من بون شاسع ، ولوجود العنصر الاهلي في الجزائر ؛ فاعلن الاستقلال الداخلي الجزائري ؛ واخذت البلاد تسير سيرا متواصلا نحو نظام الدومنيون او المستعمرات المستقلة الانكليزية . وتأسس مجلس النيابات المالية (وسياتي الكلام عنه) الذي يعرض عليه الوالي مشروع الميزانية ، وللمجلس حق التصرف المطلق فيها . الا ان مجلس النيابات المالية لا يملك الا حق النظر في الميزانية فقط . اما حق التشريع فلم يملك منه اي شيء . ولو تمت تلك الخطوة لاصبحت الجزائر « دومنيونا» باتم معنى الكلمة .

ولما ملكت الادارة الجزائرية التي يهيمن عليها الاستعمار حريتها ، انطلقت راكضة في ميدان الاستعمار والاصلاح الاستعماري والاشغال الاستعمارية ، حتى اصبح عدد الفرنسيين بالجزائر قبيل الحرب يناهز الثمانمائة والخمسين الفا ؛ واصبح بها ثمانمائة قرية استعمارية تسكنها العائلات الفرنسية .

اما ابناء الوطن فقد كانوا في ضيق متزائد ؛ وقد نشأت لهم قوانين الانديجينا الصارمة ؛ واصبحت لهم في ايام الوالي ريفوال محاكم خاصة تعاملهم بكل شدة و هي المحاكم الزجرية الابتدائية ودوائر الجنايات ، ونشأت القضية الاهلية للدفاع عن حقوق المسلمين . وشارك في النضال عن تلك الحقوق بعض الغيورين من المسلمين و بعض الاحرار من الفرنسيين

الفصل الخامس

الادرة والاستعمار من عام ١٩١٤ الى عام ١٩٣١

في أوت ١٩١٤ اشتعلت نيران الحرب العامة الفظيعة ؛ واندفع الناس اليها مسوقين بعوامل مختلفة ؛ فكان للجزائر في تلك الحرب عمل كبير وجهد جسيم .

ولقد كانت فرنسا سنت في عام ١٩١٢ قانون الجندية للمسلمين في هذه البلاد ، فكان ذلك سببا في استياء شديد عم سائر الطبقات الاسلامية وفضل كثير من العائلات الاسلامية ترك الديار والهجرة الى الشام ، وتضحية المصالح كلها على الرضوخ لذلك القانون ؛ فهاجر منهم عدد جسيم خصوصا من تلمسان والجزائر وبلاد الجرجرة و زاد في مدى ذلك الاستياء ان الجنود المسلمين الذين يجندون اجباريا كانوا لا يعاملون على قدم المساواة مع الجنود الفرنسيين : فهم يقضون تحت السلاح ضعفي المدة التي يقضيها الفرنسي ولا ينالون ما يناله من رتب والقاب ولا يتقاضون ما يتقاضاه من اجور .

جاءت الحرب الكبرى فجهزت فرنسا كل قواتها ، وجمعت كل الرجال الذين سنهم بين ١٨ و ٥٠ عاما حتى الاهالي الذين لم يخدموا الجندية قبل قانون عام ١٩١٢ وقع استدعاؤهم اجباريا لحمل السلاح . وبهذه الصفه حملت فرنسا من الجزائر ٤٠٠٠٠٠ مقاتل منهم ٢٥٠٠٠٠ من المسلمين و ١٥٠٠٠٠ من الفرنسيين ، مات منهم نحو المائة الفا ١٨٠٠٠ من الفرنسيين و ٨٠٠٠٠ من المسلمين . وعلاوة على ذلك فقد ذهب من مسلمي الجزائر نحو الثمانين الفا من الذين لم يعملوا تحت السلاح ، فوضعوا اذرعتهم العاملة تحت تصرف المعامل الفرنسية التي كانت تغذي الجند بالميرة والذخيرة .

كانت حالة الاهالي المسلمين يومئذ لا تطاق وكان الضيق الاكبر يكتنفهم من كل جهة ؛ واحكام الانديجينا الصارمة تنزل على رؤوسهم كالكابوس الرهيب يدفعون

ضرائب فادحة ؛ ويحاكمون فى محاكم زجرية قاسية و يحجر عليهم الاجتماع ولا ينتقلون من مدينة الى اخرى الا اذا احرزوا على ترخيص بذلك ؛ وليس لاحدهم منهم الحق في اشتراء سلاح ولو كان للدفاع عن نفسه و حريمه وامواله من غارات اللصوص في البادية . وكان الكثير من المسلمين امثال المرحومين عباس ابن حمانه واحمد بوضربه وامثال السيد عمر بوضربه والدكتور بلقاسم بن التهامي والامير خالد بن الهاشمي بن الامير عبد القادر والسيد مصطفى حاج موسى والسيد احمد بهلول والشيخ محمد بن رحال رحمهما الله ، والكثير من احرار الفرنسيين امثال الماسوف عليهما البان روزى وجون جوريس ونقيب المحامين الجزائريين ميترلاديرال ؛ قد بذلوا فى سبيل المسلمين جهدا كبيرا وجعلوا قضية الاهالي من اول القضايا الاستعمارية ، الا انهم لم يجدوا اذنا صاغية الى ان كانت الحرب العامة .

نال الاهالي وعودا لاحساب لها ، منها رسالة ٢٥ نفامبر ١٩١٥ التى يقول فيها جورج كليمانصو رئيس لجنة الامور الخارجية بمجلس الشيوخ وجورج ليق رئيس مثل تلك اللجنة بمجلس الامة ما نصه : يجب القيام بسياسة اهلية حرة تعتمد على الثقة المتبادلة ، وتكون واضحة جلية ،تلك هي السياسة الوحيدة التى تطابق غايات السياسة الفرنسية وآرائها : وتوافق رغبة البلاد العامة التى تريد ان نجمع كل القوات الحية فى ممتلكاتنا الافريقية حول الاشتراك في المعالم وتوافق القلوب .

انتهت الحرب بالنصر الفرنسى المبين الذى شارك فى دفع ثمنه الباهض مسلمو الجزائر ولم تقع في البلاد الجزائرية اثناء الحرب غير قلاقل بسيطة فى جبال اوراس سببها امتناع اهلها من تسليم ابنائهم للعسكرية ؛ وحوادث الصحراء الكبرى ؛ وجاء وقت وتحقيق الآمال .

كانت آمال المسلمين واسعة عريضة في الجزائر كما كانت آمال اخوانهم الذين والوا الحلفاء في كل بقاع الارض . فلما اعياهم الانتظار وسئموا التسويف اصدرت فرنسا قوانين ٤ فرائر ١٩١٩ ، فكانت ترضية طفيفة للمسلمين الا انها قد حسنت حالتهم

بصفة لاتنكر ، فقد ازالت احكام الانديجينا الصارمة القاسية وسياتيك الكلام مفصلا عنها في القسم الثامن عشر من هذا الكتاب ، ووسعت حقوق الانتخاب للمسلمين في المجالس البلدية والعمالية والمجلس المالي ؛ انما كان ذلك بزيادة عدد الناخبين لا بزيادة عدد الكراسي . فالناخبون للمجلس المالي وللمجالس العمالية كانوا ٠٠٠ ١٥ فاصبحوا ٠٠٠ ١٠٣ واصبح عدد الناخبين للمجالس البلدية ٠٠٠ ٤٠٠ الا ان نواب المسلمين بقوا بكل هاتيك المجالس اقلية ضئيلة (نحو الثلث) لاتستطيع ان تقول كلمة مسموعة .

ثم ان قوانين ١٩١٩ اوجدت التسوية في الضرائب الجزائرية وقد كان الاهلي يدفع على ارضه الصغيرة اضعاف ما يدفعه الفرنسي او الاروبي المتفرنس على ارضه الكبيرة وكانت هنالك ضرائب فادحة خاصة بالاهالي فاضمحلت كلها الا في ارض الجنوب العسكرية . وسمح للمسلمين باشتراء السلاح اثر انعدام الانديجينا .

تنفس المسلمون الصعداء من انتهاء احكام الانديجينا الا انهم راوا أن ما نالوه ليس بالشيء المذكور ازاء آمالهم الواسعة وازاء تضحياتهم الكبيرة ، فقامت حركة سياسية في البلاد غير منتظمة ؛ والتفت حول الامير خالدالهاشمي الجسور المقدام ؛ فرفعه المسلمون الى مقاعد النيابة البلدية والعمالية والمالية ؛ وحرك هذا الامير الشهم الهمم والاحساس في النفوس ؛ وارجع الآمال آمال الحياة الى الذين كانوا مستسلمين استسلام الموت . فاعقب ذلك الهمود الاسلامي الناتج عن الانديجينا حركة ونشاطا ووثبة في الهمم وعودة الى الكرامة . واضمحل ذلك الجبن والذل اللذان كانا مستوليين على القلوب تحت صرامة الاحكام الزجرية .

الا ان الانتخابات الملعونة ما فتئت حتى فككت الوحدة الجزائرية ، وانفض من حول خالد اكثر انصاره واصبحوا له اضدادا ؛ وكان المستعمرون قد اثاروا ضجة هائلة حول قوانين عام ١٩١٩ وصوروها بصورة مرعبة كانها غول فاغر فاه لابتلاع السلطة الفرنسية بالبلاد ؛ وتولى كبر المقاومة مسيو ابو احمد شيوخ بلاد

القبائل . فجمع مؤتمرا من شيوخ البلدان الجزائرية وقرروا طلب اعادة الانديجينا بكل احكامها ؛ فسار اضداد الامير خالد من المسلمين الى فرنسا يؤيدون مطالب المستعمرين ولم تلبث فرنسا ان استرجعت باليد اليمنى ما منحته باليد اليسرى ، وعادت احكام الانديجينا صارمة قاسية ؛ ولا تزال موجودة الى يومنا هذا . اما الامير خالد فقد اضطر اثر ذلك الى تقديم استعفائه من كل المجالس التي كان يمثل بها المسلمين ، ورحل الى الشام حيث تقيم عائلته وعلى رأسها الشهم الباسل الامير سعيد الجزائري . وترك في نفوس الجزائريين المخلصين سمعة لا تمحوها عواصف الايام .

كان الاستعمار قد نشط هذه الفترة نشاطا كبيرا ؛ وكانت الارض التي نالها المستعمرون من سنة ١٩٠٤ الى سنة ١٩٢٧ تبلغ ٠٠٠ ٢٣٧ هكتار ؛ منها ١٧٢ الفا من الهكتارات بيعت للمستعمرين باثمان زهيدة جدا تدفع في آجال واسعة ؛ و٢٥ الفا سلمت للمستعمرين مجانا . مع الاشتراط على كل منهم بان يقيم في الارض الاستعمارية مدة عشرين عاما ، و يلتزم بانه ان باعها لا يبيعها الا لمستعمر فرنسي من اصل اروبي ، اي الى اسباني متجنس او ايطالي متجنس او مالطي متجنس ؛ اما المسلم المتجنس والاسرائيلي المتجنس فليس له ذلك الحق .

ارسلت فرنسا الى الجزائر مسيو موريس فيوليت على رأس الولاية العامة فكان كثير الاهتمام بالمسألة الاهلية ؛ وكانت له تصريحات عالية تدل على انه يريد ان ينال المسلمون بعض حقوقهم ؛ لكن حملة المستعمرين القوية ضده اضطرته الى مغادرة الولاية العامة مأسوفا عليه من اغلب المسلمين ، ولست انسى له كلمة قالها اثناء خطابه في حفلة متخرجي المدارس العربية الرسمية . « تذكروا ايها السادة انكم ان لم تحرزوا على حقوق الوطني فان لكم كرامة الرجال » .

بقي بعض المسلمين يعلقون بعده آمالهم على « عيد المائة » وهو مجموع الحفلات التى قامت بها فرنسا لتذكار مرور مائة عام على احتلال جندها لارض الجزائر ؛ فقام الفرنسيون بذلك الاحتفال وحدهم ؛ وانفقوا فيه ما يزيد على الثمانين مليونا من

الفرنكات، واعادوا ذكرى جند الاحتلال بلباسه وموسيقاه ، وقدم رئيس الجمهورية فلم يحمل للمسلمين بتلك المناسبة الا قرار الغاء محاكم الزجر الابتدائية فقط ؛ فكانت الخيبة في كل الاوساط الاهلية عظيمة وان كان البعض يتوقع ذلك ويعلم ان حفلات تذكار الاحتلال لاتاتي باي فائدة مادية ولا ادبية للمسلمين .

فلما آل امر الولاية العامة الى مسيو جول كارد ؛ قدمت الجزائر في شهر افريل ١٩٣١ لجنة الجزائر بمجلس الشيوخ تحت رئاسة مسيو فيوليت الوالي العام السالف الطيب الذكر . فقابله كل المسلمين بحفاوة تفوق حد التصور ؛ حتى ان أهل قسنطينة ونواحيها قابلوه بمظاهرة مشى فيها نحو العشرين الفا ؛ وسمع من افواه كل المسلمين الذين قابلوه بدون اي استثناء ولا احتراز شكايات حارة من الحالة الراهنة ، واستمع للمطالب التى قدمها اليه المسلمون وغيرهم ؛ وتكلمت الصحافة الاسلامية في الجزائر فافصحت عن رغبة وعواطف المسلمين ؛ رغم الضيق الشديد الذى يطوق تلك الصحافة . وجابهت جريدة « النجاح » القسنطينية تلك اللجنة ورئيسها بمقال جاء فيه :

قامت الجزائر تحيي في شخص موريس فيوليت الرجل المنصف . العادل المستقيم تحيي فيه وان كان البعض منها على غير وفاق معه في منهاجه السياسي ــ الرجل ذى المبادى العالية والاقتناع الصادق الذى يجعل الانسانية فوق المصالح الخاصة ، والذى يريد ان يرى الناس سواسية امام القانون والذى يقول ان الجزائريين كلهم بقطع النظر عن اديانهم وجنسياتهم قد قاموا بواجبهم نحو فرنسا في ساعة الخطر الاكبر والبلاء المحدق فمن العار والشنار ان يتساوى الجميع في ميادين القتال وفى مواقف البطولة والتضحية ثم ينقسمون من بعد الى طبقة سائدة وطبقة مسودة والى فريق له حقوق وعليه واجبات وفريق عليه واجبات فقط وليس له حقوق .

انك درست الجزائر حق الدراسة وعلمت ما تحتاجه وما تصبو اليه ، فلست فى حاجة ايها المدرك الحكيم الى تذكير والى استلفات .

ولسنا بحاجة الى تذكيرك بان المسلم يترك آله وعياله ومصالحه ليقضي في خدمة

العسكرية عامين ، بينما مواطنه الافرنسي لا يقضي الاسنة واحدة . لسنا في حاجة الى تذكيرك بان مجالسنا المحلية تمثل الحيف أجلى تمثيل اذ المسلمون وهم الاغلبية الكبرى ليس لهم فيها من النواب الا الثلث فقط .

لسنا في حاجة الى تذكيرك بان لغتنا العربية التي لا يجب ولا يمكن ان تضمحل او تموت ؛ قد أصبحت مهملة تمام الاهمال لا يقام لها وزن وهي آيلة بصفة رسمية الى الاضمحلال اذا لم يقع انتشالها .

لسنا بحاجة الى تذكيرك بان زنوج السنقال لهم من يمثلهم بدار الندوة الفرنسية واصبح منهم وزراء بالحكومة الفرنسية بينما الاهالي بالجزائر توصد امامهم ابواب المشاركة في الانتخابات التشريعية .

لسنا بحاجة الى تذكيرك بان قانون الغابات الجائر لا يزال كالسيف المرهف فوق رؤوس الاهالي المساكين ؛ فاذا اراد احد ان ينتقم من قرية اوقد النار في غابة الى جوارها فتفرض الادارة على كل سكان القرية من غير استثناء غرامة ثقيلة تضطرهم الى بيع مواشيهم ومتاعهم لاداء ذلك .

لسنا بحاجة الى تذكيرك بان سبعمائة الف من اولادنا المسلمين يجوبون الازقة ويهيمون في البادية ولا يجدون مدرسة تاويهم فيشبون على الامية ويعيشون جهلاء .

لسنا بحاجة الى تذكيرك بان الجمعيات الاحتياطية الاهلية تكاد تكون معدومة الوجود . وتكاد لا تنفع الفلاحين البائسين اي منفعة ، لان المال المخصص لها قليل حتى لا يكاد يذكر ، فالاهالي رغم فاقتهم واحتياجهم ورغم موت مواشيهم وهلاك حرثهم يضطرون الى الالتجاء للمرابين فيقضون بذلك على حياتهم القضاء المبرم

ورغما على ان اغلب اموال الجمعيات الاحتياطية تخرج من جيوب الاهالي انفسهم فان هؤلاء يمنعون منعا تاما من التصرف فيها ، وللحاكم وحده الحق المطلق فيها يقتر على من يشاء و يمنع من يشاء

واخيرا لسنا بحاجة الى تذكيرك بان الآراء كلها قد اتفقت في الجزائر حتى آراء

بعض رجال الحكومة النابهين على وجوب تغيير الطرق السياسية البالية التي سلكت حتى الآن، وما كان لها من نتيجة الا حفر هوة عميقة بين المسلمين والفرنسيين؛ وليس وجودها من مصلحة فرنسا في شيء

ونحن نصارحك القول يامسيو فيوليت كما كنت تصارحنا؛ ونقول لك بكل اخلاص ان الاحتفال بمرور قرن على احتلال فرنسا للجزائر؛ لم يترك وراءه الا جروحا دامية وآلاما شديدة وخيبة آمال عظيمة . ولقد كان الكثير من انصار التفاهم والوفاق الفرنسي الاسلامي يعتقد و ن ان فرنسا ستمد الى الاهالي يدها المخلصة بمناسبة هذه الحفلات . فاذا بالحفلات تمر، ومئات الملايين تنفق، ولم يتحصل الاهالي من كل ذلك الا على الضرائب الفادحة وعلى خيبة الامل؛ بل على اليأس من كل اصلاح مطلوب . هذه هي العقيدة العامة التي يجب علينا ان نصارحك بها ونكون مجرمين لو كتمناها عنك

ان سعادة الجزائر لا يمكن ان تتحقق الا اذا تغيرت كل السياسة القديمة رأسا على عقب، وسلكت فيها سياسة جديدة مبنية بصفة حقيقية فعالة على مبدا حقوق الانسان الذي هو اساس الدستور الفرنسي و مبنية على الشعار الفرنسي الذي هو الحرية والمساواة والاخوة ، مامي اسماعيل

وعادت اللجنة حاملة معها كل التفصيلات الكلية والجزئية عن المسألة الاهلية بالجزائر؛ ولقد صرح مسيو فيوليت في جريدة «الايكو دوران» قبل مغادرته الجزائر بقوله : «يوجد في الجزائر رأي عام اسلامي لا سبيل الى انكاره؛ وان الخطر في تجاهل طلبات ذلك الرأي العام وعدم اجابتها؛ فالواجب علينا وجوبا حتميا هو ان نقوم بعمل جدي وسريع جدا لارضاء ذلك الرأي العام»

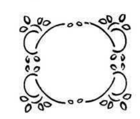
فالدين لا يزالون في الجزائر يعتمدون على فرنسا ويرجون الاحراز على حقوقهم منها؛ يعلقون آمالا جسيمة على اعمال هذه اللجنة، ويقولون عسى ان الآمال التي

خابت اثر الحرب العامة ،وعند الاحتفال التذكاري المئوي ،لا تخيب هذه المرة ايضا فقد عرض مسيو فيوليت على مجلس الشيوخ مشروع قانون يظن انه كاف لترضية الرأي العام الاهلي ، فانتظروا انا معكم منتظرون .

لقد صدق مسيو فيوليت ، فالرأي العام الاسلامي في الجزائر قد تكون بصفة لا سبيل الى نكرانها ؛ والرأي العام الاسلامي الجزائري شاعر كل الشعور بكيانه ومركزه الحاضر ؛ يريد ان يتمتع بسائر حقوقه و يريد ان يقوم بكل واجباته ، شأن الشعوب الحية والامم الراقية ،

ان الشعب الذي اسس ملك بني رستم ، وشيد دولة بني حماد ، واقام دولة بني زيان ، ورفع ملك الامير عبد القادر ؛ وانشأ مدنيات تيهرت وبجاية وتلمسان التي تألق نورها ساطعا ايام كان الظلام القاتم يخيم على ربوع الغرب ؛ ذلك الشعب النبيل الشريف لا يزال حيا متينا حساسا ؛ وما زادته تقلباته في التاريخ مدى الثلاثة عشر قرنا كاملة ، الا متانة في الاسلام ، وصلابة في الايمان ، وتوغلا في العربية ، لم يفقد همته ، ولم يتنازل يوما عن كرامته .

فسواء نال حقوقا سياسية ام لم ينل ؛ وسواء احرز على ما يرجره من اصلاح اداري ام لم يحرز ؛ فالشعب الجزائري يخترق هذا العصر من تاريخه العام ، بقدم ثابتة وقلب مطمئن ، و يسير سيره الطبيعي ، في دائرة اسلامه وعربيته نحو المستقبل ؛ وانه لمستقبل سيكون بحول الله وقوته زاهرا سعيدا ، والمستقبل لله .



القسم الثالث

خلاصة عن الحالة الادبية والعلمية في بلاد الجزائر من العصور القديمة الى يومنا هذا

من القديم الى الفتح الاسلامي

لم تكن الجزائر في عصر من عصور تاريخها ، خالية من العلوم والآداب ، فاقدة لتلك الثروة الفكرية العالية التي تجعل الشعب حيا راقيا ، يعيش بروحه كما يعيش بجسمه .

اخترع البربر في فجر التاريخ احرفا هجائية خاصة بهم ، فكانوا من اول شعوب الدنيا التي استعملت الخط وسجلت به الكلام ؛ في الوقت الذي كانت الكتابة المصرية فيه هيروغليفية ؛ اي تصويرية ؛ وفي الوقت الذي اخترع فيه الكنعانيون (الفنيقيون) احرفهم الهجائية .

فاختراع البربر للاحرف الهجائية في وقت كانت فيه كل بلاد الدنيا تقريبا لم تصل الى درجة من الرقي الفكري تسمح لها باستعمال الروية في ايجاد احرف تصور النطق وتجعله وسيلة للتخاطب البعيد ؛ يجعلنا نعتقد ان البربر كانوا وقتئذ على شيء كبير من الرقي الذهني والمادي .

فلما توطد قدم الكنعانيين بهذه الديار ؛ وكثر امتزاجهم بالبربر ؛ تكونت في هذه البلاد لغة مختلطة تدعى اللغة البونيقية ؛ وكانت لغة علم وتاليف ، ولو انك اخذت لوحا من الالواح التي سجلت بها تلك اللغة والتي ابقت عليها عوادي الزمان لكنت تستطيع فهمها بدون عناء ، اكثر مما تستطيع فهم اللغة العامية في سصراو في اليمن ؛ ذلك لان اللغة الكنعانية الاصلية ، ثم اللغة اللوبية ، كانتا لغة عربية في تراكيبها.

واغلب مفرداتها. كثيرة الشبه بالعربية التي تتكلمها العامة عندنا . وهي البنت البكر للعربية الفصحى بحيث لا تجد لفظا فيها ليس بعربي ، او محرف قليلا عن لفظ عربي ، انما هي لغة لا تعرف قواعد الاعراب .

وانتشرت ايام السلطة القرطاجنية العلوم وعمت المدارس الابتدائية — على نفس هيأة الكتاتيب العتيقة — ودون البربر والكنعانيون علومهم وافكارهم ونتائج رحلاتهم في كتب كثيرة ، الا ان الجناية اللاتينية الخالدة ، جناية احراق قرطاجنة وتحطيم مدنيتها ، كانت سببا في اتلاف كل هاتيك الثمرات الفكرية ، فلم نعرف منها الا ما تناقله الرومانيون وترجموه الى لغتهم .

بقيت الحضارة البونيقية رغم كل ذلك حية قوية في الممالك البربرية عند طغيان موجة الاستعمار الروماني ، وكان اكثر البربر قد تحملوا سلطة روما مكرهين وقاوموها مقاومة فعلية بالثورات ومقاومة سلبية بالاعراض عنها ، و بربري يأنف الخضوع للسلطة الغاشمة كسلطة روما .

كانت روما قد اسست المدارس فى البلاد ، الا ان البربري كان في اغلب الاحيان محروما منها ، فبينما كنت ترى فى هذه البلاد ازدهارا علميا في بني الرومان وحدهم كنت ترى العنصر البربري عائشا عيشه الطبيعي لا يكاد يقدر على تحصيل قوته من بين مخالب الاستعمار الروماني . فالادب الروماني الذي نشأ بالجزائر انما كان رومانيا بحتا لم يشارك فيه البربر مشاركة محسوسة ، وان كان قد تغير عن الادب الروماني الاصلي ، بتغير البلاد والظروف ، وكان البربر طيلة تلك القرون يعتكفون في اغلب الاحيان على ما ابقته لهم النظم القرطاجنية و الآداب البونيقية .

مرت عاصفة الوندال بالبلاد ، فاجترفت امامها كل ما الفته قائما من آثار روما وعمل البربر مع الونـدال تحت دافع الانتقام والاخذ بالثار ، ولم يخسر البربر شيئا عند تحطيم سلطان روما ، بل ربحوا حريتهم واسترجعوا ارضهم ، وانتزعـوا الاغـلال من اعناقهم ، وجاء الروم يحاولون اعادة البناء الروماني المحطم فما استطاعـوا الى ذلك

سبيلا ؛ وكان عصر الروم عصر ظلمات بعضها فوق بعض ، وجهل وفساد ، الى ان تكاثر طغيانهم وتفاقم شرهم، وثار البربري وجوههم من كل ناحية يريدون استقلالهم وينشدون حريتهم ، وقد اراد الله يومئذ اخراج الدنيا من عصورها المظلمة الى عصورها النيرة ، فارسل رسوله بالهدى ودين الحق ، يقول للناس في وسط ذلك الظلام الحالك وتلك المنكرات والموبقات : « ان الله يامر بالعدل والاحسان و ايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون » . ومن ذلك اليوم السعيد افتتحت الجزائر دور حياتها الجديد .

في الفتح الاسلامي

جاء المسلمون هذه البلاد يريدون اخراجها من الظلمات الى النور وكان البربر فيها لايزالون رغم تقادم العهد مصطبغين بالصبغة التي اكتسبوها من مجاورة الكنعانيين ابناء عم العرب ؛ فلما انتهت الوقائع الاولى التي وقعت بين العرب والبربر وهي تصادم طبيعي بين قوتين لم تختلطا بعد راى البربر انهم يقفون امام نوع جديد من الفتح الروحي. جاء العرب وبين ايدهم دستور محكم لايخرجون في احكامهم عنه : هو كتاب الله : واتوا بقاعدة جديدة هي من اسلم فقد اصبح منا له ما لنا وعليه ما علينا وقد قال الاستاذ سديو : كان البربر مثل العرب يحبون الاستقلال وكانوا معا رعاة متجولين ، وكلا الفريقين اميال واحدة وعواطف واحدة شركاء في حب الفخر وتعشق الحرية واحترام الضيوف واكرامهم وان هذا الاشتراك في العواطف والاخلاق قد كسر الحواجز التي لم تستطع اختراقها لاالرومان ولا الوندال ولا الروم واصبح البربر اشد رجال الجند الاسلامي ، هكذا اصبحوا حقا وهكذا يبقون بحول الله ابد الابدين ودهر الداهرين .

كان من نتيجة ذلك ان اسلم البربر وحسن اسلامهم وفتحوا بلاد الاندلس للاسلام

وباسم الاسلام ؛ وقد اخذوا عن الجند العربي ورجال العلم دين الاسلام واللغة العربية وارسل اليهم فيما بعد عمر بن عبد العزيز عشرة من اكابر الفقهاء لتعليمهم اصول الديانة الاسلامية وتثقيفهم بالثقافة الاسلامية واغرب ما اورويه هنا هو ان اعقاب هؤلاء العلماء المنورين لايزالون الى يومنا هذا مستقرين بالبلاد القبائلية البربرية ؛ يلقبهم القوم هنالك بلقب «الاشراف» ويخصونهم الى يومنا بالرعاية والاكرام فكان عصر الفتح العربي وعصر الولاة عصر تطور وانتقال في بلاد الجزائر نزعت به صبغتها الاولى البربرية البحتة واكتست فيه حلتها الاسلامية العربية الجديدة وهي حلتها النهائية التي تقف بها اليوم وستقف بها غدا مع شعوب الدنيا.

بين الرستمية والاغلبية

عقب دور الانتقال والتطور الذي تحدثنا عنه ، دور حضارة وعلوم وآداب عربية ، كان غربي الجزائر يتألق تحت سلطة الرستميين ، وكان الزاب شرقي الجزائر ووسطها يسطع تحت السلطة الاغلبية فلقد كانت في هذا الدور حضارة بني رستم العربية الاسلامية قد وطدت اركانها بمملكة تيهرت واز دهرت واينعت ؛ واقبل الناس فيها على العلوم الاسلامية والادبية وخاصة علم الكلام والبحث في المذاهب الاسلامية المختلفة ، واسس بنو رستم مكتبة عربية اسلامية تعتبر من اجل مكاتب ذلك العصر تدعى « المعصومة » جمعوا فيها من الكتب القيمة في مختلف العلوم والتاريخ والرياضيات الشيء الكثير . ولقد اتلفها رجال الشيعة الفاطمية فيما بعد عند ما اعدموا الدولة الرستمية .

وبينما كانت الحضارة في تيهرت تسير سيرها ذلك كان الزاب يمرح في مطارف العلم والادب ، فلقد نشأت فيه في هذا الدور الدروس العلمية الدينية بالمساجد في كل المدن والقرى ؛ وكان امراء بني الاغلب ينشطون المعلمين ويساعدون المدرسين

وكان الكثير من رجال الجند العربي ومن البربر قد رابطوا في الثغور والحصون ، يحرسون ارض المسلمين ويصدون الغارات عنها ، ويعلمون صبيان المسلمين ورجالهم في ساعات السلام والامن ؛ هؤلاء هم رواد الاسلام والعربية الذين يسمونهم بالمرابطين.
وقد كانت « دار الحكمة » بالقيروان تمثل مدرسة عليا من ارقى مدارس العصر ، تدرس فيها العلوم على اختلافها من عقلي ونقلي ، ومنها كانت تخرج الطبقة المثقفة في تلك البلاد ، وكان الكثير من مدن الزاب مثل طبنة و بسكرة قد اصبحت دور علم وآداب وتثقيف ، وكانت العربية تنتشر مع انتشار الدين الصحيح في هذه الديار بصفة لم يعهد لها مثيل .

ولنذكر البعض من علماء الجزائر وكبار ادبائها في هذا العصر المشترك بين الرستميين والاغالبة ، فمن علماء الدولة الرستمية المحدث الاكبر سيدي ابراهيم بن عبد الرحمن التنسي المالكي ، وقد اخذ العلم عن ابي علي القالي صاحب « الامالي » الشهيرة، واشتهر من علماء غير الاباضية في ذلك العصر قاسم بن عبد الرحمن وزكرياء بن بكر، واشتهر من الادباء ابن الهرمة، وكان ظريفا فصيحا جيد الشعر، لا يزال الى هذا اليوم مضرب المثل في بلادنا بكلمة « ابن الهرمة » تقال اليوم لكل من يجيد النقد و يحسن الفكاهة و يحذق الادب ،

اما علماء الاباضية فقد نبغ منهم الكثير، ومن اشهرهم ابو عثمان سعد بن ابي يونس وقد بلغ مبلغا عظيما من العلم والفضل ، والقاضي محمد بن عبد الله بن الشيخ ومن اعظم شعراء الدولة الرستمية بكر بن حماد ، واحمد بن الفتح بن خزاز ، ولقد توفي بكر بن حماد سنة ٢٩٦ وكان كثير القول في الحكم والزهديات .

هذا ولا يسوغ ان ننسى ذكر بعض عظماء ملوك الرستميين الذين جمعوا الى صولجان الدولة امارة القلم والبيان وكيف ننسى مؤلف كتاب « نفوسة الجبل » الذي يعتبر عمدة في المذهب الاباضي ، وهو الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ثم ابنه الامام افلح بن عبد الوهاب .

واقد بلغ التسامح الديني في دولة بني رستم مبلغا سمح لليهود بمزاولة العلم كالمسلمين والتبحر فيه . حتى نبغ من بينهم يهوذا ابن قريش الذي ترك كتابا عجيبا لا يزال الى اليوم موجودا بمكتبة اكسفورد وقد نظر في كتابه هذا بين العربية والعبرية والبربرية واثبت ان اصلها واحد ، وكان يتقن تلك اللغات الثلاث علاوة على الفارسية، فكان هذا اليهودى التيهرتي او ل واضع لعلم النحو التنظيرى .

اما بجهة الزاب فكنا نرى امثال العلامة الاشهر احمد بن علي بن احمد البغاتي، وقد تعلم بالزاب ثم بالقيروان وسافر سنة ٣٧٦ الى الاندلس فانتصب للتدريس بمسجد قرطبة الاعظم واشتهر امره بين الناس وقربه الامراء .

ومنهم بلقاسم بن علي بن خويلد البسكرى وكان من علماء العربية متبحرا فى النحو له درس يحضره علية القوم .

اما مدينة طبنة التي كانت عاصمة الزاب الاغلبي فقد اشتهرت فيها طبقة من اعظم المحدثين ؛ امثال علي بن منصور ، وابي محمد القاسم وابي الفضل عطية .

ايام السلطة الفاطمية

وطد رجال الشيعة الفاطميون سلطانهم على كامل البلاد الجزائرية كما نصبوه على كل بلاد المغرب وتونس ، وحطموا آثار المدنية الرستمية ؛ الا ان ايام الفاطميين كانت ايام علم وبحث ودرس ، حتى اصبحت البلاد تكاد تنافس بلاد الاندلس . ونبغ فيها من الافذاذ العلماء من رفع اسم البلاد عاليا ، منهم العلامة دونش بن تميم الطبيب الفيلسوف اللغوى ، وقد سار على خطة يهوذا بن قريش والف في اصول اللغتين العربية والعبرية ، واشتهر علم الجغرافيا وانتشر فألف فيه محمد بن الوراق كتابه العظيم يصف به خطط المغرب كله — تونس والجزائر والمغرب الاقصى — . ونال التاريخ حظوة كبرى ، اذ اشتهر العلامة الاكبر الطبيب

أحمد بن الجزار بحفظه تاريخ البلاد وتدوينه لحوادث سقوط الدولة الاغلبيـة وقيام الدولة الفاطمية ، كما اشتهر بابحاثه في علم النبات وعلم الحجارة .

ولما نشأت الاسرة الحمدونية بمسيلة ، نشأت معها بتلك المدينة حضارة علمية ادبية ، ونبغ من ابنائها الكثير ، واصبحت المسيلة وسطا من ارقى الاوساط الافريقية ، ولقد أمها ابن هانيء ايام جعفر بن علي فنال من عطاء امير مسيلة ما انطق لسانه بهذه الابيات يخاطبه بها :

وما الجود شيء كان قبلك سابقا * بل الجود امر في زمانك حادث
تبسمت الايـام عنك ضواحـكا * كما ابتسمت حر الريـاش الدمائث
وسدت ثغور الملك بعد انثلامها * وقد اظلمت تلك الخطوب الكوارث
فما زال في بحبوحة الملك زائدا * ولا عاث في عريسة الليل عائـث

في دولة بـني حمـاد

سدت دولة بني حماد ، بالقلعة اولا ، و بجاية اخيرا ، سلطانها على كامل البلاد الجزائرية ، وورثت كل ما ابقته العصور السالفة ، عصور الرستميين والاغالبة والفاطميين من مدنية وعلوم وآداب ، فكونت دولة بربرية دينها الاسلام ، ولغتها العربية ، وقد نالت الدولة رقيا ماديا محسوسا ، الا ان رقيهـا الادبي والعلمي لم يكن دون ذلك .

فكان من امراء بني حماد انفسهم من نبغ في العلم والادب ، ونطق بالشعر فابدع وكانت الاوساط العلمية راقية قبلهم فزادوها رقيا وانتشارا ، وانشأوا المدارس الكثيرة ، واغرموا بجمع مجالس المناظرة ، وامهم العلماء والشعراء من كل مكان .

وممن اشتهر ونبغ من ابناء القلعة ، قلعة بني حماد ابو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي وقد اخذ على علماء بجاية وغيرها ونبغ في الشعر والتاريخ ، وهو مؤلف « نبذة المحتاجة

في تاريخ صنهاجة » واشتهر كذلك ابن حماد المؤرخ ، ومطرف بن علي بن حمدون العالم الفقيه ، وابو الحسن علي بن شكر القلعي ، وابن عفراء النحوي اللغوي الشهير ، وهو محمد بن محمد بن عبد العزيز ، وابن الرماح محمد بن عبد المعطي العلامة الديني الشهير .

ولقد قامت العربية بدور حاسم في بلاد الجزائر اثناء الدولة الحمادية ، و ذلك اثر هجرة الاعراب الهلاليين الى افريقيا ، واستقرار قبائلهم القويه العتيدة في مختلف سهولها وهضابها ، ذلك ان العربية كانت لغة بحث ودرس ، كانت لغة الطبقة الراقية ، اما البربرية فقد كانت اللغة العامة العائلية التي يتكلمها القوم اجمعون ، وكان العرب في البلاد اقلية ضئيلة جدا ، لا تستطيع ان تطبع البلاد بطابع عربي متين ، فلما كانت هجرة بني هلال تغيرت الوضعية العربيه في البلاد ، وتعزز امرها باستقرار تلك القبائل العتيدة ، فاخذت عندئذ الاخلاق العربية تنتشر ، واللغة العربية تعم ، واخذ البربر يستعربون الى ان اندمج الكثير منهم نهائيا في الكتلة العربية . في ذلك اليوم و بواسطة ذلك الحادث العظيم اخذت البلاد الجزائرية صبغتها النهائية ، واصبحت البربرية فيها محصورة في مناطق جبلية ضيقة لا تتعداها ، وان كان البربر في مناطقهم هذه قد اخذوا الدين بصفة متينة وكثيرا من العربية بصفة نهائية .

زد الى ذلك عاملا آخر غير صبغة الجزائر في عصر الحماديين بصفة ادبية وفنية وهو عامل الهجرة الاسلامية من صقلية والاندلس ، فقد وردت وفود اللاجئين من الناحيتين تحمل معها علومها وآدابها ، وفنونها وصناعاتها ومدنيتها الراقية ، فهضمت الجزائر كل ذلك في جسمها الخالد .

انتصب للتدريس بمسجد بجاية الجامع محمد بن محمد بن احمد الاموي الذي هاجر مرسية ، وكان علامة زمانه في علوم الطب والرياضيات ، وكذلك احمد بن خالد المهاجر من مالقة ، والذي كان يحمل بين صدغيه قاموسا محيطا من العلوم الدينية والدنيوية ، كما انتصب للتدريس ونفع الناس عبد الله الحضرمي القرطبي وكان من

فطاحل الادب ومن رواة الحديث الثقاة ، وكان عبد الحق الازدي الاشبيلي قد ولي الامامة والخطابة بمسجد بجاية وجلس للتدريس واعتكف للتصنيف ، ثم قدم الشاعر المفلق والاديب الكبير محمد بن الابار وقد الف كتابا نفيسا في تاريخ المغرب واتصل بالمستنصر بالله الحفصي بطل الحرب الصليبية . وانتصب غير هؤلاء الاعلام كثير بمدينة الجزائر التي اصبحت دار علم وادب ، وبقسنطينة وغيرها من مدن الجزائر اما رجال الفن والصناعات فقد توزعوا كذلك بين اغلب المدن الكبيرة وتركوا الى يومنا هذا آثارهم التي لا تفنى.

ومما يجدر بالذكر ها هنا انه بينما كانت الحضارة زاهرة فى هذا العهد في شمال الجزائر كانت بلاد الجنوب تضرب فيها بسهم صائب فلقد غصت فيه بلاد سوف واريغ ووارجلان برجال العلم والادب حتى اصبحت كعبة القصاد لرجال الاباضية بعد انقراض دولة بني رستم ، ومن العلماء المبرزين فى هذا العهد العالم الشهير والمصلح الكبير الشيخ ابو عبد الله محمد بن بكر النفوسي فقد وفد من نفوسة اليها لمشروع اصلاحي كبير بعد ما حصل على العلوم العقلية والنقلية في نفوسة والقيروان وكان من حكماء اهل زمانه . ومما يؤثر عنه قوله لبعض تلامذته عند وداعه « ان وجدت من تقدم فى الامور فاتبعه والا فان وجدت من تتعاون معه فتعاونوا على البر والتقوى والا فان وجدت من يقتدي بك فكن اماما والا فالزم الطريق وحدك وجانب الناس » وقوله : مثل الجماعة كالخشبة والمستأثر برأيه كالوتد يضرب في وسطها « وهو عند الاباضية امام عصره واليه المرجع عند المدلهمات وقد زار جبال بني مصعب « وادي ميزاب » موفدا من قبل رجال وارجلان ووادي ريغ في اوائل القرن الخامس واليه يرجع الفضل فى تدوين النظام الاجتماعى بوادي ميزاب على ما سياتي . وقد توفي رحمه الله فى سنة ٤٤٠

ومن الافذاذ المعدودين في هذا العهد بوارجلان ولده العلامة الجليل الشيخ ابو العباس احمد بن الشيخ محمد بن بكر فقد كان طود زمانه في علوم الشريعة

تشهد له آثاره القيمة فمن ذلك كتابه فى اصول الارضين فى ٦ اجزاء وكتابه « السيرة » فى الدماء « احكام الحرب » وكتابه « الجامع » المسمى بابي مسألة وكتابه « القسمة » وكتابه « تبيين افعال العبد » فى علم النفس في ٣ اجزاء وكتاب الالواح وهذه الكتب كلها لم تزل الى الآن عمدة المذهب الاباضي . وقد توفي رحمه الله في ذي الحجة سنة ٥٠٤

دولة الموحدين

وجد عبد المؤمن بن علي عند فتحه الجزائر وسطا علميا راقيا وانتشارا للعلوم غريبا ؛ ومن هو عبد المؤمن بن علي ؟ اليس جزائريا من ندرومة ؟ واين تلقى علومه وتعرف بالمهدي ابن تومرت ؟ اليس بناحية بجاية؟

ولقد ذكر الغبريني في كتابه عنوان الدراية اخبارا جليلة عن حالة العلم والعلماء ومجالسهم في ذلك الوسط الراق وكيف كانوا يتناظرون في منتديات لهم ؛ وكان لهم ناد صغير يسمى « مدينة العلم » هو عبارة عن دكان يجتمع فيه امثال ابو علي المسيلي وعبد الحق الاشبيلي واضرابهما للمجادلة الحسنة وللتحقيق والتدقيق .

ولم يكن فى عصر الموحدين ، كما لم يكن في عصر بني حماد مسجد في مدينة خاليا من المدرسين ؛ او حارة فى مدينة لا تجد فيها الكتاتيب والمؤدبين ؛ فكان التعليم بكل درجاته موجودا عاما مجانيا .

اما الشعر فقد تطور في الجزائر يومئذ بعاملين . عامل الهجرة الاندلسية التى اتت بطائفة من الشعراء الذين ادخلوا فن الموشحات للبلاد ؛ وعامل الهجرة الاعرابية التى كونت في ارض الجزائر شعرا عاميا عربيا وهو الذي نسميه بالشعر الملحون وقد حوى ذلك الشعر الحيّ آيات بينات من الحكمة والاحساس ويكتسي احيانا روعة وجمالا لانظير لهما .

ولقد نبغ في الشعر العربي في هذا العصر افذاذ يشار اليهم بالبنان ؛ منهم محمد الجزائري ، ومنهم حسن بن القفون ؛ ومنهم ابن عمارة الشريف الذي نبغ في نظم الموشحات ، ومنهم السيدة عائشة بنت ابن عمارة الشريف وكانت فريدة عصرها في الادب واللطف والمعرفة ،متوقدة الذكاء ؛ كان تقدم لخطبتها اديب اصلع الرأس بشع الخلقة فقالت فيه :

عـذيري مـن عـاشق اصـلع * قبيـح الاشـارة والمنـزع
يرم الـزواج بمـا لـواتى * يـرم به الصفع لم يصفع
برأس حـويج الى كيـة * ووجـه فقير الى برقـع

وكان عصر الموحدين بالجزائر عصر علم ودراسة ؛ اضمحلت فيه دولة بني حماد انما ازدادت فيه الحركة العلمية قوة وانتشارا .

وممن نبغ في هذا العهد بالجنوب الجزائري العلامة الجليل المتكلم الضليع الشيخ ابو عمار عبد الكافي التناوتي الوارجلاني، ارتحل الى تونس واقام بها مدة طويلة حصل فيها على العلوم النقلية والعقلية بعد ما حصل ببلده على جانب وافر من علـوم الشريعة وله تصانيف ممتعة نفيسة منها كـتاب الموجـز فى علـم الـكلام فى جـزءين وشرح الجهالات فى الكلام وكتاب الاستطاعة وكتاب الفرائض .

ومما يروى عنه قوله فى شأن الفتنة « اذا وقعت فتنة بين المؤمنين فالاحب الي الصلح والا فلا تغلب فئة على فئة ومن احب ان تغلب احداهما الاخرى فقد دخـل فى الفتنة ولزمه ما لزم اهل تلك الفتنة وكان سيفه يقطر دما وان لم يكن اذا كانتا باغيتين »

ومما يحكى عنه فى اخلاقه قول بعض زملائه التلامذة بتونس « انه عجيب الفهم كثير النقل سخي النفس ملء الكف شديد الورع واسع الخلق لم نر مثله من العجم ولا من العرب »

ومن نبغاء الشمال الافريقي على الاطلاق وعلمائه الافذاذ في هذا العهـد البحر الزاخر العلامة الشيخ ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني فقد حصـل على علوم

الشريعة بوارجلان عن شيخه العلامة ابي عمار المذكور ثم ارتحل الى الاندلس فاقام بجامعة قرطبة زمانا حصل فيها على جميع العلوم العقلية والرياضيـة من النحو والصرف والبلاغة والمنطق والحساب والهندسة والفلك فرجع الى وطنه وهو مملوء الوطاب فانكب على التدريس والتأليف ولازم داره سبع سنين لـذلك بلا كلل ولا فتور فابرز من المؤلفات القيمة الطافحة في سائر الفنون ما يشهد له بالتضلع منها كتابه «الدليل والبرهان» في الكلام ومبادي المنطق والهندسة في ٣ اجزاء وكتاب «مرج البحرين» وكتاب «العدل» في اصول الفقه في ٣ اجزاء وترتيب مسند الربيع بن حبيب وكتاب في التفسير كبير في ٧٠ جزء وهذا لم تبق عليه يد الفتن الا في بطون الدفاتر ويقال انه يوجد الجزء الاول منه بخزينة روما . وله فيما قيل لنا كتاب ممتع في التاريخ يسمى «فتوح المغرب» وهو يوجد بخزائن المانيا وقام برحلات عجيبة الى السودان لاكتشاف مجاهل افريقيا وخط الاستواء والى الحجاز وله في الاخيرة قصيدة بديعة تحتوي على نحو ٣٥٠ بيتا وتوفي رحمه الله في ٥٧٠

وغيرهم من هؤلاء الافذاذ كثير في هذا العهد وما قبله وما بعده بهذه البلاد وقد بلغنا ان حضرة الكاتب البارع الشيخ ابراهيم بن صالح الوارجلاني في صدد تصنيف كتاب يشمل تاريخ هاتيك البلاد الخصبة بفطاحل العلماء وسيزف للطبع عما قريب كلل الله مساعيه بالنجاح

عصر المدنية الزيانية

شاد بنو زيان ملكهم المتين في تلمسان وكان الوسط الجزائري كله راقيا رقيا علميا ادبيا ، فورثت الدولة الزيانية ما ابقاه ملوك بني حماد ومن قبلهم ورجال الدولة الموحدية وانتقل مركز الثقافة والعلم والادب والحضارة المدنية كلها من بجاية الى تلمسان ؛ فاصبحت هذه المدينة تضاهي في سمعتها القاهرة وبغداد وقرطبة ، واجتمع فيها من رجال العلم والادب والفن ما لم يجتمع قبلها ولا

بعدها في حاضرة جزائرية ؛ وترقى وسطها الصناعي والتجاري رقيا لامثيل له في عصره وكان اهلها كما قال عنهم يحيى بن خلدون في كتابه الشهير «بغية الرواد» ناسا اخيارا ، اولي حياء ووقار ووفاء بالعهد وعفاف ودين واقتصاد في المعاش واللباس والسكنى على هدي السلف الصالح رضي الله عنه .

وقد بالغ امراء بني زيان وامراء بنى مرين في المدة التى حكموا فيها تلمسان في تشييد المدارس الانيقة التى لايزال اكثرها قائما الى يومنا هذا يشهد لتلك المدنية بالعلو والعظمة ، ورتبوا لها المدرسين يتلقى الطلبة عنهم العلوم العقلية والدنيوية والرياضية ؛ اما دروس المساجد فقد كانت خاصة بالعلوم الدينية القرآنية وتمتاز المدرسة عن المسجد بكونها تحوي اماكن للطلبة يستقرون فيها مدة مزاولتهم للعلم لا يفكرون في امر مسكن ولا ملبس ولا مأكل ، بل يجدون هنالك كل ما تحتاج اليه حياتهم مما يجود به الامراء والفضلاء والاعيان . وانتشرت هذه المدارس في كل انحاء القطر الجزائري ونبغ منها رجال يشار اليهم بالبنان. ولقد افرد يحيى بن خلدون قسما من كتابه « بغية الرواد » لذكر علماء المملكة ؛ وخص محمد بن مريم المذيوني كتابه « البستان » لتراجم علماء الدولة التلمسانية . والف التنسي كتابه « الدر والعقيان » في ذلك المعنى .واتى جميعهم على ذكر طبقات من العلماء الاعلام والفطاحل العظام ما شهد للمؤرخين الجزائريين بطول الباع وسعة الاطلاع ؛ فممن اشتهر وذاع صيته في علوم الدين وتفسير القرآن الكريم : محمد بن مرزوق بن الحاج التلمساني — ومحمد بن محمد القرشي — واحمد بن يحيى الونشريسي — واحمد بن محمد بن زكري — ومحمد السنوسي — واحمد الجزائري — وابو الربيع سليمان بن عبد الرحمن بن المعز الصنهاجي — وعلامة الجزائر الاكبر الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي المتوفى سنة ٨٧٥ صاحب الجواهر الحسان في تفسير القرآن . والعلامة محمد المغيلي صاحب البدر المنير في التفسير .

وممن اشتهر من اصحاب الطبقات احمد الغبريني الذي خلد في كتابه « عنوان

الدراية » ذكر علماء بجاية في المائة السابعة ؛ وتوفي سنة ٧١٤ . واحمد بن يحيى صاحب وفيات الونشريسي؛ وابن قنفذ وقد جمع وفيات جزيلة الاهمية ، وقد كان ولي قضاء قسنطينة تحت سلطة الدولة الحفصية ، والف كتابه : « الفارسية في مبادي الدولة الحفصية » وممن كتبوا مثله في التاريخ المعاصر ، محمد بن عبد الله التنسي ، صاحب « نظم الدر والعقيان » ، ويحيى بن خلدون اخو عبد الرحمن بن خلدون المؤرخ الاكبر؛ وقد الف يحيى « بغية الرواد ، في ذكر الملوك من بني عبد الواد » وهو اليوم اعظم وثيقة تاريخية لدينا عن ذلك العصر .

والف الكثير من الجزائريين في علوم الفلك والهيأة ؛ منهم القلصادي ، وابن قنفذ ومحمد الحباك ؛ اما علوم الحساب والجبر والفرائض فقد نالت عناية خاصة ؛ وكثرت بها المصنفات والمؤلفات ؛فهنالك تاليف في الجبر والمقابلة للشيخ محمد السنوسي؛ وتاليف للقلصادي اسمه كشف الجلباب عن علم الحساب،وله كذلك كتاب اسمه « قانون الحساب » ، ولابن قنفذ قاضي قسنطينة « بغية الفارض في الحساب والفرائض » ، واشهرهم ابن الفحام المهندس المبدع الذي صنع « المنجانة » الشهيرة في تلمسان ،فكانت اعجوبة الزمان؛ ولولا اننا نصدق يحيى بن خلدون لقلنا ان في وصفه لها مبالغة فهو يقول فيها في بغية الرواد ما نصه .

«وخزانة المنجانة ذات تماثيل اللجين المحكمة ؛ قائمة المصنع، باعلاها ايكة تحمل طائرا فرخاه تحت جناحيه ويخاتله فيهما ارقم خارج من كوة بحذو الايكة ،

وبصدرها ابواب موجفة عدد ساعات الليل الزمانية يصاقب طرفيها بابان موجفان اطول من الاولى واعرض ؛ فوق جميعها ودوين رأس الخزانة قمر اكمل يسير على خط استواء سير نظيره في الفلك ويسامت اول كل ساعة بابها المرتج فينقض من البابين الكبيرين عقابان بفم كل منهما صنجة صفر ؛ يلقيها الى طست من الصفر (النحاس) مجوف يوسطه ثقب يفضي به الى داخل الخزانة فيرن وينهش الارقم احد الفرخين ؛ فيصفر له ابوه ؛ فهنالك يفتح باب الساعة الراهنة وتبرز منه جارية محتزمة

كاظرف ما انت راء ، بيمناها ادبارة فيها اسم ساعتها منظوما ويسراها موضوعة على فمها كالمبايعة بالخلافة لامير المؤمنين . ونال ابن الفحام جراية سنوية قدرها الف دينار جزاء اختراعه العجيب

اما الشعرفقد نال حظوة كبرى وانتشر انتشارا عظيما ، ونبغ من الادباء نبراس الجزائر المنير الكاتب الشاعر المؤرخ « المقري التلمساني » صاحب اعظم ديوان للادب الاندلسي المسمى نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب ؛ والشاعر ابن الخطيب , وقد املى هذا الكتاب املاء دون احتياج الى مفكرة او مذكرة ؛ فكان كتابه كما قال امير البيان وسيد كتاب العرب ومفكريهم في هذا الاوان شكيب ارسلان : اعظم ما املته حافظة بين لحفين . واشتهر كذلك ونبغ فى الشعر الحاج ابوعبدالله محمد بن جمعة التلالسي التلمساني وابن خميس وقد نظم الشيء الكثير من الشعر المحلي الذي يصور اجمل تصوير الحالة الحاضرة في زمانه . وبالجملة فان الرقي العلمي والادبي والفني الذي بلغته الجزائر ايام دولة بنى زيان كان قد بلغ اسمى درجة واعظم مقام .

عصر الدولة التركية

لم تخمد الحركة العلمية في هذا العصر ولم يقف دولاب العلم والتعليم في اي ناحية من نواحي البلاد ، بل كان الكثير من فضلاء الاتراك واعيانهم ينشطون العلم والمتعلمين بما حبسوه على تلك المشاريع من الاوقاف الغنية ذات الريع الكبير.

انما امتاز هذا العصر في الجزائر - كما كان الحال في العالم الاسلامي كله - بامرين كبيري الاهمية ؛ اولهما الجمود الفكري ، بحيث اعتكف العلماء والمتعلمون على العلوم النقلية تاركين العقل جانبا ، قال احد علماء ذلك العصر المعدودين ؛ وهو عبد القادر الراشدي الذي له تاليف في علم الاجتهاد والاصول:

خبـرا عني المؤول بـاني * كافر بالـذي قضته العقـول
ما قضته العقول ليس من الديـ * ـن انما الدين ما حوته النقول

وثاني الامرين هو اشتداد نفوذ المرابطين وانتشار امر الولاية والصـلاح والزهد والتصوف ؛ فاخذ الناس يقبلون على الطرق الصوفية جموعا ، واخذت هـذه تنتظم وتعمر زواياها، وكانت تلك الزوايا في اغلب الاحيان تتلقى من المريدين النذور وتنفق قسما كبيرا من ذلـك على الطلبة الذين يستقرون بـالزاوية لتعلم القرآن والعـلوم الدينية فلا يبرحونها حتى تتم معلوماتهم ؛ ويقوم رجـال الزاوية بكل مـا يلزم اوليك المجاورين ولاتزال الى يومنا هـذا كثير من الزوايا تقوم بهذا العمل مثـل زاوية طولقة وزاوية الهامل ببوسعادة وزاوية بني منصور وزاوية سيدي اليلولي ببلاد القبائل

بفضل الزوايا في ذلك العهد وبفضل الكتاتيب القرآنية التى انتشرت فى المـدن والقرى انتشارا لانظير له وبفضل الدروس التى يقوم بها علماء اعلام في اغلب المساجد بكل المدن الجزائرية ، انتشر العلم بين الطبقات الساقية وقلت الامية بين الطبقـات الوسطى والعاملة ؛ وكانت الحياة يومئذ تساعد على هذا الاقبال على العلم ؛ لان الحياة كانت بسيطة هينة لااتعاب فيها ، والناس يملكون كلهم ارضهم وديـارهم ؛ فلم تكن ترى هنالك من طبقات كبيرة معدمة مملقة ؛ تهمل حياتها المعنوية فى سبيل القوت .

نبغ في الجزائر ثلة من العلماء الاعلام في ذلك العصر ؛ نالوا فى الاوسـاط الاهلية والحكومية كل اعتبار ، وافادوا كثيرا .

فممن نبغ فى القرن الحادي عشر الشيخ ابو مهـدى عيسى بن محمد الثعالبي المتوفي سنة ١٠٨٠ والنحوي الشهير امير الحاج الجزائري الشيخ محمـد بن عبـد الكريم الفكون القسنطيني (١٠٧١) ويحيى ابن صالح الشاوي الملياني العلامة الفقيه الذى تولى الافتاء في مليانة وناظر علماء دمشق الشام في المسجد الاموي فظهر عليهم وله تآليف عديدة (١٠٩٦) والعلامة سعيد المقري الذي انتصب مفتيا بتلمسان مدة ستين عاما ونفع بعلومه المتدفقة جما غفيرا من الطلبة (١٠١٠) .

وممن نبغ في القرن الثاني عشر الشيخ عبد القادر الراشدي المذكور آنفا (١١١٠) وسيدي احمد بن عمار الجزائري مفتي مدينة الجزائر ومدرسها ؛ وله شعر رقيق من فن الموشحات منه قوله يتشوق للرسول الاعظم ويحن الى بلاد الحجاز :

يانسيما بات من زهر الربى	*	يقتفي الركبان
احملن مني سلاما عاطرا	*	لاهيل البان
اقرأن مني سلاما عبقا	*	ان بدت نجد
ان لي قلبا اليها شيقا	*	شفه وجد
وفؤادي يجتنيها حرقا	*	وضني يعدو

وتوفي سنة ١١٨٥ . والبحاثة الجليل المؤرخ محمد بن الطيب القادري مؤلف نشر المثاني لاهل القرن الحادي والثاني (١١٨٧)

ولعل أعظم من اشتهر من علماء ذلك القرن بالجزائر ، سيدي عمر بن محمد المنقلاتي القبائلي المتوفى سنة ١١٠٥ ؛ كان بحرا عميقا من العلم والفضل والتقوى ؛ تخرج عليه في الجزائر طلبة علماء لا يشق غبارهم ، منهم العلامة ابن زاكور صاحب نشر ازاهر البستان . ولقد اجاز العلامة المنقلاتي تلميذه ابن زاكور في رواية العلم عنه ؛ واعطاه بذلك وثيقة ذات أهمية تدلنا على حالة العلم والتدريس في ذلك العصر. قال المنقلاتي : « وكنت قرأت على مشائخ جلة اعلام ؛ ومن اجلهم عندي سيدي ومولاي الذي لازمته اربع عشرة سنة نهارا وليلا في غالب الاوقات ابو الحسن علي ابن عبد الواحد السجلماسي الانصاري قدس الله روحه في دار النعيم ؛ مع جماعة من الطلبة الاخيار والنجباء الابرار ؛ اخذت عنه في الاصول والبيان والمنطق ومصطلح الحديث والفقه والحديث والسير والتصوف . ففي الاصول قرأنا جمع الجوامع مرارا ؛ ومختصر ابن الحاجب نصفه ، وفي البيان تلخيص المفتاح مرارا ؛ وفي المنطق الجمل للخونجي مرارا ؛ ومختصر الشيخ السنوسي ونظم الشيخ سيدي عبد الرحمن الاخضري ؛ وفي المصطلح الفية العراقي مرارا وجملة من كتب السير ، وفي الحديث صحيح البخاري

ومختصر خليل في الفقه ، ونظم ابن عاصم في الاحكام ، كما قرأنا كتاب الشفا للقاضي عياض مع البردة للامام البوصيري في مدح النبيء صلى الله عليه وسلم ، والسينية وعقائد الشيخ السنوسي قراءة ضبط وتحقيق .

وكنت اخذت من غيره من المشائخ من اعظمهم واولاهم شيخ الاسلام سيدي سعيد بن ابراهيم الجزائري امام الجامع الاعظم ؛ نفع الله به ونفعه بعلومه واسكنه بحبوحة الجنان ، الحديث والفقه والنحو وشيئا من التصوف كالحكم لابن عطاء الله والتنوير وعن غيره الحساب والفرائض وشيئا من علم الوقت ، واخذت عن غير من ذكر الخزرجية بشرحها للشريف الغرناطي ، واقراتها للطلبة ما ينيف عن اربعين ختمة كما اخذت لامية ابن مالك في التصريف ,كل ذلك بجد واجتهاد مع التفرغ والاشتغال بالعلوم وهم رضي الله عنهم اخذوا ذلك عن مشائخ جلة من اعيان المغرب والمشرق قراءة واجازة واعلاما وهاانا اكملت غرضه (اي ابن زاكور) واذنت له ان يروي ذلك عني ؛ بشرطه عمن رويته عنه ؛ والله مع هذا ما ظننت انني في هذه الطبقة ولكن خلت الديار فسدت غير مسود « الخ .

وممن نبغ في هذا العهد بجنوب الجزائر علامة المعقول والمنقول نابغة عصره المحقق ضياء الدين الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم الثميني من بني يزقن بوادي ميزاب فقد كان مجدد النهضة العلمية في ذلك العصر بهاتيك البلاد و تصانيفه القيمة الثمينة تشهد له بالتضلع وغزارة العلم فمن ذلك كتاب « النيل » وهو من احسن المتون المدونة في الفقه الاسلامي ومكارم الاخلاق وهو عمدة المذهب الاباضي في العبادات والمعاملات بمثابة مختصر خليل في المذهب المالكي وكتاب « تعاظم الموجين على مرج البحرين » في الفلسفة والمنطق وكتاب « معالم الدين » في علم الكلام واصول الدين و « مختصر المنهاج » في علوم الشريعة في ٤ اجزاء و « الورد البسام في رياض الاحكام » و « عقد الجواهر مختصر القناطر » و « المصباح » مختصر ابي مسالة و الالواح في الفقه وعلم النفس ومختصر حاشية المسند في الحديث وتكملة النيل و « مختصر اصول الارضين وكتاب

حقوق الازواج وهو اعظم كتاب جمع من النظام العائلي والحقوق الزوجية مالا يفتقر الى سواه وشرح النونية في الكلام وشرح الرائية في الصلاة وقد امتاز في كتاباته بحسن التعبير وارق اسلوب التاليف في ذلك العهد وكان ممتازا بالشمم وعزة النفس والكد والنشاط و قد تولى الرئاسة العامة بوادى ميزاب وسلك بالشعب مسلك الاصلاح والارشاد وتوفى رحمه الله ورضي عنه عن تسعين سنة في عشية السبت ١١ رجب ١٢٢٣ .

وممن نبغ فى القرن الثالث عشر قبل الاحتلال الخطيب المصقع والعالم الجليل نبراس اهل زمانه محمد بن المسبح القسنطيني مفتي الحنفية بقسنطينة ، وتلميذ شيخ الاسلام ابي الحسن الونيسي (١٢٤٢) وسيدى محمد بن عبد الملك الراشدى مفتي المالكية بالعاصمة (١٢٣٣) وسيدى محمد بن رجب الجزائرى الذى الف كتابا في معالجة امراض الوباء وطرق الوقاية منها (١٢٢٠)

ولا ننسى الامير عبد القادر الهاشمي فانه ولد سنة ١٢٢٢ ونبغ في العلوم والفنون وانطلق لسانه بالشعر الفحل والكلام الفصيح . ولا ننسى كذلك العلامة الاجل سيدى ابن الكبابطي مفتي المالكية بالعاصمة وسيدى محمد العنابي مفتي الحنفية بها ، وقد وقع الاحتلال فى عهدهما ، وكانا من جلة العلماء الذين لا يخافون في سبيل الحق لومة لائم ، فنالهما الاذى فى سبيل الله. والكاتب النابغة والوطني الجرىء سيدى حمدان عثمان خوجة الذى الف كتاب « المرآة » باللغة الفرنسية للدفاع عن المسلمين الجزائريين اثر الاحتلال .

واشتهر في ذلك العصر بالاغواط قبل خرابها ثلة من جلة العلماء العاملين ؛ اكبرهم محمد بن المشرى السائحي وله ثلاثة تآليف (١٢٢٤) . وسحنون بن الحاج احمد (١٢٣٣) واسماعيل بن الحاج عبد الرحمن (١٢٢١) والحاج محمد بن التومي ، (١٢٣٧)

عصر الاحتلال

استمرت العلوم تدرس في مختلف المساجد والزوايا ، الا ان الحالة العلمية قد لحقها ارتباك كبير من جراء وقائع الحرب واهوال الاحتلال ، وهجرة العلماء وتشتت كثير من اهل القبائل والقرى.

غير ان ذلك لم يمنع وجود ثلة من العلماء نبغت في هذا العصر وحافظت على علوم السلف وتقاليدهم رغم تلك الاعاصير ، اما المستوى العلمي العام فقد انحط من الناحية العربية انحطاطا كبيرا ، وذلك نتيجة لازمة لما وقع اثناء الاحتلال من الحروب الطويلة ، وارتحال عدة قبائل عن ارضها ، واشتداد الضيق ببعضها حتى لم تعد تفكر في العلم والتعليم ؛ بل اقتصر همها على تحصيل القوت فلم يحافظ على الحركة العلمية الاسلامية الا بعض المدرسين في المساجد وبعض الزوايا في جهات الجنوب وبلاد القبائل ؛ اما الكتاتيب القرانية فقد اخذت تتلاشى شيئا فشيئا الى ان اضمحلت من الوجود وحلت محلها المدارس الابتدائية الفرنسية التي لاتزال الى اليوم قليلة جدا بحيث انها لاتحوى من الطلبة الا نحو ٦٠ الفا من مجموع عدد الصبيان الذى هو نحو ٧٥٠ الفا ويتلقى اؤليك الصبيان تعليما لا ريح للدين والعربية فيه على ان الحكومة لم تفكر في نشر التعليم لصبيان الاهالي الا حوالي عام ١٨٨٠ فقط ا.ا قبل ذالك فقد كان الحبل ملقى على الغارب ورات الحكومة انها تحتاج الى ثلة من رجال الدين الاسلامي لتبوئ مناصب القضاء والافتاء والعدالة ؛ فاسست المدارس الرسمية الثلاث بالجزائر وقسنطينة وتلمسان وسياتي الكلام عليها .

نبغ في اوائل هذا العهد سيدى بالقاسم الجاجي الذى تلقى علومه بمعسكر واتمها بتلمسان ، واولاه الفرنسيون قضاء الاصنام (١٢٥٠) والعلامة الاكبر سيدى حميده العمالي مفتي العاصمة (١٢٩٣) وقد كان مدرسا بالمسجد الاعظم واخذ عنه عدد كبير من العلماء وكان يتوخى في دروسه التدقيق الغريب ، وسيدى عمار ابن شريط

القسنطيني المدرس المفتي (١٢٥٠) وسيدي محمد الشاذلي القسنطيني (١٢٨٠) واشتهر بالعلم والتدريس سيدي حسن ابريهمات الجزائري وكان متبحرا في علم العربية والتاريخ الاسلامي تولى ادارة المدرسة الرسمية فاحسن ادارتها وتخرج منها كثير من الطلبة (١٣٠١) ومنهم العلامة الاكبر الشيخ سيدي علي بن الحفاف مفتي العاصمة وهو من تلامذة العلامة التونسي الشيخ ابراهيم الرياحي ، وقد كان العلامة ابن الحفاف ينوي المهاجرة ، الا ان استاذه الرياحي نصحه بالبقاء قائلا « ان بقاء العالم للناس خير له من انتقاله لنفسه توفي رحمه الله سنة ١٣٠٧ والشيخ سيدي محمد الطيب بن بوداود الزواوي ؛ كان ممن نفع الناس بعلمه وايمانه واخذ عنه جماعة كبيرة من الطلبة (١٣٠٩) .

وآخر تلك الطبقة الشريفة هو سيدي محمد بن عبد الرحمن الذي تلقى كثر علومه بزاوية الهامل ، وله مؤلفات عديدة وابحاث سديدة توفي رحمه الله في سنة ١٣٢٥

وممن شاع ذكره في هذا العهد وذاع صيته في هذا العصر نابغة الزمان ونادرة الاوان البحر الزاخر الشيخ محمد بن يوسف اطفيش في بني يزقن بوادي ميزاب فلقد كان من مجتهدي القرن الرابع عشر ومن اعظم علماء الاسلام على الاطلاق ولد رحمه الله في سنة ١٢٣٦ فكان منذ نعومة اظفاره شعلة من الذكاء وكتلة من النبوغ فقد اشتغل بالتدريس والتاليف قبل عشرين سنة من عمره فسر القرآن ثلاثا والف في التوحيد والحديث والفقه والاصول والبلاغة والنحو والصرف والمنطق والعروض والفلك والتاريخ والحساب والفرائض ، وقد تجاوزت تأليفه ثلاثمائة مصنف بين صغير وكبير من غير الاجوبة التي ترد عليه اسئلتها من جميع اقطار الاسلام مما لو جمع لبلغ مجلدات ضخمة وهو الذي امتاز بفك لغز الماء الذي عجز عنه فحول العلماء في قرون عديدة وقد كافأته فرنسا على ذلك بالنيشان العلمي كما اهداه سلاطين الاسلام نياشين الافتخار كعبد الحميد وسلطان زنجبار وسلطان عمان .

وقد كان رحمه الله شديد الشكيمة في دين الله لاتاخذه في الله لومة لائم وكان

آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر شديد الوطأة على البدع والخرافات ذا هيبة ووقار وسخاء واخلاص لله وتبتل محدثا ومروعا يلقي في روعه فيحدث فيقع ما حدث به ولا غرو فهو من اولياء الله .

وقد تبرز عنه علماء فحول من بينهم ذلك السرى الفخيم الشيخ سليمان باشا البارونى و فاضت روحه الى الرفيق الاعلى عند تنفس الفجر يوم السبت ٢٢ ربيع الثانى ١٣٣٢ فكانت خسارة الاسلام بموته عظيمة رحمه الله ورضى عنه .

وآخر من فقدناه من تلك الطبقة هو علامة عصره وفريد مصره المرحوم المبرور الشيخ سيدى محمد بن ابي الشنب صاحب المعلومات الواسعة والتآليف الجليلة والنشريات المفيدة توفاه الله سنة ١٣٤٨ .

العصر الاخير

ممكننا ان نسميه عصر النهضة العربية بالجزائر نبغ فيه العدد الكبير من الادباء والكتاب والعلماء منهم من تخرج من الكلية الزيتونية العامرة بتونس ، ومنهم من تخرج من المدارس الحكومية الثلاث ، ومنهم من ارتوى من مناهل المشرق كالازهر الشريف ومساجد الحجاز والشام . والكثير منهم لم يتلق علومه الا بالزوايا الصحراوية والقبائلية ولم تبق الجزائر الاسلامية في هذا العصر منعزلة عن العالم العربي ، فاصبحت متأثرة بكل الحركات العلمية والادبية العربية التى يحملها اليها الطلاب من مصر وتونس والتي تحملها اليها الكتب والصحف والمجلات الشرقية .

على ان انتشار الصحف العربية الجزائرية في سائر الاوساط رغم الضيق القانوني الشديد الذى يحيط بها ، قد ساعد على الانتشار العربية مساعدة عظيمة ، وجعل اللغة الفصحى تتوغل في مختلف الاوساط العامة وترقي اللغة الدارجة التي هي عربية محرفة بعض التحريف

ولقد اكتسحت هذه اللغة العامية كل البلاد فانحصرت اللغة البربرية في البلاد التى انحصرت فيها بقايا البربر امثال جبال زواوة وجبال اوراس على انك تجد نحو ٩٥ في المائة من سكان تلك الجبال يحسنون العربية الدارجة كما يتكلمون البربرية وكثير فيهم من يتقن العربية وعلومها كاحد ابنائها.

ويجب علينا ان نعترف بفضل وجميل المدارس العربية الثلاث التي اخرجت في قطر الجزائر طبقة من القضاة والعدول والوكلاء لايستهان بها ، ان لم تكن لهم معارف الاسلاف وتوسعهم في العلم و التحقيق ؛ فان لهم ملكة عربية اسلامية طيبة ولهم من الافكار الصحيحة والاطلاع ما يجعلهم في طليعة المتنورين بالقطر الجزائرى

ومن دلائل النهضة الحاضرة اقبال الناس فى المدن والقرى على تاسيس المدارس القرآنية ببرنامج عربي اسلامي واقبال الطلبة على تلك المدارس واناطة عهدة التدريس بها لجماعة من العلماء الفضلاء العاملين .

فان كانت العربية في بلاد الجزائر قد خسف بدرها حينا من الدهر ، فانها اليوم تعود الى سالف تألقها وستعود اكثر من ذلك فالامة التى تنتبه من سباتها وتنفض عنها غبار الخمول لاتترك لغتها تتلاشى ، ولاتترك الصلة بينها وبين اسلافها تنقطع ؛ فمستقبل الجزائر من هذه الناحية ايضا مستقبل زاهر جميل ؛واؤكد ، وستحقق الايام تاكيدى أن الجزائر ستغدو موطنا من اجل واجمل مواطن النهضة العربية ببلادنا المغربية .

ولا اريد ان أختم هذه الصفحات قبل ذكر البعض ممن نبغ فى هذا العصر الحديث وعمل صالحا في سبيل امته ولغته ودينه.

اذكر بكل اجلال واكبار صديقنا العلامة المحقق والمدرس الخبير السيد الاستاذ عبد الحميد بن باديس صاحب مجلة الشهاب والذى رابط بمسجد سيدى قموش بقسنطينة يقضى سحابة نهاره والهزيع الاكبر من الليل فى التدريس وبث انوار

الهداية واليقين بين الخواص والعوام ،فاحدث في قسنطينة وما جاورها نهضة علمية ادبية اينعت واتت ثمراتها .

واذكر صديقنا العلامة المبدع المحقق سيدى محمد البشير الابراهيمي ؛ وهو دائرة معارف عربية اسلامية حية كاتب مبدع ؛ وخطيب مصقع ،وشاعر بليغ .

واذكر ذلك الذى لايخاف في الله لومة لائم صديقنا العلامة الشيخ الطيب العقبي وهو يلقي اينما حل دروسا فى الدين الصحيح يهدي بها النـاس الى الطريق السوى ؛ ويقاوم البدع والمبتدعين بصلابة لانظير لها .

واذكر صاحبنا العلامة البحاثة ؛ المؤرخ الكبير والكاتب القدير صديقي الشيخ مبارك بن محمد الميلي وهو الذي قضى عمره في التدريس وتهيئة النشيء الجديد ، وعـانى معاناة لايعرف مقدارها الا من ذاقها في تاليفه كتابه الجليل « تاريخ الجزائر في القديم والحديث» وقداخرج الجزء الاول منه وبعد قليل سيخرج الجزءالثانى بحول الله .

واذا ذكرت الرجال بالاعمال فاني اذكر العـلامة الكبير الشيخ سيدىابا يعلى السعيد الزواوى ؛ اذكره بتاليفه القيم « الاسلام الصحيح » الذى نسف به الخرافات والاوهام في الافكار العامة ،واذكره باخراجه للخطب المنبرية من صبغتها التقليدية العتيقة الى صبغة قومية مفيدة فهو يخطب للعامة ارتجالا فى مواضيع اسلامية محلية مفيدة ويعتبر خطابه درسا بحيث لاينتهي منه الا وقد اعتقد ان كل من بمسجد «سيدى رمضان» من رجال ونسوة قد فهموا جيد الفهم خطابه ، واشهد انه قد كان لتلك الخطب الاثر الفعال في النفوس.

واذكر العلامة الجليل النابغ الشيخ سيدى ابراهيم آل يوسف اطفيش مؤلف كتاب «الدعـاية الى سبيل المؤمنين والنقد الجليل وغيرهما» وصاحب مجلة المنهاج الذائعة الصيت التي تطبع بمصر .

وابا سعيد عدون بن بكير الذى اخرج لنا باكورة اعماله « الارشادات الطبية في الامراض الجدرية » وهو من رجال المستقبل فى العلم والعمل .

واذكر كذلك صاحبنا العلامة الاشهر بقية السلف الصالح ورجال الهمة والعمل، مفتي العاصمة سيدى الشيخ محمد الحفناوى بن الشيخ امد الله في حياته فهو الذى الف كتابه العظيم الاهمية « تعريف الخلف برجال السلف » جمع فيه تراجم من اشتهر قديما وحديثا من رجال القطر الجزائرى فكان عمله مشكورا جليلا .

وممن اشتهر وذاع صيته بالكتابة العالية ذات الروح القوية ؛ صديقنا العلامة محمد العاصمي المجاهد بقلمه وبدروسه فى سبيل الامة والعروبة والاسلام ويعد اليوم في طليعة الكتاب بالقطر الجزائرى .

وكذلك صديقنا الفاضل البار الاكتب الجسور ابو اليقظان الحاج ابراهيم صاحب « وادى ميزاب » ثم « ميزاب » ثم « المغرب » المعطلة كلها والاديب الشيخ عبد الرحمان بن عمر والشيخ محمد الثميني رئيس البعثة العلمية المزابية وصاحب مكتبة الاستقامة بتونس

واذكر في عالم التاليف صديقنا الفاضل القاضى النزيه الشيخ سيدى عبد الله حشلاف قاضى مدينة الجلفة مؤلف كتاب « سلسلة الاصول فى شجرة ابناء الرسول » وفيه فوائد تاريخية جليلة .

ولا انسى العلماء الاجلة اصدقائي السادة الشيخ ابراهيم بيوض والسعيد اتجر والعربي ابن بلقاسم التبسي وبلقاسم بن محمد الاجساني الصدراتي وابن الشريف بن شريف الكساني والهادى الزروقى البجائي ومحمد النجار الحركاتي ومحمد الصائغي والمولود بن الصديق الحافظي وحمزة بكبوشة، وقد خصصوا حياتهم للنفع والتدريس كل في ناحية .

واني انما ذكرت هؤلاء السادة الابرار على سبيل النموذج فقط لا على سبيل التخصيص فارض الجزائر اليوم غنية ولله الحمد برجال من الكتاب الاحرار والمفكرين والمدرسين والعلماء العاملين بين رسميين وغير رسميين وذكر كل اسمائهم وتعديد خصالهم يخرج بنا عن المنطقة التى خصصناها في هذا البحث .

ولقد كان حظ الشعر فى هذه النهضة عظيما ونبغ في ارض الجزائر من الشعراء الفطاحل ما يكسبها فخرا وذكرا جميلا ، وان كانت الكتابة في الجزائر قد اصبحت

تضاهي في اسلوبها ورقتها وغناها كتابة المشارقة فان الشعر كذلك قد خرج عن منطقة الرثاء والمديح والتغزل ودخل الى الميدان القومي البحث ، فاصبحت الجزائر بذلك ذات ادب قومي خاص ؛ يمتاز بمتانته العربية وتصويره اصدق تصوير للوسط المقول فيـه .

ولله در اخينا الروحي الشاعر المجيد السيـد محمد الهادي السنوسي الذي اخرج لنا كتابا قيما في جزئين بديعين اسماه « شعراء الجزائر في العصر الحاضر » ترجم فيه لاغلب الشعراء الموجودين اليوم بالجزائر وذكر نتفا جليلة من بنات افكارهم .فقام بعمل جليل خلد اسم الجزائر في عالم التاريخ الادبي الحديث .

في طليعة اوليك الشعراء الشاعر الفحل الشيخ محمد السعيد الزاهري وشاعر الشباب الشيخ محمد العيد حم علي وقد نشر الاستاذ الشاعر الكبير ابو اليقظان ديوانه وبودنا لو يقتدي به بقية شعراء الجزائر الافذاذ امثال العلامة العقبي ومفدى زكريا واحمد الجنيد المكي واحمد كاتب بن الغزالي واحمد بن يحيى الاكحل وابراهيم بن بنوح امتياز وكشاجم الجزائر العمودي وخبشاش محمد الصالح ومحمد بن الحاج ابراهيم الطرابلسي ومحمود دويدة ومحمد بن بسكر والهادي السنوسي نفسه الذي الهاه جمع ديوان شعراء الجزائر عن جمع ديوان اشعاره البديعة .

ومحمد العزوزي حوحو وشاعر الفصيح و الملحون محمد عبابسة الاخضري .

فدواوين هؤلاء السادة الابرار تنشىء لنا صورة مدققة لحالة الجزائر اليوم .

هذا واني قد تحاشيت على قدر الامكان ذكر الشعراء الكبار والعلماء الاعلام من المتوظفين الرسميين خشية ان يحرجهم ذلك وفي المتوظفين الرسميين من قضاة ومدرسين ومفتين وغيرهم كنوز من العلوم والمعارف والآداب هي من الجزائر والى الجزائر وعلى رأسهم العلامة الجليل بقية السلف الصالح الشيخ سيدي محمد المولود بن الموهوب مفتي الديار القسنطينية واول من اشهر في ارض الجزائر حملة على البدع والخرافات وله في ذلك قصيدة عصماء مطبوعة ومشروحة .

وبعد فالجزائر اليوم تسير خطوات شاسعة في ميدان النهضة العربية الاسلامية وانها بعلمائها وكتابها وشعرائها ومدرسيها ورجال العمل فيها تهيء لنفسها مركزا متيكنا فى عالم النهضة العربية ، انما الخطوة التى بقي عليها ان تخطوها هي ان يشارك الشبان المتعلمون تعليما فرنسيا عصريا فى الآداب والعلوم العربية ، وان يشارك علماء العربية وكتابها وشعراؤها فى العلوم العصرية الحديثة حتى تتوحد الثقافة ويسير الفريقان يدا في يد في طريق واحدة وغاية الجميع رفعة شان الوطن ورفع الجزائر الخالدة الى اسمى مقام .



القسم الرابع

سكان الجزائر

العنصر البربري

من اين قدم العنصر البربري الى شمال افريقيا وما هي اصوله وانسابه ؟ اختلف المؤرخون والباحثون فى ذلك طرائق قددا وسار بعضهم مع الخيالات شوطا بعيدا . وتداخلت السياسة فى الموضوع فجنت على التاريخ جناية شنيعة ، واصبح بعض الكتاب الذين يريدون خدمة المطامع السياسية ولو طمست الحقائق التاريخية وصادمتها ، يدعون ان البربر من اصل جرماني او من اصل لاتيني وانهم هاجروا من اوربا الى افريقيا ؛ وليس لاصحاب هذا القول من مقصد الا التأثير على البربر وابعاد الاسيوية عنهم واقناعهم بانهم من اصل اوربي وانهم للاروبية وما يتبعها .... يجب ان يعودوا .

لكن التاريخ الحق لم يعدم انصارا باحثين ، ولم يعدم محققين يمحصونه ويأتون بالحق الصراح ولو كره المكابرون .

فابن خلدون يؤكد في تاريخه الشهير ، وهو النسابة الثقة الذي لولاه لما كنا نعرف عن البربر شيئا ، يؤكد لنا ان البربر كلهم من ابناء مازيغ بن كنعان بن حام وان اصلهم من جهات ما بين النهرين بآسيا ، وارتحلوا منذ ازمنة عتيقة جدا لشمال افريقيا اما خوفا واما طمعا ؛ كما ارتحل من بعد فى دولة الحماديين جماعة عظيمة من الاعراب من صحراء مصر الى شمال افريقيا فاستقروا بها واصبح عددهم اليوم فيها يناهز العشرة ملايين .

ومن اجل الباحثين الجنرال دوماس الذى يثبت ايضا بابحاثه القيمة ان البربر من

ابناء كنعان ثم ان الكثير من الباحثين يؤكدون وجود شبه عظيم بين البربر في بلادنا وبين سكان الصعيد المصرى ، والمصريون يطلقون لفظ «بربرى» على ساكن الصعيد ؛ اما اذا بحثت في اصول اللغات فانك ترى ان الشبه قوى بين اللغات البربرية والحبشية ولغة بلاد النوبة المصرية فاللغة البربرية هي فرع من اللغة الحامية المنتشرة فى افريقيا من المحيط الهندي شرقى الحبشة الى حدود السنقال .

لهذا يمكننا ان نؤكد تاكيدا لايقبل الريب ؛ اعتمادا على اشهر النسابين العرب والبربر والصادقين من الاروبيين ؛ بان البربر عنصر اسوى من ارومة كنعان وانهم هاجروا بلادهم في فجر التاريخ ، واستقروا حينا بمصر ، واخذوا عن قدماء المصريين بعض تقاليدهم الدينية ، وبعض الهتهم مثل «عمون» ولربما قدم معهم بعض الفلاحين المصريين .

ويوجد اليوم في الزناقة قرية فى جنوب الجزائر على منتصف الطريق بين بنى سويف وواحة الفقيق رسم بربرى عتيق جدا منقوش على صخر هنالك يمثل عمون بصورة كبش على رأسه شمس ؛ وهذه الصورة منقولة حتما عن صورة «عمون رع» المنقوشة على حجر بمعبد كرنك الفرعونى المصرى ؛ فالبربر الذين نقشوا على الصخر رسم عمون اما ان يكونوا قد عاشروا مصر مدة طويلة واخذوا ديانتها وتشبعوا بها فنقلوها الى وطنهم الجديد ، واما ان يكون الذين نقشوا تلك الصورة من نفس المصريين الذين صحبوا البربر في هجرتهم .

واستمروا بعد ذلك في شمال افريقيا : فابتلعوا سكانه الاصليين الذين اصبحنا نجهل عنهم كل شيء ، واصبحوا هم العنصر الاصلي الذى عرف بشمال افريقيا لما انفتح هذا الشمال في وجه التاريخ .

والبربر عموما ينقسمون الى فرعين عظيمين ، البرانس والمداغيس (ابناء مادغيس الملقب بالابتر) ويقول بعض نسابة العرب ان برنس ومادغس من اب واحد ويقول بعضهم غير ذلك ، لكن هذا امر ليس له ادنى اهمية البتة انما الاصح ان

كليهما ابن ابناء مازيغ بن كنعان ابن حام . اما البرانس فيتفرعون الى فروع كثيرة تجمعهم اصول صنهاجة ، كتامة ، عجيسة ، اوربة ؛ ازداجة ، مصمودة ، اوريغة لمطة ؛ جزولة ، هسكورة .

واما المداغيش او البتر فلهم كذلك فروع كثيرة تجمعها اربعة اصول ضريسة لواتة ، نفوسة ، اداسة .

والاغلبية الساحقة من البربر المستقرين بالقطر الجزائرى هى من البرانس

شيء من عوائد واخلاق البربر

البربري كريم سخي شجاع باسل صلب في مواطن الصلابة الى اقصى حدود الصلابة شفوق في مواطن الشفقة الى اقصى درجات الشفقة صعب الاقتناع ؛ بحيث لا ياخذ فكرة او عقيدة الا بصعوبة ، واذا اخذها وتشبع بها أصبح يقاتل فى سبيلها كما يقاتل عن عياله .

ويمتاز البربرى بعشق الحرية تعشقا يجعله لا يكاد يحتمل اي سلطان الا مكرها انما هو يحترم كل احترام رجال العلم وكبار القبيلة ، ويخضع لهم طائعا مختارا .

والبربري متعلق ببلاده وارضه يتعشقها ويتوله فيها ، ولا يستطيع عليها صبرا او عنها ارتحالا . يخدم تلك الارض الصعبة الجبلية بانقطاع وجهد قلما استطاع غيره اليه سبيلا ، ولقد رايت مرة بناحية خراطة ثلاثة من البربر يحصدون شعيرا بذرعلى جانب جبل صعب المنحدر ، فكان اثنان منهما يمسكان بطرف حبل ، والثالث يربط طرف الحبل الى وسطه ويتدلى مع الجبل والمنجل بيده لحصد ذلك النزر اليسير من الشعير .

والبربري مع ذلك مقتصد ؛ يدخركما يقولون من شبابه لشيخوخته ومن قوته لضعفه ومن سعته لضيقه .

يخالط البربرى ولا يختلط فتجده يهاجر بلاده موقتا فى طلب الرزق ، فيندمج

فى زمرة العملة بفرنسا او بغيرها حتى تخاله قد تناسى كل شيء يربطه بمسقط راسه لكنك لاتلبث حتى تراه بعد اعوام قليلة ، وقد عاد الى ارض الوطن وكانه لم يخالط وسطا اروبيا وعاد الى حياته العملية الجبلية وتراه يحرم نفسه في ديار الغربة من القوت الضروري كي يرسل لاهله حوالة كل شهر هي نتيجة اقتصاده وحرمانه حتى اذا عاد الى ارض الوطن اشترى رقعة من الارض او شجيرات من التين والزيتون .

وبهذا الطريقة استرجع البربر الزواوة اغلب النصف مليون هكتار التى انتزعتها منهم السلطة اثر ثورة عام ١٨٧١ والبربرى الى ذلك قنوع يكتفي بالقليل ويصبر على المشاق فحياته كالها جهاد مستمر، وهو يمتاز بالحقد الشديد وعدم الصبر على الاذى، فان اعتدى عليه او على شرفه او على عائلته ،جعل همه الوحيد هو الاخذ بالثار من المعتدى وتنشأ العداوة بين عائلة المعتدى وانصارها وعائلة المعتدى عليه وانصارها وتجرى عند ذلك سلسلة من الانتقام لاحد لها

والبربرى مسلم متين الاسلام له في الدين اعتقاد راسخ انما ضعف الوسط الاسلامي فى الجزائر ترك البربرى يجهل الدين شيئا فشيئا ، ويترك احكامه في المعاملات فى بعض الجهات ليعود الى قوانينه الخاصة الاولى خصوصا في مسألة الميراث ، حيث المرأة محرومة منه حرمانا تاما فالقبائل التى لها علاقة بالمرابطين او قريبة من رجال العلم تجعل للمرأة نصيبها كما نص عليه القرآن الشريف ، اما القبائل المتوغلة بالجبال فهي متصلبة في مسألة المرأة الى آخر درجة .

والزواج يقع في بلاد البربر بين الصبيان ، فتجد البنت التى لم تجاوز التاسعة او العاشرة تزف الى الشاب فى الرابعة او الخامسة عشر، مع اشتراط ان عملية الزواج لاتتم الا بعد بلوغ البنت، والزوج يدفع مهرزوجه ، اما اذا طلقها فله ان يتزوج غيرها انماهى يجب ان تبقى تحت رحمته بحيث انه اذا تقدم منها خاطب فيجب ان يفاوض فى شأنها زوجها القديم ، ويدفع المهر اليه ... فان قبل المهرزوجها منه دخلت في حوزة زوجها الجديد .

والمرأة البربرية قلما تحتجب بل هي سافرة في اغلب الاحيان تشارك الرجل في كل اعماله.

ولقد حاولت الدولة الفرنسية اخيرا انقاذ المرأة القبائلية من هذا المركز ، وسنت قانونا في ١٩ ماى ١٩٣١ يمنع الزواج قبل سن الخامسة عشر ويجعل للمرأة نصيبها فى الميراث الا ان ذلك يلاقى صعوبة شديدة ؛ ولقد كانت الصعوبة تنعدم تماما لو ان الحكومة و الشعب الجزائرى تعاونا على ارجاع البربر لهدى القانون الاسلامي فالاسلام وحده هو الكفيل بوضع حد لهذه المسألة. قال الاستاذ ادوار بونسي الدكتور في الحقوق بمقال نشره في لابريس ليبر يوم ٢١ اجوان ١٩٣١ عن خلل هذا القانون ما نصه : ولقد كانت هنالك طريقة احسن من هذا القانون لاصلاح وضعية المرأة القبائلية وتحسين حالها ، وتلك الطريقة هي تنفيذ احكام الشرع الاسلامي عليها كما كان ذلك موجودا قبل سنة ١٨٤٨ ؟ » الا ان الحكومة من سوء الحظ سائرة على عكس هذا الطريق والشعب الجزائري اغمض جفنيه وترك الحبل على الغارب ولو ان الكثير من المرابطين رجال الطرق ولهم الكلمة المسموعة فى كل بلاد البربر ، قد اعتنوا بهذه المسألة العناية اللازمة وجعلوا همهم بث الدين الصحيح في وسط الطبقات البربرية لكان مركز التعاليم الاسلامية هنالك غير ما هو الآن .

وبلاد البربر الكبرى المعروفة بالجرجرة او بلاد زواوة هي اليوم موضوع عناية كبرى من طرف الحكومة وادارة العلوم الجزائرية ، التى جعلت التعليم الافرنسى فيها اجباريا فى كل قرية من قراها ودشرة من مداشرها بحيث انك تجد اليوم ببلاد الجزائر ٩٥ فى المائة من الاميين بين الصبيان ، اما ببلاد الجرجرة فانك لاتجد بين الصبيان الا ١٠ فى المائة او اقل من الاميين ويكفيك بان عدد الطلبة فى مدارس الحكومة ببلاد القبائل يبلغ نحو الثلاثين الفا وفى بقية البلاد الجزائرية عموما لا يوجد من الصبيان المسلمين فى المدارس الا ٣٠ الفا ، وكذلك بلاد الجرجرة موضع عناية كبيرة من طرف رجال التبشير المسيحي ، من طرف الاباء البيض وغيرهم ولهم هنالك مدارس علمية وصناعية بديعة البناء كثيرة العمران .

فالحقيقة التى لاريب فيها هى ان الاسلام يتضاءل في بلاد الجرجرة تضاءلا عظيما ، والنشيء الجديد سيخرج نشئا بعيدا عن الاسلام وعن العربية بعدا شاسعا .

وان الخطر لاقرب مما يظنه الكثير فقد اخذت من الآن تنشأ الى جانب الكتلة لاسلامية البربرية كتلة اخرى مسيحية بربرية يجتمع معظمهم اليوم حول «اربعاء بنى راتن» المسماة فورناسيونال ، وتشمل عرشا كاملا الا اقله وهو عرش بني يانى ومنه ايت الاربعاء وايت الحسن ، وتاوريرت مقران ، فاكثر رجال هذا العرش اصبحوا مسيحيين دينا فرنسيين جنسا وهذا الحادث يعتبر نموذجا وعينة لما يراد ببلاد القبائل البربرية الكبرى .

فواجب المسلمين من هذه الناحية عظيم جدا فهل من ينتبه له ؟ وماذا يكون موقف علماء زواوة الابرار وهم من علماء المسلمين الفطاحل بهذه البلاد ؟

اما البربر في النواحي الاخرى فقد ابتلعت العربية كثيرهم وهم يتعاملون باحكام الاسلام كما يتعامل بها بقية المسلمين ونخص بالذكر من هؤلاء البربر سكان الشبكة (وادي ميزاب) الذين احتفظوا على البربرية الى جانب العربية انما نالوا في العربية القدح المعلى ، وحافظوا على المذهب الاباضي الذى يجعل منهم مسلمين شديدى التمسك بالاسلام والاخذ بتعاليمه الى اقصى درجة ، الى درجة ان بقية المسلمين يتهمونهم بالغلو والاغراق .

قلنا ان البربر يخضعون لنظام العائلة ومجموع العائلات التى من اصل واحد تسمى الخروبة . فالخروبة وحدة عائلية تخضع لسلطة الكبير في العائلة الذى له حق الاشراف على كل امور الخروبة مثل حفظ النظام ، وفض المشاكل العائلية وفض القضايا الخاصة واليه يرجع امر الزواج والطلاق وهو الذى يقوم باكرام الزائرين والضيوف باسم الخروبة ، ويسير الاعمال الفلاحية ويوزعها .

فمجموع العائلات يؤلف الخروبة ومجموع الخروبات يؤلف القبيلة والقبيلة وحدة متضامنة متآلفة ، وتقوم مقام القبيلة احيانا الدشرة وتسمى «تاحضرت» ويبذل

رجال القبيلة او القرية عناية كبرى بمسألة « الحرمة » اى احترام الاجوار لارض القبيلة او القرية وشرفها و بمسالة تحالف القبيلة مع القبائل الاخرى للهجوم او للدفاع او لتبادل المصالح ، وتجتمع القبائل البربرية حول ذكرى جداعلى ، هو اصل العائلات والخروبات ؛ فتجد القبائل او القرى يبتدى اغلبها باسم آيث اى اهل فتجد ايث بلقاسم وايث مقران وايث صالح اى اهل بلقاسم واهل مقران الخ .

وفوق نظام القبيلة والقرية تجد نظام الصفوف فالصف البربرى هو حزب سياسي داخلي ان صح التعبير ، يجمع جماعة من القبائل والقرى فى « صف » واحد ضد جماعة اخرى من القبائل والقرى وتجد العداوة والبغضاء متمكنة بين الصفوف واحيانا بل في اغلب الاحيان تجد هذه الصفوف جاهلة اسباب عداوتها ...

وللبربرى مجالس محلية عرفية هى مجالس « الجماعة » ويجتمع في المجلس رؤساء الخروبات والمشائخ والاعيان واعضاء المجلس يلقبون بالضمان « جمع ضامن » ولمجلس الجماعة فى بلاد البربر سلطة واسعة نظريا ؛ فهو الذى يتكلف بالمسائل الجنائية والجناحية والسياسية والمالية وهو الذى يشتغل بعمارة المسجد والمحافظة على المقابر وتوزيع مياه الرى ، والقيام بضيافة رجال السلطة ، اما قرارات مجلس الجماعة فيجب ان تخذ باجماع الاراء واذ لم يحصل الاجماع اخرت المسائل الى اجل غير مسمى خشية ان يؤول الخلاف في النظر الى مالا تحمد عقباه واحيانا يقع تحكيم رجال اجانب عن المجلس فى موضوع الخلاف ويكون قولهم الفصل .

والجماعة تنتخب كل سنة رئيسا يسمى امرار او الكبير او الامين او امقسا يعنى الراعى ويقوم هذا الكبير بدور رئيس البلدية فهو الذى يرأس الجماعات العامة وينفذ قرارات الجماعة ، ويسهر على الامن وعلى احترام الاخلاق ، فالكبير او الامرار هو فى آن واحد رئيس الجماعة وخادم الجماعة فهو مصداق الحديث الشريف « سيد القوم خادمهم » وللكبير نائب يدعى وكيل او مزراق . وهنالك فى بلاد البربر فوق مجالس الجماعة مجلس اعلى يجمع ممثلي القبائل كلها ولا يجتمع الا نادرا او في ظروف خطرة

كل هذه المجالس باقية الى يومنا هذا فى بلاد القبائل البربرية وهى تتصادم احيانا مع احكام القضاة واحكام القياد الا انها باقية على حالها كما كانت منذ القديم .

تلك هي فى اسطر قليلة المعلومات العامة التى يجب ان يعرفها المسلم الجزائري عن بلاد القبائل البربرية وقد كان بودي ان اطيل البحث عن حالة البلاد الزواوية الآن ومستقبلها ، غير اني رايت ان ذلك يخرجني عن المنطقة العلمية الجغرافية التى لا اريد ان احيد عنها ،الانه لا يسعنى الا ان اقول هنا كلمة لا استطيع ابقاءها فى صدرى: ان بلاد زواوة اليوم قد اصبحت من الجهتين الاسلامية والعربية في خطر كبير فليتنبه المسلمون لذلك قبل فوات الوقت ، ونحن والحمد لله في عصر حرية دينية كبيرة ، والقوانين التى سمحت للمبشرين بالعمل لفائدة المسيحيين بتلك البلاد تسمح للمبشرين المسلمين بارتياد تلك الديار وبث انوار الهداية الصحيحة والاسلام الخالص في انفس الناشئة من ابنائها واليافعين . لان العقيدة الاسلامية لا تزال هنالك كما رايت بنفسي متينة ثابتة انما غشيتها غاشية من الجهل والخرافات ؛ وتنوسيت فروعها فان استمرت على حالة الاهمال الراهنة ونشأت الناشئة الجديدة كلها بعيدة عن العربية والاسلام جاء اليوم الذى يتقلص فيه النور المحمدى من تلك الربوع ، لاقدر الله بذلك

النظام الاجتماعى بوادى ميزاب

تمهيد

بعد ان لخصنا النظام الاجتماعى لقبائل جرجرة البربرية (الزواوة) ناسب ان نلخص في خاتمة هذا الفصل النظام الاجتماعى بوادى ميزاب لقوة الشبه الواقع بين النظامين فى كثير من الوجوه .

بعد انقراض دولة بنى رستم وهجرة بقية رعاياها الى الجنوب ورجلان ونواحيها رأى علماء الاباضية ورجالهم المذكورون انه لابد لحفظ جامعتهم مع كر الزمان

وتعاقب الملوك من وضع نظام قار يتناسب مع العصور المتعاقبة ويتلاءم مع الحوادث المتوالية فى دائرة الدين وكرامة الامة وقد اختاروا من بين اشكال النظم شكلا يحاكي شكل «الامامة» في حفظ الدين وصيانة الجمهور من التلاشى الا انه مصغر الا وهو نظام المجالس الدينية «العزابة» على ما ياتى بيانه .

ولما غصت بلاد وارجلان واريغ برجال الاباضية وارادت ان تتنفس في معيشتها فيما جاورها رات جبال بني مصعب «وادى ميزاب» احسن ملجا لها وامنع حصن لاجيالها المتعاقبة فتكاثرت الهجرة اليها منها ومن سجلماسة ؛ بعد انقراض ملك بنى مدرار مستعمرة تيهرت ومن نواحى المغرب فتكونت بذلك في عصور متعاقبة بلاد ميزاب السبع غارداية - بنى يزقن - مليكة - بنورة - العطف - واخيرا بيريان - القرارة

تتكون كل بلدة منها من عشائر ومن العشائر تختار الهيئات ذات النفوذ وترجع هذه الهيئات من حيث الامور الدينية والدنيوية الى قسمين اصليين قسم الطلبة وقسم العوام .

اما قسم الطلبة فيتكون ١ — من هيئة العزابة ٢ — هيئة التلاميذ ٣ — هيئة اصحاب المحاضر (كتاتيب القرآن)

العزابة — (١)

اما هيئة العزابة فهى الهيئة العلياء فى البلد على الاطلاق ولها النفوذ الروحي على العامة واسع النطاق والسلطة المطلقة فى كل ما له علاقة بالدين

وبعبارة اوجز هى الهيئة الشرعية الحاكمة القائمة مقام الامامة العظمى بعد انقراض دولة بنى رستم

---

(١) العزابة جمع عزاب ماخوذ من عزب عن اهله انفرد عنهم سموا بذلك لانقطاعهم الى الله بالاشتغال بامر دينه ويرجع الفضل في وضع اسس هذا النظام بوادي ميزاب للعلامة الشيخ محمد بن بكر الذي زار جبال بني مصعب موفدا من طرف رجال الاباضية من وارجلان لهذا الغرض في اوائل القرن الخامس كما ذكرنا

وهي تتركب من ١٢ عضوا وفي بعض البلاد كغارداية عاصمة وادي ميزاب تتركب من ١٢ عضوا و١٢ نائبا

ولها نفسها حق اختيار اعضائها بدون ادنى مداخلة في ذلك لمن عداها تختار من كل عشيرة قدر ماينو بها من الرجال

وتحرى في اختيارهم اعلم واصلح واورع من في العشيرة بشرط ان يكون متخرجا من دار التلاميذ الا اذا لم يوجد مثله في العشيرة فانه يختار من اصحاب المحاضر لاسواهم وهذا نادر

ويختار من بين هيئة العزابة الموظفون الشرعيون من شيخ البلد ـ المفتي ـ والامام والمؤذن وناظر الاوقاف ومؤدب الصبيان وغسلة الاموات

واذا مات اوانعزل احد من اعضائها فانها تختار خلفه من عشيرته

تقوم هذه الهيئة بكل ماله مساس بحياة الامة الدينية من الوعظ والارشاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقمع العصاة وكبح جماح المتمردين على الشريعة الغراء ومقاومة البدع والاسراف وتعليم العامة امر دينهم ودنياهم ومراقبة سير الاسواق وقمع الغش وزجر المحتكرين والهيمنة على المجزرة والجزارين

ومرجع هذه الهيئة في المداهمات والامور الخطيرة الى الاربعة الاقدمين منهم شيخ البلد، الامام، المؤذن، آخر منهم معهم، وللشيخ بنوع خاص السلطة العليا على الجميع وهو الذي يعلن بحكم البراءة على المجرم وبالعفو عنه في المسجد على رؤوس الملا

حكم البراءة

من قواعد الدين في المذهب الاباضي واصوله المحكمة ولاية الاشخاص وبراءة الاشخاص اي الولاية من الموفي بدين الله ايا كان والبراءة من مقترف الكبيرة كذلك ولهم في ذلك اصل من القرآن والحديث والاثر «والمؤمنون والمومنات بعضهم اولياء بعض ـ استغفر لذنبك وللمومنين والمومنات ـ ياايها الذين امنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم ـ ومن يقتل مومنا متعمدا فجزآؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ـ ليس بين العبد والكفر الا

تركه الصلاة - من رأينا منه خيرا وقلنا فيه خيرا وظننا فيه خيرا توليناه ومن رأينا منه شرا وقلنا فيه شرا وظننا فيه شرا تبرأنا منه - من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل خصائل الايمان .

وعلى هذه الاصول بنوا قاعدة الولاية والبراءة الشخصيتين كما هو منصوص عليه في عقيدة التوحيد « توحيد العزابة » وجعلوها في وادي ميزاب الاداة الوحيدة لقمع العصاة والمجرمين

وهي تتلخص في هذه الصورة: عندما يثبت قطعيا بواسطة العدول لدى هيئة العزابة ان فلانا اقترف جريمة كمنع حق زوجة او يتيم او تمرد عن العشيرة في حق اوطعن في دين الاسلام او في المقامات الدينية اوارتكب فاحشة او شرب خمرا اودخانا او تعدى على حق غيره اونحو ذلك فانه يعلن به على رءوس الاشهاد بالجامع عندصلاة الجماعة بان فلانا بن فلان الفلاني قد ارتكب جريمة كذا وكذا فهو في براءة المسلمين الى ان يتوب

والمحكوم عليه بهذا يحرم من حقوقه المدنية مالم يعف عنه فلا يواكل ولا يشارب ولا يجالس ولا يشارك في فرح ولا في مأتم ولا تقبل زيادته في السوق ولا دلالته فيه ان كان دلالا ولا ذبيحته ان كان جزارا ولا يقضى له حق ما

وكل من عامله في شيء من ذلك وثبت لدى مجلس العزابة ذلك بالعدول فانه يلحق به ، وهذا الحكم ينطبق على كل مرتكب لشيء لما ذكر لا فرق في ذلك بين الحاكم والمحكوم ولا تقبل توبته في اي مكان الا في المسجد وعند ازدخاره بافواج الناس لحضور صلاة الجماعة

ويستمر هذا الحكم على المحكوم عليه اثناء توبته مابين يوم الى ٣ ايام حسب جرمه وفي حالة هذا الحكم يبقى منبوذا من ذويه واخلائه وحتى من عائلته حتى يصدر شيخ العزابة حكمه بالعفو عنه ولكن قبل اعلانه بالعفو يصب عليه على رؤوس الاشهاد قوارع التقريع والتوبيخ مبينا له حكم الله الشديد العقاب لفاعل ذلك الخ

واذا مات المحكوم عليه قبل العوبة بانهم لايتولون غسله ولكن يحيلونه الى بعض العوام .

ومن شدة تاثير هذا الحكم السلمي الصارم على العامة ان كان يتسنى لمهضوم الحق ان يتصل بفضل هذا الحكم بحقه من صاحبه بكل سهولة من غير وكيل ولا محام ولا ولا مهما كان ضعفه وقصوره عن الدفاع وذلك انه يقصد المسجد قبل اداء صلاة الجماعة فينادي باعلى صوته بنحو ما ياتي « معاشر المسلمين لااسمح لكم صليتم ام زكيتم ام صمتم لم حججتم الا اذا اخذتم حقي من فلان بن فلان » وهنالك يطمنون الطالب وينادون المطلوب فان كان هنالك وانصف فذلك وان لم ينصف اعلنوا عليه بحكم البراءة.

وان لم يكن هنالك كلفوا وليه ان يبلغ له ذلك فان اذعن فذلك وان تمرد فالحكم ولايصدرون العفو عنه حتى يتوب ويوفي حق طالبه . اما اذا كان المحكوم عليه من هيئة العزابة او التلاميذ فانه يعلن به عند هيئته فيتوب هناك او يعزل وهذه الصورة تعرف عندهم باغلاق المسجد يقال ان فلانا اغلق المسجد اليوم على فلان .

وفي صورة ما اذا تمردت العامة على امر من اوامر مجلس العزابة فان اعضاء العزابة يبقون في دورهم ويتركون المسجد فلا اذان ولااقامة ولاصلاة جماعة الخ وفي هذه اللحظة تفزع العامة وترتجف وتوفد وفدا يهم طالبة منهم العفو بالرجوع الى الجادة في مقابل ان يرجعوا الى المسجد ويقوموا بوظائفهم وتعرف ايضا هذه الصورة باغلاق المسجد ولكن لا تكون هذه الا نادرا اوفي امور خطيرة

هذا شيء قليل من نظام هذه الهيئة الموقرة ايضاحا لسبب بقاء الدين الاسلامي بجوهره في وادي ميزاب ناصعا الى الآن ادامه الله في حصن حصين مدى تعاقب الازمان

نظام الاسرة

تتصل اتصالا متينا بهيئة العزابة الهيأة النسائية التى تمثل أسر البلد وتعرف عندهم

الغاسلات اي اللواتي يغسلن الاموات من النساء والاطفال الصغاروهذه الهيئة تختارها هيئةالعزابة نفسها من صوالح الاسر وعالماتها باحوال المرأة الدينية حيث انهن يقمن بواجبات دينية فى الاسر لايمكن للرجل كائنا من كان ان يقوم بها من غسل الاموات منهن وتحقيق حكم البلوغ والولادة ونحوهـا وبيان احكام الحيض والنفـاس ومحاربة البدع والاسراف واعلان البراءة ممن يتمرد منهن وابلاغ ذلك لهيئة العزابة حيث ان للشيخ اوالامام حق العفوعنها وقد يكتفي بعفوهن عنها وفيما اذا ماتت المحكوم عليهـا قبل التوبة فانهن لايبـاشرن غسلها كما لا يباشرن غسل من ماتت على سيرة غير مرضية وانما يغسل هـذا النوع رديفاتهن من الطبقـات الدنيـا

وهذه الهيئة هي الرباط المتين لحفظ الاسر وصيانتها من كل ما يخل بنظامها واذا تمردت احداهن فمجلس العزابة بالبـاب

ولهذه الهيئات في كل بلاد ميزاب بيوت خاصة بهن خلف مساجدها تعرف ببيوت «الغاسلات» يحضرن فيها صلاة الجماعة فى سـائر الصلوات الخمس ويتلقين منها بواسطة منافذها دروس الوعظ والارشاد والتفقه فى الدين . وهى في هذه الاوقات مفتحة لسائر امهات الاسر لسماع الوعظ والارشاد والذكـر الحكيم

ولهذه الهيئة مؤتمر عام في كل عام يعقد له في كل بلدة من بلاد ميزاب على التوالي يعرف « بمؤتمر لا الاه الا الله » حيث انهن يفتحنه بتلاوة لا الاه الا الله الفـا ثم يشرعن في المفاوضة فيما فيه جلب النفع ودفع الضر عن الاسر والعـائلات سيما فيما يخص امورهن الدينية وابلاغ مـلاحظاتهن لمجلس العزابة وهـذا المؤتمر تحضره جميـع هيئاتهن من كل بلاد ميزاب الا من يتعذر عنهن الحضور كهيئتي بريـان والقرارة اضف الى هذا النظام الحكيم العام لضبط الاسر وصيانتهـا مـن التفكـك والانحـلال نظاما ءاخر خاصا هو في الواقع عرف عام تواضع عليه اهل كل بـلد لنفـس المصلحة المومى اليها ويتلخص هذا النظام بما تشترطه المرأة على الزوج عند عقد النكاح وتسجل صورته فى رسمه وهو انه لايسوغ للزوج ان يتزوج عليها ولا ان يتسرى كذلك

ولا ان يغيب عنها فوق عامين او ثلاث وان لايخرجها من وطنها وان لا يرتكب جريمة الزنا والسرقة والقمار والقتل وشرب الخمر وشرب الدخان وترك الصلاة فاذا ارتكب شيئا من هذه الامور كان حكمها بيدها ولا يضرها الانتظار»

فهذه الشروط المسجلة في عقد النكاح التي تعهد الزوج ان يقف عند حدودها والا هدد بفراق زوجه له قد اعطت للمراة حقا عظيما وسلطة واسعة النطاق في التحكم فى زوجها فى سيرته الدينية كما كفلت بصيانة الاسرة وحفظ كيانها وتوفير هنائها الى حد بعيد الامر الذى لم تبلغ شيئا منه ولاحلمت به الجمعيات النسائية في الامم التى تنعت نفسها بانها امم راقية رغما عمالها من وسائل القوة من الحكومات ومن الاحزاب والجرائد والمجلات وغيرذلك اليس كذلك ؟ وهذا مما يؤيده قول الدكتور م ادوار برنسي الذى اسلفناه سابقا من انه لاتصلح المرأة القبائلية الابتطبيق احكام الاسلام عليها كما كانت موجودة قبل سنة ١٨٤٨

على انه وان خولت المرأة تلك الحقوق العظيمة في ميزاب فان ذلك النظام قد وضع امامها حدودا لاتتعداها وذلك فيما اذا نشزت عن زوجها فانها تمنع من حقوقها وتحرم منها حتى ترجع الى زوجها وتذعن الى واجباتها الشرعية.

التشريع

لم تكن بلاد ميزاب خالية من الهيئة التشريعية كما يتوهم بل لها هيئة تشريعية باتم معنى الكلمة تتركب اعضاؤها من علماء ميزاب المبرزين الذين هم من اعضاء مجالس العزابة تنتدب بهم هيئاتهم من بلادهم فيجتمعون تارة فى مسجد الشيخ عبد الرحمن الكرثي (١) وغالبا فى مسجد الشيخ عمي سعيد بن علي (٢) لوضع القوانين والاحكام

(١) هو العلامة الشيخ عبد الرحمن الكرثي الزناتي من طبقة علماء النصف الاول من القرن السادس بوادى ميزاب في عصر الشيخ ابى عمار بوارجلان واضيف هذا المسجد اليه لانه دفينه وهو الان مسجد اثرى جليل

(٢) هو العالم الشيخ سعيد بن على الجربي من علماء النصف الاول من القرن التاسع وفد من جربة واستقر بوادى ميزاب لنشر العلم وبث سيرة السلف الصالح في الامة وله فضل كبير

فى الجرائم والجنايات والمعاملات طبق الفقه الاسلامي وراجع علماء المذهب الاباضى، يسير على وفقها القضاء الشرعى فى وادى ميزاب وتعرف مجموعة القوانين التى دونوها و يتراوح تاريخها ما بين ٩٧٥ — ١٢٧٩ باتفاقات وادى ميزاب .

وهذه الهيئة كما تضع القوانين القضائية كذلك تضع اللوائح الداخلية التى تخص حياة البلاد العامة مثل تجويز السكة الفلانية ورفض الاخرى وتحديد المكائيل والموازين والمهور

وهى التى تعقد الولاية لشيخ وادى ميزاب العام وهوهاهنا بمثابة « الامام »في الظهور وهو الذى يتولى الرئاسة العامة في حالة الدفاع وعقد الصلح مع المغيرين وقيادة الشعب في حالة السلم ولكنه مقيد بمشورة هذا المجلس وجلسات هذا المجلس تنعقد فيما بين ثلاثة اشهر الى سنة الا اذا حزب امر فانها تنعقد في اقل من ذلك وليت شعري هل في رجال ميزاب من يذرف دمعة سخينة رثاء لهذه الموسسة العظيمة عسى ان تنبت دوحتها من جديد فتزدهر ام لا حظ لها حتى من دمعتهم الى يوم النشور ؟

القضاء

كان القضاء بوادى ميزاب جاريا بين يدى هيئات العزابة فى البلاد فهى التى تتولى فصل النوازل بين الخصماء وقولها في ذلك هو القول الفصل وذلك طبق مجلة القوانين المومى اليها«اتفاقات وادى ميزاب » وما لم تنص عليه فمن كتاب الايضاح والديوان اللذين هما عمدة المذهب الاباضي فى الزمان القديم او من النيل فى الزمان الحديث

واما تسجيل العقود فان كل هيئة تعين من بينها كاتبا ذا خط جميل تعلن عليه بانه (جائز الخط » وهو بمثابة باش عدل يهرع اليه الخصماء لتسجيل احكامهم مقابل اجر زهيد للتسجيل

في تدوين كثير من نظم وادى ميزاب الاجتماعة ونسب هذا المسجد اليه لانه دفن حذوه رحمه الله وهذا كذلك مسجد اثرى ذو قيمة عظيمة

ولما جاءت فرنسا لوادي ميزاب في ١٨٨٢ ادخلت تغييرات في نظام القضاء فكان القاضي يختاره فضلاء البلد من بين هيئة العزابة فتسميه هى لهم وتلقبه « بشيخ العزابة » كما هو مرسوم في خواتم قضاة هذا العهد .

ثم اخذت فرنسا تتدخل شيئا فشيئا في هذه الوظيفة الشرعية العليا كغيرها من امهات امور البلد فسلبت الامة حق اختيار القضاة ولكنها كانت تحرى هى نوعا في اختيارهم كما سلبت القاضي لقب شيخ العزابة وبدلته باسم القاضي ثم تدرجت بالقضاء الى ان كاد يصير العوبة يتلهى بها الاميون والصبيان غالبا ثم تزحزحت به الى ان الغت بعض المحاكم فاضافتها الى غيرها ولاندرى ماذا تفعله في الغد

وليس هذا لان البلاد قاحلة من فحول الرجال لالا بل لاسرار لايدركها الا الراسخون في السياسة ...

اما مرتب القاضي واعوانه فهو من دخل المحكمة لامن الدولة ومحل المحكمة على البلد

الاستيناف

زيادة على المحاكم الابتدائية بوادى ميزاب توجد بين مجموعة البلاد محكمة استينافية تسمى « مجلس عمي سعيد » تتركب اعضاؤها من قضاة البلد وبعض علمائها الافذاذ يتولى رئاستها احد اوليك العلماء المبرزين . وتعقد جلستها على رأس كل ثلاثة اشهر للنظر في النوازل المفصولة فى المحاكم الابتدائية المرفوعة اليها من اربابها بواسطة كاتبها العام لتعقيبها وهي تصدر حكمها تارة بتاييد الحكم الاول وتارة بنقضه .

هذا ما كانت عليه هذه المؤسسة العليا فى العهد القديم ولكن يد العسف تلاعبت بها مع مرور الايام فحرمت من رئاسة اوليك العلماء وعضويتهم فخلا الجو فيها للقضاة انفسهم فكانوا يتناوبون رئاستها والويل للمترافعين لديها ضد قضاتهم من الوقوف امام شخص هو الخصم وهو الحكم سيما اذا كان من الطراز المومى اليه.

وللقضاء عليها القضاء المبرم جعلت الحكومة مدة رفع الحكم اليها قصيرة الاجل

وهو ٨ ايام ومدة رفع الحكم الى محكمة البليدة الفرنسية شهرا كاملا اضف الى ذلك دعاية سماسرة السوء في تزهيد الناس في الاولى وترغيبهم في الثانية ولهذه العوامل اصبحت فى حالة يرثى لها لاجلها تستدعى مزيد النظر وشدة الاهتمام .

التلاميذ

تتكون هيئة التلاميذ من كل متخرجي المحاضر (كتاتيب القرآن) وللدخول في هيئتهم شروط لابد منها : ان يكون الطالب حسن السيرة سالما مما يخل بالشرف وان يقدم مطلبا الى رئيس التلاميذ يعرف بالعريف وذلك بواسطة رئيس محضرته (الفقيه) بعد ان يمر الاذن من هيئة العزابة وعند ما يؤذن له بذلك يعرض كتاب الله عن ظهر قلب من اوله الى آخره على امام المسجد وفى بعض البلاد يعرض نحو الربع على فقيهه وبعد هذا يضربون له موعدا للدخول في زمرتهم وفي الموعد يقيم وليمة فاخرة لهم ايذانا بنجاحه بختم القرآن الكريم وتحضيره لتلقي العلوم وهم يقيمون له مهرجانا تجتمع فيه الهيئتان معا هيئة العزابة وهيئة الطلبة .

وعند تمام اجتماعهما يرسلون اليه اصغر التلاميذ فياتى به وعند مثوله بين ايديهم وهو فى اشد ما يكون من التأثر يملون عليه عهدا وهو ان يلازم خطة الاستقامة وان يجانب قرناء السوء وان يحافظ على كتاب الله وان يثابر على دراسة العلوم فيلتزم بذلك ثم يوخذ بيده فيجلس حذو اصغر العلاميذ وعند ذلك يسمى رسميا تلميذا .

لهذه الهيئة دار خاصة تسمى باسمهم ولا يسوغ بحال ان يدخلها سواهم وهم يزاولون فيها العلوم على اختلافها من التوحيد والتفسير والحديث والفقه والفرائض والاصول والحساب والنحو والصرف والبلاغة ولهم فيها خزانة من الكتب القيمة .ومن هاته الهيئة تخرج اعضاء العزابة على ما مر .

ولهم تراتيب واداب وامتيازات لا يسع لنا تفصيلها هنا

اصحاب المحاضر

المحضرة فى عرفهم عبارة عن كتاب للاملاء وتعليم الخط وحفظ القرآن العظيم

ودراسته ويوجد فى كل بلد من هـذا النوع اثنـان اوثلاثة اواربعة حسب مقـدار السكان وسميت بذلك لانها تحضر الصبي وتهيئه للدخول فى زمرة التلاميذ لتلقي العلوم وهى تحت ادارة احد اعضاء العزابة يعرف بالفقيه ويساعده اعوان من قدماء المحضرة وتتكون من مجموع ابنائها ومن بينهم الراسبون في عرض القرآن هيئة خاصة هم لهيئتى العزابة والتلاميذ كالرديف في كل ما يهم مصالح البلد بل هم كالحرس الملكي فيما يخص راحة العزابـة والطلبة على العموم ولهم كذلك ءاداب وتقاليد لا يسعنا ذكرها هنا .

القيـاد

اما قسم العوام فيشتمل على هيئة القياد وهيئة الجماعات البلدية (الضمان) وهيئة الحراس (رؤساء العسة) فاما القياد جمع قائد فلكل بلد قائد واحد وقد كان قبل دخول فرنسا في وادى ميزاب يتعين من الفريق الغالب في البلـد وكان منصب القـائد هو الميدان الوحيد الذى تصطدم فيه قوى الرؤساء واتباعهم والغـالب فيه هو الـذى يتولى زمام السلطة الى ان تدول دولته وهو الذى يمثل القوة التنفيذية المخزنية في البلد من ضبط الجناة بالضرب والسجن والتغريم ويسهر على حفظ الراحة العامة وينفذ احكام البلد طبق امياله فان كان خيرا نال به البلد هناء ورخاء وان كان شريرا فـالويل كل الويـل لسكانـه

وبعد دخول فرانسا لوادى ميزاب كان لاعيان البلد في اول العهـد حق ترشيح ثلاثة منهم لها وهى تسمي منهم واحدا يلقب(بشيخ الجماعة) كما هو مرسوم فى خواتم قياد ذلك العهد ثم اخذت تسلب حق السكان في ذلك شيئا فشيئا الى ان اصبحوا لا اختيار لهم فى ذلك واستبدلت لقب شيخ الجماعة باسم القائد فاصبح القائد عبارة عن عون من اعوان الحكومة يمثل سلطتها لدى الامة.

ولكن من جهة اخرى خولت هيئة القياد حق تمثيل الامة فى بعض المسـائل العامة كالمناقشة فى ميزانية البلاد السنوية وحضور المواكب الرسمية باسم البـلاد غير ان الامة لم تعترف بتمثيلهم لها لانهم يسمـون عليها بدون ان يكون لها صوت في اختيـارهم.

والقائد مسؤل امـام الرقابة الفرنسيـة (بير و اعرب) عن حالة بلدة فيما يخص الراحة العامة والجناة وتنفيذ اوامر الحكومـة وسياستهـا وجمع الضرائب ودفعها للادارة

وله حق التغريم الى ٣٠ فرانك والسجن الى حين رجوع الجواب عن تقريرة ويكون من يوم الى ٣ ايـام

وللقائد خليفة تختارة له جمـاعة الضمان بشرط ان يرتضيه وكاتب وعون الى ٣ اعوان ومرتبه هو عشر ضريبة البزرة التى يستخلصها.

الجماعـة

قد سبق ان كلا من بلاد ميزاب يتكون من عشائر والعشيرة تتكون من بيوتات والبيت يعرف بدار او اولاد يقال دار فلان او اولاد فلان وهذة تتكون من عائلات والجماعة تتكون من رؤساء العشائر يعرفون بالضمان او العرش وكل من هؤلاء تختـاره عشيرته وتقدمه ليمثلها في مجالس الجماعة ويتكلم عن لسانها واعضاء هذه الهيئة يكونون على عدد عشـائر البلد.

وقد كان اختيار العضو منهم عند اللزوم و بعد تنظيم فرنسا للادارة كان بالانتخاب العام كل عشيرة تنتخب رئيسها ويتجدد الانتخاب بعـد كل ٣ سنين.

وتقوم الجماعة بجمع الضرائب من عشائرهم ودفعها للقائد و بابلاغ اوامر القياد اليها وبالسهر مع القائد على مصالح البلد واشغالها العامة وحالتها الصحية ومناقشة القـائد في ميزانية البلد فهو امامهم كالمير من المجلس البلدى ولا يزال القـائد مـن هـذا الاعتبار يعد رئيس جماعته والامة تعتبر جماعتها هي لسانها الشرعى طبق القـوانين العـامة اذ باختيارها تكونت و برضـائها تعينت.

الحـراس

يعرفون بالكاريس وهم رؤساء العسة تختارهم الجمـاعة من عشائرهم للقيام بالحراسة وحفظ الامن العام وهم بمثابة اعوان البوليس يلاحظ في اختيارهم فضيلة الصدق والنزاهة

والشجاعة والاقدام ويوزع هؤلاء على مناطق معينة فى البلد تكون كل منطقة منها تحت امرة احد منهم ولا يسوغ لاحد من سكان المنطقة ان يخالف رئيسه فى امر من اوامرة وان خالفه ابلغ امره للقائد ليعاقبه بما يردعه وهؤلاء ايضا مكلفون بتنظيم الاشغال العامة مثل اصلاح السدود والطرقات وبناء الاسوار ومكافحة طغيان المياه ومقاومة الجراد وتخفيف وطأة الرمال عن اسوار البلد الخ.

نظام العشائر

هذا ولا يفوتنا قبل ختام هذا الفصل ان نلم بكلمة فى نظام العشائر ببلاد ميزاب اتماما للموضوع .

لئن كان لنظام العشائر بعض مضار من جهة التنافس الذى لايخلو منه قبيل وقبيل فان فيه منافع جليلة وهى التي حفظت كيان الاسر وبحفظه حفظ كيان البلاد .

بما ان العشيرة تتركب من بيوتات والبيت يتركب من عائلات فهى بمجموعها تعتبر كوحدة عائلية لاانفكاك بين اجزائها ومن حيث انها مكلفة شرعا حسبما هو منصوص فى الفقه الاسلامي بالسهر على مصالح القصارى من اليتامى والمجانين والارامل والغياب منها وانها مسؤولة عن جناتها فى غير العمد فهى متماسكة بلحام الدين وباوشاج الارحام ولهذه الميزة كان لها اثرها الفعال فى كثير من المصالح العمومية من ردع المفسد وارشاد الضال وايواء العاجز واصلاح ذات البين ودفع عادية المعتدين الخ.

فهى تنعقد جلساتها عادة من رؤساء العائلات كلما همهم امر عند كل شهر تقريبا وجلساتها العامة مرتين في العام فى الغالب هذا هو النظام المتبع منذ القديم وقد تطرق الخلل للبعض فاهمل وكادت معالمه تنطمس وآثاره تندرس.

وبفضل ما تقدم لايوجد في بلاد ميزاب على الاطلاق زاوية ولا حانة ولا دار خناء الاما اوجده الفرنسيون خارج غارداية كما لا يرى على الاطلاق متسول من المزابيين في اي طريق من طرق بلاد ميزاب . ولماذا يوجد وعشائرهم كجمعيات خيرية تكفل فقيرهم وعاجزهم بالزام وليه بنفقته والا حوكم امام القضاء او مجلس العزابة .

نظرة في اصول الخلاف بين الاباضية والمالكية

تتلخص تلك الاصول فيما يلي.

اولا — مسألة الرؤية — يقول الاشاعرة برؤية المؤمنين لله تعالى فى الاخرة. ويقول الاباضية باستحالتها

ثانيا — مسألة الصفات — يقول الاشاعرة ان صفات الله غيره ويقول الاباضية ان صفاته هو بمعنى ان ذاته الكاملة الكمال المطلق كافية في انكشاف المعلومات او المبصرات الخ.

ثالثا — مسألة القرآن — يقول الاشاعرة ان القرآن قديم ويقول الاباضية انه مخلوق محدث.

رابعا — مسألة الخلود — يقول الاشاعرة ان المسلم الذى مات على كبيرة هو تحت المشيئة ان شاء غفر له وان شاء عذبه قدر جرمه فيخرج بعد ذلك من النار ويقول الاباضية انه ان مات على غير توبة فانه يخلد فى النار لايخرج منها ابدا جزاء اصراره فتفرعت عن هذا المسألة الخامسة.

خامسا — مسألة الايمان — يقول الاشاعرة ان الايمان بالقول والاعتقاد كاف للنجاة من النار ويقول الاباضية ان الايمان لايتم الا بقول وعمل وعلى هذا تفرع الخلاف فى ولاية الاشخاص وبراءة الاشخاص.

سادسا — مسألة الشفاعة — يقول الاشاعرة ان الشفاعة تنال اصحاب الكبائر من الامة ويقول الاباضية ان الشفاعة لاتنال من مات على كبيرة وانما تنال المؤمنين الذين ماتوا على الوفاء برفع درجاتهم في الجنة.

سابعا — تحديد معنى الكفر والنفاق — يقول الاشاعرة ان الكفر لايطلق الا على الشرك. والنفاق انما يقصد به من يظهر التوحيد ويضمر الشرك ويقول الاباضية ان الكفر يطلق على معنيين الشرك والنفاق والنفاق يطلق على معنيين نفاق خيانة(ارتكاب كبيرة) ونفاق تحليل و تحريم ومتى اطلق الاباضي الكفر ويريد به النفاق بمعنى

الفسوق فهم منه الاشعرى انه يريد به معنى الشرك وهو لا يقصد به الا معنى الفسوق والعصيان.

ثامنا — هل الحق يتعدد في الاصول او الحق فيها مع واحد فقط و بعبارة اخرى هل يعذر المجتهد في الاصول اذا اخطأ كما يعذر في الفروع ام لا ؟ وعلى هذا الخلاف فهل يصح ايمان المقلد ام لا يصح بل لابد من التقييد؟ فجمهور الاشاعرة يقولون بصحة ايمان المقلد حيث يرون عذر المجتهد المخطيء في الاصول والاباضية يقولون ان الحق في الاصول لا يتعدد وان المجتهد المخطيء فى الاصول غير معذور وان ايمان المقلد غير صحيح فلابد فيه من التقييد.

وهناك مسائل خلافية ليست من اصول الدين ولكنها خطيرة الشأن لها تأثير كبير على تغيير مجرى الحياة الاسلامية العامة واهمها مسالة الخلافة والخروج عن الائمة الجورة فجمهور الاشاعرة يقولون انه يجب ان تكون الخلافة في قريش وانه لا يسوغ الخروج عن الائمة الجورة خشية الفتنة وانشقاق المسلمين والاباضية يقولون ان الشرط الاساسي للخلافة هو الكفاءة الشرعية وان كانت فى الحبشي وان مجاراة الجورة محرم والخروج عليهم واجب اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

هذه امهات المسائل الخلافية التى بين الاشاعرة والاباضية ويلاحظ هنا انه لم تنفرد الاباضية بواحدة منها بل كل منها يوجد من الطوائف الاسلامية من يوافقها عليها ولكل ادلته ومستنداته .اما مسألة المسائل ومشكلة المشاكل مسألة القضاء والقدر ومسألة التحسين والتقبيح العقليين ووجوب مراعاة الصلاح والاصلح على الله تعالى فاعتقاد الاباضية والاشاعرة فيها واحد ويخالفهما فى كل منهما المعتزلة.

واما معضلة الصحابة رضي الله عنهم فالاشاعرة يعذرونهم جميعا و يرضون عنهم جميعا لانهم مجتهدون واما الاباضية فاسلافهم يرون وجوب الرضى عنهم الا من خاض فى الفتنة فإنه يجب تحكيم كتاب الله فيه واما المتاخرون منهم فانهم يرون وجوب الرضى عن القسم الاول من الصحابة والتوقف وعدم الخوض اصلا فى الاخرين منهم لتعارض النصوص

واما ماعدا ذلك من الخلافات الفرعية فشانها بين الاباضية والاشاعرة كشانها بين الاشاعرة انفسهم فلكل الحق فى اتباع من شاء من الائمة المجتهدين في ذلك وله عذره

فانت ترى انه ليس هنالك خلاف خاص بين الاباضية والمالكية حتى يوجب نفرة خاصة كما يتوهم.

على ان تلك الخلافات المتقدمة قد جنح اساطين الاباضية المتاخرون كغيرهم من علماء الاسلام لوجوب حلها او اغفالها وتناسيها على الاقل اذ لاتوثر اصلا في علائق المسلمين المشتركة وانما محلها الاعتقاد فقط.

واليك ما قاله الشيخ محمد اطفيش في تيسيره ج الثاني صفحة ٧٩١ فى هذا الصدد عند تفسير قوله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ونصه.

« والنزاع الآن فشا فى اهل التوحيد فملكهم اهل الشرك ولو رجعوا الى مذهبنا في الاصول او اغضوا عن مسائل الخلاف كأن لم تكن وكانوا يداً واحدة لغلبوا على اهل الشرك واهل الشرك الآن مشغولون بالاحتيال بما يملكون به غيرهم واهل التوحيد بعضهم معين لهؤلاء وبعضهم بطال معرض الخ »

وقال الشيخ سليمان باشا الباروني في تعليقاته على رسالة والده سلم العامة صفحة ٤٧ بعد كلام نفيس ما نصه: فمتى ياتى يوم لايذكر فيه المسلمون فى الشرق ولا في الغرب الا الله ورسوله وكتابه ولا يذكرون الائمة الا باسم علماء كغيرهم من علماء الاسلام فيصبح الدين واحدا والمذهب واحدا لاطرق ولا مذاهب واذاك يزول الشقاق ويتحد الراى فيطلبون الانضمام الى خليفة واحد كما كانوا على عهد الصحابة الراشدين ايام الخليفتين بالاتفاق ابي بكر وعمر رضي الله عنهما »

وما ذلك على الله بعزيز.



القبائل البربرية ومواطنها بالقطر الجزائرى

في عمالة قسنطينة

من كتامة

* قبائل بنى خطاب * في المنطقة الجبلية من القل الى بجاية و مجانة .

* بنى سيلين * قرب الميلية * اولاد محمد * قرب جيجل * عياد * قرب اقبو * بنو مروان * قرب ميلة * جملة * ما بين سطيف وجيجل .

من صنهاجة .

* امزيته وعجيصة * ما بين مجانة وونوغة * وامين * بنى يفرن * في جبال اوراس وهم من زناته ويدعونهم الشاوية .

فى عمالة الجزائر

من صنهاجة

في جبال الجرجرة المسماة بلاد القبائل الكبرى.

* زواوة * فليسة * قسطولة * اوقنون * فراوسين * بني راتن * بطروم * بنى منقلات * عمور * بني يحيى * هجر * فناية .

وتنتشر في غربي مدينة الجزائر فيما بين شرشال وتنس وجبال ونشريس، فروع من زناتة وهى * بنى توجين * بنى مناد * بنى مناصر * زقزوق * تيغرين * زنداك * مغراوة * بنى كادى .

وفي جبال الونشريس * مطماطة * لواتة * راشد * وفى بلاد الشبكة * بنى ميزاب * وهم من نفوسة وغيرها .

في عمالة وهران

* ولهاصة * الطارة * وهما من السنوس تقطنان الجبال التى تكتنف تلمسان شمالا وغربا

* مزونة * مديونة * وهما من زناتة ، تقطنان الجبال الواقعة غربي مدينة مستغانم * مطماطة * تيغرين * شقالة * بزناص * وهي من قبائل بني راشد تقطن من غربي جبال ونشريس الى ناحية جبال عمور .

البربر المستعربون

ويوجد الى جانب تلك القبائل التي بقيت الى يومنا هذا بربرية خالصة قبائل بربرية اخرى لاتمت الى البربرية الا بالنسب فقط ، وقد ابتلعتها العرب واصبحت عربية لغة واخلاقا وعوائد ، ومنها الكثير يجهل انه من اصل بربري مستعرب فهي اليوم معتبرة قبائل عربية ومواطنها كما يلي:

في عمالة قسنطينة

سكان ناحية الوادي القبلي ووادي الكبير ووادي ابن صالح ووادي الساحل * ريغا * الظهارة * القبالة * يسكنون جبال بو طالب والنواحي المحيطة به

* اولاد عبد النور * تالغمه * ينتشرون في السهول بين سطيف وقسنطينة
* زردازة * بين عزابة والعروش
* ولهاصة وصنهاجة * على مقربة من عنابة .
* اولاد سلطان * في تقاوس
* الحنانشة * في سوق اهراس
* النمامشة * قرب تبسة
* الحراكتة * قرب عين البيضاء
* بنو ولبان * في جهة السمندو

في عمالة الجزائر

تسكن في المنطقة الجبلية الممتدة من وادي الساحل الى المدية ، ومن صور الغزلان (اومال) الى سهول متيجة

القبائل الصنهاجية المستعربة :

* متنان * مزغنة * جعد * طلغاتة * بوطوية * خليل *
وتسكن ناحية تيطرى جنوبي المدية من صنهاجة المستعربة ايضا.
* الاربع * سنجاص * الاغواط

في عمالة وهران

* بوطوية * فى جهة سان لو
* لواتة * فى جنوب الاصنام (ارليان فيل)
* بنى لابت * بين ثنية الحد وتيارت
* بني ورنيد * فى جنوب تلمسان
* بنى واسين * قرب عمي موسى
* زناتة * قرب تلمسان
* بني راشد * قرب صور الغزلان

نظرة عامة

ان البربر كلهم اليوم فى ارض الجزائر مسلمون من احسن الناس اسلاما واكثرهم غيرة وحمية على الدين الا انهم مع ذلك يجب ان نقسمهم الى اربعة اقسام.

١ — قسم منهم هو الاكبر؛ مستعرب كما راينا لا يتصل بالبربر الا اتصال نسب فقط وهذا القسم هو اليوم احد اركان العربية والاسلام بالجزائر لاتحوم حوله الشبهات ولا تجوس خلال دياره الدسائس

٢ — وقسم بقي بربريا بحتا ، الا انه اخذ من العربية اكبر نصيب مع عدم نسيانه البربرية ؛ وبلغ من تمسكه بالدين الاسلامي درجة اصبح يرى معها ان بقية المسلمين في الجزائر هم الى الكفر(١) اقرب منهم الى الايمان وهذا القسم هم الاباضيون

(١) ويعني الاباضيون بالكفر هنا ما يرادف الفسق عند الاشاعرة

الميزابيون وقد مرت لنا بسطة آنفا في نظامهم الخاص وحالتهم الاجتماعية.

٣ — بقية القبائل البربرية الخالصة المتفرقة في انحاء القطر الجزائري ؛ وهي من احسن الناس ايمانا ويقينا ولها مشاركة محسوسة في العربية وهي تزداد تعربا كل يوم ، ولربما جاء وقت تصبح فيه كقبائل القسم الاول.

٤ — بربر بلاد الجرجرة المسماة بلاد القبائل الكبرى، وهم يمثلون الكتلة البربرية العظيمة ببلاد الجزائر ، لرجالهم اليوم ايمان قوي ويقين ثابت الا ان العربية اصبحت فيهم ضعيفة جدا والتعليم العربي والديني اصبح شبحا ضئيلا رغم استمرار معاهده الكبيرة كزاوية بني منصور وزاوية سيدي اليلولي واضرابهما على التعليم والتدريس ، والمدارس اللايكية تبث التعليم هنالك بصورة منتظمة منعدمة النظير بالقطر الجزائري ورجال التبشير حطوا هنالك رحالهم وشيدوا مدارسهم للبنين والبنات ، فان كانت بلاد الجرجرة مزدانة اليوم برجال يعدون من فطاحل علماء القطر الجزائري ورجاله العاملين ، فمن ذا الذي يخلفهم من بعد ! وماذا تكون حالة البلاد عندما تضمحل الطبقة الموجودة التي بلغ من درجة ايمانها انها امتنعت من الصلاة على اموات المتجنسين حسبما رواه لنا العلامة الزواوي الشيخ السعيد ابو يعلى في مقال نشره بالبلاغ الجزائري ، وتحل محلها الطبقة التي لا تعرف اللغى غير الفرنسية والتي عمل فيها التبشير اعماله. اني وان كنت كثير التفاؤل بمستقبل الاسلام في الجزائر قوي الايمان بالنهضة العربية الاسلامية الحديثة فاني اخشى على هذا القسم من بلاد الوطن ان تعبث به الايدي وان ينفصم حبل اتحاده مع بقية البلاد فالى تلك الناحية يجب ان تتجه انظار المفكرين والعلماء من المسلمين . ولقد جاء في الاثر ان الاسلام يرق رق الشعرة ولا ينقطع ابدا.



القسم الخامس

العنصر العربي بالجزائر

يمكننا القول بان سائر العرب المستقرين اليوم بارض الجزائر مثل سائر العرب المستقرين بالشمال الافريقي ، انما هم احفاد العرب الذين قدموا مهاجرين ايام الدولة الحمادية الصنهاجية وقد اراد الخليفة الفاطمي المستنصر ان ينتقم من امراء صنهاجة الذين اعترفوا بخلافة بني العباس ، واراد ان يتخلص من العرب الذين كانوا يتوافدون من جزيرتهم على مصر منذ فتحها المسلمون فيستقرون في القفار الممتدة شرقي وادي النيل ، فامرهم بمغادرة البلاد والذهاب الى بلاد المغرب ومنح كل من يرغب في الرحيل دينارين ؛ وهكذا توافدت جموع هلال بن عامر وسليم بن منصور ، فكان قدومهم نقمة في طيها نعمة ، لان قدومهم اوقع في بادئ الامر اضطرابا في البلاد ، كان يقع مثله واشنع منه مئات المرات في كل بلاد الدنيا عند ما تقع هذه المهاجرات الشعبية الكبيرة ، الا انه قد وطد توطيدا ابديا قدم الاسلام والعربية في هذه الاوطان ؛ وجعل من بلاد الشمال الافريقي موطنا جديدا للثقافة العربية ، يزدهر مع ازدهارها العام ويركد مع ركودها.

اما العرب الذين قدموا قبل ذلك سواء كانوا من الجند الفاتح المستوطن ، او من المهاجرين الفرديين ، فقد كان عددهم ضئيلا جدا ، لايكفي لصبغ البلاد صبغة عربية تامة ، وكانوا متفرقين في النواحي موزعين وسط الكتلات البربرية الضخمة بحيث كان مآلهم لامحالة الاندماج في الكثرة البربرية ولربما كان مآل العربية الاضمحلال بين الاوساط العامة وحتى الخاصة ، فلم تكن تبقى الا بصفتها لغة الدين ،كبقاء

اللاطينية فى الاوساط الاروبية المتدينة اليوم وسنبحث الآن عن حالة القبائل العربية فى الجزائر من ناحيتين . اصول القبائل المهاجرة عام ٤٤٤ وفروعها ، ثم مواطن بقاياها اليوم في الارض الجزائريـة .

البحث الاول

القبائل العربية المهاجرة واقسامها

اولا فريق بنى هلال بن عامر

١ — قبائل اثبج

القبائل	البطون	الافخاذ
دريد	اولاد عطية	
	اولاد سرور	
	جارالله	
	طوبة	
كرفة	بنى محمد	
	المراونية	
	حجيلات تفرع عنه ...	كليب
		شبيب
		صباح
		سرحان
	نابت	
عمور	نسرة	
	عبد الله تفرع عنه ...	محيا
		اولاد زكرى
		اولاد فارس
		اولاد عزيز
		اولاد ماضى
	بنى قرة	

القبائل	البطون	الافخاذ
الضحاك و عياد	محايا	
	اولاد ضيفل	
	بنى الزبير	
	مرتفع تفرع عنه..	اولاد طبلان
		اولاد حماس
		اولاد عبد السلام
		اولاد قندوز
	خراج	
	اولاد صخر	
	رحمة	
لطيف	يتامى تفرع عنهم ...	بنو جلال
		بنو خليل
		بنو مطرف
	اولاد لقمان تفرع عنهم..	براز
		جرير

٢ — قبائل جوشم

قبائل	بطون	افخاذ	فروع
عاصم			
مقدم			
جوشم	خلط		
	سفيان تفرع عنه...	الحرث تفرع عنه	اولاد مطاع
		كلابيا	
	بنو جابر		

٣ — قبائل رياح .

- مرداس
  - الذواودية ....
    - عساكر بن سلطان
      - اولاد محمد
    - مسعد بن سلطان ..
      - اولاد سبع
      - اولاد صولة
  - سنبر
  - عامر تفرع عنه ...
    - موسى
    - محمد
    - جابر
  - مغنم
- علي
  - دحمان تفرع عنه ..
    - مناقشة
  - فطر
- عامر
  - الخضر
- سعيد
  - اولاد يوسف ...
    - بحور
    - ربوط
    - المحادمة

٤ — قبائل زغبة

- مالك
  - سويد
    - شبابة ...
      - حساسنة
    - اولاد ميمون
    - حوطه
    - صبيح
    - مجاهر تفرع عنه ..
      - ابن رحمة
      - ابو كامل
      - مالك
      - شفاعى
      - رفيع
      - هبة
      - حمدان
    - فليته

القبيلة	الفرع	ما تفرع عنه	
مالك	ديـالم تفرع عنه ..	عكرمة	
		بنو بوزياد	
		موال ...	الدشاخنة
	بخيس		
	عطاف	بنو يعقوب	
يزيد	اولاد لاحق		
	سعد تفرع عنه ...	الزرلي	
		بنو ماضى	
		بنو منصور	
	معافى		
	بنو موسى		
	خشنة		
	حميان		
	مربع		
	حرز		
	جواب		
حصين	قراش		
	جندل تفرع عنه..	اولاد طرف	
		اولاد فرج	
		اولاد مسعود	
عامر	الصقر ...	سليمان	
		حجازى	
		ميمون	
		عبد الله	
		زائر	
		علي	

- عامر (١)
  - يعقوب
  - حميد تفرع عنه ..
    - اولاد سيدى العبدلي
    - الغرابة
    - الحشم
  - شفاعي ...
    - مطرف
    - شكارة
- عروة
  - التذر ...
    - الصحارى
    - شريفة
    - الحماقنة
    - اولاد خليفة
    - اولاد سليمان
    - بنو رياب
  - جميص ...
    - يقظان
    - فذر (اولاد نائل)
    - عبيد الله

(١) وبنو عامر اليوم من اشهر واعظم القبائل العربية في البلاد وكانوا ينتشرون في كل نواحى العمالة الوهرانية ثم نزحوا الى مضاربهم الحالية واستوطنوها وكان لهم القدح المعلى في مجاهدة الاسبان مع بنى زيان . وحافظوا مدة الاحتلال التركى على كل امتيازاتهم وحقوقهم فلما جاء عصر الاحتلال الفرنسى انضموا عن بكرة ابيهم الى الامير الحاج عبد القادر رحمه الله وجاهدوا معه جهاد الابطال الى النهاية ثم تركوا اوطانهم وهاجروا الى المغرب الاقصى. الا انهم لم يلقوا هنالك قبولا حسنا فاضطروا الى الرجوع زرافات ووحدانا محتمين بالدوائر الذين كانوا يحاربون الى جنب فرنسا اثر الاحتلال فاستعادوا مضاربهم انما ضعفوا كثيرا بصفة مادية وذهبت اعاصير السنين بارضهم ومالهم فلم يبق لهم الا القليل وعميدهم الرسمى اليوم هو السيد الباش اغا الحاج بن شيحة ولد بومدين .

٥ — قبائل معقل وعدى

- صقيل
  - الثعالبة ...
    - خراج
    - حجاج تفرع عنه..
      - اولاد عثمان
      - مطرفة
      - غوسل
      - جاونة
  - بنو عبيد الله
- محمد
  - بنو مختار..
    - بنو حسان
    - شبعانات تفرع عنهم
      - بنو على
      - بنو ثابت
    - رقيطات
  - بنو منصور
    - اولاد بو الحصين
    - حصين
    - عمران
    - مؤبت تفرع عنه..
      - احلاف

ثانيا فريق سليم بن منصور

١ — قبائل دباب

- اولاد احمد
- بنو يزيد
- صبحة
- حمارنة
- خارجة
- اولاد وشاش
  - حريز
  - جوارى
  - المحاميد

سليمان

النوائل

اولاد سنان

٢ — قبائل هيب

- سالم ...
  - اولاد مرزوق
  - علاونة
  - اماين

بنو لبيد

شماخ

٣ — قبائل زغب

زغب

٤ — قبائل عوف

- مرداس
  - كروب ...
    - بنو علي
    - بنو بو الليل
  - دلاج ...
    - طرود
- علاق
  - حصن ...
    - بنو علي ...
      - بدرانة
      - اولاد نامي
      - اولاد صرة
      - اولاد مرى
      - حضرة
      - اولاد ام احمد

علاق:
- حصن: بنو علي: اهل حصين، مصاوية، حمر، جمياط، رجيلان، هجر
- حصن ايضا: حكيم: اولاد جابر، شعانبة، نير، جوين، زياد، مقعد، ملاب، احمد، نوة
- مهلهل
- رياح بن يحيى
- حبيب

٥ — قبائل محالفة لبنى سليم مندمجة معهم

- الطرود وعدوان
- ناصرة
- قرة
- عزة: شمال، محارب

هذا تفصيل القبائل العربية النازحة الى شمال افريقيا ؛ وكان عدد العرب يوم هجرتهم يتراوح بين الثلاثمائة الف والخمسمائة الف

ومن المناسب ان نذكر هنا كلمة عن اصل القبائل الهلالية والسليمية وكيفية انتقالها كلها الى مصر .

اصل هده القبائل من معد بن عدنان، وكانوا يسكنون القفار التي تفصل بين الحجاز ونجد . وكان بعضهم قد اخذ يتقاطر على القطر المصرى اثر الفتح الاسلامي ؛ انما مجموعهم كان لايزال مستقرا بين الحجاز ونجد .

ظهرت فى جزيرة العرب دعوة القرامطة الذين ينتسبون الى الشيعة الاسماعيلية ؛ وقوي امرها فانضم اليها بنو هلال وبنو سليم وبنو قرة ، وبواسطتهم تمكنت الدعوة القرمطية من احتلال مكة والاستيلاء الفعلي على كامل بلاد العرب تقريبا سنة ٩٢٥ م وبعد ان انكسرت جنود خلفاء بغداد امامهم اعادوا عليهم الكرة فدحروهم ، واجلوهم عن مكة والحجاز واسترجعوا منهم الحجر الاسود ، فعادوا الى مضاربهم بين الحجاز ونجد ،وكان قد انفصل جزء من الحجر الاسود عند استرجاعه ، فاخذه خلفاء بني العباس ووضعوه في قصر الامارة ولما خرب التتر بغداد وحدموا قصر الامارة رجعت قطعة الحجر الاسود الى مكة ، الى ان استلمها السلطان سليم العثماني سنة ١٥١٧ من شريف مكة وبناها في قصر الادارة التركية باستنبول فدعى باب ذلك القصر بالباب العالي ؛ وصارت حكومة السلطان التركى تعرف بعد ذلك بحكومة الباب العالى .

ثم ان الخليفة الفاطمي العزيز بالله بن معد المعز ؛ جهز حملة شديدة على هذه القبائل قصد اخماد شوكتها ؛ فلما قهرها اجبرها على ترك البلاد العربية والهجرة الى ارض مصر ؛ حيث اسكنها القفار الواقعة فى الصعيد على شرقي النيل وذلك سنة ٩٨٠ م واخيرا تخلص منهم الخليفة المستنصر كما رايت ، وارسلهم سنة ١٠٥٠ م على افريقيا انتقاما من امراء صنهاجة .

البحث الثاني

مراكز القبائل العربية بالجزائر

في عمالة الجزائر

قبائل الثعالبة وقبائل معقل في سهول متيجة

* اولاد ماضى * رياح * بنو منصور * خشنة * موسى * جواب * مربع * يزيد * سليمان * حول مدينة سور الغزلان (اومال)

* الدراز * عطاف * جندل * فى جنوب مليانة وفي سهول الشلف

* نزليوة * عمراوة * عبيد * حول بلاد الجرجرة البربرية

* اولاد نائل * الصحارى * بنوزيان * في نواحي الصحراء

في عمالة قسنطينة

* اولاد سعيد * الخادمة * اولاد جلال * فارس * عامر * في الهضاب العلياء والصحراء .

في عمالة وهران

* بنو عامر * الدوائر * الزمول * بين وهران وتلمسان

* الغرابة * فى ناحية وهران

* البرجية * فى الجنوب الشرقي من وهران

* بنو هاشم * غربى مدينة معسكر

* مجاهر * قرب مستغانم

* صهيب * قرب الاصنام

* فليتة * جنوب الاصنام

* محايا * الجعافرة * بنى مظهر * خلافات * اولاد خالد * اولاد الشريف * ما بين الساحل وفرنده وسعيدة

* اولاد فارس * بين تيارت وسور الغزلان

* بنو مسلم * فى الجنوب الغربى من اولاد فارس

* هميان * زغبة * ترتاد السهول والهضاب العليا صحبة بقايا زناتة البربرية المبتلعة وفي الجنوب * اولاد سيدى الشيخ * قبيلة عتيدة حديثة التكوين مؤلفة من مختلف القبائل العربية وبقايا القبائل البربرية

القبائل العربية المختلطة

وهنالك قبائل عربية لم تحافظ مثل القبائل المذكورة آنفا على اصولها العربية القحة ، بل التحمت مع بعض القبائل البربرية بالمصاهرة والجوار ، فحصل بينهما امتزاج كبير ، بابتلاع العرب للبربر واشهر هذه القبائل العربية المختلطة وكلها بعمالة قسنطينة :

* بنو مرداس * قرب عنابة

* دريد * بين وادى الزناتي وتبسة

* كرفة * قرب عين البيضاء

* عطية * في نواحى جيجل

* اولاد ماضي * قرب برج بوعريرج

* اولاد صولة * فى الزاب

* الذواودة * بين الزاب والحضنة

نظرة فى حالة العرب الراهنة

ما يؤثر عن عبد الرحمان الكواكبي قوله : العرب يخالطون ولا يختلطون فالعربي صعب الاندماج في غيره شديد المحافظة الى الدرجة القصوى على ذاتيته غيور قوي الغيرة على عروبته وما تنطوى عليه من عوائد واخلاق وسجايا . فترى القبائل العربية الكبرى في ارض الجزائر اليوم ، خصوصا المستقرة

بالزاب والصحراء والهضاب العليا ، او المستقرة في عمالة وهران كبنى عامر وبنى هاشم وغيرهم ، تعيش نفس العيشة التى كان عليها اسلافها ، تتكلم نفس اللسان الذى كانوا يتكلمونه ؛ تتخلق بعين الاخلاق التى كانت اخلاق السالفين ، وقد حافظوا بعبارة اخرى على جميع الكليات والجزئيات التى كانت لبنى هلال و بنى سليم من حيث اللغة والاخلاق والعوائد والعقلية والنفسية ؛ فالصبى العربى اليوم يمثل الصبى العربي النازح مع ابيه وامه من الحجاز ثم من مصر ، والراعى العربي يمثل لك تمثيلا صحيحا الراعى الهلالي ، والسيد العربى اليوم هو نفس السيد العربي الذى كان يسوق القبائل نحو بلاد المغرب ؛ والمرأة العربية اليوم هى نفس المرأة التى تمثلها « الجازية » و « تونس » من شهيرات الهلاليات الى درجة انك اذا استقربك المقام فى خيمة عربية في اي ناحية من نواحى الجزائر ، امكنك ان ترى وان تسمع نموذجا حيا من نماذج العرب الاولين ، كانهم لايزالون يرعون السائمة بين الحجاز ونجد .

والعربي ذكي الى درجة مفرطة ، فصيح طلق اللسان ولو كان اميا ، كريم الى اقصى حدود الكرم ، شجاع الى درجة الجرأة ؛ فارس يعشق فرسه ويتغنى بذكر محاسنه؛ شريف النفس الى حد التضحية بماله ومصالحه وذاته في سبيل الشرف ؛مسلم متين الاسلام قوي الثقة بالله متواكل احيانا الى درجة التفريط والكسل .

والعربي يختلف عن البربري في امرين اساسيين : اولهما

ان البربري مقتصد يفكر في غده اكثر مما يفكر فى يومه اماالعربي فلا يعرف للاقتصاد معنى ولا مبنى ؛ ان كان غنيا فهو شديد الاسراف يعيش عيش البذخ والعظمة الى ان يفنى ماله ، وان كان متوسط الحال فهو ينفق عن سعة كل ما يحصل عليه من مال ، فلا تلبث ان تراه فى فاقة واحتياج ، واماان كان فقيرا فهو لا يفكر الا في قوت يومه ؛ فان تحصل على اكثر من ذلك لم يفكر فى الغد اصلا .

وثانيهما ان البربري حقود شديد الحقد ، والعربي متسامح مفرط في السماحة ، ان اساء مسيء الى بربري ، حفظ له البربري ضغينة وحقدا وجعل همه الانتقام من

المسيء ولو اعتذر واناب ،وان اساء مسيء الى اعرابي ثم ابتسم له ومدله يده ونسي الاساءة وانمحى من قلبه اثرها ومد له يد الصداقة والاخوة باخلاص وانعطاف

والعربي بطبيعة الارض التى يعيش فيها اقل صبرا على العمل من البربري واكثر اخلادا الى الراحة ، ثم ان العربي يعيش اغلب الاحيان في تنقل دائم مع سائمته يرتاد لها المراعى ؛ وله مضارب الصيف ومضارب الشتاء ، امـا البربري فهو كما رأينا آنفا مستقر في ارضه لايبرحها ، وبفقد روحه اهون عليه من فقد ارضه ومنزله.

والعرب مغرمون بحفظ القرآن الشريف ؛ يقبلون على قدر جهدهم واستطاعتهم على التعليم اينما وجدوه ، وخاصة التعليم العربي في الزوايا الكبيرة بناحية الصحراء .

والعرب والمستعربون يمثلو ن اليوم بارض الجزائر نحو اربعة اخماس السكان المسلمين . اما الخمس الآخرفهو مؤلف من القبائل البربرية التىحافظت فى الجبال على بربريتها ، واذا نظرنا من جهة اللغة الى هذا الخمس البربري وجدنـا ان نحـو ٩٠ في المائة منه يجيد الكلام العربي العامي اجادة تجعله لايكاد يتميز عن العربي في شيء ففي ارض الجزائر كلها لاتجد اليوم الا نحو ٨٠ الفا من البربر لايجيدون العربية . ويتكلمون اللغة البربرية التى تشمل نحو ٣٣ في المائة من الالفاظ العربية ؛ فاللغة العامية العربية هي لغة كل الاهالي المسلمين في ارض الجزائر سواء كانوا من العرب او البربر او غيرهم واللغة العربية الفصحى هى اليوم عندهم جميعا لغة النهضة والتفاهم العلمى والاجتماعى. والامر الذى لاشك ولا ريب فيه هو ان اللغة العربية الفصحى قد اخذت من جديد تتغلغل فى سائر الاوساط ، وذلك بفضل الصحف والدروس والمحاضرات : واللسـان العربي يدافع عن نفسه دفاعا شديدا ،وقلما انهزم فى ميدان الدفاع .

اما اللغة العامية الدارجة ، فيجب علينا ان نعيد هنا القول بان العربية العامية الموجودة بشمال افريقيا عموما وخاصة في الهضـاب العليا والصحراء الجزائرية ، وفي اواسط وجنوب البلاد التونسية، هي افصح لغة عربية عامية موجودة على وجه الارض لان اغلب عباراتها (نحو ٩٨ في المائة) هى عبارات فصيحة قرآنية ، انما تنطق

بدون اعراب بل انى استطيع ان اؤكد بان العربية العامية في بلادنا هي افصح كثيرا واقرب الى لغة القرآن من العامية التي يتبكلمونها في اليمن وحتى في كثير من انحاء الحجاز ؛ وقد رايت بنفسي بعض عوام اليمن وبعض عوام الحجاز وتفاوضت معهم مليا فكنت ارى ان اغلب العبارات العامية التى يستعملونها بعيدة كل البعد عن العربية الفصحى .

هذا اذا نظرنا الى جهة تركيب الكلام وعباراته فحسب ، اما اذا نظرنا الى اللهجة التى ينطق بها ذلك الكلام ، راينا ان لهجة العرب العوام في شمال افريقيا خصوصا في الجهات التى ذكرنا لهجة قوية ؛ لاادغام فيها ولا تعدى على بعض المقاطيع بينما اللهجات العامية الاخرى تنطق مدغمة الى درجة يصعب معها فهم الاحرف . ثم ان العرب عندنا سواء بتونس او الجزائر ينطقون الاحرف كاملة كما كان ينطقها رجال قريش فالجيم جيم والقاف قاف والذال ذال والتاء تاء والضاد ضاد بينما اغلب بل كل اللهجات العامية الاخرى في اغلب البلاد الشرقية ؛ تضيف الى ضعف التركيب وادغام الكلمات تغيير اصوات الحروف وخاصة بمصر فالجيم هنالك ينطق *gu* او ما نكتبه نحن ق فوقه ثلاث نقط ؛ والقاف ينطق الفا مهموزة ؛ والذال ينطق زايا والثاء ينطق سينا والضاد تنطق قريبة من الطاء .

فاللهجة العامية العربية بالجزائر تعتبر بالنسبة الى اللهجات العامية الاخرى في البلاد الشرقية لغة فصحى راقية ، فالعامية عندنا هى العربية التى نزل بها القرآن انما دخل عليها تحريف قليل ، لو بذل العلماء جهدا صادقا لمحقه ، لما بقي منه شيء ونحن بذلك اقرب الامم العربية الى العربية الفصحى ، وهذه ميزة لبلادنا لايستطيع نزعها احد .

هذا وبما اننا نريد ان نحيط بالبحث من سائر نواحيه على قدر الامكان ، وجب علينا ان لاننسى لغة فريقين من المسلمين فى ارض الجزائر : لغة العملة في المدن الساحلية ، ولغة قدماء الجنود . لايخفى ان الاستعمار قد اناخ بكلاكله على كل

السواحل الجزائرية ؛ فاصبحت المدن الساحلية الكبيرة آهلة باغلبية اروبية واقلية اهلية ؛ واصبح اغلب المسلمين بتلك المدن يعمل مع الفرنسي اعمالا ثانوية اغلبها بدني اما اولادهم فلم يتلقوا فى المدارس الا التعليم الفرنسى ، لذلك قصرت في الجميع ملكة الكلام العربي واصبحوا لا يستطيعون ان يعبروا عن آرائهم ومقاصدهم باللغة العربية الدارجة ؛ لذلك اضطروا اضطرارا ان يخلطوها بنحو ٢٠ فى المائة من الالفاظ الفرنسية المحرفة يطبقون عليها قواعد الصرف العربى ..... فينشأ من ذلك خليط غريب ،

اذكر مرة ان صديقا من هذه الطبقة قال لي مرة ينتقد جمعية اسلامية لانها عقدت اجتماعها باحدى المقاهي بدل عقده بقاعة نادى الترقي ما نصه :انا يا خويا « نكريتكى » هذو الناس كان « الدفوار » متاعهم يعملوا « الرانيون » فى «السيركل» « يـد سكيتيو » مثل ما يحبوا و«يليفيو السيانس» وقت اللى يحبوا وما يلقاوش اشكون « يسبيونيهم » .

فأنت ترى ان هذا السيد لم يستطع ان يعبر عن آرائه الا باستعمال عبارات فرنسية لانه يجهل هذه الكلمات على الترتيب ؛ انتقد ، الواجب ، الاجتماع ؛ النادى ، يتفاوضون يرفعون الجلسة ؛ يتجسس عليهم .

لكن الذى نلاحظه بكل سرور هو ان النهضة العربية الاخيرة قد اتلفت الكثير من هذا الاستعمال ، والمحاضرات والمسرح والصحافة من جهة ، والمدارس العربية من جهة اخرى ، كفيلة بان تعدم هذه العادة السيئة التى ما كونها الا الجهل والاحتياج .

اما قدماء الجنود فانهم يرجعون الى اهلهم وذويهم بمثل هذه التعابير التى يحفظونها فى الثكنات العسكرية ؛ خصوصا عن كل ما يتعلق بالحياة العسكرية والسلاح وما اشبه ذلك لكن عودتهم الى وسطهم الذى نشأوا فيه ينسيهم بكل سهولة تلك العبارات الممجوجة فتتطهر السنتهم منها .

فخلاصة بحثنا اننا نرى اليوم طغيان اللغة العربية العامية على كل البلاد العربية

والبربرية من جهة ؛ ونرى ان هذه اللغة قد اخذت تترقى وتتهذب وتزداد كل يوم اقترابا من اللغة الفصحى ، والفضل في ذلك راجع للمدارس والدروس والصحافة والمحاضرات واذا انتبهت الامة الجزائرية الى تأليف المسرح العربي بلغة سهلة بسيطة لا تنبو عنها افهام العوام ، امكنها ان تسير باللغة العربية شوطا بعيدا ؛ وذلك ما سيتم قريبا بحول الله .

بقية العناصر الاسلامية

أصبح الشعب الاسلامي الجزائري ولله الحمد والمنة شعبا له كل مقومات الشعوب المتماسكة الحية ، يشعر بوحدته ويحافظ على كيانه ، ويرتبط برباط الدين والوطن واللغة والمصلحة والتاريخ ؛ فلم تعد هنالك الفوارق العنصرية تلعب اي دور في الحياة الجزائرية ؛ وترى كل عاقل محب لدينه مخلص لبلاده يسعى سعيه الحثيث لمحق بقايا تلك الفوارق القديمة والقضاء عليها قضاء نهائيا ، حتى يتم الاندماج بصفة محكمة قوية في المنطقة الجزائرية والعربية والاسلامية !

من العناصر التى يتألف منها الجسم الاسلامي الجزائرى ؛ بعد العنصر العربي والبربري عنصر الاتراك و« الكورغلية » والاتراك هم بقايا الجنود العثمانيين الذين كانوا يفدون على هذه البلاد ويستقرون بها ، ويتزوجون من بنات البلاد ؛ فيدعى اولادهم واحفادهم « الكورغلية » .

واغلب رجال هذه الطبقة ناس اخيار ، وفضلاء ابرار لهم على الاسلام غيرة كبرى وقد اضمحلت من بينهم بصفة تامة اللغة التركية ، واقبلوا على اللغة العربية اقبالا عظيما حتى قل ان تجد بينهم من لا يحسنها قراءة وكتابة ؛ ولا تزال لاغلبهم عواطف رقيقة جدا نحو تركيا والاتراك . وقد اضمحلت صفة « الكورغلية » في كل بلاد الجزائر ؛ واندمج

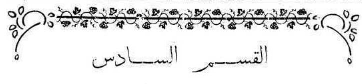
اعقاب الاتراك في العرب اندماجا تاما ولم يحافظ على الكورغلية الا طائفة كبيرة في مدينة تلمسان واقلية في مدينة المدية وفئة قليلة بعاصمة الجزائر .

وهنالك في الجزائر طائفة الزنوج ، الا انها قليلة جدا تسكن على الاكثر بلاد الجنوب ، وقد كان هؤلاء الزنوج عبيدا عند العرب والاتراك ؛ يشترونهم من السودان الذي كانت علاقته التجارية محكمة مع الجزائر ، وكان سكان الجزائر بين عرب واتراك يتباهون بعتق العبيد في كل مناسبة ، قال العلامة اميل لارشي (ج ١ ص ٩١) وكان العبيد يعاملون في ارض الجزائر معاملة حسنة ، فيدينون بالاسلام ؛ ويعتقهم اسيادهم بكل سهولة ، وكثيرا من الزنجيات كانت تصبح زوجة لسيدها ؛ فيعامل ابناءها معاملته لابناء زوجاته الاخريات ، ولما صدر قرار ٢٧ افريل ١٨٤٨ القاضي بتحرير العبيد ؛ لم يكن في ارض الجزائر كمية كبرى من الزنوج يشملهم ذلك القرار » .

وهؤلاء الزنوج اصبحوا من احسن الناس اسلاما ، الا انهم رغم كل ذلك ورغم طول استيطانهم ببلاد الجزائر بين الاوساط الراقية ؛ قد حافظوا على الكثير من عوائد الزنوج وتقاليدهم ، وموسيقاهم ورقصهم ، وشعوذاتهم واسحارهم وغير ذلك .

المسكن

هما نظرنا الى مسلمي الجزائر من حيث مساكنهم ، وجدنا ان نحو ٣٠٠٠٠٠ ١ منهم يسكنون الديار التي تختلف قيمتها الصحية ، ومليون ونصف مليون سكناهم الخيام واغلبهم رعاة رحل ، ونحو مليونين ونصف مليون سكناهم القرابة جمع قربى ، وهي اكواخ حقيرة من القش والخوص ، لا منفذ لها ولا يتخللها الهواء ، ساكنها الى الموت اقرب منه الى الحياة ، اما المساحة التي يقطنها سكان الخيام ويرعون بها مواشيهم فهي ١٢ مليونا من الهكتارات ؛ وسكان الاكواخ ينتشرون على ٦ ملايين هكتارا ، كلها من الارض البور الفقيرة ، اما سكان المدن فلهم نحو ٢٨٠٠٠٠٠ هكتار .



القسم السادس

العناصر الاخرى بالجزائر

اليهود

وانما ابتدانا بذكر اليهود لانهم اقدم عنصر غير اسلامي بهذه البلاد ، ولانهم كانوا معتبرين عنصرا اهليا وطنيا الى ان الحقهم بالعنصر الافرنسي قانون ٢٤ اكتوبر ١٨٧٠ .

اليهود في الجزائر ينقسمون من حيث اصلهم الى قسمين : منهم نازح من ارض فلسطين ؛ وقسم بربري محض اخذ الديانة الموسوية عن اوليك النازحين ، اثناء الادارة البونيقية والاحتلال الروماني .

اما اليهود المهاجرون فقد اخذوا يتواردون على هذه البلاد منذ سنة ٣٢٠ ق م . اى السنة التى استولى فيها الملك الكلدانى بختنصر (نابكود ونوزور) على بيت المقدس ، فلجأ اليهود الى بلاد ـ ابناء عمومتهم ـ الكنعانيين العرب ، وابناء عمومتهم الكنعانيين البربر ، ثم لماخرب تيطوس الهيكل اليهودى الاعظم ببيت المقدس سنة ٧٠ ق م ، هاجرت موجة اخرى من اليهود وحلت بالشمال الافريقي ، واختلطت مع اهل البلاد اختلاطا متينا ، واخيرا لما تكالبت العنصرية الاسبانية اللاتينية على العنصر السامي الموجود ببلادنا ، وارتكبت في افراده من الفظائع والموبقات والتعذيب ما يشيب لهوله الصبيان ، اضطر اليهود الاسبانيون الى الهجرة سنة ١٤٩٢ ولم يجدوا الا بلاد المسلمين تاويهم وتحميهم عندما اوصدت اغلب بلاد اروبا المتمدنة في وجههم الابواب فذهب قسم منهم لتركيا ، وقسم آخر استقر بفلسطين والبلاد العربية ؛ ونال الجزائر منهم نصيبا وافرا ، وكان اليهود يلقون في الجزائر كل حفاوة واكرام ؛ و يعاملون

معاملة الرعية التى لها ما للمسلمين وعليها ما عليهم ، ولما جاء الاسبانيون يريدون التنكيل بمدينة الجزائر سنتي ١٥١٦ و ١٥١٩ ، ادرك اليهود انهم سيذوقون اشد النكال من ايدى الاسبان ان انتصروا ، فبذلوا مع المسلمين جهدا عظيما فى الدفاع ولا يزالون الى يومنا هذا يحتفلون فى مدينة الجزائر كل سنة احتفالا دينيا بذكرى انكسار اسبانيا امام حصون الجزائر ونجاتهم من العذاب الاليم ، وقد كان اليهود يشتغلون الاعمال المالية والتجارية ، مثلما يشتغل بنو جلدتهم في كل بلاد الدنيا ، ويجعلون مصالحهم المادية فوق كل عاطفة وفوق كل اعتبار.

ومنذ ايام مصطفى باشا ، نال اليهود مركزا تجاريا احتكاريا غريبا ، حتى ضيقوا الخناق على البلاد ، وقامت ضدهم الفتنة الشهيرة ايام مصطفى باشا فخففوا قليلا من وطأة احتكارهم ، ثم ما لبثوا ان استعادوا نفوذهم المالي ، ونالت شركة بوخريص (باكرى) وبوشناق احتكار القمح وبيعه لفرنسا ، فنشأت عن ذلك ازمة القمح التى بسطنا فيها القول في القسم الثاني ، ونالوا احتكار الغابات فى البلاد القبائلية ، فكانوا السبب في تحطيم الاسطول الجزائرى وخراب دار الصناعة ، لان باشوات الجزائر كانوا متفقين مع رجال زواوة على ثمن معين للاخشاب التي يقتلعونها من غاباتهم ويعطونها للادارة البحرية لصناعة السفن ، فلما اخذت شركة بوخريص وبوشناق ذلك الاحتكار من باشا الجزائر ، مقابل ارباح معقولة ، ارادت ان تنمى ارباحها بصفة مشطة ، فانقصت من الثمن المتفق عليه مع سكان البلاد القبائلية ورأى هؤلاء ان الثمن الذى تريد الشركة ارغامهم على قبوله يخالف الثمن المتفق عليه من جهة ويجحف بحقوقهم ولا يفي بمصاريفهم من جهة اخرى ، فتوقفوا عن قلع الاخشاب وتسليمها ، وتوقفت بذلك دار الصناعة بالجزائر عن ابتناء السفن الحربية وكان ذلك من اكبر اسباب الضعف البحرى الذى عاق الدفاع عن الجزائر سنة ١٨٣٠ .

فلما جاء دور الاحتلال ، اندفعوا وراء غاياتهم المادية يشبعون نهمهم ، فكان بعضهم مع جنود الاحتلال يعمل بصفة تراجمة وسماسرة وغير ذلك ، وبعضهم مع الامير

عبدالقادر يعمل بصفة سفير او مندوب سياسي او تجاري . وكان اليهودى ابن دران هو رسول الامير الحاج عبد القادر الى الجنرال بجو ثم الى باريس ، وهو الواسطة في عقد معاهدة التافنة الشهيرة ؛ ثم كان هو المتولى للعلاقات التجارية والاقتصادية بين الدولة العربية الهاشمية بمعسكر ودولة الاحتلال .

اندفع اليهود اثر ذلك في ظل الاحتلال الفرنسي يعملون اعمالهم المالية حتى تمكن الكثير منهم من جمع ثروات طائلة ؛ وكادوا يحتكرون منابع الثروة الاقتصادية في البلاد ، وكانوا يعتبرون دائما من الاهالي الى ان جاءت الحرب الافرنسية الالمانية سنة ١٨٧٠ .

اغتنم اليهودى كريميو الذى كان عضوا فى لجنة الدفاع الوطنى فرصة تلك الازمة العصيبة : فاستصدر قرار ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٧٠ الشهير القاضى بان يهود المنطقة الشمالية الجزائرية يصبحون كلهم وطنيين فرنسين ، وكان لذلك الحادث رد فعل شديد من الجهتين الوطنية والفرنسية .

اما من الجهة الوطنية فقد ساعد ذلك على اسقاط قيمة الحكومة الجمهورية في نظر الاهالي ، خصوصا بعد المظاهر الكبيرة التى كان يتظاهر بها نابليون الثالث ، حتى قال سيدى المقراني عند اعلانه ثورته الشهيرة : اف الدولة التى يفعل فيها يهودى ما يشاء لاخير فيها .

واما من الجهة الفرنسية ، فقد ساد الانزعاج الملي وعم القلق ؛ وراى الفرنسيون وكان عددهم يومئذ لايزيد عن ١٥٠ الفا ، ان اليهود سيصبحون اصحاب الحول والطول في البلاد بواسطة الانتخابات ،وانهم سيهضمون العنصر الافرنسى ويضربون على يده ، فكان من نتائج ذلك ان قامت قلاقل دموية شديدة في سنوات ١٨٩٧ و ١٨٩٨ ؛ ذاق اليهود اثناءها الامرين من غلاة الملية الفرنسية ؛ والزم المسلمون اثناءها خطة الحياد التام .

انتهت تلك الحملة اسميا ، وان كانت ترجع الى عالم الظهور بصفة مستترة فى كل

موسم انتخابي تشريعي ، واخذ اليهود يندمجون بقوة في العنصر الاروبي ، خصوصا بالمدن الساحلية ، وتوغلوا في سائر الادارات والشركات والمصالح التي بها مال والتي تحوم حول المال .

واليهود اليوم ينقسمون الى ثلاثة اقسام : كبراء اليهود في المدن الساحلية ، وقد اندمجوا بصفة ظاهرية في الجسم الافرنسي ، وحاولوا بكل وسيلة ان ينسلخوا عن صبغتهم اليهودية الرسمية (ما عدا الدين) وذلك بواسطة الزواج ، حتى انه في سنة ١٩١١ تزوجت ٣١٩ امرأة يهودية من رجال غير يهود؛ وتزوجت ٣٠٤ يهوديات من رجال يهود .

ويهود الطبقة الوسطى والدنيا بالمدن الداخلية ولا يزالون يهودا يحافظون على يهوديتهم التامة من حيث اللباس والعادات والمسكن وكل شيء .

ويهود القرى الصغيرة واراضي الجنوب؛ وهم مندمجون مع العنصر العربي يلبسون في الاغلب لباسه ويتكلمون لغته ويتسمون بسمته :

ويعجبني في اليهود ثلاث خلال هي سبب قوتهم ونموهم وازدهارهم .

اولها . محافظتهم المحافظة التامة المطلقة على الدين الموسوي ، بحيث لا تكاد ترى يهوديا واحدا من المائة الف يهودي الذين يسكنون الجزائر لا يصوم يوم كبور ولا يوصد دكانه يوم السبت ولا يتعهد البيعة ولو في ايام معلومة . حتى من تفرنس منهم تفرنسا قلبيا . فاليهودية لاتزال بذلك قوة متماسكة كما كانت من قبل واكثر .

وثانيها — العمل والاقتصاد فانك لاترى اصلا اي يهودي متكاسل او قانع من العيش بالدون ؛ فغنيهم يعمل ويكدح لتنمية ثروته ، وفقيرهم يعمل ويكدح للتحصيل على الثروة ؛ وقد ولجوا كل ابواب الاكتساب ، واحتكروا كل مصادر الثروة بحيث لاتجد طريقا من طرق المال الا وتجد على طرفيه رجال اليهود يتصيدون في كل ماء .

وثالثها . تضامنهم الكبير ، واتحادهم اتحادا قل ان يكون له في الدنيا مثيل ، بحيث تراهم عند الازمات مثل افراد العائلة الواحدة ، ياخذ قويهم بيد ضعيفهم ، ويرشد

عالمهم جاهلهم ؛ ويندفعون كتلة واحدة لدرء المفاسد وجلب المصالح لانفسهم وذويهم وقوميتهم لهم مجالسهم الدينية مؤلفة من اخيارهم يطيعونها اطاعة عمياء ويخضعون لاحكامها ويدفعون لها ما تفرضها عليهم عن طيب خاطر ، لمواساة فقرائهم او القيام بشؤونهم العامة .

الفرنسيون

الفرنسيون فى ارض الجزائر يتفرعون من قسمين اساسيين : ابناء فرنسا الاصليون سواء قدماء الجنود الذين استوطنوا البلاد او النازحون الى الارض الجزائرية قصد استثمارها والتوطن بها . ثم الاجانب من اسبان وايطاليين ومالطيين وغيرهم ، الذين احرزوا الحقوق الفرنسية بواسطة التجنس وقرائنه الواسعة .

ولقد راينا في القسم الثاني من هذا الكتاب كيف كان قدوم النازحين من فرنسا لارض الجزائر ، وكان اغلب هؤلاء يسكنون قبل هجرتهم الى الجزائر مقاطعات الجنوب الفرنسي ، وجزيرة كورسكا ، وجهات الالزاس واللورين .

وهذا النوع من الفرنسيين هو الذى يمثل اليوم الطبقة الراقية الفرنسية التي تسكن المدن الكبيرة ، وهم الذين يعمرون اليوم المكاتب والادارات العامة والدوائر الحكومية والمحاكم وغير ذلك ، وبيدهم الكثير من الادارات المالية الكبرى والمحلات التجارية العظيمة ؛ ويملكون ارضا شاسعة اغلبها قد غرس كروما .

اما القسم الثاني فهو خليط من العنصر اللاتيني ؛ اكتسب الحقوق الفرنسية فاصبح يعتبر فرنسيا بصفة رسمية وكان اكتسابه للحقوق الفرنسية باحدى طرق ثلاث : اما التجنس الشخصي ؛ بان يطلب الاجنبي دخوله ضمن العائلة الفرنسية فينال ذلك ، واما بواسطة الزواج المختلط ؛ وذلك بان يتزوج الفرنسي اجنبية او تتزوج الفرنسية اجنبيا فتصبح المرأة فرنسية ويكون الاولاد فرنسيين قانونا واما بواسطة قانون ٢٦ جوان ١٨٨٩ القاضي بان اولاد الاجانب الذين يولدون فى ارض فرنسية ولا يطالبون عند

بلوغهم سن الرشد بقاءهم على جنسيتهم القديمة فيصبحون فرنسيين قانونا .

ومن هذين القسمين الاساسيين من ابناء فرنسا والاجانب المتجنسين نشأ القسم الثالث وهو اكبر الاقسام الفرنسية بالجزائر وصاحب الحول والطول والقوة والسلطان في هذه البلاد ، ذلك هو قسم الجزائريين الفرنسيين الذين ولدوا في ارض الجزائر من ءاباء وامهات فرنسيين واجانب .

في سنة ١٩١١ وقع احصاء مدقق عن العنصر الاروبي ببلاد الجزائر فكانت النتيجة ان عدد الاروبين كان ٧٤٦٠٠٠ منهم ٤٨٠ الفا ولدوا بارض الجزائر ، و١٥٤ الفا ولدوا بالبلاد الاجنبية ؛ و ١١٣ الفا ولدوا في فرنسا او مستعمراتها .

فانت ترى ان الفرنسيين الجزائريين هم الذين يؤلفون الكتلة الفرنسية الكبرى بهذه البلاد ، وان عددهم يزداد كل يوم ، لان الفرنسيين اصبحوا لا يتوافدون من فرنسا التي صارت لا تشمل عددا من السكان يكفي لاستثمارها ، والاجانب توقف نزوحهم الى الجزائر منذ حرب عام ١٩١٤ .

فالعنصر الافرنسي الجزائري الذي نسميه عنصر المستعمرين او الكولون هو العنصر الاروبي السائد اليوم بارض الجزائر ، وهو الذي يستاثر باكثر خيراتها ، وقد اصبح عنصرا ممتازا له سمته الخاصة وله اوصافه الخاصة وله عوائده واخلاقه ، ويعد هذا العنصر اليوم يجاوز الستمائة الف شخص لهم القول المطلق والسلطة الفعالة بارض الجزائر وهذا العنصر امتن عودا واكثر صلابة من العنصر الافرنسي الاصلي ؛ واختلاط الدم بين مختلف الشعوب يحدث عنصرا جديدا قويا صلبا خشنا ؛ كما حدث في الولايات المتحدة الامريكية وغيرها .

والفرنسي الجزائري يتصف بثلاثة اوصاف اصلية قلما تنعدم في فرد من افراده : اولها تدينه الشديد وغيرته على المسيحية وكنيستها ورهبانها ، وثانيها سعيه الحثيث للاستيثار بكل نفع لنفسه غير مفكر في مصلحة الاخرين ؛ وثالثها بغضه للعناصر الاخرى سواء كانت يهودية او اسلامية او غيرها .

قال رجلان من اساطين القانون والعلم ومن زينة رجال العدل والحقوق ، الاستاذان الاكبران اميل لارشى مدرس الحقوق سابقا بكلية الجزائر وجورج ركتا نفالدكاهيةرئيس المحكمة المختلطةبتونس ؛ ومدرس الحقوق بها في كتابهماالعظيم الاهمية عن التشريع الجزائرى (ج ١ ص ١٠٢) يصفان العنصرالافرنسي الجزائرى الجديد ما تعريبه :

« قد اخذنا نرى تأليف عنصر جديد على الارض الجزائرية هو العنصر الفرنسى الجزائرى المتألف من اندماج العناصر اللاتينية فى هذه البلاد ، وان كان هذا العنصر الجديد قد احتفظ ببعض الصفات الفرنسية فله كثير من العيوب التى يكتسبها الانسان بكل سهولة؛ واننا لنقدم اسوء خدمة للذين يهمنا امرهم اذا كنا نخفي عنهم الحقائق ، فطباع الاروبي الجزائرى هى التى تبين لنا سبب امراض الجزائروءالامها ، ذالك لان الجزائرى قد فقد الكثير من انفس الخلال والصفات الفرنسية .

فهو يتصف قبل كل شيء بضيق الدائرة الفكرية بصفة مفرطة ، ويزيد على ذلك شدة اعتداده بنفسه واعطائها قيمة عظيمة ، ثم ان له بغضا شديدا لسائر العناصر الاخرى ومن موجبات الالم والاسف ان نرى صبية صغارا يستعملون كلمة « يهودى او « اسباني » او « بيكو » في معرض السب والشتم ، فهل هذه عواطف اخوة ومساوات؟ ثم ان الجزائرى الفرنسى فاقد فكرة التسامح بصفة مدهشة ؛ لايعرف الا الذهاب الى احد حدى التطرف ولقد برهن اثناء الحوادث التى وقعت ضد اليهود والتى يؤسف عليها انه قريب جد القرابة من الايطاليين و الاسبان ثم انه يجهل بصفة مطلقة المصلحة العامة ، فان تفاوض او تجادل فى مسالة فانه يجادل على بساط المنفعة الذاتية الخاصة اومنفعة الصف الذى ينتمى اليه ويظهر لنا ان الجزائرى قد اخذ فكرة التحزب للصف من العناصر الاصلية ؛ فطبع هذا الجزائرى هو كما قال زميلنا مسيو كولان طبع انتفاعى الى اقصى حدود الانتفاع ؛ والانتخابات لاتقع ابدا حول فكرة معينة انما تقع حول الشخصيات فحسب .

« هذا ، وبعد ان اطنبنا في ذكر مساوى الجزائرى بكل تدقيق ، علينا ان نعترف

له بمحاسن عديدة ، فهو بطبعه ذكي ، عامل ، ضحوك وكه حسن الوفادة . والمستعمرون الاولون اظهروا قوة مراس شديدة في فتح الارض ؛ يقاومون بدون انقطاع : الاهلي و الحمى والبؤس ، ولا نستطيع ان تجول فى الساحل او سهول متيجة وعنابة بدون ان نشعر بهزة اعجاب با عماله وفخار به » .

هذا هو العنصر « الفرنسي الجزائرى » بمحاسنه و مساويه ؛ ولكل امة محاسن ومساو ؛ صوره لنا الاستاذان الكبيران فاجسنا تصويره ، وختما بحثهما عنه بقولهما « لايملك تلك الافكار النبيلة الكريمة الحرة ؛ و ذالك الغرام بالمصلحة العامة. وتلك الافكار وذلك الغرام هما اللذان كونا قوة فرنسا وعظمتها » .

ان هذا العنصر وهو كما قلنا القوة المتصرفة فى البلاد يسير بارض الجزائر نحو نظام المستعمرات المستقلة «الدومنيون » وقد نجح اكبر نجاح في هذا السبيل منذ تحصل على استقلال الجزائر المالي وتاسيس مجلس النيابات المالية التى يملك فيها القول الفصل

وان عرضت مسألة تعارضت فيها مصالحه مع مصالح فرنسا دافع عن مصالحه بشدة وقوة ؛ ولم يتراجع عن التلويح ببعض التهديدات التى فيها اشارة قوية لما تكنه نفسه من الاستقلال الذاتي والاعتداد .

في سنة ١٩٣٠ حدثت فى فرنسا ازمة الخمور ، بحيث كان ماانتجته فرنسا يفوق ما تستطيع استهلاكه ؛ فانحطت بذلك الاسعار ووقعت ازمة كبيرة . ومستعمرو الجزائر ينتجون كميات عظيمة من الخمور الجيدة ويرسلونها الى فرنسا كل سنة ، فتزيد الازمة ضيقا واشتدادا .

اخذ نواب المقاطعات الفرنسية التى تنتج الخمور يحتجون بشدة على دخول الخمر الجزائرى لفرنسا ؛ وعرضوا على مجلس الامة سن قانون يحدد كمية معينة من خمور الجزائر تدخل لفرنسا سنويا ولاتتعداها ؛ وتعصب رجال فرنسا ضد الخمور الجزائرية فكادت تكون الضربة قاسية قاضية على ثروة المستعمرين الجزائريين الذين ان اوصدت فرنسا دونهم ابوابها لم يجدوا اين يبيعون خمورهم ؛ فقاموا بدورهم بمظاهرات عظيمة ؛

وخطب نوابهم خطبا حماسية شديدة ، قال احدهم فيها : يجب على فرنسا ان لاتنسى ان سبب انفصال مستعمرات اميركا عن انكلترا هو محاولة هذه سن ضريبة فادحة على التاى تضر بمصالح المستعمرة ! وهذا كما ترى تهديد صريح بالانفصال ، وقال آخر : «ان سارت فرنسا في هذا الطريق فاننا لا نحتفل معها بعيد التذكار المئوى لاحتلال الجزائر ، الى غير ذلك من الاقوال والاعمال التى جعلت نواب المقاطعات الفرنسية المنتجة للخمور يتراجعون ؛ حتى لم يتم من امر القانون شيء و بقيت الخمور التى ينتجها المستعمر الجزائرى تدخل فرنسا حرة كما كانت.

فهذه الحالة تدلنا دلالة واضحة على عواطف واميال وقوة وصلابة المستعمر الجزائرى ، وتدلنا ايضا على اتجاهه الفكرى .

الاجانب

عدد الاجانب جسيما بالجزائر ؛ ينتشر فى مختلف اصقاعها ؛ و يكاد يكون متوازيا مع عدد الفرنسين ؛ ثم اخذ يتناقص شيئا فشيئا الى ان صارت نسبته ١ من ٦ ثم هو ءائل الى الاضمحلال الرسمي.

فى سنة ١٨٧٦ كان عدد الفرنسيين ١٥٦ الفا وعدد الاجانب ١٥٥ الفا وفي سنة ١٩٠٦ كان الفرنسيون ٢٢٠ الفا والاجانب ١٥٣ الفا اما في سنة ١٩٢٦ فقد كان الفرنسيون ٦٢٠ الفا والاجانب ١٧٥ الفا .

ما ذلك لان عدد الفرنسيين الواردين من فرنسا قد تكاثر ، او ان الاجانب المستقرين بارض الجزائر قد رجعوا الى اوطانهم شيئا فشيئا كلا ، بل ان قوانين التجنس الفرنسى تبتلع كل سنة عددا جسيما من الاجانب فتدخلهم في الجسم الفرنسى الجزائرى ، ولو بقى بعضهم مثل الرقعة الواضحة على ذلك الجسم . ويكفيك انه في سنة ١٩١١ بلغ عدد المتجنسين من الاجانب ١٨٨ الفا .

فبينما نرى التجنس يبتلع الاجانب ويضمهم رسميا الى الفرنسيين ، نرى ان البلاد

الاجنبية كاسبانيا وايطاليا ومالطة لم ترسل منذ سنة ١٩١٤ ابناءها الى هذه البلاد ؛ وذلك للتغير الذى طرأ على الحالة الاقتصادية ، وتدهور سعر الفرنك وارتفاع سعر البسيطة الاسبانية والليرة الانكليزية ، بحيث ان العامل الاجنبي اصبح لا يستطيع ان يقتصد في هذه البلاد مبلغا من المال يعود به الى وطنه .

فالاجانب الذين بقوا مستقرين بهذه البلاد والذين ستضمحل بعد قليل صفتهم الاجنبية ويصبحون فرنسيين قالبا اغلبهم من الاسبان ويليهم الايطاليون ثم المالطيون.

فالاسبانيون المستوطنون قدم اكثرهم من ناحيتى اليكانتة وبلنسية ، ومن جزائر الباليار وكاتالونيا وولايتى مرسية والمرية ، ويستقر اغلب الاسبان فى ناحية وهران وعمالتها ، فقد كان عددهم سنة ١٩٢٦ بعمالة وهران ٧٩ الفا وبعمالة الجزائر ٣٦ الفا ، وبعمالة قسنطينة ١٣٦٠ .

فالعنصر الافرنسى فى عمالة وهران يمثل ثلث السكان الاروبيين والعنصر الاسباني المتجنس يمثل ثلثا اما الثلث الباقى فهو العنصر الاسباني المحافظ على اسبانيته ؛ فاذا اخذنا دليلا على هذا ارقام سنة ١٩١١ وجدنا ان عمالة وهران تشمل من الاروبيين : ٩٥ الفا من الفرنسيين الرسميين ، و ٩٣ الفا من الاسبان و ٩٣ الفا من الاسبان المتجنسين .

والسبب فى كثرة تقاطر الاسبانيين قبل الحرب على عمالة وهران هو سهولة المواصلات وقرب الطريق : فى ثماني ساعات تقطع الباخرة المسافة بين قرطاجنة ووهران .

والاسبان يخدمون بشدة مراس وقوة ويقومون على الاكثر بالاشغال الشاقة وبغراسة البقول فى نواحى الجزائر العاصمة . وقد الف الاسبانيون حياة الجزائر وراقة لهم فاصبحوا لا يستطيعون مغادرتها والعودة الى اوطانهم الا ان قلوبهم لا تزال اسبانية متعمقة فى الاسبانية حتى اكثر المتجنسين منهم .

والايطاليون ينتشرون على عكس الاسبانيين في الناحية الشرقية الجزائرية ويقل عددهم بالتدريج فى عمالتي الجزائر ووهران. كانوا فى سنة ١٩٢٦ يبلغون ١٥٥٠٠

بعمالة قسنطينة (جارة تونس التى بها نحو ٩٠ الفا منهم) وبعمالة الجزائر١٠٩٠٠ وبعمالة وهران ٢١٧٧ فقط .

والكتلة الايطالية الكبرى تقيم حوالي مدينة بونة « عنابة » حيث يسكن نحو ٥٥٠٠ ايطالي و ٦ الآف ايطالي متجنس ، وقد اضطر الايطاليون الى التجنس اثر قانون غرة مارس ١٨٨٨ القاضى بان الصيد على السواحل الفرنسية والجزائرية ممنوع على الاجانب وبما ان الايطاليين يحترفون الصيد ؛ فقد فضلوا السمك على التبعية الايطالية واكثر الايطاليين يشتغلون بعد صيد السمك بحرفة البناء ويشتغلون كذلك فى المناجم والمقاطع .

وهنالك فى الجزائر جالية مالطية كانت تبلغ نحو ١٥ الفا انما ابتلعتها قوانين التجنس فاصبح اكثرها معدودا مع الفرنسيين ولم يبق محافظا على مالطيته الى حين ، الانحو الثلاثة الاف منهم والمالطى يختلط مع العنصر الوطنى بكل سهولة اذ المالطى كما لا يخفى من عنصر سامي ، وهو بقية العنصر الكنعاني الفنيقي القح لذلك فهو ابن عم العربي والبربري ؛ ولغته الاصلية هي اللغة الكنعانية التى كانوا يتكلمونها فى قرطاجنة وصيدا اي لغة عربية محرفة ويشتغل المالطيون بالحرف الصغيرة والصنائع ، وهم مقتصدون يتوصلون سريعا الى اكتساب الثروة .

وكل هذه العناصر كما قلنا تندمج شيئا فشيئا في الجسم الفرنسى ؛ بحيث لن تمضي مدة عشرين عاما اخرى حتى تكون العناصر الاجنبية كلها قد اضمحلت بصفة رسمية من الجزائر واصبح يشملها اسم فرنسى .

وكل عنصر من العناصر الغير الاسلامية يتكلم لسانه الاصلي مع مشاركة فى اللسان الفرنسى ويقولون ولست ادرى مبلغ هذا القول من الصحة ؛ انه سيجيء يوم تنعدم فيه اللغات الاجنبية ولا يبقى الا اللسان الفرنسى لغة عامة لكل الفرنسيين الجزائريين .

وسواء تم هذا او لم يتم فاننا نرى من الآن تكون لغة جديدة يدعوها القوم لغة « سابير » هي خليط من الفرنسية والايطالية والاسبانية والمالطية والعربية ، تخاطب

بها الطبقات العامة الاجنبية فيما بينها ، كما ان اللسان الفرنسى نفسه قد فقد في هذه البلاد رقته ورشاقته فاصبحت لغة الفرنسى الجزائرى خصوصا في لهجتها بعيدة عن لغة الفرنسى الاصيل .

وتمتاز هذه الطوائف كلها بشدة التدين والتعصب للمسيحية والكنيسة ، والعنايه التى تبذلها الحكومة بتعليمها شديدة ؛ بحيث انك لا تكاد تجد صبيا من صبيانها لا يتردد اجباريا على المدرسة حيث يتلقن : اجدادنا الغولوا كانوا شقر الالوان !

ولا تكاد تجد في هذه الاوساط كلها فقيرا معدما ؛ فكلهم يعمل وكلهم يجد من الحكومة ومن البنوك ومن المؤسسات العامة ومن الجمعيات الخيرية ما يساعده على الحياة والقيام بشؤون عائلية .

فالرباط الحقيقي الذى يربط كل هذه العناصر بعضها الى بعض ويكون منها عنصرا جديدا هو رباط المسيحية ويليه رباط العنصرية اللاطينية .

فكما ان العربي والبربري قد أئتلفا برباط وحدة العنصرية وكلاهما في الاصل من عنصر واحد وموطن اسوى واحد ، وبرباط الاسلام المتين ، كذلك ارتبط الفرنسيون والاسبان والايطاليون بهذه الديار برباط اللاتينية والمسيحية ، وبهذه الصفة وبهذه الواسطة تكون العنصر الفرنسى الجزائرى من اخلاط سائر العناصر .

القسم السابع

الجغرافية الطبيعية العامة

لقطر الجزائر

البحث الاول

نظرة جغرافية عامة

ارض الجزائر واسطة عقد الشمال الافريقي والدرة الوهاجة في تاجه الثمين ، يسميها العرب المغرب الاوسط لموقعها بين المغرب الادنى وهو المملكة التونسية والمغرب الاقصى وهو سلطنة مراكش ، والحق ان جزيرة المغرب كلها وحدة جغرافية لاتكاد تجزأ ، يفصلها البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي عن بقية الارض شرقا وغربا وشمالا وتفصلها الصحراء الكبرى بمفازاتها الرملية المترامية الاطراف عن بقية الارض جنوبا فالجزائر التي هي وسط شمال افريقيا ترتبط بجارتيها تونس والمغرب بكل الروابط التي يمكن ان تربط اجزاء بلاد وتجعلها وحدة متكاتفة مترابطة : وحدة اللغة ووحدة العناصر ووحدة الدين ووحدة الثقافة ووحدة المصلحة .

الا ان السياسة قد قسمت اداريا هذه الارض منذ عدة قرون ؛ فجعلت منها مملكة تونسية ومملكة جزائرية وسلطنة مغربية .

حدود الجزائر وتاريخها

الحد الطبيعي الوحيد للقطر الجزائري هو الحد الشمالي ، حيث يمتد البحر الابيض المتوسط من القالة الى نمور (الغزوات) فيجعل لها ساحلا طوله ١٢٠٠ كيلو متر ، اما بقية الحدود الجزائرية فهي حدود وضعية كونتها يد السياسة . فالحد من جهة الدولة التونسية خطط بتدقيق الى شط الغرسة سنة ١٨٨٨ ؛ ثم الى بيرالرومان

عام ١٩٠١ ومن جهة المغرب الاقصى يمتد الحد على وادى الملوية ، ولم يقع رسمه بصفة مبينة الا فى ١٧ مارس سنة ١٨٤٥ بمعاهدة لالامغنية، حيث رسمت فرنسا باتفاق مع الدولة المغربية حدا يفصل بين املاك الدولتين ، انما ذلك الحد كان لا يصل الى منطقة الجنوب وفى سنة ١٩٠٢ وقعت اتفاقات جديدة كانت تكملة للاتفاق السالف حيث رسمت حدود الجنوب ؛ ولم يتم تحديد الخط الوضعى الذى يفصل الجزائر عن دولة المغرب الاقصى الا سنة ١٩١٠ فى منطقتين الفقيق و بو ذنيب ، و ختاما في ٢٦ ماي ١٩١٤ فى تحديد دائرة كولومب بشار .

اما من جهة الجنوب فللجزائر حدان ، احدهما طبيعى و الآخر وضعى. اما حدها الطبيعى فيمكن ان يعتبر عند نهاية الاطلسى الصحراوى، حيث تبتدي طلائع الصحراء الكبرى ولقد صدر قانون فرنسى فى ٢٤ دسامبر ١٩٠٢ باعتبار هذا الحد الطبيعى حدا لمستعمرة الجزائر ، واعتبر الارض الجزائرية التى تليه بلادا اخرى تدعى ارض الجنوب اما التحديد الوضعى الذى يفصل ارض الجزائر كلها شمالها وجنوبها عن السودان المسمى أفريقيا الغربية الفرنسية فقد وضع باتفاق الادارتين في ٢٠ جوان ١٩٠٩ وهذا الخط الجنوبي يمتد من رأيودى اورو الى طرابلس الغرب ولقد حررت اتفاقية جديدة بين ايطاليا وفرنسا في ١٢ سبتامبر ١٩١٩ حددت الخط الفاصل بين جنوب الجزائر وطرابلس فيما بين غدامس وغات؛ وعدلت ذلك الخط لفائدة ايطاليا .

المساحة

الجزائر الشمالية تشمل حسب التقسيم الادارى ٢٠٧ ٤٩٣ كيلو ميترا مربعا . وهذا القسم يمتد من خط الطول درجة ٦ شرقى الى درجة ٤ غربى ، فيكون طول هذا القسم ١١٠٠ كيلو متر من الشرق الى الغرب ، اما عرضه من الشمال الى الجنوب فهو يتراوح بين ٣٥٠ و ٤٠٠ كيلو ميتر من خط العرض الشمالي ٣٤ الى الخط ٣٧ اما ارض الجنوب الجزائرى فمساحتها تبلغ ٦٠٥ ٩٨٧ ١ كيلو مترا ، الا ان السكان قليلون جدا فى هذه المساحة . فتكون مساحة الجزائر الشمالية والجنوبية ٢ ١٩٥٠٩٨ ك م

السواحل الجزائرية

يمتد الساحل الجزائرى كما قلنا على خط طوله ١٢٠٠ كيلومترا . وهو ساحل قليل المنعرجات ، يسير على خط مستقيم تقريبا من الشرق الى الغرب ، فلا ينفتح عن خليج عريض ولا تمتد منه فى البحر شبه جزيرة ذات اهمية عدا شبه جزيرة سيدى فرج ، والجزر نفسها تكاد تكون منعدمة ، وما هو موجود منها ليس له ادنى اهمية بالمرة ؛ والساحل الجزائرى فى مجموعه صخرى حجرى ، تترامى عليه امواج المتوسط مرغية مزبدة ، لذلك كانت المراسى الطبيعية منعدمة فيه ، وقد لزم بذل جهد عظيم لحفر المراسى و جعلها في مأمن من غوائل امواج البحر المتلاطمة ؛ فمراسى عنابة وسكيكدة و بجاية والجزائر وارزو ووهران ؛ كلها تقع داخل خلجان صغيرة ، انما هى خلجان مفتوحة لاتجعل السفن في مأمن داخلها ؛ لذلك لزم اقامة سدود حول المراسى لحماية السفن . وكل المراسى الجزائرية تقع اما في وسط الخليج اوعلى جانبه الايسر ؛ و ذلك لان بوغاز جبل طارق بين اسبانيا والمغرب الاقصى ؛ يصدر تيارا مائيا قويا يتجه من الغرب الى الشرق ؛ وتصحب ذلك التيار رياح قوية ،لذلك حفرت المراسى الجزائرية بصفة تجعلها غير متعرضة لتلك الرياح .

الارض الجزائرية

الجزائر فى مجموعها نجد ، اى ارض مرتفعة ؛ ليس بها الا القليل من السهول المنخفضة ، فاذا نظرت الى عموم الارض الجزائرية من الساحل الى الجنوب رايتها تشمل سهولا ضيقة الى جانب البحر ، تليها سلسلة جبال الاطلس التلى تمتد من اقصى شرقها الى اقصى غربها ، ويلي تلك السلسلة مجموعة من الانجاد العليا يبلغ ارتفاعها احيانا ٨٠٠ متر او تزيد ؛ وبعد ذلك تجد سلسلة جبال الاطلس الصحراوى ؛ تمتد كذلك من الشرق الى الغرب ، ووراء ذلك تجد الجنوب الجزائرى وهو باب الصحراء الكبرى. فالجزائر اذاً تشمل ثلاث مناطق مختلفة : التل والانجاد والصحراء ؛

الجبال الجزائرية

ليس للجبال الجزائرية ما لجبال المغرب الاقصى من العظمة والارتفاع ، ولا يوجد بها اى جبل يكلل الثلج هامته بصورة مستمرة ، فالاطلس التلي لا يرتفع بصورة واضحة الا في شرق الجزائر وفي غربها . في شرق الجزائر ترتفع جبال الجرجرة والبابور والبيبان فتبلغ قمة الاولى ارتفاع ٢٣٠٠ مترا و الثانية ٢٠٠٠ والثالثة ١٨٠٠ ، اما اقصى نقطة يبلغها ارتفاع الاطلس التلي فهى في وسط الجرجرة حيث تبلغ قلة لالا خديجة ارتفاع ٢٣٠٨ امتار ، وفى غربي الجزائر ترتفع جبال تلمسان الى ١٨٠٠ متر ؛ و تبلغ قمة الونشريس ١٩٨٥ مترا وتسمى « عين الدنيا » .

اما الاطلس الصحراوى فهو ضخم واجسم من الاطلس التلي ، الا انه قلما جاوز في ارتفاعه الالفى مترواهم مرتفعاته قمة جبال اوراس و هى اضخم واعظم جبال الاطلس الصحراوى ؛ وتدعى « الشلية » وارتفاعها ٢٣٢٧ مترا فهى اذاً ارفع نقطة في القطر الجزائرى .

والجبال الجزائرية من حيث هى تنقسم الى قسمين : قسم يمتاز بروعته و جماله الطبيعي ؛ يكتسى حلة سندسية من الغابات الكثيفة وتخترقه الاودية الخلابة ، وفيه من المناظر البديعة ما يسبى العقول ويذهل الابصار ؛ كجبال الجرجرة والاوراس والونشريس وتلمسان ، وقد كونت الاودية خلال هذه الجبال فجاجاً (١) ذات روعة و جلال ، مثل فج خراطة الشهير في جبال البابور ؛ وفج القنطرة في الاوراس و مضيق الرميل بقسنطينة .

والقسم الثاني مؤلف من جبال صخرية جرداء ليس بها جمال ولا يوجد بها اي منظر خلاب يستلفت الانظار ، ثم انك اذا قسمت الجزائر الى قسمين شرقي وغربي رايت ان القسم الشرقي منها هو القسم الاكثر عمرانا ؛ وهو موطن الجمال الطبيعى والجبال الخلابة والمناظر البهجة ، واما القسم الغربي فهو ارض الزراعة الكبرى .

---

(١) جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين

ثم انا اذا نظرنا الى سلسلتي جبال الاطلس الجزائرية من الشرق الى الغرب رايناها تتتابع كما يلي : في جهة الساحل جبال ايدوغ المشرفة على عنابة ثم زكار والظهرة بين الجزائر و مصب الشلف ، واخيرا الطررة بين وادى تافنة والحد المغربي . ويلي ذلك سلسلة جبال الاطلس التلي ؛ تبتدئ بجبال مجردة من الحد التونسي ؛ وتستمر الى جبال الدابور شمالا ، وبعدها كتلة الجبل الكبرى ، الجرجرة شمالا ؛ والبيبان جنوبا ، ثم جبال ديرا وفوقها جبال تيطرى وفي شمالها الغربي جبال البليدة ؛ وبعد انقطاع صغير توجد جبال الونشريس ثم جبال سعيدة ثم جبال الضاية واخيرا جبال تلمسان وفوقها جبال التسالة .

اما سلسلة الاطلس الصحراوي فتبتدئ كذلك من الاطلس التونسي ويتكون منها جبال اوراس المنفصلة ذات الكتلة العظيمة ؛ وبعد انقطاع صغير تستمر بجبال اولاد نائل ثم جبال الجلفة ، وجبال عمور او الصحارى ؛ واخيرا جبال القصور .

ولنتكلم الساعة عن المناطق الجزائرية الثلاث المختلفة فنقول :

التل والساحل

الساحل الجزائري هو الواجهة الجزائرية البديعة الممتازة من حيث جمالها وغناها يمتاز بطقسه المعتدل وسمائه الصافية وبحره الازرق البديع وهو موطن الاشجار المثمرة من نارنج وليمون ، وارض الزهور البديعة والفواكه المبكرة ، والساحل الجزائري هو الذي اناخ عليه الاستعمار بكلاكله وطغت عليه اقوى امواج النازحين من فرنسا ومن البلاد الاجنبية حتى اصبح كانه قطعة ارض فرنسية ، لولا البقية الباقية فيه من اهله الاقدمين . وفي هذا الساحل تقع المدن البحرية الاروبية الكبرى امثال عنابة وسكيكدة والجزائر ووهران ، والاغلبية الساحقة من سكانها اروبية بحتة .

فالتل الجزائري ينفسح الى جانب البحر عن سهول عديدة اهمها : سهول عنابة وسهول الجزائر المسماة بالمتيجة وسهول وهران ، والاغلبية الكبرى من هذه السهول الغنية البديعة ملك للمستعمرين والاجانب .

ثم ان سلسلة الاطلس التلي نفسهـا ؛ وهي تقع وراء المنطقة السـاحلية ، تنفسح احيانا عن سهول واسعة متقطعة اهمها سهول المدية وسهـ ل سيدي بلعباس ويشمل ذلك الاطلس التلي قطعا متتابعة من الجبال الكبيرة هي من المشرق الى الغرب البيبان و بابور والجرجرة و الونشريس (موطن العـلامة احمد بن يحيى الونشريسي الشهير صاحب التآليف الشهيرة) وجبال تلمسان فالتل احسن ناحية ممطرة بالقطر ، و هو كذلك اوسع البقاع الجزائرية عمرانا ، وثلاثة ارباع سكان القطر الجزائرى يعيشـون من خيراته ونتائجه ، وسكان التل كلهم من اهل الاستقرار والاقامة ، يسكنون امـا المدن المختلطة امثال قالمة وقسنطينة والبليدة والمدية وسيدى بلعباس وتلمسان ، او يقطنون الدشر القبائلية البربرية او الدواوير العربية .

فناحية التل الساحلية والجبلية هى ثروة الجزائر الزراعية وفيها قوة الاستعمار .

﴿ الانجـــاد ﴾

وتسمى الهضاب العليا ، وهي المنطقة التى تلي جبال الاطلس التلي كما قلنا ، و هذه الهضاب او الانجاد تمتاز على عكس بلاد التل بفقرها وخلوها بصفة تقريبـيـة من السكان ، تجدها على اكثرها قاعا صفصفا يرتفع نحو الثمانمائة متر عن سطح البحر ، ولا ترى به شجرة ولا تغير مناظر ، ولا تبصر به ماء جاريا الا فى القليل النادر ، اما طقسه فمتحول متقلب ، تجده ايام الصيف شديد القيض ، ولياليه باردة ، اما شتاؤه فقارس لاذع ، وكثيرا ما تنحط فوقه زوابع الثلوج المخطرة

لم يستول الاستعمار على هذه الارض لانه لا يستطيع ان يستثمرها ، انمـا مد يـده بنجاح الى بعض الاقسام الشمالية منها ، قد امتازت بوفرة امطارها وتلك هي نواحي سطيف والسرسو وتيارت . اما بقية اقسام الهضاب العليا فقد بقيت موردا ضئيلا جدا للقبائل العربية لا يسمنها ولا يغنيها من جوع فهي تقتلع منه نبات « الحلفا » الذى هو النبات الوحيد بهذه الارض ، وتبيعه بابخس الاثمان لنواب الشركات والمعامل الاروبية اما فى فصل الربيع عند ما يحجب الكلا بعض اقسام تلك الارض وتنبت به

الاعشاب ؛ فان رعاة الغنم الاعراب يصعدون اليه من الجنوب لرعي مواشيهم ؛ حتى اذاما اقترب زمن الشتاء عادوا ادراجهم صحبة السائمة الى الصحراء . فاذا ما وقع جفاف ولم تكتس تلك الانجاد حلتها السندسية المألوفة ولم تدخر شيئا من المال تروى به الغنم غلتها ، وقعت الفاجعة الكبرى وخسر العرب موردهم الذى يكاد يكون وحيدا وهو سائمة النعم . وقد اقترح مسيو فيوليت الوالى العام الاسبق من جملة ما اقترح على مجلس الشيوخ من الاصلاحات الجزائرية : انشاء صهاريج عظيمة فى عدة نواح من هذه الارض تجمع ما يمكن جمعه من ماء المطر والاودية حتى اذا مـا نضب المياه وجدت الاغنام موردا يطفي غلتها .

البحيرات والسباخ

وفى هذه المنطقة منطقة الانجاد تجد السباخ الكثيرة المالحة ، فان كانت كبيرة سميت بالشط وان كانت صغيرة دعيت «زاغز» اهمها شط الحضنة وارتفاعه ٤٠٠ متر عن سطح البحر وطوله ٧٠ كيلو مترا وعرضه من ١٠ الى ٢٥ ك م ومساحته ٢٧٦٥٤ هكتارا ثم زاغز الشرقي ، وهى بحيرة تمتد فوق ٥٠٠٠٠ هكتارا من الارض على ارتفاع ٨٤٠ م عن سطح البحر ، وفيها نحو ٣٣٠ مليونا طنا من الملح وعلى بعد ٤٠ ميلا منها تجد في الغرب زاغز الغربي ؛ وهى بحيرة تحجب ٣٢ الف هكتار وتقع على ٨٥٧ متر عن سطح البحر ، واذا زدت اتجاها نحو الغرب وجدت اعظم الشطوط «السباخ» الجزائرية وهى الشط الشرقي وارتفاعه عن سطح البحر ١٠٠٠ متر و مساحته ١٦٥٠٠٠ هكتارا وطوله ١٥٠ كيلو مترا وعرضه يتراوح بين ١٠ و ٢٠ كيلو مترا وعلى بعد نحو الاربعين كيلو مترا منه تجد الشط الغربي ويسمى شط هميان ومساحته ٥٥٠٠٠ هكتارا طوله ٤٠ كيلو مترا وعرضه بين ٨ و ٢٠ كيلو مترا .

الصحراء

اثر هذه الانجاد تجد سلسلة الاطلس الصحراوى ، تبتدى فى الشرق بجبال اوراس وتستمر سائرة نحو الغرب بجبال اولا نائل د ، وجبال الجلفة وجبال عمور وجبال القصور

فاذا ما انحدرت منها وجدت نفسك امام الصحراء . يخيل اليك ان الصحراء منبسط من الارض فسيح الى درجة لا نهائية تحجبه الرمال الصفراء ، الا ان الصحراء ليست كذلك بالمرة ، فهى اولا ليست منبسطة بل هى ترتفع شيئا فشيئا نحو الجنوب حتى يبلغ ارتفاعها عند نجد الهكار ١٩٠٠ مترا عن سطح البحر ، ثم هى ثانيا ليست كلها بلاد رمال ، بل تنقسم الى قسمين : القسم الصخرى وهو الحمادة ، يشمل صخورا متتابعة لا يرى البصر لها نهاية ؛ ذات منظر يدخل الغم والكمد على القلوب ؛ ثم القسم الرملي وهو العرق وهو قسم اقل رهبة واكثر رحمة من القسم السالف ؛ لان رطوبة الرمال السفلي تسمح لبعض الاعشاب الضعيفة بالنمو ، فتجدها الابل غذاء نافعا كافيا ، وتجد الآبار العذبة تكتنف العرق مما يتسرب اليها من مياهه ؛ والطقس فى الصحراء هو طقس جهنم وزمهرير معا : فى الصيف تبلغ درجة الحرارة ٧٠ درجة في الرمال ، اما فى الشتاء فكل شيء يتجمد . وكذلك اختلاف الطقس بين الليل والنهار فمهما يكن النهار حارا ملتهبا يكن الليل باردا لاذعا . لا ينزل المطر في الصحراء الا بصفة زوابع غير مستمرة ؛ واحيانا تنقضى السنوات العديدة بين زوبعة واخرى . وقد حوت هذه الارض متناقضات غريبة ، فبينما هى على هذا الحال من الفقر والطقس الكنود ، تجد فيها بعض واحات هى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار انما لاخلود فيها ، تنبت تلك الواحات في وسط الصحراء كما ينبت الامل فى وسط اليأس ، فترفع افنانها الخضراء السندسية نحو السماء الزرقاء الصافية وتبطرها الشمس باشعتها الذهبية الوهاجة ؛ بينما المياه الدافقة تغذى اصولها وهكذا تتكون غابات كثيفة فيها مئات الآلاف من النخيل الذى ينتج رطبا جنيا . وحول تلك الغابات النخلية وفيما بينها تجد الاشجار المثمرة المختلفة والفواكه البديعة . وسنتكلم عن هذه الواحات عند كلامنا على ارض الجنوب ثم ان ارض الصحراء هي ارض تربية الابل ، والابل سفن الصحراء ولولاها لما كانت الصحراء تستطيع ان تقيم عمرانا او تباشر عملا .



البحر الابيض المتوسط
عمالة وهران
عمالة الجزائر
عمالة قسنطينة
الجزائر
وهران
قسنطينة
تلمسان
تطوان
فاس
تازة
المغرب الاقصى
المملكة التونسية
طرابلس الغرب
ارض عين صفرا
عين صفرا
فقيق
البيض
المشرية
الجلفة
الاغواط
ارض الاغواط
غرداية
ورقلة
القليعة
العرق الغربي
العرق الشرقي
ملحق ورقلة
تيميمون
توات
تيديكالت
عين صالح
ارض الواحات
بلاد الهقار
تامنراست
(الطوارق)
تانزروف
(تينبري)
غدامس
غات
اهم السكك الحديدية
خريطة عامة
للقطر الجزائري وملحقاته
حدود القطر وملحقاته
حدود العمالات واراضي الجنوب
المقياس
٥٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠
كم

الامطار

الجزائر قطر فلاحي بحت ، ونتائج الارض هي مورده الوحيد ؛ فللامطار في الارض الجزائرية اهمية استثنائية لانها وحدها منبع الحياة ؛ لذلك وجب علينا ان ندرس نظام الامطار ومناطقها المختلفة درسا مدققا

الجزائر تنقسم من حيث الامطار الى خمس مناطق مختلفة :

المنطقة الاولى وهي الاكثر غيثا ، وتتلقى اكثر من ٨٠٠ ميليمتر من الماء، تمتد في شرق الجزائر من دلس الى التخوم التونسية ، ثم تتجه من دلس نحو الجنوب الغربي حتى تصل قرب مليانة ، وتشمل اهم جبال هذه الناحية ، وتنتهي عند نهاية جبال بابور والجرجرة والبليدة. تجد الامطار تبلغ في هذه المنطقة الممتازة ١٠٣٦ مليمترا في فورناسيونال، و ١٠٣٦ في بجايه ، و١٠٠٧ في جيجل ؛ و٨٥٧ في مليانه ؛

ولا توجد في كل الشمال الافريقي منطقة يجود عليها الغيث مثل هذه الناحيه .

والمنطقه الثانيه التي ينزل فيها المطر من ٦٠٠ الى ٨٠٠ ميليمتر ؛ فهي تشمل ناحيه الساحل من تنس الى دلس ، وناحيتي المديه وتابلاط ، والمنطقه الجنوبيه من جبال بابور ونواحي قالمه وسوق اهراس وسكيكدة وعنابه وتنتهي هذه المنطقه عند خط يمر من مليانه الى المديه الى البويرة الى آقبو الى فج امزالة الى قسنطينه الى سوق اهراس ويلتحق بهذه المنطقه الثانية بعض جهات جبال ونشريس وتلمسان . فتجد الامطار في هذه المنطقه تبلغ في الجزائر ٧٢٨ مليمترا ، وفي تلمسان ٦٧١ وفي تيارت ٦٨٦ وفي سكيكدة ٧٦٦ مليمترا .

والمنطقة الثالثة ؛ وهي لاتتصل من المطر الا من ٤٠٠ الى ٦٠٠ مليمترا فهي تشمل الساحل الوهراني من تنس الى الحدود المغربية والقسم الاكبر من جبال ونشريس وسهول بني سليمان والعريب والقسم الشمالي من الانجاد الشمالية في مقاطعه قسنطينة وتنتهي هذه المنطقة عند خط يمر على لالا مغنية وسبدو وفيالار وقصر البخاري وبرج بو عريرج والعلمة « سانت ارنو » وعين مليلة وام البواقي « كانروبير » وينتهي عند

مداوروش . ويلتحق بهذه المنطقة بعض جهات جبال عمور وجبال الجلفة والاوراس فتجد الامطار في هذه المنطقة تبلغ ٤٧٩ ميليمترا فى الغزوات، (نمور) و ٥٠١ في تنس و ٤١٥ فى سيدى بلعباس و٤٢٤ فى الاصنام (اورليانفيل) و ٤٢٦ فى فيلالر و٤٦١ في سطيف و ٥٨٩ في قسنطينة و٤١٠ فى البيض (جريفيل) .

والمنطقة الرابعة لاترى من المطر الا على قياس ٢٠٠ الى ٤٠٠ ميليمتر و هى تشمل بصفة تقريبية كل الانجاد والاطلس الصحراوى؛ ما عدا الاقسام الصغيرة الداخلة ضمن المناطق السالفة فينزل المطر في اعلى الشلف على قياس ٤٠٠ ميليمتر وكذلك في سهول سقر وسبخة وهران ؛ وعلى قياس ٢٦٣ مليمترا في العريشة و ٢٣٢ فى عين الصفراء ، و ٢٨٠ فى الجلفة و ٣٩٩ فى باتنة.وتنتهى هذه المنطقة مع انتهاء سلسلة جبال الاطلس الصحراوى .

اما المنطقة الخامسة التى لاتتلقى من المزن الا اقل من ٢٠٠ مليمتر ، فهى الناحية الجنوبية كلها ؛ وهى تكاد تكون منعدمة المطر ولاينزل بها الغيث الاعرضا فتجد آلة البليفيو متر (١) تسجل فى الاغواط ١٧٤ وفى بسكرة ١٤٣ و فى غرداية ٩٤ وفي تقرت ٦٧ وفي وادى سوف ٨٢ على ان السنوات تمر احيانا دون ان تنزل قطرة من المطر بهذه النواحى .

هذا ما يقال عن المطر ومناطقه ؛ اما الثلوج فانها تنزل فى المناطق الساحلية عندما ترتفع الارض نحو الستمائة متر عن سطح البحر ويكون نزولها على معدل خمس مرات فى السنة ؛ اما فى الجهات التى ترتفع نحو ١٢٠٠ متر فان الثلج ينزل بها نحو ١٥ مرة في السنة ، وكذلك جهات الاطلس الصحراوى ؛ واما جبال الجرجرة فان الثلج ينزل عليها ضيفا من شهر نوفمبر كل سنة الى شهر ماية ، ثم يذوب تحت اشعة شمس والصيف فلا يبقى منه الا القليل المختفي بين ثنايا الجبال .

---

(١) البليفيو ميتر هومقياس المطر "آلة دقيقة الصنع توضع على الارض ايام نزول الغيث يمكن بواسطتها معرفة كمية الماء التى نزلت على سطح الارض بتلك الناحية

هذا والذى يلاحظ ان الامطار الجزائرية لاتنسكب بصفة مستمرة في فصلها، بل هي تنصب دفعات متهاطلة متقطعة وقد تمر الاوقات الطويلة بين المرة والمرة فهى لذلك لاتخرق الارض بل تسيل فوقها ثم تتبخر عندما يصحو الجو. لذلك ترى ارض الجزائر قليلة الاستفادة من الامطار مهما كانت غزيرة .

الاودية الجزائرية

الاودية بنات الامطار فاذا كانت الامطار ضعيفة قليلة وجب ان تكون الاودية قليلة كذلك وضعيفة ؛ فالاودية بصفة عامة في ارض الجزائر لاتجرى الا فى فصل الشتاء اما فى الصيف فانها تجف الا ما قل وندر على ان الشمس تعمل عملا جديا في اضعاف الاوديه الجزائريه حتى اذا خرج الواحد منها قويا من منبعه لم يكد يسير مسافه غير طويلة حتى ياخذ في النقصان والجفاف بحيث لا يصل الى مصبه الا وقد جف او كاد .

ومن الاوديه الجزائريه ما ينصب في البحر الابيض المتوسط ومنها ما ينصب في البحيرات الداخليه ، والكثير منها يتجه نحو الصحراء فيغيب في رمالها ؛ ومن تامل الوضعية الجغرافيه ورأى كيف ان الجبال تقطع افقيا تلك الارض ، ثم كيف ان الانجاد ترتفع بين سلسلتي جبال الاطلس ادرك لماذا لاتوجد في الجزائر انهار قويـة .

واهم الاودية الجزائرية التى تنصب في البحر المتوسط * المجردة * ينبع قرب سوق اهراس و يسير نحو البلاد التونسية * مفرق * ينزل من غابة بنى صالح وينصب على ٢٠ كيلو مترا شرق قسنطينة * السيبوز * ويجمع اودية شرف وبو حمدان ووادى الزناتي وينصب قرب عنابة * الصفصاف اووادى العروش * ينبع من السمندو وينتهى في سكيكدة * الرمل او الرميل * ويدعى قديما وادى مساقة ينبع من جبل قريوم وينصب فيه قرب قسنطينة * ووادى بو مرزوق * ويخترق قسنطينه فى مضيق بديع ثم ينصب فيه * وادى سمندو * و * وادى القطن * و * وادى ا تجة * وعندئذ يسمى

وادى الرمل * بالوادى الكبير * و ينصب على ٤٥ كيلو مترا شرقي جيجل * وادى الساحل * ينبع من جبل ديرا ؛ فيجتاز حمزة (اومال) ويسقي ارض بنى منصور وينصب فيه قرب ماقبو * وادى بو سلام * و يستمر تحت اسم * وادى صمام * وينتهى على مقربة من بجاية * وادى سباو * ينبع من الجرجرة و يخترق بلاد القبائل الكبرى وينتهي غربي دلس * وادى يسر * ينبع من بنى سليمان واومال وينتهى عند رأس جينات * وادى حميز * يبتدي من بني موسى و ينتهى في خليج الجزائر في رأس ماتيفو * وادى الحراش * يتكون فى جبل البليدة و يخترق سهول المتيجة وينصب على بعد ٨ كيلو مترات من مدينة الجزائر وله فروع هى : وادى * السمار * و * وادى جمعة * و * وادى الكرمة * و * وادى الشفة * ينزل من جبال موزايا ، ويخترق مضيقا من ابدع ما تراه العيون ويتصل * بولدى سيدى الكبير * ثم ينصب فى وادى الجر قرب القليعة * وادى الجر * يخرج من جبال زكار وينصب فيه * وادى بورومي * وينصب في وادى الشفة * وادى مازافران * يتكون من اجتماع الشفة ووادى الجر وينصب فيه وادى فطيس ووادى الثلاثاء وينصب فى البحر شرق القليعة * وادى الناظور * يتكون من مياه جبل شنوة و ينصب قرب مدينة تيبازا بعد ان يتخذ اسم * وادى قرمات * وادى الشلف * وهو اطول الاودية الجزائرية واهمها يخرج من جبال عمور (بنى راشد) تحت اسم * وادى صباغ * ثم اسم * وادى البيضاء * و يخترق وهاد السرسو ثم ينصب فيه وادى * سبعين عيون * و * نهر واصل * ، وعندئذ يسمى بالشلف يتجه اولا من الغرب الى الشرق نحو ٦٠ كـ م ثم ينحني فجأة ويتجه نحو الشمال على مسافة ٦٤ كيلو مترا ؛ ويدخل منطقة التل قرب قصر البخاري ، وعند مليانة يتجه نحو الغرب فيخترق الاصنام ثم ينصب في خليج ارزو ١٨ كـ م شمال مستغانم طول هذا الوادى ٧٠٠ كـ م الا انه لا يصب في البحر اثناء الفيضان اكثر من ١٢٠٠ متر مكعب من الماء في الثانية ؛ اما فى الوقت الاعتيادي اثناء المطر فيصب نحو ٥٠ مترا ، واما زمن الصيف فلا يعطى ماءه للبحر الا على نسبة متر مكعب

واحد في الثانية و يتصل الشلف قبل انصبابه في البحر * بوادى الحد * و * وادى حكوم * و * وادى ورك * و * وادى ددار * و * وادى ربو * و * وادى ميناء * وادى المقطع * يتكون من اجتماع * وادى هابرة * و * وادي سيق * وينتهي في خليج ارزو * وادى هابرة * يخرج من منبعه تحت وادى الحمام ويسقي ارض بنى هاشم ثم يتصل بوادى سيق وينصبان في المقطع * وادى سيق * يبتدي تحت اسم وادى مكره يسقي مدينة سيدى بلعباس ويخترق بلاد بنى عامر ثم يندمج في وادى المقطع * الوادي المالح * يخترق سهول زيدور و ينتهى عند رأس فيقالو * التافنة * يخرج من جبال اتقاد فيسقي سبدو وينتهى عند البحر تجاه جزيرة رشقون بعد ما يتصل * بوادى عباس * و * وادى المويلح * ، وكل هذه الانهار غير صالحة للملاحة ماعدا السيبوز الذى يمكن ان تجتاز المراكب الصغيرة نحو الثماني كيلو مترات منه عند مصبه .

اما اشهر الاودية الداخلية فهى * وادى جدي * ينزل من جبال بنى راشد (عمور) و يسقي الاغواط وعين ماضي وينتهي في شط مغليغ * و ادى ميا * يبتدى في جبال باتنة و ينتهى عند سبخة ورقلة * وادى انساء * يخترق شبكة ميزاب وينتهي في نقوسة * و ادي ميزاب * اهم اودية الشبكة ، يخرج من جبال محيقن و ينتهي في نقوسة ايضا * وادى الشعير * و * وادي سهر * يصبان في شط الحضنة * وادى زقرير * يسقي بلدة القرارة من قرى ميزاب * وادى سوف * * وادى غير * وادى اتيل * وادى او سن * كلها اودية تجرى في الاكثر تحت الرمال تختفي اكثر مما تظهر وهي التي تنبع منها الابار الفوارة (الارتوازية) . وتنتهي كل هذه الاودية بالصحراء الكبرى .

الطقس

للساحل الجزائرى طقس معتدل ، هو الطقس المعروف على سواحل البحر المتوسط باسرها ؛ لطيف الشتاء خفيف الصيف . يتصل بنسيم البحر المنعش الا انه كثير الرطوبة

ويظهر هذا الاعتدال على الاكثر في الناحيه" التى بين مدينه" الجزائر والقاله" ؛ اما في ناحيه" وهران فالطقس يتاثر هنالك بطقس البلاد الداخليه" اكثر من تاثره بالبحر وتجد في الجزائر الغربيه" جبال التساله" والونشريس وتلمسان معتدلة الطقس ايضا لارتفاعها واتصالها برياح البحر .

اما السهول المرتفعه" الداخليه" ، مثل سهل سيدى بالعباس فلها طقس حار جاف، وسهول الشلف المنحصرة من كل جهه" هي اشد حرارة واكثر جفافا .

واما في الجزائر الشرقيه" فان جبال الجرجرة والبابور والقل، وكلها يتصل بنحو المتر من المطر والثلج ، فهي قليلة" الحرارة ، وجبال البرواقيه" والبيبان وسور الغزلان (اومال) وقسنطينه" ، تتصل بعض الاتصال برياح البحر ، وشتاؤها شديد ، الى درجه" ان الماء يتجمد نحو الستين يوما في قسنطينه" ، ويبلغ ارتفاع الثلج فى سطيف نحو المتر ز من الشتاء

والانجاد فى عمالتي وهران والجزائر ، وهي ذات ارتفاع يتراوح بين ٨٠٠ و١٠٠٠ متر فلها طقس خاص بها ، برد لاذع في الشتاء وحر شديد في الصيف ؛ واختلاف كبير بين الليل والنهار اما الجهات الجبلية مثل جبل عمور والاوراس فطقسها الين من ذلك لانها تتلقى كمية من الامطار واما النواحي المنخفضة من الحضنة فطقسها شديد الحرارة بصفة مفرطة في الصيف الا ان شتاءها لطيف.

وطقس الصحراء والنواحي الجنوبية يمتاز بشدة صيفه كما قلنا آنفا ،ويمتاز اكثر من ذلك بشدة الخلاف بين حرارة النهار و برودة الليل .

﴿ الغابات الجزائرية ﴾

الغابات الجزائرية تمتد على مساحة ثلاثة ملايين هكتار ، فهي لذلك لاتجاوز الجزء الخامس من مجموع مساحة بلاد التل والهضاب العليا ، بينما فرنسا مثلا تمتد غاباتها على مساحة ٩ ملايين هكتار ؛ اي ما يوازي سدس مساحتها تماما . فالجزائر لذلك فقيرة من جهة الغابات . الا ان الغابات الموجودة بها جميلة بديعة

مثل غابات القرو (Chêne) والصنوبر (Pin) ببلاد الجرجرة وغابات البهش (١) (Chêne Liège) في بلاد القبائل الصغرى وغابات الارز (Cèdre) في الونشريس. والاوراس. وابدع الغابات الجزائرية على الاطلاق هي غابة ثنية الاحد التي تكاد تكون اجمل غابات الدنيا ، تليها غابات البابور والعنازقة والاوراس وسوق اهراس ولاننسى الاحراش البديعة المحيطة بالجزائر مثل غابة بولونيا وغابة باينام . والغابات الجزائرية وان كانت ضيقة المساحة الا انها تشمل جل انواع الاشجار التى توجد بالغابات الكبرى في مختلف البلاد وكلما ارتفعت في الجبال وجدت انواع الاشجار الباسقة التى توجد غالبا فى البلاد الباردة وكلما نزلت وجدت اشجار البلاد الحارة ، ولنضرب على ذلك مثلا جبال اوراس : تجد في سفحها النخل ذات الافنان وهى ميزة للبلاد الحارة فان ارتفعت مع الجبل قليلا وجدت الزيتونة المباركة واشجار اللوز والتين والمشمش ، واصعد بعد ذلك قليلا تجد اشجار حب الملوك والخوخ والجوز فان ارتفعت فوق ١٤٠٠ متر وجدت أشجار اللوز والبهش وهو من اكثر انواع الاشجار وجودا في الحوض الغربي بالبحر المتوسط الا انه لاينمو الا في الجهات التى تتصل على الاقل بستمائه مليمتر من الامطار سنويا وتجده فى الجبال الى ارتفاع ١٢٠٠ متر ولا ينمو فوق ذلك الارتفاع لانه لايحتمل البرد لذلك فهو منتشر فى الناحية الشرقية الجزائرية من الجزائر الى البلاد التونسية حيث الامطار متهاطلة والطقس معتدل اما غربى الجزائر وفي مقاطعت وهران فهو قليل . ثم ان اشجار القرو الاخضر (Le chêne vert) هي في الاغلب اشجار النواحى المرتفعة من الجبال ، يبتدي ظهورها فى الجبال على ارتفاع ٤٠٠ متر وتستمر في الاطلس حتى ارتفاع ١٧٠٠ متر وفى الاوراس على ارتفاع ١٩٠٠ ، فاشجار القرو البديعة تجاور في منحدر الجبال الزيتون والصنوبر والبهش وترتفع من الجبل فتختلط بالارز وتجد هذا القرو الاخضر في جبال تلمسان وونشريس وديرا وبابور .

(١) من ابن البيطار» وهو الشجر الذي تنزع قشرته كل سنة لتستعمل صمامات للقوارير وغيرها

وهنالك انواع اخرى من القرو اهمها القرو الزيانى (*Chène zeen*) وهي ابدع أشجار الغابات الجزائرية لايوجد الا في الجهات التي تتصل من المطر على معدل ٨٠٠ مليمترا فما فوق ويحب الجبال الباردة المرتفعة ؛ حيث السحب المتراكمة والغيوم المتلبدة ، هنالك تجد المناظر البديعة والجمال الخلاب ، وترى الطبيعة الساحرة لم تمتد اليها ايدى انسان وهنالك تسمع خرير المياه المتدفقة في الشعب تئن انينا وقد احتل كل دوحة طائر من الطيور المختلفة الالوان والاشكال تترنم كلها على الافنان باناشيد الابتهاج والانشراح ، وقد اتخذت القردة هنالك مواطنها فهي تلعب وتمرح وتداعب صغارها آمنة طوارق الحدثان .

اما ارز الاطلس الشهير ؛ وهو يضاهي في جماله وبهائه وقامته ارز لبنان ؛ فلا ينمو الا في ارتفاع ما بين ١٣٠٠ و ٢٢٠٠ متر ، وقد تبلغ الشجرة منه في طولها ٤٥ مترا ، وتكون استدارتها ١٩ مترا ، ويمكنها ان تعمر بضعة قرون . وهذا الارز يتحمل الشتاء والثلوج والبرد مهما اشتدت قروصته ، الا انه لا يحتمل الحرارة الشديدة . لذلك تراه يكاد يكون معدوما في مقاطعة وهران : وتجده فى اعالى جبال ونشريس ، وهو يغمر غابة ثنية الاحد التى لو تعود رجال الجزائر قضاء مدة الصيف بها لاغنتهم عن صرف اموالهم خارج الوطن ، ثم تجده في جبال البليدة ، والجرجرة وبابور

وتجد في الغابات الجزائرية نوعا شهيرا من الاشجار يدعى صنوبر حلب (*Pin d'Alep*) وهو يعمر جهات شاسعة من الغابات الجزائرية ، وتجده فى كل مكان من الساحل الى حدود الصحراء وهو شديد بصبره و جلده واحتماله تغيرات الطقس الجسيمة ، فتراه ينمو ويزدهر حيث لاتسطيع شجرة اخرى نموا وازدهارا . تجده فى الارض التي تتلقى اكثر من ٣٠٠ مليمتر من المطر ويرتفع مع الجبال الى علو ١٤٠٠ متر في الاطلس التلي و ٢٢٠٠ في القسم الشمالي من الاطلس الصحراوى . وتجد هذا الصنوبر منتشرا بكثرة فى دواخل عمالة وهران وفي ونشريس وجبال البيبان والحضنة وتجده كذلك فى الجلفة والاوراس .

والعرعر الفنيقي (*Genevrier de Phenicie*) ينتشر في الجهات الجافة من جبال الجلفة و بوسعادة و يتحمل وحده طقس الجنوب الوهراني فتجده يرتفع مع الجبال الى علو ٢٢٥٠ مترا .

مناطق الغابات

يمكن تحديد مناطق الغابات المختلفة في ارض الجزائر بتحديد مناطق الامطار التي بيناها في صفحة ١٦٨ فهنالك منطقة اولى تدعى منطقة البحر المتوسط ، تمتد من ساحل البحر الى وسط البلاد و يحدها خط وهمي يمتد من الشرق الى الغرب يمر على سوق اهراس قسنطينة برج بوعريج قصر البخاري تيارت فرندة سعيدة سبدو . فهذه المنطقة الاولى هي التي تشمل اهم واجمل اقسام الغابات الجزائرية ، وهي تشمل اربعة نواح — الناحية الاولى تمتد من الجزائر الى الحد التونسي . هي احسن مناطق الغابات الجزائرية وينمو فيها البعش بصفة مدهشة وكذلك الزيتون والناحية الثانية من تنس الى الجزائر تنمو فيها الزيتونة وصنوبر حلب والضرو *Lentisque* والناحية الثالثة هي الاطلس التلي الجنوبي وينمو فيه صنوبر حلب والقرو الاخضر والناحية الرابعة هي الوهرانية وقليلة امطارها بالنسبة للمناطق الاخرى وتجد بها العناب والدوم (*Plmier Nain*) .

وهنالك منطقة ثانية تبتدىء حيث تنتهي المنطقة الاولى وتنتهي مع الصحراء وتشمل كذلك اربعة نواحي . اولا - من الاوية الى الحضنة وهي ناحية الحلفا تمتد من عمالة وهران الى وسط عمالة الجزائر . ثانيا . الانجاد القسنطينية وامطارها اكثر من الناحية الاولى بها بعض غابات من القرو الاخضر والعذاب . ثالثا - من الفقيق الى بوسعادة ، غابات متفرقة من العرعر الفنيقي وصنوبر حلب . رابعا - الجنوب القسنطيني وبه صنوبر حلب والقرو الاخضر .

اما المنطقة الثالثة فهي الصحراء ، وغاباتها تكاد تكون منعدمة ، فهي محصورة في الواحات حيث تجد النخيل الكثيف ومعه بعض اشجار مثمرة اخرى .

الحمامات المعدنيه

فى ارض الجزائر حمامات معدنيه كثيرة مياهها السخينه صالحه لمعالجه كثير من الامراض ، منها ما هو مستثمر الآن بصفه منتظمه ، ومنها ما لم يستثمر بكيفيه مفيدة ، واهمها حمام المسخوطين قرب قالمه وحمام بني هارون وحمام اولادزائر قرب ميلة ، وحمام بسكرة وحمام الوان و حمام ريغه قرب الجزائر؛ وحمام بو حجر وحمام بو حنيفيه بعمالة وهران .

البحث الثاني

جغرافيه تفصيليه للعمالات و الملحقات

الجزائر تنقسم اداريا الى قسمين ؛ سياتي الكلام عليهما من حيث الادارة تفصيلا ؛ القسم الشمالي وهو الارض المدنيه ؛ ويشمل عمالة قسنطينه وعمالة الجزائر وعمالة وهران والقسم الجنوبي وهو الارض العسكريه و يشمل منطقه تقرت ومنطقه غردايه ومنطقه عين الصفراء ، ويلي ذلك ملحقات الصحراء بارض الجزائر وتدعى منطقه الواحات ونحن فيما يلي سندرس جغرافيه كل جهه من هذه الجهات على حدة .

عمالة قسنطينه

الساحل القسنطيني كله صخرى من بجايه الى عنابه ؛ يشمل ثلاثه خلجان بنيت فيها المراسي الثلاثه ذات الاهميه بالعمالة : بجايه وسكيكدة وعنابه ومنطقه التل فيها هي اوسع مناطق التل انما هي ايضا اكثرها جبالا ، واشدها عمرانا ؛ والاستعمار الاوربي فيها لم يتم مثلما نمى بمقاطعتي الجزائر ووهران ، فان قدمه لم ترتكز بمقاطعة قسنطينة الا فى جهات بجاية (وادى الساحل) وبجهات سكيكدة (وادى الصفصاف) وبعض جهات جيجل ثم سهل عنابة ، واخيرا بجهات سطيف

وقسنطينة وباتنة . الا ان مقاطعة قسنطينة هذه قد اشتهرت بثروتها المعدنية اكثر من اشتهارها بثروتها الفلاحية فان مناجم اسماد « الفسفات » واغلب مناجم الحديد توجد بها .

ونظرا لقلة الاستعمار بقسنطينة فيما يلي خط الساحل ؛ ونظرا لمجاورة هذه المقاطعة للبلاد التونسية ، فان مسلمي قسنطينة من احسن مسلمي هذا القطر حالا ، واكثرهم اقبالا على العلم و حفظا للعربية ، وقد حافظوا على ثروتهم اكثر من بقية البلاد الاخرى .

فى مقاطعة قسنطينة جبال « بلاد القبائل الصغرى » وهي جبال عظيمة متسعة الا انها اقل ارتفاعا من الجرجرة او جبال « بلاد القبائل الكبرى » وتشمل جبال مقاطعة قسنطينة سلسلتي البيبان وبابور ، وهى جبال فقيرة بالنسبة لجبال الجرجرة ، واقل منها سكانا واصعب منها مسالك و مرتقى . تنمو فيها الزيتونة ، ويشتغل اهلها على الاكثر باستثمار البهش المتقدم ذكره والذى هو من اكبر نتائج البلاد ، اما تفصيل الجبال بهذه العمالة فهو: تجاه الساحل الشرقي توجد جبال يدوغ ارتفاعها ١٠٠٠ متر وفيها غابات القرو ومناجم الحديد والزنك و من التخوم التونسية الى قسنطينة تجد سلسلة من الجبال المتواصلة فيها جبل قرة على مقربة من مرسى الخزر (القالة) ارتفاعه ١٢٠٠ متر ، وجبل يدوغ بين عنابة وسكيكدة ارتفاعه ٩٠٢ مترات ثم جبال بني صالح ، وجبال سوق اهراس ، وجبل مهونة وارتفاعه ١٢٧٠ م ثم جبال سكيكدة بين وادى الصفصاف والرميل الاسفل ، واشهرها جبل القوفى وارتفاعه ١٦٧٠ م ، وجبل مجلفيله الشهير برخامه البديع ، وفيما بين سكيكدة وبجاية ، تجد جبل تامسغيدة ١٦٣٥ م وجبل قرقور (١٨٠٠) وجبل بابور (١٩٧٠) وجبل تابابور ١٩٦٥م واخيرا ادرار املال ؛ وارتفاعه ١٩٩٥ م وفيه غاية الجمال الطبيعي وتحفة الجزائر البديعة الا وهى « شعبة الاخرة » او مضيق خراطة الشهير وهو من اجمل فجاج الدنيا .

اما الهضاب العليا او الانجاد التى تلي تلك المنطقة الجبلية ، فهى على قسمين : قسم شرقي يستمر الى البلاد التونسية ؛ وهو يرتفع نحو الالف متر عن سطح البحر ، وقد

اضحى اليوم من اكبر المناطق لزراعة الحبوب ؛ وقيم غربي فيما يلي جهات الحضنة وهو قفر ، فاذا انحدرت الى الجنوب وجدت اعظم مناجم السماد المعروفة الى اليوم وهو منجم جبل العتيق ، جنوبي تبسة ثم رايت جبال اوراس الجسيمة التي كانت معقل الدفاع البربري ضد الروم والعرب الفاتحين والتي اشتهرت ايام الكاهنة ويشمل تلك الجبال جبل الشلية ، وهو ارفع جبال الجزائر (٢٣١٢ م) تحجبه اشجار الارز والقرو وجبل بوخيل (١٥٠٠ م) فاذا وصلت الى القنطرة واخترقت مضيقها البديع ، رأيت نفسك فجأة تجاه الصحراء العظيمة بمناظرها الرهيبة وجمالها الجذاب وواحاتها الخلابة وتجد فيها ملكة الصحراء وسلطانة الرمال : بسكرة النخيل . وهي الحد الفاصل بين ارض الشمال وارض الجنوب .

ومقاطعة قسنطينة هي كما قلنا اكثر المقاطعات الجزائرية عمرانا ، حيث ان سكانها حسب احصاء سنة ١٩٣١ يبلغون ٢٤٧٩ ٤٠٦ كما سياتيك تفصيله في الفصل المقبل

اما اهم مدنها فهي قسنطينة مركز العمالة وباتنة وبجاية وقالمة وسكيكدة وجيجل وسوق اهراس وسطيف والعلمة (سانت ارنو) .

عمالة الجزائر

الساحل في عمالة الجزائر يمتد على خط مستقيم صخري ليس به الا خلجان صغيرة سمحت بانشاء بعض المراسي الثانوية مثل دلس وشرشال وتنس ، وبه الجون الكبير المفتوح الذي سمح باجتناء مرسى مدينة الجزائر العظيم ، وعمالة الجزائر هي التي نزل بها واستثمرها اكثر عدد من المستعمرين الاروبيين ، خاصة بالساحل وبسهول المتيجة التي اصبحت لاتكاد ترى بها اهليا ، ومنطقة الساحل والمتيجة هذه هي اجمل ناحية فلاحية في القطر الجزائري باسره . فسهل المتيجة يبلغ طسوله من الشرق الى الغرب ١٠٠ كيلو متر ، وعمقه من الشمال الى الجنوب ١٥ كيلو متر ، وفي هذا السهل الخصيب توجد البساتين النضرة و الكروم اليانعة والاشجار المثمرة ، تتخللها الطرق المعبدة والسكك الحديدية وبها المعامل الكبيرة والمصانع الغنية ، وتمتد تلك السهول

من وراء جبال البليدة فتتصل بضفاف الشلف وتستمر ما بين جبال زكار والظهرة شمالا وونشريس جنوبا حتى سبخة وهران . فسهول الشلف في مقاطعة الجزائر وهي منحصرة في اطار من الجبال لها طقس يشابه طقس الصحراء ؛ حيث ان المطر الذى ينزل بها هو ثلث المطر الذى ينزل بالجزائر ، اما حرارتها فهى قريبة من حرارة الاغواط و نجد هذا فى مدينة الاصنام مثلا . وزراعة الحبوب هي اهم ما يعمل فى هذه الناحية وتلك الزراعة عرضة لخطر الجفاف وانحباس المطر .

في عمالة الجزائر توجد بلاد القبائل الكبرى او الجرجرة ، وهي بلاد فقيرة من حيث الارض الزراعية الا ان تهاطل الامطار بها يجعلها بلاد الاشجار المثمرة فهنالك تجد غابات التين والزيتون ؛ وهما من اكبر نتائج البلاد ، فهذه البلاد الجبلية الفقيرة هى المعقل الاكبر للبربر في قطر الجزائر ؛ وقد افضنا القول عن سكانها في القسم السالف من هذا الكتاب ، وهى تشمل جبل انقولمين وارتفاعه ٢١٢٣ م ، وجبل ابوكر وقمته ٢٢٥٢ مترا ، و جبل لالا خديجة (٢٣٠٨ مترات) وبينما انت ترى هذه الجبال ضعيفة فقيرة تراها في الوقت نفسه آهلة بالسكان لدرجة مفقودة فى غيرها من بلاد الجزائر ، فالقرى القبائلية تنتشر جميلة هادئة فوق آكام الجبال ويناهز سكان هذه المنطقة النصف مليون من البشر بمعدل ١٣٥ شخصا فى الكيلومتر الواحد لذلك تجد القبائلي كثير الهجرة سعيا وراء الرزق ، ولذلك تراه يستثمر كل شبر من جباله وكل مورد من موارد الرزق الضئيل فيه . وقد كان الاستعمار قد استولى على نحو نصف مليون هكتار حجزت على اربابها اثر الثورة الشهيرة عام ١٨٧١ الا ان رجال البربر الكادحين قد استعادوا تلك الارض بكد يمينهم ؛ حتى قال احد كبار المستعمرين الفرنسيين : انا اخذنا الارض فى الجزائر بضرب المدافع واسترجعها اهلها بضرب الدورو .

و فى عمالة الجزائر سهل المدية كذلك ، وهو سهل مرتفع شديد الطقس ؛ تكثر به زراعة الحبوب وغراسة الكروم ومدينة المدية قائمة في وسطه كالعروس .

اما الهضاب العلياالجزائرية ، فتبتدى منخفضة عند شط الحضنة لايتجاوز ارتفاعها ٥٠٠ متر، ثم تذهب مرتفعة شيئا فشيئا حتى تبلغ ٩٠٠ متر عند عمالة وهران ، وفى جنوب شط الحضنة تنفتح فوهة فى معتسل الاطلس الصحراوى، فتندفع منها الصحراء الى الشمال متوغلة فيه الى جبال الحضنة وبهذه الصفة تجد مدينة بوسعادة الصحراوية بكثبان رمالها وافنان نخيلها ، فيخيل اليك انك فى وسط الصحراء الكبرى .

وعمالة الجزائر اصغر العمالات الجزائرية مساحة ؛ الا انها الثانية من حيث عدد السكان ويبلغ مجموعهم ٢٥٧ ٠٤٥ ٢ شخصا واهم مدنها الجزائر العاصمة والمدية ومليانة والاصنام ؛ وتيزى وزو ؛ ودلس وشرشال وقصر البخارى والبليدة والقليعة وشلالة وتنس وثنية الاحد ،والمسلمون في عمالة الجزائر ضعاف جدا ؛ وحالتهم المادية والادبية اضعف كثيرا من حالة مسلمي عمالة قسنطينة اما في جهة الشمال فالاغلبية الساحقة منهم تعمل اجيرة عند المستعمرين .

عمالة وهران

ينفتح الساحل الوهراني ، وهو ساحل مستطيل صخرى عن خليجين صغيرين نشأت في وسطهما مراسى (الغزوات) نمور و بنى مصاف الصغيرة ثم عن خليجين اوسع من الاولين هما خليجا وهران وارزيو اما خليج وهرانففيه المرسى الشبيه بالحربي وهو (المرسى الكبير) ثم المرسى التجارى وهو مرسى وهران واما خليج ارزيو ففي شرقيه تجد مرسى « مشتى غانم » مستغانم وفي غربيه مرسى ارزيو .

و وراء الساحل ووراء الجبال الساحلية الصغيرة التى لاتشرف على البحر ، تجد سلسلة من السهول هى سهل وهران ، وسهول سيق وسهول الهبرة ،وسهول الشلف وهذه السهول هى محط رحال الاستعمار الاسباني والاسبانى المتفرنس . والاعمال الفلاحية بمقاطعة وهران من اجمل الاعمال الفلاحية بقطر الجزائر ؛فهنالك السدود القوية التى تجمع مياه الاودية وتوزعها على الارض الفلاحية ، هنالك القنوات البديعة النظام التى توزع المياه .

ومقاطعة وهران هي اقل الارض الجزائرية جبالا ، واعظم جبالها وهي جبال تلمسان لايتجاوز ارتفاعها ١٩٠٠ متر ،وهي اكثر حرارة من المقاطعتين السالفتين الا ان الارض الفلاحية المتكونة من سطح الاطلس التلي هي اوسع من السهول التلية الاخرى ؛ واهم هذه السهول الوهرانية المرتفعة : سهل تلمسان وسهل سيدى بلعباس ؛ وسهل معسكر ؛ فسهل تلمسان يشمل حوض التافنة و خلفه جبل تلمسان البديع بمياهه المتدفقة وشلالاته البديعة واشجاره الخضراء الباسقة وسهول سيدى بلعباس تشمل حوض وادى مكره اوسيق وسهول معسكر وتعرف بسهول اغريس هي اكثر تلك السهول ارتفاعا .

وبما ان عمالة وهران اقل جبالا واكثر حرارة وجفافا من مقاطعتى قسنطينة والجزائر ؛ فهضابها العليا هي التي تنتج اكبر كمية من الحلفا ؛ ويكاد هذا النبات يكون هو المورد الوحيد للاهالي الساكنين بالهضاب العليا . حيث انهم يقتلعونها بجدورها ثم يبيعونها لنواب الديار الانكليزية فترسل لانكلترا على الاكثر وهنالك تصنع ورقا واقمشة و زرابي وترسل الى مختلف بلاد العالم ومنها الجزائر .

والمسلمون فى مقاطعة وهران اضعف مسلمى القطر الجزائرى طرا مادة وادبا ؛ فاغلب الارض الفلاحية بايدى الاسبانيين و المتفرنسين منهم ، وقد كثر عديد هؤلاء بمقاطعة وهران حتى اصبحوا ثلث العنصر الاهلي ، فبينما ترى بعمالة قسنطينة كل اوروبي يقابله ١٢ من المسلمين ، وفى عمالة الجزائر كل اروبي يقابله ٥ من المسلمين تجد في عمالة وهران كل اروبي يقابله ٣ من المسلمين فقط .

واهم مدن عمالة وهران : معسكر و مستغانم وسيدى بلعباس وتلمسان وغليزان وتيارت وفرندة وسعيدة وعين تموشنت .

ارض تقرت

وهي الناحية الشرقية من ارض الجنوب العسكرية ، وموقعها جنوب مقاطعة قسنطينة تشمل عدة واحات بديعة ، تستمر الى وادى اريغ؛ ووادى سوف ؛ ووادى

ايفرغار ؛ وتقرت هى اجمل هذه الواحات وابدعها ، وان لم تكن هى مركز الادارة ؛ فادارة دائرة تقرت فى مدينة بسكرة التى هي الحد بين الترابين المدني والعسكرى . وكل واحات دائرة تقرت تقع في وهاد لاتكاد ترفع مائة متر عن سطح البحر والمياه تتسرب اليها من النواحى المجاورة تحت الارض ، ثم تنبع فيها فتكون فيها الحياة والنعيم .

والمسلمون فى دائرة تقرت المجاورة للارض التونسية من احسن مسلمى الجزائر ايمانا ومحافظة على الاخلاق العربية الاسلامية ، والعلوم العربية منتشرة انتشارا حسنا لاتجده فى غيرها من جهات القطر الجزائرى تقريبا .

و من اشهر مدن هذه الدائرة تقرت ووادى سوف وورقلة .

ارض غرداية وبلاد ميزاب

وموقعها جنوب مقاطعة الجزائر ، و مركزها بمدينة الاغواط وهي تشمل واحة الاغواط الشهيرة ؛ والاغواط من امهات المدن بالقطر الجزائري . قد اشتهرت قديما وحديثا بنهضتها الاسلامية العربية ؛ وتشمل مع الاغواط بلاد ميزاب او الشبكة وبلاد ميزاب واقعة في وسط نجد تكاد الحياة به تكون مستحيلة فالميزابى يتجشم مشاق فوق طاقة البشر لاستثمار تلك الارض الجرداء و تكوين الحياة فيها ، وناهيك انه لايحرز على قطرة ماء الا اذا حفر بئرا يتراوح عمقها بين الخمسين والستين مترا .

والشبكة تشمل المدن الميزابية السبعة : غرداية و بنى يزقن و بونوره و مليكة و القرارة والعطف و بريان . ولقدكون الميزابيون حضارة وعمرانا فى هذه المراكز التى كانت من قبل قاعا صفصفا ؛ واستمروا عائشين بها يعضون بالنواجذ على مذهبهم الاباضي وسط الاعاصير المحيطة بهم . والمذهب الاباضي ينتشر اليوم في ستة مراكز كبرى من بلاد الاسلام : هى سلطنة عمان فى الجنوب الشرقي من جزيرة العرب ، و يتولى امر داخليتها اليوم الامام الخليلي و يؤازره المجاهد الكبير الشيخ سليمان الباروني بطل طرابلس ، ثم سلطنة زنجبار العتيقة و بلاد دار السلام ، وهي اليوم

مستعمرة انكليزية، ثم جبل نفوسة بطرابلس الغرب، ثم جزيرة جربة بتونس ثم وارقلة واخيرا بلاد الشبكة ميزاب وهنالك في بلاد القوقاز تحت سلطة روسيا دويلة صغيرة اسلامية اسمها « اباضية » يعتنق سكانها الشراكسة المذهب الاباضي ولا ندرى كيف تسرب اليهم .

والميزابيون ليسوا كلهم من قبائل نفوسة ، بل ان اغلبيتهم فقط من نفوسة ؛ وفيهم الكثير جدا من العرب الاقحاح والقليل من القبائل العربية الاخرى ؛ ولما حطم الفاطميون دولة بني رستم الزاهرة ، هاجر رجال المذهب الاباضي وهاموا على وجوههم يتخيرون لانفسهم مركزا يأوون اليه ؛ فحطوا جنوبي و رقلة (بنى و رجلان) سنة ٣٦٠ تحت امرة الامام يعقوب واسسوا حول وادی میه منازلهم الا ان اهل ورقلة تخوفوا من مجاورة هولاء المهاجرين العاملين ، فما كادوا يستقرون هنالك نحو خمسين سنة حتى اجلوهم من البلاد فقصدوا ناحية الشبكة واستوطنوها ثم اسسوا اول مدينة لهم بها وهی مدينة العطف سنة ٤٠٢ على يد شيخ العزابة خليفة بن ابغور وسنة ٤٣٧ اسسوا مدينة بونورة وسنة ٤٧٧ اختطوا مدينة غرداية حول اكمة ، وقد اصبحت هذه المدينة راس وادى ميزاب و مركزه ، واستمر الميزابيون يديرون بلادهم باستقلال حسب مذهبهم الاباضى وكان لهم بها نظام جمهورى متقن بديع ، وكانوا يخضعون اسما للدولة التركية ، وقد تطوعوا عندما استفزهم حسين باشا للدفاع عن الجزائر بارسال الف رجل ، ثم اعترفت لهم فرنسا بذلك الاستقلال الداخلي المطلق بمعاهدة سنة ١٨٥٣ واخيرا نقضتها برسالة سنة ١٨٨٢ بدعوى ان الميزابيين اووا اليهم الثائرين على فرنسا وامدوهم بالسلاح ، واعلنت بذلك المكتوب الحاق البلاد مع ابقاء بعض الحقوق الداخلية لاهلها ، الاان رجال الحل والعقد من الاباضيين لايعترفون بذلك الالحاق ؛ ويقولون ان الفصل الثامن من الدستور الفرنسى ينص على انه لايمكن الحاق اي تراب بفرنسا الا بقرار يصدره البرلمان الفرنسى ، بينما البرلمان لم يصدر اى قرار بالحاق وادى ميزاب ؛ فالمعاهدة التى عقدت بين دولتين لايكفى

لنقضها رسالة من الوالي العام الجزائري ؛ لذلك يبنى اخواننا الميزابيون كل مطالبهم في شان الاعفاء من العسكرية وغيرها على ان بلادهم بلاد حماية كتونس وكالمغرب الاقصى . وقد حدثناك في القسم الرابع عن النظام الاجتماعي في ميزاب وعن اهم الفروق بين المذهبين المالكي والاباضي .

وسكان وادي ميزاب يبلغون نحو الاربعين الفا ، وبما أن بلاد الشبكة فقيرة لاتكفي للقيام باودهم ؛ فهم يهاجرون الى ارض التل وينتشرون بها ولهم في التجارة باع طويل ، ويكادون يحتكرون لانفسهم الكثير من الحرف مثل الجزارة والحمامات وغيرها ، ويتحملون تضحيات لاقبل للنفس بها ويرضون بشظف العيش كي يرجعوا كل عامين او كل ثلاثة اعوام الى بلادهم المحبوبة يحملون اليها نتائج جهودهم العنيفة ؛ وفي بلاد ميزاب نهضة علمية عربية جميلة قوي شانها واشتد ساعدها على يد ثلاثة من اكابر زعمائها هم السادة الشيخ ابراهيم آل يوسف اطفيش والشيخ ابو اليقظان الحاج ابراهيم والشيخ محمد الثميني ، فهم الذين فكروا في ارسال الطلبة الى تونس المحروسة ، ونظموا شان تلك الارساليات ووقفوا عليها وقفة مشرفة . والامية في وادي الشبكة تكاد تكون منعدمة واغلب الميزابيين يتكلمون فيما بينهم اللسان البربري الا انهم الى جانب ذلك يتقنون كلهم اللسان العربي ؛ ويقومون كلهم اجمعون بتعاليم الدين الحنيف ينفذونها بالحرف، اوليك هم الميزابيون الذين تريد الدعاية المغرضة المفسدة ان تصورهم للناس في صورة بشعة ، وتمثلهم كانهم اعداء الداء . وسياتي يوم قريب بحول الله يتغلب فيه العقل والدين الصحيح على الهوى والخرافات وتزول ما ابقته الايام السالفة من دعايات سيئة تمزق جسم الامة وتجعل الفريق منها يقف وقفة الخصم تجاه الفريق الآخر ؛ فالجزائر لاتشمل في جسمها الخالد الا المسلم الجزائري وكفى ، فكل تفريق عنصري او طايفي او مذهبي اوطرقي انما هو جريمة لايغتفرها الله ولا يسمح بها الوطن . ودائرة غرداية عموماتجمع من السكان ٣٢٦ ١٤٤ شخصا ومن اشهر مدنها الاغواط والقليعة (المنيعة) وغرداية وبقية البلاد السبع .

ارض عين الصفراء

وتقع جنوب عمالة وهران وهى تشمل الهضاب العليا الوهرانية ، وواحة صاورة . وصاورة اسم لوادى ينبع من الاطلس المغربى ويتجه نحو الصحراء فيغيب في رمالها وقد نشأت حوالي هذا الوادى واحة مستطيلة يسميها اهلها « طريق النخيل » وهى من ابدع الواحات ، يبلغ طولها زهاء المائة كيلو متر ، وواحة توات هى اشهر هذه الناحية البديعة ودائرة عين الصفراء هى من الجهة الاسلامية اضعف الدوائر الجنوبية حسا ومعنى ويبلغ مجموع سكانها ١٧٥٥٧٤ نسمة ومن اشهر مدنها المشرية والبيض (جريفيل) وواحة الفقيق .

ارض الواحات

والقسم الجنوبي وراء هذه الدوائر الثلاثة المذكورة آنفا يسمى كله دائرة الواحات ؛ ومركزه الادارى هو مدينة ورقلة « بنى ورجلان » ويمتد تراب هذه الدائرة حتى السودان الفرنسى وتشمل هذه الارض مناطق رملية شاسعة تدعى الواحدة منها « العرق » وهى موطن الاعراب الشعانبة الذين يعتنون بتربية الابل المهارة ، وتشمل كذلك هضبة مرتفعة صخرية كثيرة الجذف كانت فيما مضى منطقة فلقانية ، هى بلاد الهقار موطن البربر الملثمين ؛ الطوارق ؛ ويبلغ عدد الشعانبة نحو الثلاثين الفا وعدد الطوارق نحو العشرة آلاف لامرة سلطان « امينوكال » مسلم وهو الآن السيد اق حموك ، وظيفه حفظ الطوارق تحت السلطة الفرنسية ويلي منطقة الهقار منطقة يسميها الاعراب « بلاد الرعب والعطاش » تسير فيها القوافل وسط الرمال المحرقة نحو الستين او الثمانين كيلومترا فى اليوم لتجد بئرا ترتوى منه ؛ وتسمى هذه المفازة الرهيبة (تانزروفت) ويبلغ عرضها نحو الثلاثمائة كيلو متر وكثيرا ما ذهبت القوافل العديدة ضحية السراب والظمأ فيها وعند نهايتها تبتدى ارض السودان الفرنسى وتنتهى الارض العسكرية التابعة للجزائر .

البحث الثالث

احصاء عام لسكان الجزائر

حسب الاحصاء الرسمى الواقع يوم ٨ مارس ١٩٣١

١ — الجزائر الشمالية :

الدوائر الادارية عمالة الجزائر	السكان عام ١٩٢٦	السكان عام ١٩٣١	نسبة الزيادة في ٥ اعوام	عدد السكان في كل كيلو متر	مسلمون ١٩٣١	مسيحيون ٢٦٩١
دائرة الجزائر	٨٨٤ ٠٣٧	٩٨٣ ٧٧٥	١١و٢٨ في المائة	٤٣و٨٥	٦٧٥ ٧٨١	٢٩١ ٧٧٩
« المدية	١٤٧ ٣١٥	١٥٦ ٤١٧	٧و٥٣ «	١٠و٦٠	١٥١ ٧٨٦	٧ ٠٠٥
« مليانة	١٦٨ ١٥٧	١٨٤ ٢٧٦	٩و٥٧ «	٢١و٨٠	١٦٨ ٥٠٥	١٣ ١٣٢
« الاصنام	١٩٦ ٨٩٢	٢١٣ ٥٠٤	٨و٤٣ «	٣٧و٠٧	٢٠٣ ٤٤٢	٩ ٢٣٧
« تيزى وزو	٤٧٠ ٥١٣	٥٠٥ ٢٨٥	٧و٤٣ «	١٣٥و٩٣	٤٩٤ ٨٤٣	٩ ٣٩٢
جملة عمالة الجزائر	١ ٨٦٦ ٧١٤	٢ ٠٤٥ ٢٥٧	٥٦و في المائة	٣٨و٨٣	١ ٦٩٤ ٢٥٧	٣٥٠ ٥٤٥

عمالة قسنطينة :

الدوائر الادارية	السكان عام ١٩٢٦	السكان عام ١٩٣١	نسبة الزيادة في ٥ اعوام	عدد السكان في كل كيلومتر	مسلمون ١٩٣١	مسيحيون ١٩٣١
دائرة قسنطينة	٦٥٧ ١٦٥	٧١٩ ٢٠٨	٤٤ ٩ في المائة	٢٣و٩٥	٦٤٩ ٣٨٤	٦٣ ٥٢٨
« باتنة	٣٢٢ ٥٨٢	٣٥٣ ٢٣٧	٩و٥٠ «	١٤و٢١	٣٤١ ٤١٢	٨ ٤٩٩
« عنابة	١٦١ ٢٩٢	١٨٦ ٦٩٨	١٥و٧٥ «	٣٥و٦٥	١٣٧ ١٨٧	٤٦ ٤٧٢
« بجاية	٤٢٤ ٧٨٦	٤٦٤ ٧٢٦	٩و٤٠ «	٨٤و٧٤	٤٥١ ٤٤٠	١٢ ٠٨٠
« قالمة	١٦٦ ٧١٩	١٧٦ ٧٧٤	٦و٠٣ «	٣٩و٧٦	١٦٣ ٣٥٠	١٢ ٠٢٨
« سكيكدة	١٧٣ ٣٢٨	١٨٧ ٣٠٦	٨و٠٦ «	٤٦و٣٥	١٥٩ ٤٠١	٢٩ ٤٢١
« سطيف	٣٦٧ ٨٨٤	٣٩١ ٤٥٩	٦و٤٠ «	٢١و٦٧	٣٦٩ ٠٩٢	١٧ ١٦١
جملة عمالة قسنطينة	٢ ٢٧٥ ٧٥٦	٢ ٤٧٩ ٤٠٦	٩و٠٤	٢٨و٣٣	٢ ٢٧١ ٢٦٦	١٨٩ ١٨٩
عمالة وهران						
دائرة وهران	٣٨١ ٢٥٤	٨٠٣ ١٧٥	٥و٧٧	٦٩٫٨٢	١٨٣ ٤٢٣	٢١٢ ٢٥٠
« معسكر	٢٢٤ ٥٢٧	٢٢٧ ٨٠٨	١و٤٦	١٦٫٠٢	١٩٣ ٣٧٣	٣١ ١٣٣

الدوائر الادارية	السكان عام ١٩٢٦	السكان عام ١٩٣١	نسبة الزيادة في ٥ اعوام	عدد السكان في كل كيلو متر	مسلمون ١٩٣١	مسيحيون ١٩٣١
دائرة مستغانم	٤٠١ ١٥٩	٤١١ ١٣٦	٢٨و٢ في المائة	١٤و٣٥	٣٧٠ ٨٧٢	٣٧ ٧٧٨
« سيدى بلعباس	١٣٤ ٣٩١	١٤٠ ٣٢٠	٤ر٤١	١٤و٥٢	٩٢ ١٣٧	٤٤ ٣٤٧
« تلمسان	٢٣٩ ٤٧٠	٢٥٤ ١٢٢	١١و٦	٣٠و٩٤	٢٢١ ٠٥٥	٣٠ ٣٩٤
جملة عمالة وهران	٢ ٢٧٥ ٧٥٦	٢ ٤٧٩ ٤٠٦	٤ر٠٤	٢١و٣٣	١ ٠٦٠ ٨٦٠	٣٥٥ ٩٠٢
جملة الجزائر الشمالية (١)						
عمالة قسنطينة	٢ ٢٧٥ ٧٥٦	٢ ٤٧٩ ٤٠٦	٩و٠٤	٢٨و٣٣	٢ ٢٧١ ٢٦٦	١٨٩ ١٨٩
« الجزائر	١ ٨٦٦ ٧١٤	٢ ٠٤٥ ٢٥٧	٩و٥٦	٣٨و٨٣	١ ٦٩٤ ٢٥٧	٣٥٠ ٥٤٥
« وهران	٢ ٢٧٥ ٧٥٦	٢ ٤٧٩ ٤٠٦	٤ ٠٤	٢١و٣٣	١ ٠٦٠ ٨٦٠	٣٥٥ ٩٠٢
المجموع	٥ ٥٢١.٢٧١	٥ ٩٦١ ٣٢٤	٧و٩٧	٢٨و٦٧	٥ ٠٢٦ ٣٨٣	٨٩٥ ٦٣٦

(١) مع استثناء الذين صدر الامر باحصائهم على حدة مثل المسجونين والجند المنتقل وغير ذلك .

٢ — اراضي الجنوب

الدوائر	السكان عام ١٩٢٦	السكان عام ١٩٣١	نسبة الزيادة في ٥ اعوام	عدد السكان فى كل كيلومتر	مسلمون ١٩٣١	مسيحيون ١٩٣١
دآيرة تقرت	٢١٢ ٣٨٣	٢٢٤ ٥٤٧	٥٫٥٢ في المائة	١٬٦٦		
« غرداية	١١٩ ٩٤٠	١٤٤ ٣٣٦	٢٠٫٣٤ «	١٫٧٤		
« عين الصفراء	١٧٣ ٨٣٢	١٧٥ ٥٧٤	١٫٠٠ «	٠٬٢٧		
الواحات	٣٥ ٦٧٠	٤٠ ١٤١	١٥٫٥٠ «	٠٫٠٢٦		
جملة اراضي الجنوب	٥٤٢ ٢٢٥	٥٧٤ ٥٨٩	٥٫٩٧ «	٠٫٢٨	٥٦٦ ٠٠٠	٨ ٥٨٩

٣ — الجزائر الشمالية واراضي الجنوب والملحقات (من غير استثناء) :

	٦ ٠٦٣ ٤٩٦	٦ ٥٣٥ ٩٢٢	٧٫٧٩ في المائة	٣٬٠٠	٥ ٦٢٢ ٤٤٣	٩١٣ ٤٧٩

٤ — السكان المسلمون في ارض الجزائر

المنطقة	عام ١٩٢٦	عام ١٩٣١	نسبة الزيادة في ٥ اعوام	عددهم فى كل كيلو متر
الجزائر الشمالية	٤ ٦٥٨ ٢١٢	٥ ٠٥٦ ٤٤٣	٨و٥٤ فى المائة	٣٧ ، ٢٤
الجزائر الجنوبية	٥٣٤ ٩١١	٠ ٥٦٦ ٠٠٠	٥و٨١ »	٢٧٦ ؛ ٠
المجموع	٥ ١٩٣ ١٢٣	٥ ٦٢٢ ٤٤٣	٨و٢٧ »	٥٥ ؛ ٢

ب — السكان الاوربيون في ارض الجزاير

المنطقة	عام ١٩٢٦	عام ١٩٣١	نسبة الزيادة في ٥ اعوام	عددهم فى كل كيلو متر
الجزائر الشمالية	٨٦٣ ٠٥٦	٩٠٤ ٨٩٠	٤و٨٤ في المائة	٣٦٠ ، ٤
» الجنوبية	٧ ٣١٤	٨ ٥٨٩	١٧و٤٥ »	٠٠٤ ؛ ٠
المجموع	٨٧٠ ٣٥٠	٩١٣ ٤٧٩	٤و٩٥ »	٤٥ ؛ ٠

٦ ـــ المدن الكبيرة وعدد سكانها (مع عدم استثناء الذين يشملهم احصاء خاص (١)

عمالة الجزائر :

المدينة	سكانها عام ١٩٢٦	سكانها عام ١٩٣١	الزيادة
الجزائر	٢٢٦ ٢١٨	٢٥٦ ٨٦٢	٣٠ ٦٤٤
البليدة	٣٦ ٦٨٧	٣٨ ١٣٩	١ ٤٥٢
بوفاريك	١٣ ٢٠٩	١٤ ٧٧٨	٢ ٥٤٧
الابيار (سوادالجزاير	٧ ٧٢٩	١١ ١٦٤	٣ ٤٣٥
حسين داى «	١٢ ٣٤٢	١٤ ٨٨٩	٢ ٥٤٧
سانت اوجين «	٧ ٤٤٦	٩ ٢٩٠	١ ٨٤٤
الحراش	١٧ ٤٥٥	٢٣ ٧٣٣	٦ ٢٧٨
المدية	١٤ ٥٦٣	١٥ ٧٨٣	١ ٢٢٠
مليانة	١٠ ٨٨٨	١١ ٤٠٨	٥٢٠
الاصنام	١٧ ٥٣٨	١٨ ٣٥٤	٨١٦
تيزى وزو	٣٦ ٠٣٩	٣٨ ٣٩١	٢ ٥٥٢
عمالة قسنطينة			
قسنطينة	٩٣ ٧٣٣	١٠٤ ٨٦٣	١١ ١٣٠
باتنة	١٢ ٢٢٣	١٣ ٣٦٥	١ ٣٤٠
بجاية	٢٣ ١٤٠	٢٥ ٢٦١	٢ ١٢١
بسكرة	١٦ ٤٧٧	١٨ ٩٤٤	٢ ٤٦٧
عنابة	٥١ ٨٩٥	٦٧ ٨٣٤	١٥ ٩٣٩
قالمة	١٠ ٥٩٠	١٢ ٦١٨	٢ ٠٢٨

(١) انظر في القسم الثامن سكان المنطقة البلدية من اهم المدن وتفصيل السكان المسلمين والاوربيين

المدينة	سكانها عام ١٩٢٦	سكانها عام ١٩٣١	الزيادة
سكيكدة	٤٠ ٥٣١	٤٤ ٥٨٠	٤ ٠٣٩
سطيف	٣٤ ١٧٢	٣٧ ٢٥٣	٣ ٠٨١
سوق اهراس	١٢ ٣٨١	١٤ ٣٧٦	١ ٠٥٥
سانت ارنو		٨ ٧٣٧	
عمالة وهران			
وهران	١٥٠ ٣٠١	١٦٣ ٧٤٣	١٥ ٤٤٢
معسكر	٣٠ ٦٦٩	٣١ ٤٤٩	٧٨٠
مستغانم	٢٧ ١٢١	٢٨ ٣٥٧	١ ٢٥٦
بريقو	١٥ ٩٣٣	١٧ ٧٤٢	١ ٨٠٩
غليزان	١٤ ٢١٠	١٥ ٣٩٠	١ ١٨٠
تلمسان	٤٣ ٧٤٧	٤٦ ٠٦٠	١ ٣١٣
سعيدة	١٢ ٨٦٠	١٣ ٩٠٨	٩٤٩
سيدى بلعباس	٤٣ ٧٠٠	٤٥ ٩٠٢	٢ ٢٠٢

القسم الثامن

امهات المدن والقرى بالقطر الجزائري

المدن والقرى الجزائرية ما يستحق ان نترجم له ترجمة مختصرة بسيطة ؛ اما لاهمية مركزه الحاضر ، اولقيمته التاريخية او الاقتصادية ، وقد رتبنا المدن والقرى التى سنتحدث عنها على حروف المعجم ، واشرنا بحرف الى العمالة التى بها المدينة او القرية ؛ فالمدينة التى بعدها حرف (ج) هي في عمالة الجزائر والمدينة التى بعدها حرف (ق) في عمالة قسنطينة والمدينة التى بعدها حرف (و) هي فى عمالة وهران والمدينة التى بعدها حرف (ص) كائنة في اراضى الصحراء .

*
* *

* الاغواط * (ص) من ابدع مدن الجنوب ، واقعة على وادى مزى ؛ ترتفع ٧٩٢ مترا عن البحر ، وبها سدود محكمة عربية على هذا الوادى لتوزيع المياه فى الواحة البديعة التى تشمل نحو ٣٢ الف نخلة . وقد كانت الاغواط مؤسسة قبل قدوم الهلاليين ؛ ثم استوطنها الاحلاف واولاد سرين ، وكانت ايام الاتراك تدفع اتاواتها للجزائر بانتظام ، فلما وقع الاحتلال استولى عليها الجنرال مارى مونج سنة ١٨٤٤ بدون مقاومة تذكر ؛ الا انها ثارت ، بعد ذلك في وجه السلطة الفرانسية ، فهاجمها الجنرال بيليسى يوم ٤ دسامبر ١٨٥٢ واشتعلت بين الفريقين نيران معركة حامية كانت نتيجتها تحطيم الاغواط ومعاقبتها بكل صرامة . والاغواط اليوم مركز تجارى عظيم ويصنع بها الحرير والصوف بصفة متقنة وبها نهضة اسلامية عربية يرجى لها كل خير ، وتعلق عليها الآمال ، سكانها : ٦٨٧٨ منهم ٦٢٥٣ مسلما

* الاصنام * (ج) واسمها الاروبى اورليانفيل ، اسسها سنة ١٨٤٣ المارشال بيجو فى مكان مدينة رومانية عتيقة اسمها كاستبلوم ، وكان العرب يسمون آثار تلك المدينة (الاصنام) لكثرة التماثيل التى بها ، وتغطى تلك الخرائب القديمة مساحة طولها

٦٠٠ متر وعرضها ٣٠٠ ؛ و بجوارها حرش من اشجار الصنوبر تبلغ مساحته ١٠٠ هكتار ؛ وبها مناظر بديعة من جهة سورها الشمالي على قنطرة وادى الشلف والاصنام ارض زراعة الحبوب ، و نظرا لحرارة طقسها حيث تبلغ في الصيف احيانا ٥٤ درجة فى الظل ووفرة مياهها وقعت تجربة غراسة القطن بها فنجحت ؛ سكانها : مسلمون ١٣٨١٨ ؛ارو بيون ٣٧٨٧ الجملة ١٧٦٠٥.

* ارزير * (و) من مراسى خليج مستغانم ، حولها سور له بابان فقط ، ولها شهرة واسعة في تاريخنا البحرى الاسلامي ، لانها كانت دار صناعة الخليفة عبد المؤمن بن علي واحدى مراكز اسطوله الضخم ، ثم جعلها الاتراك ترسخانة واقاموا حصنا للدفاع عنها ، احتلها الجنرال دى ميشال سنة ١٨٣٣ ، ومرساها جميل مأمون . يزووره كل سنة نحو ٦٨٠ سفينة ، وحركته التجارية نحو ١٤٠٠٠٠ طن من البضائع بين صادر ووارد وعلى مقربة منها يوجد سد مقون الذى يجمع مليون متر مكعب من الماء للرى ، شيد بين سنتى ١٨٧٩ ، ١٨٨٧ ، والى جانب ارزيو سباخ ملح تنتج ٩٠٠٠ طن فى السنة ، سكانها ، مسلمون ١٧١٨ اروبيون ٥٥٢٦ الجملة ٧٢٤٤ .

* اولاد جلال * (ص) من ابدع واحات الجنوب ، بها نحو الخمسين الفا من النخيل البديع ، وبها مسجد بديع الصنع ، يقام بها كل يوم خميس سوق من اكبر اسواق الحبوب والمواشي . وعلى مقربة منها مناجم الجص الشفاف وعلى بعد ٨ كيلو مترات منها توجد واحة سيدى خالد وبها من النخيل نحو ٢٥ الفا ، وكل هذه الناحية مشهورة بصناعة الانسجة الصوفية سكان اولاد جلال ٦٨٢٦ منهم ٦٣٨٨ مسلما .

* باتنة * (ق) من اهم المراكز جنوب عمالة قسنطينة: كانت قليلة الاهمية وتدعى راس العيون باتنة فلما هاجت القوات الفرنسية بسكرة اتخذت هذه القرية مركزا لها فى ١٢ فيفرى ١٨٤٤ قصد حماية الطريق ضد غارات بر بر اوراس ، ودعاها رجال العسكرية يومئذ لمبيز الجديدة ؛ الا انها اصبحت تدعى « باتنه » بصفة رسمية سنة ١٨٤٩ . ولقد اكتسبت باتنة اهمية كبرى من بعد ، لموقعها حذو جبال اوراس من

جهة؛ ولموقعها قرب الخرائب الرومانية بتيمقاد ولمبيز من جهة اخرى؛ فالسواحون يقصدون باتنة للقيام بنزهات بديعة فى جبال اوراس الحلابة؛ وبجولات مفيدة في لمبيز وتيمقاد. وقد ابتنيت مدينة تيمقاد هذه سنة ١٠٠م بامر من الامبراطور تراجان فاصبحت من اعظم حواضر الرومان بافريقيا، وفى القرن السادس خربها البربر الثائرون وقد اعتنت بها ادارة الاثار فكشفت عن كل خراباتها، وفيها المراسح البديعة والمعابد الخلابة واقواس النصر الجميلة ومساحة تلك المدينة الخربة ٣٦٧ مترا على ٣٣٤. وباتنة شديدة البرد شتاء شديدة الحر صيفا سكانها: مسلمون ٨٥٦٨ اروبيون ٣١٦٥ الجملة ١١٧٣٣.

* بجاية * (ق) لايذكرها الانسان الا ويذكر دولة بنى حماد العظيمة ومدنيتها الشامخة وبذخها العظيم. مدينة مبنية فى احسن ناحية من نواحي افريقيا، حيث ينهمر المطر فيها مترا و٣٥ مليمترا في السنة ولها طقس معتدل، خصوصا في الربيع والشتاء. وموقع بديع على خليج بجاية المفتوح الذى تكتنفه جبال بابور فتجعل منظره الطبيعى من ابدع ما ترى العيون

وابناء عمنا الكنعانيون الفنيقيون هم الذين اسسوا هذه المدينة ودعوها صلدة. ثم اصبحت رومانية تحت اسم صلداى، واقام بها الامبراطور اوغوست جالية رومانية وخربت بعد ذلك بايدى الوندال والبربر، وبقيت خراباتها ماثلة للعيان الى ان جاءها سنة ١٠٧٦ الناصر الحمادى من القلعة فاختط اسسها من جديد ودعاها الناصرية. ثم سميت بجاية على اسم القبيلة البربرية التى تخيم حولها واتخذها المنصور الحمادى ابن الناصر عاصمة لملكه العظيم سنة ١٠٩٠ وكثر اعتناء بنيه بها ونقلوا اليها كل ما كان فى القلعة من ذخائر وطرف سنة ١١٤٨ وعقدت الدول البحرية الاروبية مع بجاية الحمادية معاهدات تجارية وقنصلية دقيقة وكثر عمرانها الى ان اصبحت من اكبر مدن افريقيا تضاهى او تفوق تونس والقيروان وفاس؛ وآثار سورها العربي يشهد بذلك الاتساع وفي سنة ١١٥٢ استولى عليها الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي وحطم سلطنة بنى

حماد واستمرت بجاية تحت حكم الموحدين الى سنة ١٢٣٤ حيث اسس ابو العباس الحفصى دولة حفصية مستقلة بها ثم دخلت تحت الادارة الحفصية الموحدة بتونس وقد احتلها الاسبان عدة مرار وخربوها وفقدت كثيرا من اهميتها الى ان استرجعها منهم باشا الجزائر صالح رائس سنة ١٥٥٥ وكانت يومئذ قرية تكاد تكون عديمة الاهمية . وفي سنة ١٨٣٣ هاجمتها الجنود الفرنسية بشدة فدافع عنها اهلها وكانوا يبلغون الفى نسمة دفاع الابطال فما استطاع الفرنسيون احتلالها الابعد حرب دامت عدة ايام قاسية شديدة . وفى المدينة اليوم متحف يجمع بعض آثار عتيقة اهمها اواني الخزف المصنوعة فى قلعة بنى حماد وقد اخذت بجاية تسترجع اهميتها السالفة وشيد بها مرسى حديث بلغت نفقات انشائه نحو ٥٠٠٠٠٠٤ فرنك فجعل لها حوضا حوله سدود ، مساحته ٢٦ هكتارا وعمقه من ٧ امتار الى ٨ امتار ونصف ثم وقع حفر احواض اخرى للمرسى واقامة سدود جديدة حولها حتى بلغت مساحة مرساها وتوابعه وا رصفته ١٥٠ هكتارا و بلغت نفقات بنائه ٢٢ مليونا وتبلغ حركتها التجارية البحرية نحو ٢٥٠٠٠٠ طن من البضائع فى السنة ومنها تخرج نتائج العمل القبائلي الجهيد من زيت وتين مجفف وبهش وكذلك نتائج مناجم الحديد والسماد وغيرذلك وحول بجاية طريق جبلي مشرف على البحر يعتبر من اجمل منتزهات الدنيا . سكان بجاية مسلمون ١٩٠٠٢ اروبيون ٥٧٧٧ الجملة ٢٤٧٧٩ .

برج بوعريرج (ق) مركز فلاحى بير ، اشتهرت فيه الفلاحة الاهلية بالنمو والازدهار . وفى هذه الناحية اعلن الباش آغا سيدى المقرانى ثورته الشهيرة عام ١٨٧١ وحاصر مركز البرج الا انه لم يستول عليه لوصول النجدة الفرنسية اليه ولا يزال الفرنسيون يقيمون كل سنة في ٢٦ مارس حفلة لتذكار نجاتهم من الوقوع تحت ايدى البربر وعلى بعد ٣١ كيلو مترا من جهة الجنوب تجد خرائب قلعة بنى حماد . سكان البرج مسلمون ١١٠٨٥ اروبيون ١٨٣٦ الجملة ١٢٩٢١ .

بسكرة (ص) وتدعى ملكة الجنوب هى اشهر الواحات الجزائرية على

الاطلاق لها في الشتاء طقس معتدل يجعلها محط رحال المتسوحين حيث ان معدل حراراتها في ايام الشتاء تبلغ ١٥ درجة واقصى ما تبلغه الحرارة في تلك الايام هو١٦ درجة واقله ٦ درجات ؛ اما المطر فلا ينزل بها الا على معدل ١٧٥ مليمترا في السنة واحة بسكرة تمتد نحو ٥ كيلو مترات يمين الوادى وتشمل نحو ١٤٠٠ هكتار وفيها ١٥٠٠٠٠ من النخيل وعدة الاف من الاشجار المثمرة والنخيل يثمر في السنة السادسة او السابعة من عمره الا ان العرجون لا يستقيم حجمه وثمره الا متى بلغت النخلة سن العشرين اما نتاج النخلة فهو يتراوح بين ٤٠ و٦٠ كيلو في السنة .

وبسكرة كانت قرية بربرية عتيقة ، وعرفت ايام السلطان الروماني تحت اسم فيسيكرا وكانت ايام ازدهار الديانة المسيحية بالبلاد مركز اسقفية . احتلها العرب تحت امرة عقبة بن نافع رضي الله عنه ؛ وعلى مقربة منها استشهد عقبة واصحابه (انظر سيدى عقبة) دخلت بسكرة في حكم الزاب الاغلبي ثم دخلت في سلطة بني حماد واخيرا استولى عليها الاعراب الهلاليون وجعلوها من اكبر مراكزهم ؛ وكانت في القرن الرابع عشر الميلادى تدخل تارة تحت حكم الحفصيين وطورا تحت حكم بني مرين ، ثم احتلها الاتراك نهائيا سنة ١٥٥٢ تحت قيادة الباشا صالح رايس واصبحت من اعظم مراكز التجارة ، ولما وقع الاحتلال هاجمها الدوق دومال سنة ١٨٤٤ فاحتلها وترك بها حامية ، الا ان اهل المدينة انتقضوا واهلكوا الحامية كلها فاعيدت الكرة عليها واخيرا انتقضت مع بلاد الزيبان كلها ؛ واخضعت اثر تحطيم الجند الفرنسي واتلافه لواحة الزعاطشة سنة ١٨٤٩ سكان بسكرة : مسلمون ١٦٠٤٠ اروبيون ٢٠٧٥ الجملة ١٨١١٥ .

*البليدة *(ج) من اهم واجمل مدن الناحية الجزائرية تقع عند سفح الاطلس التلى والى جانب الوادى الكبير الذي يسقى بمياهه الدافقة البساتين البديعة والحدائق النضرة وترتفع ٢٦٠ مترا عن سطح البحر وموقعها بين الزهور والرياحين واشجار البرتقال والنارنج والليمون جعلها تسمى بحق « وريدة » .

والبليدة مدينة اندلسية بحتة ، اسسها سنة ١٥٥٣ سيدى احمد الكبير باعانة مهاجرى الاندلس واتخذوها لانفسهم دارا وملاذا وجعلوها مركزا لصناعاتهم البديعة كالتطريز على الجلد ؛ وغرسوا بها حسب النظام الاندلسي البساتين والنارنج واجروا حولها المياه بصفة فنية ولما استولى بربروس خير الدين ملكا على الجزائر ايده اهل البليدة ونصروه كما ايده ونصره كل المهاجرين الاندلسيين الذين ركب متون الاخطار لانقاذهم بنفسه على سفائنه من مخالب الوحشية الاسبانية. وابتنى خير الدين لاهل البليدة مسجدا جامعا و بعض حمامات على النمط التركى ، ولقد حطم الزلزال سنة ١٨٢٥ هذه المدينة النضرة فاعاد اهلها بناها باعانة اتراك الجزائر وفى ١٩ نفامبر ١٨٣٠ احتلها الجنرال كلوزيل اثر معركة دموية حامية الا انه اضطر لاخلائها بعد ذلك ، وفي نفامبر ١٨٣٤ احتلها وانتهبها الجنرال دوق دوروفيقو ثم اخلاها ايضا وفي ١٨٣٩ وقع احتلال البليدة بصفة نهائية ؛ ولقد تهدمت المدينة بزلزال جديد في ٢ مارس ١٨٦٧ ثم اصلحت واصبحت اليوم مركزا من اكبر مراكز البلاد والى جانب المدينة على الوادى الكبير مقبرة عتيقة بها قبر سيدى احمد الكبير المتوفى سنة ١٥٥٠ وهو مؤسس المدينة كما راينا ، ويوجد منتزهان من اكبر المنتزهات قرب البليدة ، اولهما وادى القردة وهومركز بديع فى وسط مضيق الشفة تحدر تحته المياه متكسرة على الصخور فتسمع لها خريرا بديعا وتكتنفه الجبال الخضراء الزاهمة من جميع جهاته ، وتفد نحوك القردة ضاحكة (نعم ضاحكة) تحمل صغارها على ظهورها وتمد لك اليد طالبة منك لقمة من الخبز او حبة من الكاكاويت . وثانيهما هو مركز الشريعة فى اعلى جبال الاطلس البليدى يرتفع ١٤٩٧ مترا عن سطح البحر وتكسوه الثلوج فى الشتاء حتى تخال نفسك في احدى غابات اروبا ، اما في الصيف فيكون طقسه باردا بصفة مفرطة احيانا وهو يبعد ٢٢ ك م عن البليدة سكان البليدة . مسلمون ٢٦٥٠٥ اروبيون ١٠٢٨٦ الجملة ٣٦٧٩١ .

* بو سعادة * (ج) مركز صحراوى بديع في وسط الهضاب العليا الجزائرية له

واحة من اجل واجمل واحات الجزائر ؛ ولقد خلد ذكرها المرحوم المبرور صديقنا السيد ناصر الدين اتيان ديني من اشهر رسامي فرنسا في هذا العصر ، فقد اتخذها مسكنا واعتنق بها الاسلام والف بها كتبه البديعة عن الاسلام والمسلمين ؛ ورسمها رسومه الصحراوية الخالدة ولما دعاه الله اليه اقامت له مدينة بوسعادة ماتما قلما رات مثله البلاد . وتقام في هذه المدينة سوق شهيرة كل يومي الاثنين والثلاثاء ولها حفلة سنوية كل شهر افريل تقع فيها العاب الخيل والفروسية و يفد نحوها القوم من كل بلاد وتحدق بالمدينة من ثلاثة اطرافها واحة بديعة على شكل هلال يجرى من تحتها وادى بو سعادة وتشمل فوق العشرة آلاف نخلة . وعلى بعد ١٥ كيلو مترا من بوسعادة تجد المعهد الاسلامي الاكبر معهد المقدس المبرور سيدى محمد بن بلقاسم الهامل رضي الله عنه ، ولقد اقيمت هنالك فى وسط القفار زاوية بديعة الصنع حولها الدور ومساكن الطلبة ويجاور بها زمن الشتاء والربيع نحو المائتين طالب يتلقون هنالك علوم العربية وفقه مالك و يحفظون القرآن الشريف ؛ والزاوية تقوم لهم بكل شؤون الحياة الى ان يتموا تعليمهم وقد تخرج من هذا المعهد رجال لهم قصب السبق فى مضمار العلوم الاسلامية ولقد اشتهرت الزاوية بيقائها مدة طويلة الى سنة ١٩٠٤ تحت ادارة الولية الصالحة المرحومة المبرورة السيدة زينب بنت سيدى محمد بن بلقاسم ويتولى اليوم ادارة الزاوية الهاملية الحازم النبيه والثقة الابر الشيخ سيدى مصطفى بن بلقاسم و يعاونه الشيخ سيدى عبد القادر القاسمي وكلاهما عضو بجمعية العلماء ؛ وينتظر منهما نهضة بالعلم فى المعهد الهاملي ليست بعزيزة على فضلهما الغزير واطلاعهما الواسع .

سكان بو سعادة الجملة ٧٣١١ منهم ٦٣٨٨ مسلما .

بوفاريك (ج) مدينة تعد مثالا من الاستعمار الفرنسى بسهول متيجة جميلة التخطيط ؛ تكتنفها من كل جهاتها الكروم البديعة والبساتين الخلابة وليس بها من يملك الا قليل جدا من المسلمين ؛ وكروم هذه الناحية الاستعمارية الكبرى تمتد

على نحو ١٠٠٠ هكتار وتنتج كل عام زهاء ٠٠٠ ١٠٠ هكتوليتر من الخمور وحول المدينة الابنية الشامخة المتينة لحفظ هذه الخمور وارسالها لجهات المعمور . وكل الاشجار المثمرة تجدها ببوفاريك وكذلك النجوم العطرة امثال العطرشاه وغيرها يشتغل بها نحو المائة من المستعمرين .

سكان بوفاريك من المسلمين ٩١١٦ اغلبهم عمال و من الاروبيين ٥٢٦١ الجملة ١٤٣٧٧ .

تبسة (ق) مركز شديد الاهمية التجارية والفلاحية لها مواصلات سريعة سهلة مع البلاد التونسية من جهة الوسط ولها سوق شهير ينعقد كل ثلاثاء واربعاء من الاسبوع وتبسة مركز قبيلة النمامشة العربية البربرية العتيدة ، والمدينة ترتفع ٩٠٠ متر عن سطح البحر و بها صناعات اهلية متقنة كنسج الزرابي المعقودة والتطريز واشتهرت المدينة بآثارها الرومانية الباقية الى يومنا هذا واهمها قوس نصر الامبراطور كراكلا وهو من اشهر اقواس النصر الموجودة والمعبد القريب من قوس النصر و به متحف صغير جمع بعض الآثار والفسيفساء الجميلة وقد كانت تبسة تدعى في العهد الروماني تهيفست وكانت الفرقة الثالثة الجندية الرومانية تقيم بها في الربع الاول من القرن الاول المسيحي ثم لما وقعت القلاقل الدينية حطمها البربر الدوناتيون واعاد القائد صالومون الرومي البيزنطي بناءها وشيد حولها سورها واحتلها العرب فكانت على الاكثر تابعة للدولة الاغلبية والدولة الحفصية وحكمها الاتراك باعانة قبائلها القوية المحيطة بها واهمها كما قلنا النمامشة واجوارهم الحنانشة شمالا والحراكته غربا وقد احتلها الفرنسيون اثر محاربات قوية واخلوها مرتين سنة ١٨٤٢ وسنة ١٨٤٦ ثم احتلت نهائيا واقيمت بها حامية عسكرية سنة ١٨٥١ سكانها : مسلمون ٩٣٧٩ اروبيون ١٨٨٧ الجملة ١١٢٦٦ .

* تلمسان * (و) هي المدينة التي تمثل عظمة الجزائر العربية الخالدة و تذكرنا في عصر بني زيان الذهبي الذى تلالات انواره و تالقت حضارته بصفة عديمة النظير

بهذا القطر و موقع هذه المدينة بديع بين جبال خضراء ذات خمائل نضرة و بين سهول ز برجدية تتخللها المياه الجارية ؛ ترتفع ٨٠٦ امتار عن سطح البحر ولها طقس جميل وهواء معتدل .

اصل مدينة تلمسان هو قرية « ادغادير » وقد اسس هذه القرية على انقاض معسكر رومانى المولى ادريس الاكبر وعندما ضعف شان الدولة الادريسية المغربية وهرمت اقامت قبائل بنى يعلى و بنى خضر امارات بربرية بها خاضعة اسما لخلفاء بنى امية بالاندلس .

وفي اواخر القرن الحادى عشر ميلادى ، اسس الخليفة المرابط يوسف بن تاشفين قرية تاقرارت ثم انضمت القريتان فاصبحتا تيلمسان وفي القرن الرابع عشر ميلادى حاصر الخليفة المرينى ابو يعقوب تلمسان وابتنى على بعد ثلاثة اميال منها مدينة المنصورة البديعة واتخذها معسكرا له ولا تزال آثار منارتها البديعة قائمة للان وقد ازدهرت المدينة ونمت نموا كبيرا اثناء سلطة المرابطين والموحدين ، ونالت اوج عزها تحت امرة العظماء من بني زيان خلفاء ياغمراسن العظيم ومما يرويه يحيى بن خلدون عن هذا العصامي ان احد المتملقين جاءه يوما بشجرة نسب يدعى انها تصل يأغمراسن بسلالة الرسول المطهر صلى الله عليه و سلم ، فقال له الملك البربرى : ان كان هذا صحيحا فلربما نفعنا عند الله تعالى ، اما الدنيا فقد نلناها بسيوفنا » .
وتباهى ملوك بنى زيان و ملوك بنى مرين فى تشييد المساجد والمدارس حتى اصبحت تلمسان تضاهي اجمل مدن الشرق والغرب وبلغ عدد سكانها ١٥٠ الف نسمة ثم اخذت تفقد قوتها و نضارتها ايام الانحطاط الزياني ، والمحاربات الاسبانية الزيانية الى ان اضمحلت سلطة بنى زيان و دخلت المدينة نهائيا تحت حكم اتراك الجزائر ، وسكن بها عدد جم من الاتراك وخلفوا بها احفادهم ولما وقع الاحتلال الفرنسى انضم اهل المدينة الى الامير الحاج عبد القادر وامتنع الاتراك فيها من التسليم له ؛ واحتلت فرنسا المدينة اولا سنة ١٨٣٦ ثم سلمت الى الامير عبدالقادر سنة ١٨٣٧ طبق

معاهدة تافنة ، واخيرا اعادت فرنسا الكرة عليها واحتلتها في ٣١ يناير سنة ١٨٤٢ ومما يؤسف له ان اهل المدينة الى يومنا هذا لا يزالون يذكرون خلافاتهم التاريخية القديمة ، وينقسمون رغم انف العقلاء والمدركين الى حضر وكوالغلية ، وهم اعقاب الاتراك و يشتد ذلك الخلاف بصفة خاصة ايام الانتخابات وعسانا نرى العقلاء من الطرفين يجهزون على بقايا هذه المهزلة السخيفة ، وينهضون بمدينتهم التي لم تحقق الى اليوم الآمال المعقودة عليها من جهة النهضة العربية الاسلامية .

من اهم آثار المدينة قصر « المشور » وهو مقام في المكان الذى نصب به يوسف بن تاشفين خيمته محاصرا اغادير سنة ١١٤٥ م وهو قصر يبلغ طوله ٤٩٠ مترا وعرضه ٢٧٠ مترا وقد كان مقر الحكومة الى ان انحطت سلطة بنى زيان ؛ ومن سوء الحظ ان تلك البنايات البديعة التى كانت به قد استولت عليها يد الخراب، واحتلتها السلطة العسكرية فجعلت منها ادارات مختلفة ، ثم المسجد الاعظم وطوله ٦٠ مترا وعرضه ٥٠ وقدشيده الخليفة المرابط علي بن يوسف وانتهى بناؤه سنة سنة ١١٣٥ وللمسجد منارة ابتناها الامير ياغمراسن يبلغ ارتفاعها ٣٥ مترا ثم مسجد سيدى ابى الحسن وهو من ابدع المساجد والطفها ، به نقوش عربية مدهشة ابتنى سنة ١٢٧٩ م واصبح اليوم متحفا لآثار تلمسان ، وقد ابتنى حسبما تنص عليه كتاباته الذهبية فوق المحراب تذكارا للامير ابى ابراهيم بن يحيى ياغمراسن ، سمي مسجد سيدى بالحسن نسبة الى العلامة الاشهر سيدى ابى الحسن بن يخلف التنسى الذى كان يدرس بتلمسان ايام الامير ابى سعيد .

ومسجد سيدى الحليوى ، نسبة الى ابى عبد الله الشودى الذي تولى قضاء اشبيلية مدة ثم استقر بتلمسان فلقب بالحليوى ، وقد ابتناه الامير المرينى ابو عنان فارس سنة ٧٥٤ هجرية ، وخارج تلمسان يوجد اثران لهما اهمية كبرى : الاول هو الصهريج العظيم الذى امر بحفره الامير ابو تاشفين ملك تلمسان بين سنتى ١٣١٨ و ١٣٢٧ ؛ وهو معد لسقي البساتين والحدائق المحيطة بتلمسان ويبلغ طول هذا الصهريج

٢٠٠ متر وعرضه ١٠٠ وعمقه ١٣ وكانت المياه ترد اليه من منابع لالاستي الجبلية اما اليوم فهو جاف

والاثر الثاني هو ضريح ومصلى سيدي ابي مـدين ، وهو آية من آيات الجمال الفني والهندسة العربية البديعة ،وموقعه في قرية العباد (جمع عابد) على بعد ٢ كيلو مترات من تلمسان ولقد شيده محمد الناصر بن المنصور الموحدى على قبر الولي الصالح والعلامة الشهير الشيخ سيدى شعيب بن حسين الاندلسي الملقب بابي مدين الغوث ولد باشبيلة سنة ٥٢٠ هجرية ودرس بمدينة اشبيلية وبمدينة فـاس ؛ ثم حـج الى بيت الله الحرام وقفل الى المغرب فانتصب للتدريس ونفع الناس ببجاية ، واستقدمه الخليفة يعقوب المنصور الى مراكش فسار اليها ، الا انه تو في اثناء الطريق ،ونقل الى قرية العباد ودفن بها وذلك سنة ٥٩٤ هجرية ؛ وتشمل هذه البناية البديعة ثلاثة اقسام :الضريح والمسجد والمدرسة . امـا الضريح فهو قبة متقنة النقوش بها قبر ابي مدين ؛ وقبر العلامة سيدى عبد السلام التونسى . والمسجد ابدع جمالا واجمل صنعا من القبة ، له باب فخم من ابدع ما اخرجه الفن العربي الاندلسى وبه نقوش تكاد تكون وحيدة في بابها وتحت قوس الباب مدرج به ١١ درجـة توصلك الى باب فخم من خشب الساج محلى بصفائح منقوشة نقشا بديعا من النحاس الخالص ومساحة المسجد ٣٠ مترا في ١٨، اما بيت الصلاة وحدها فطولها ١٠ امتار وعرضها ١١ ، وبها جملة من اساطين المرمر البديعة تحمل على رؤوسها نقوشا خلابة . والمدرسة تشمل مسجدا و صحنا مستديرا حوله بيوت الطلبة المجاورين لتلقى العلوم بذلك المسجد وقد شيد المدرسة الخليفة ابو حسن علي سنة ١٣٤٧ وقد لعبت ايـدي الخراب بهذه المدرسة وفقدت الكثير من زخرفها . ويصعب علينا ان نلم في هذه الاسطر الوجيزة بجميع آثار تلمسان وما ابقته فيها الايام من تذكار المجد القديم وقد اعلمنا الشاعر الكبير الشيخ محمد السعيد الزاهرى انه الف كتابا تحت اسم « حاضر تلمسان » وانه قدمه للطبع و فيه من التدقيقات الممتعة عن آثار هذه المدينة ما يشفي الغليل ويدرس

حاضرها وحاضر المجتمع الجزائرى عامة درسا تحليليا مفيدا . وبمدينة تلمسان صناعات اهلية يدوية ضعيفة الا انها متقنة، منها الحياكة والتطريز وصناعة الزرابى والنحاس والحديد وسكان تلمسان : مسلمون ٣٢٤٤١ اروبيون ١١٦٥٣ الجملة ٤٤٠٩٤ .

تنس (ج) مرسى صغير غربي الجزائر ؛ اسسه الكنعانيون القرطاجنيون فكان مستودعا تجاريا ثم اقام به الرومانيون مستعمرة وخرب على ايدى البربر اثناء الثورة الكبرى الى ان جاء مهاجروا الاندلس من الفيرة ومرسية فاعادوا تخطيط المدينة وسكنوها كما يحققه البكرى سنة ٨٧٥ هجرية وخرج من هذه المدينة علماء جلة اشتهروا في عالم الادب والتأليف ودخلت المدينة تحت حكم قبيلة مغراوة البربرية ؛ ثم خضعت لسلطان بنى زيان واخيرا سلمت مقاليد امورها لاتراك خير الدين بربروس سنة ١٥٢٠ الى ان احتلها الفرنسيون سنة ١٨٤٣ وقد اقيمت بها سدود حول مرسى صناعى يغمر ٢٤ هكتارا يحطمه البحر بين آونة واخرى وتبلغ صادرات وواردات المرسى نحو ١٥ الف طن وبالمدينة حمامات معدنية تبلغ درجة حرارتها ٣٠ درجة ومن آثارها بقايا السور البربرى وبعض صهاريج وجسر قديم سكان تنس مسلمون ٤٩٧٤ اروبيون ١٦٣١ الجملة ٦٦٠٥ .

*تيارت *(و) مدينة تعتبر من اكبر اسواق الجزائر في تجارة الحبوب والصوف والانعام والخيل ولها سوق يعمر كل يوم اثنين و تيارت تعتبر اكبر مركز فى ناحية السرسو. والسرسو نجد فسيح يمسح ٤٠٠ ٠٠٠ هكتار استولى الاستعمار على اكثره وبه مزارع غنية وهذه المدينة مقامة على مقربة من انقاض مدينة تيهرت الزاهرة العتيقة التى اسسها الامام عبد الرحمان بن رستم سنة ٧٦١ م واصبحت عاصمة دولة الرستميين الرفيعة العماد ولاتزال انقاض تلك المدينة بادية للعيان على مقربة من تيارت الحاضرة وبالمدينة آثار بربرية عتيقة تدل دلالة واضحة على انها كانت قبل الاحتلال الرومانى مركز حضارة بربرية قوية وعلى بعد ٩ كيلو مترات من تيارت توجد قرية تاقدمت وقد كان الامير الحاج عبد القادر اتخذها مخزنا عاما لذخيرته ومصنعا لسلاحه ومستودعا

لاقواته . لكنه اضطر لاخلائها فى ٢٥ ماية ١٨٤١ بعدما احرقها ويوجد على بعد ٦ كيلو مترات من المدينة معهد لتربية الخيول العربية العتاق ومن ذلك المعهد ترسل الجياد الى مختلف البلاد الجزائرية للانسال وسكان المدينة يبلغون ٨٩٠٩ من المسلمين و١١٤٨٨ من الاروبيين الجملة ٢٠٣٩٧ .

ثنية الاحد(ج) مركز اصطياف بديع في عمالة الجزائر يقع على ارتفاع ١١٥٠ مترا في اعلى نقطة من جبال ونشريس واوسعها عمرانا و تحيط بـه الجبال البديعة التى تكلل الثلوج هامتها جزءا كبيرا من السنة والتى تتدفق منها المياه الغزيرة فدرجة الحرارة فى ثنية الاحد لاتتجاوز في شهر يولية ٢٣ درجة بينما هى تبلغ في ذلك الشهر نحو ٣٠ في الجزائر و٤٠ فى قسنطينة و٥٠ فى الاصنام ؛ ويقام بهذه المدينة سوق عامر كل يوم الاحد وعلى بعد ١٤ كيلو مترا من هذا المركز توجد غابة الارز الفريدة فى جمالها و بهائها وبهجة منظرها وقيمتها الصحية تقع على جبل يرتفع ١٧٨٧م عن سطح البحر وتحجب مساحة ٩٣٠ هكتارا و بلغ من عظمة بعض اشجار الارز هنالك ان اصبحت لها اعلاما خاصة فهنالك ارزة اسمها «السلطان» وقد قطعت وهنالك اخرى اسمها السلطانة ودائرة اصلها ٩ امتار و شجرة « مسعود » اعظم من تلك واضخم .

سكان ثنية الاحد مسلمون ٤٢٨٠ اروبيون ٥٩٦ الجملة ٤٨٧٠ .

* الجزائر * (ج) عاصمة القطر الجزائرى منذ نيف واربعة قرون ومركز اداراته وروحه الاقتصادية ؛ هى اليوم قطعة من اروبا في افريقيا ومدينة لاتكاد تشعر فيها انك فى بلاد شرقية اسلامية يكاد حاضرها ينفصل عن ماضيها ؛ ولولا بزوغ شمس النهضة الحديثة لقلنا ان شمس الاسلام والعروبة قد آذنت فيها بالرحيل واننا نظرا لاهمية المدينة قديما وحديثا سنجعل بحثنا عنها مقسما الى ستة اقسام .

اولا — تاريخها — كانت هذه المدينة في القديم تحمل اسم « ايكسيوم » كانت ايام الاحتلال الرومانى قليلة الاهمية ، ثم خربت اثناء هجمات الوندال وثورات البربر واصبحت مستقرا لقبيلة بربرية تدعى « بنى مزغنة » بكسر الميم والغين وسكون

الزاى وتشديد النون ، وفي القرن العاشر الميلادى اسس بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجي مدينة دعاها جزائر بنى مزغنة ،لان صخورا كانت امام مركز الجزائر وانعدمت اليوم باعمال المرسى كانت تجعل رسو السفن تجاهها ميسورا . واخذ نمو الجزائر يتزايد الى ان هاجمت القبائل العربية سهول متيجة ؛ فاستولت قبيلة الثعالبة على جزائر بنى مزغنة وسكنتها ولما ضعفت الدولة الزيانية وتكالب الاسبان على سواحل افريقيا ؛ احتلوا الجزائر واسس بيدرو نفارو حصنا في اكبر جزائرها (مكان برج الفنار اليوم) يبعد عن المدينة نحو ٣٠٠ متر ويجعلها دائما تحت تهديد مقذوفاته وذلك سنة ١٥١٠ وضاق اهل الجزائر ذرعا بالاهانة الاسبانية ، فاستصرخوا لنجدتهم الاخوين بربروس خير الدين وعروج رايس ؛ وكانا من اشد الناس صلابة فى الايمان واقواهم شكيمة في البحر فقدما واحتلا الجزائر وكسرا الاسبانيين باعانة اهل المدينة شر كسرة سنة ١٥١٦ واستولى خير الدين ملكا على الجزائر وازدانت ايامه بالعدل والخير واعترف حتى اعداؤه بفضائله وكمالاته وحاول المسيحيون اعادة الكرة على المدينة فردتهم المدينة مذمومين مدحورين فى سنة ١٥١٩ وفي عام ١٥٢٩ . تمكن خير الدين من الاستيلاء على الحصن الاسباني الذى بقي مهددا للمدينة من البحر وجعله حصنا اسلاميا .

جهز شارلكان الملك الاسبانى العتيد حملة قوية ضد الجزائر سنة ١٥٤١ لقهر دولتها التركية الناشئة ، فكانت الحملة مؤلفة من ٦٥ سفينة حربية و٤٥١ سفينة نقالة تحمل عشرين الفا من الجند فنزلوا وحاولوا حصر الجزائر الا ان الجزائريين والاتراك اصلوهم نارا حامية فدحروهم وغنموا سلاحهم وما نجى شارلكان بنفسه الا بعد عناء طويل وتكسر اسطوله في البحر وتمزق شذر مذر . واصبحت الجزائر عاصمة للملكة العظمى التي تشمل القطر الجزائرى اليوم ، وتبسط نفوذها على البلاد التونسية. وكانت دولة بحرية عتيدة يملا اسطولها البحار رعبا يسالم من سالمه ويحميه ويفديه ويحارب من حاربه ويدمره وكانت الدول الاجنبية التى تريد مسالمة الجزائر ؛

ترسل لها قنصليا ، وتعقد معها معاهدة ، وتدفع لها مقدارا معينا كل سنة مقابل تمتعها بحرية البحار وحماية الاسطول الجزائري . اما الدول لتى لا ترسل قنصليا ولا تدفع معلوما فكانت محاربة ؛ وبقيت الجزائر ثلاثة قرون ونيفا على حياتها تلك ؛ وانتظمت ادارتها وارتبطت مصالحها الى ان كانت حوادث الاحتلال التى بسطنا عنها القول فى القسم الثانى من هذ الكتاب ؛ واصبح تاريخ المدينة هو تاريخ الاحتلال الفرنسى

ثانيا — آثارها الاسلامية — المسجد العتيق ويسمى الجامع الكبير ، ابتناه خلفاء المرابطين في القرن الحادى عشر ميلادى ؛ وشيد له الملك ابوتاشفين الزيانى منارته سنة ١٣٢٣ م . اما واجهة المسجد التى على شارع لامارين ؛ فانها شيدت حديثا سنة ١٨٣٧ اثر ما هدم الفرنسيون مسجد السيدة الذى كان فى موضع اوتيل دى لاريجانس امام ساحة الحكومة الآن ، واستعملت اسطواناته البديعة فى ابتناء تلك الواجهة التى تدل على ما كان للبنائين والصناع الجزائريين من المهارة والاتقان ذلك الوقت . اما المنبر الذى بالمسجد العتيق فهو اقدم اثر دينى اسلامى بالقطر الجزائرى ، حيث ان صنعه يرجع الى سنة ٤٠٩ هجريه .

والمسجد الجديد ابتناه الاتراك وخصصوه بالمذهب الحنفى ؛ وكان ابتناؤه سنة ١٦٦٠ ميلاديه ، وتقول خرافة عامية انه ابتناه اسير مسيحى على نمط كنيسة فجازاه الباشا بالقتل ، الان الحقيقه انما بتناه بناؤون ومهندسون من الاتراك والجزائريين على نمط المساجد التركيه في استانبول فهو يشبهها تمام الشبه ، ولا تزال بهذا المسجد بقيه كراسى من الخشب المزخرف كان يجلس عليها المدرسون . ويوجد به مصحف قرءآنى بديع الصنع يعد تحفه من التحف كان ارسل به احد سلاطين الاتراك هديه الى باشا الجزائر . وكان موضوعا بمسجد كتشاوة فلما استولت السلطه عام ١٨٣١ على هذ المسجد لجعله كنيسه جامعه (هو الكدرائيه اليوم) نقل المصحف الى الجامع الجديد كما انه لما وقع تهديم مسجد السيدة نقل محرابه ومنبره وسقف من ابدع سقفه الى هذا الجامع الجديد ، اما المحراب فركب فى مكانه ؛ واما المنبر فهو

موضوع في وسط المسجد ، واما السقف البديع الصنع الجميل النقش والزخرفة فهو موضوع في بيت وراء قاعة الجلسة بدار القضاء الحنفي .

و بقايا الجنينة ؛ والجنينة جملة من القصور البديعة العربية الصنع العديمة النظير في شمال افريقيا كله وقد كانت مركز الادارات التركية كلها وتعرف بدار السلطان من اول انتظام الادارة التركية بالبلاد الى سنة ١٨١٦ حيث نقل الباشا علي خوجه اداراته من الجنينة الى القصبا . ومن بقايا الجنينة دار الاسقفية المسيحية المواجهة للكنيسة الكبرى ولدار الوالي ؛ وهي من ابدع طرائف الفن العربي الاندلسي وكذلك الدار التي يشغلها اليوم الكاتب العام للولاية العامة في شارع بروس . وقد كانت قصور الجنينة تقع بين شوارع باب الواد و بروس والديوان والجنينة . وعلى مقربة من ذلك تجد دار مصطفى باشا وهي كذلك من ابدع البدائع تشغلها اليوم المكتبة الوطنية العامة التي بها ٨٠ الف مجلد من مختلف العلوم والفنون والديار المحيطة بهذه الناحية كلها من بدائع الفن الاندلسي الجزائري، كانت لاكابر رجال الدولة واعيان البلد واليوم تحتلها الادارات المختلفة من مدنية وعسكرية وحدث عن قصر الشتاء الذي كان مقر الباشا ولا حرج

وضريح ومسجد سيدي عبد الرحمان الثعالبي رضي الله عنه ولقد ولد سنة ١٣٨٧ و توفي الى رحمة الله ١٤٧١ وكان اشهر علماء هذه الارض واكبر صالحيها ولقد ابتنى المسجد والضريح والي الجزائر الحاج احمد داي سنة ١٦٩٦ ووضع به من جليز فارس المتقن الصنع والذي يحوي آيات قرآنية كريمة واحاديث شريفة واسماء الله الحسنى مرسومة بخط ابيض بديع في وسط ازرق سماوي مالم ار مثله الا في زاوية علامة تونس وفخرها الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي رضي الله عنه .

ومما تجب زيارته مسجد علي بتشني اميرال الاسطول الجزائري ؛ وهو ايطالي اعتنق الاسلام وابتنى مسجده ذلك سنة ١٦٢٣ فكان مسجدا بديعا جميل الشكل متقن الصنع واصبح سنة ١٨٦٨ كنيسة مسيحية : نو تردام دي فيكتوار ؛ ومسجد سافير

الذى اجتاه احد رجال بربروس خير الدين يدعى صفر بن عبد الله سنة ١٥٣٤م ثم جدده ووسعه بابا حسان باشا سنة ١٧٧١ ثم حسين باشا سنة ١٨٢٧ وفى محراب هذا المسجد مجموعة ثمينة من الجليز الفارسى . ومن اهم آثار الجزائر قلعة القصباء وقصورها وقد استولت عليها الادارة العسكرية وهى اليوم ثكنة للجنود وقد وضع ببعض اقسامها متحف عسكرى بمناسبة مرور قرن على احتلال فرنسا للبلاد والقصبا تقع على هضبة ترتفع ١١٨ مترا عن سطح البحر وتشرف على مدينة الجزائر كلها ؛ واول من اسس القصبة هو سليم التومي الذى حاول ان يؤسس امارة بالجزائر قبيل قدوم الاتراك واستبد مع اهل المدينة وقسا عليهم فاستعانوا عليه بربروس خير الدين ، وقد اخذ الاتراك يشيدونها على الاسس العسكرية الحديثة سنة ١٥١٦ وانتهوا سنة ١٥٩٠ ؛ واتخذها الباشا علي خوجه مسكنا له ومقرا للحكومة تحت حراسة الفين من الجند الوطنى الزواوى سنة ١٨١٦ واستمرت الحكومة هنالك الى ان وقع الاحتلال .

وفى العاصمة متحف جليل الشأن للآثار القديمة من فنيقية ورومانية وعربية وتركية وبه مجموعة نفيسة جدا من صناعة اهل مدينة الجزائر .

ثالثا — مرسى الجزائر — وهو مرسى جسيم يغمر ٩٠ هكتارا ويحول بينه وبين امواج البحر سدان منيعان يترامى الشمالي منهما في البحر مسافة ٨٧٠ مترا ويندفع الجنوبى الى ان يبلغ ١٣٥٠ مترا والعمل يجرى الساعة بنشاط كبير لاجراء توسعة ذات اهمية كبرى في هذا المرسى ووراءه مرسى ثانوى للبضائع يدعى مرسى الآغا

والقسم الغربي من مرسى الجزائر هو نفس المرسى التركي العتيق الذى شيده بربروس خير الدين تحت اشرافه ومراقبته وهو الذى امر بسد ما بين الجزيرات الصغيرة حتى كون حوضا يشرف عليه « برج الفنار » وحوله المخازن والثكنات ودار امارة البحر التى بقيت الى يومنا هذا دار امارة البحر الفرنسية اما برج الفنار نفسه فهو من بناء حسان باشا سنة ١٥٤١ وكل هذه الناحية من المرسى العتيقة مفعمة بالآثار التركية البحرية .

ابتدأت السلطه الفرنسيه في انشاء المرسى الحديث سنه ١٨٤٨ و بلغت نفقاته الاولى ٥٠ مليونا من الفرنكات ثم فتح له المرسى المؤخر في الآغـا ما بين سنتى ١٨٩٨ و ١٩٠٤ فكانت مصاريف ذلك ٦ ملايين فرنكا ثم تم تجهيزه وتوسيعه بما يقدر ثمنه بـ ٢٣ مليونا، واخيرا رات حجرة التجارة ان المرسى اصبح ضيقا لايكاد يفي بحاجة التجارة الكبرى فقررت القيام باعمال توسيع كبرى ، ستتم بعد خمسة اعوام اخرى وقد تقرر ان يصرف عليها ٨١ مليون فرنك فتكون جملة نفقات مرسى الجزائر الحديث ١٦٠ مليونا من الفرنكات. ومرسى الجزائر بالنسبة لفرنسا هو ثاني المراسى اهمية لايسبقه الا مرسى مرسيليا من حيث حمولة السفن التى تغشاه اذ ان معدل حمولة السفن التى تدخله في السنة ١٤ مليونا طنا اما من جهة عدد السفن التى تدخله فهو الثالث في المراسى الفرنسيه؛ بعد مرسيليا والهافر ومعدل السفن التى تدخله في السنة ٨٣٥٠ باخرة اما مقدار صادراته ووارداته فهو يتجاوز الثلاثة ملايين طنا في السنة ولقد اخذت السفن الاجنبية الكبرى تتزود منه فحمها قبل اقدامها على السفر الى اقصى الشرق وقد بلغ عدد السفن التى تتزود منه الفحم الفي سفينة اما مقدار الفحم الذى تتزود به فهو نحو ستماية الف طن وقد اخذ مرسى وهران يـزاحم مرسـى الجزائر مزاحمة شديدة من هذه الناحية.

رابعا — عمرانها القديم وحضارتها — كانت مدينة الجزائر طيلة ايام الحكومة التركية ازهر وازهى مدينة على الساحل الافريقي؛ و بلغت من الرفاهية والحضارة مبلغا ربما لم تبلغه غيرها من المدن فكانت المدينة تنحدر من هضبة القصباء الى جانب البحر على شكل مثلث فاما الديار التى تقع فى الحارات العليا فهي ديار الطبقة البلدية العاملة واما ديار الناحية المجاورة للبحر وهي ابدع الديار واغلاها قيمة واكثرها زخرفا ونقشا فهى ديار الطبقة الحاكمة ورجال البحر والاعيان وكان حول المدينة سور منيع يبتدى من البحر عند باب الواد حذو المدرسة العليا اليوم (الليسي) ويصعد الى جهة القصباء ثم ينحدر الى البحر عند نهاية باب عزون حيث الاوبرا اليوم.

في تلك المساحة الضيقة كانت تصطف مدينة الجزائر طبقات بعضها فوق بعض ؛ بديارها الناصعة البياض المتراصة وعددها ١٢٠٠٠ دارا وازقتها الضيقة النقية التي تتصاعد بين الابواب المزخرفة الموشاة بالنحاس ذات الدوائر الرخامية المنقوشة التي تراها فتبصر فيها نضرة النعيم. وفي هاتيك المدينة الضيقة يسكن ١٥٠ الفا من المسلمين لايكاد يوجد بينهم فقير معدم ولامتسول محتاج ؛ و بين تلك الديار كنت تجد مائة مسجد بين كبير و صغير ؛ و بيعتين لليهود وكنيستين للنصارى ؛ و يلاحظ المتجول فيها وجود سبعة عيون جارية متدفقة المياه اقيمت عليها ابنية جميلة لاتزال الى اليوم توجد واحدة منها في شارع باب الواد عند ابتداء شارع القصباء ؛ ومما يدل على اتساع عمران المدينة في تلك الاوقات وجود عين اخرى باقية الى الآن على الطريق العام في قرية سانت اوجين على بعد ٣ كيلو مترات من مدينة الجزائر وعين اخرى مثلها في الحامة على بعد ٤ كيلو مترات منها . وكانت بالمدينة حمامات فخمة من المرمر والرخام تابعة للاوقاف يدخلها المتطهرون مجانا ، وبها سبع ثكنات لجنود الانكشارية الغير المتزوجين . وكانت حارة الاسواق تمتد على طول البلاد من باب الواد الى باب عزون؛ تجد بها سوقا مخصوصا لكل تجارة اوحرفة او صناعة فكانت هنالك اسواق الحديد والنحاس والحرير والصياغة والنجارين والاسلحة والاقمشة وغير ذلك والدكاكين تتخلل الحارات وكانت الصناعة اليدوية البديعة رائجة رواجا عظيما والرجال الجزائريون والنساء الجزائريات كانوا يتعاطون تلك الصناعة بكل لباقة ومهارة ؛ وقد اشتهرت نساء الجزائر بصناعة التطريز على الحرير وعلى الجلد ولا زال المتحف الكبير يحفظ لهن مجموعات نفيسة لاتزال اسلاكها الحريرية والذهبية والفضية جديدة وقد مضت عليها القرون ولم يكن في مدينة الجزائر يومئذ من لايتعاطى حرفة او يباشر صناعة او يحمل سلاحا او يعلم او يتعلم . وقد كانت المرأة الجزائرية مضرب المثل في عفتها واستقامتها ونزاهتها ، تحفظ القرآن الشريف وتربي اولادها تربية دينية صحيحة وكانت الحياة المنزلية الجزائرية اسعد واهنأ حياة

عائلية معروفة ، حتى ان الكثير من اسرى المسيحيين واسيراتهم كانوا يعتنقون الاسلام ويفضلون المكث في البلاد مع زوجاتهم و مع ازواجهم على الرجوع لبلادهم ؛ ولاتزال الحياة العائلية الاسلاميه في الاوساط الراقية بالعصمة اسعد حيا معروفة فى اوساطنا الافريقية.

كانت مدنية مدينة الجزائر كشهد العسل تحمل اليه كل نحلة اطيب مافي الثمرة من عصارة ؛فكان الوسط الراقي بها يتألف من انجاب العرب والبربر والاندلس والاتراك والشركس واللاز والبوشناق والفرس ؛ وكان كل من هذه الطوائف التي ائتلفت وكونت مدنية الجزائر يحمل اطيب ما في مدنية قومه اليها ولا انسى قرصان الافريقي والبحر المتوسط الذين كانوا يسلمون بها ويحسن اسلامهم، لذلك كنت ترى الحضارة الجزائرية جامعة لطرف من الحضارات الاخرى مصبوغة بالصبغة الاسلامية الخالدة ولا انسى حتى المطبخ الجزائرى ، فانه كان ولا يزال اغنى والذ المطابخ في البلاد الاسلامية ؛ لجمعه ما لذ وطاب من بلاد الشرق الى بلاد الاندلس، وكان الجزائريون لايسكنون في الاغلب ضمن دائرة مدينتهم الا في اشهر الشتاء فقط اما في الربيع والصيف والخريف ؛ فانهم يؤمون البساتين البديعة فى ضواحى المدينة التى كانت كالزبرجدة الخضراء وما من عائلة من الطبقة الوسطى او العليا الا ولها مصطافها في ناحية مصطفي باشا او في جبل بوزريعة او بير الخادم او الابيار. تلك صورة مصغرة بسيطة لحالة الجزائر العتيقة .

وقد ارتكب الفرنسيون اثر الاحتلال غلطة فاحشة ندموا عليها من بعد ولات ساعة مندم وهى تحطيمهم احسن جهات المدينة الاسلامية واقامة مدينة اروبية حديثة مكانها بدل ان يتركوا المدينة على حالها ويبتنوا لانفسهم مدينة الى جوارها قال العلامة البحاثة الاكبر الاستاذ اوغستان برنار فى كتابه «الجزائر» صفحة ٣٦٦ ما تعريبه : ولقد وقع تحطيم المدينة تحطيما يكاد يكون تاما على الطريقة الفندالية ، بصفة لانستطيع ايفاءها حقها من التشنيع والاستهجان ، والطبقة العليا الاسلامية بمدينة

الجزائر اضمحلت مع اضمحلال الوسط الذى كانت تعيش فيه وسكنت مكانها جموع قادمة من بلاد القبائل يتزايد عددهم يوما فيوما ، وكانوا سنة ١٩٢٦ يبلغون ثلاثين الفا » .

فيمكننا ان نقول بصفة علمية ان مدينة الجزائر قد اضمحلت من الوجود كحاضرة اسلامية كبرى اثر حوادث سنة ١٨٣٠ .

خامسا — عمرانها الحديث ـ مدينة الجزائر قاهرة اروبية عظمى بها حارة اهلية حقيرة ؛ وقد اصبحت هذه المدينة المركز الاساسى لسائر فروع الحياة الجزائرية من ادارية وقضائية واقتصادية وعلمية وغيرها ، وامتدت ، ذات اليمين وذات الشمال على شكل هلال حول خليج الجزائر البديع ، فاصبح عمرانها يمتد من حسين داى الى سانت اوجين ، اى مسافة ١٠ كيلو مترات ونيف الا انها قليلة العرض ومراكز الوسط المبنية على انقاض الجزائر القديمة هى مكان العمران والغنى والثروة بها المخازن التى لامثيل لها بالشمال الافريقى والمراسح والملاهى وبها الكتلة العظمى من السكان الفرنسيين الذين استوطنوا البلاد ونالوا بها ثروة واسعة وهم اليوم عمدة الحكومة وعدتها .

سادسا — المسلمون اليوم ـ اما الحارة العربية التى ابقت عليها الايام فهى الحارة العتيقة المرتفعة وحدها ، ورغم ماتبديه البلدية من بعض عناية بها فانها في حالة قذارة مادية وادبية تقشعر منها الجلود ، وقد خلت خلوا تاما من سكانها الاقدمين الا ماقل وندر ويسكنها نحو الخمسة والثلاثين الفا من قبائل الجرجرة والبابور وبضعة آلاف من رجال الدواخل الآخرين ففقدت البلاد بذلك طبقتها الوسطى الراقية واصبحت لاتشمل الاطبقة عاملة ذات فقر مدقع ؛ ولو ان تلك الطبقة العاملة استقرت بالمدينة استقرارا نهائيا لتحضرت مع طول الزمن ونشأت منها طبقة وسطى تفكر في الصالح العام وتعتني بالامور العامة الا ان المصيبة الكبرى هى ان تلك الطبقات العاملة الجزائرية لايكاد يستقر بها المقام وتتحصل على قليل من المال بعد كد متواصل من

رجالها الذين يعملون فى الاكثر اعمالا حقيرة ، ونساؤها اللاتى يشتغلن فى الاكثر بصفة خادمات في المنازل الاروبية واليهودية ؛ وصبيانها الذين يشتغلون بمسح الاحذية وحراسة عربات الاطوموبيل ، يعودون الى بلادهم وتقدم نحو المدينة جموع اخرى مكانهم وبهذه الصفة لاتهضم المدينة وتدخل في جسمها الاثر اطفيفا جدا ممن يفدون عليها فيتحضر و يتمصر .

وفي مقابل هذه الطبقات المملقة المتغيرة التى تراها اليوم فان فتشت عنها بالغد رايت غيرها مكانها ، تجد بقايا بعض العائلات القديمة بين وسطى وعليا كلها تقريبا من ذوى اليسار والاعمال الكبيرة وقد طلقت المدينة ثلاثا ، وسكنت فى ضواحيها بعضها فى القبة والبعض في حسين داى ورويسو وبلكور وبعضها فى الابيار وسانت اوجين الخ ؛ اما حلقة الاتصال فمفقودة تماما بين الطبقتين ، الا ان النهضة الاخيرة التى زعزعت الجزائر من سباتها قد اخذت تقرب بين الطبقتين شيئا فشيئا واخذت بقية البلديين الاقدمين تمد اليد لمن تمصر وتحضر من السكان المستحدثين ، وذلك بواسطة الجمعيات العلمية الخيرية كجمعية الشبيبة الاسلامية وجمعية السلام اوبواسطة الجمعيات التهذيبية الاجتماعية ، كنادى الترقي اوبواسطة الجمعيات الرياضية كجمعية المولودية وغير ذلك ، فالبلديون الاقدمون وهم اغنياء المدينة ووجهاؤها خرجوا فى هذه الاونة الاخيرة من حصنهم العاجى ،والتقوا فى صعيد واحد مع الطبقة الوسطى الضئيلة التى اخذت تتكون في البلاد ، وذلك هو سر النهضة الاسلامية بالجزائر . ومستقبل الاسلام في هذه المدينة متعلق في نظرى على امرين ، اولهما ان يتحضر فريق كبير من سكانها المستحدثين حتى تتكون منهم طبقة وسطى ذات شان ، وثانيهما ان يسود الاتحاد والتآخى بين الطبقتين ويفكرا معا فى الصالح العام ويبذلا كما بذلا التضحيات الجمة في سبيل احياء المدينة بصفة اسلامية ورفعة شانها واقالة عثرتها وان ما رايناه من تضحيات الطرفين الجمة ، عند تاسيس نادى الترقى وعند تكوين جمعية الفلاح التى يقصد منها تحبيس ديار ذات اهمية على مشاريع التعليم العربى

وعند اكتتاب جمعية السلام لتاسيس دارها الخاصة لتعليم الأبناء والقيام بمشاريع الخير ، وعند الاحتفالات السنوية لجمعية الشبيبة الاسلامية ،كل ذلك يبشرنا بمستقبل سعيد لهذه المدينة التى كانت نجما سا لعا فى الا ساق الافريقية والله مع العاملين المخلصين .

سكان عاصمة الجزائر مسلمون ٧٦٨٠٤ اروبيون ١٦٩ ٢٥٧ الجملة ٠٦١ ٢٤٦ .

• جيجل * (ق) اسسها القرطاجنيون قبل المسيح فكانت مركزا عظيما للتجارة والحضارة تدعى ايجيلجيلى ، واستمرت اهميتها البحرية عظيمة عند الفتح العربي وفي القرن السادس عشر لما التفت بربروس خير الدين لانقاذ السواحل الافريقية من قرصان الاسبان ، اتخذ مدينة جيجل عاصمة له ومركزا لاعماله ولقد احتلها الفرنسيون سنة ١٦٦٤ تحت قيادة الدوق دوبوفور وهو ابن غير شرعى لهنرى الرابع فكانت نكبتهم بها عظيمة اثر ذلك الاحتلال لانهم اضطروا لتركها بعد ثلاثة اشهر وابقوا بها مغنما للمسلمين كل مدافعهم وخسروا بها الفى رجل ، واستمرت المدينة مركزا تركيا ذا اهمية الى ان وقع الاحتلال فاستولى عليها الفرنسيون سنة ١٨٣٩ ونصب عليها رجال البربر القبائل الحصار فمكثت محصورة الى ان اخضعتهم الجنود الفرنسية سنة ١٨٥١ ولجيجل مرسى صغير الا انه قوى التجارة كثير العمران يصدر كل سنة نحو ١٥ الف طن من البعش *Liége* والخمور ، زيادة على المعادن المختلفة والمسلمون فى جيجل اصحاب غيرة واتحاد قلما وجد مثله فى البلاد وانما حلت جالية منهم تحد اتحادا متينا وتكون يدا على من سواها وهم اصحاب عمل وجد ونشاط وسكان المدينة مسلمون ٩١٢٩ اروبيون ٢٣٥٤ الجملة ١١٤٨٣ .

* الجلفة * (ص) من اكبر المراكز الجنوبية واكثرها اهمية واقواها تجارة ترتفع ١١٥٣ مترا عن سطح البحر والمدينة ليست قديمة بل اسست حول مركز حربى سنة ١٨٥٢ فى مفترق الطرق بين الاغواط وافلو وبو سعادة لها سوق عامر يومي الجمعة والسبت ولها طقس شديد فى الصيف وفي الشتاء وهى مركز كبير لتجارة الاغنام

و يقام بها فوق كل ذلك سوق كبير كل يوم اثنين هو اهم اسواق اولاد نائل (بنى راشد) واولاد نائل فرق من قبائل زغبة ينتشرون في جبال عمور (جبال الصحارى) الى الزيدان و من الحضنة شمالا الى مقربة من ديار ميزاب ولنساء اولاد نائل مهارة كبرى في نسج الزرابى المشهورة وقد اشتهر اكثرهن بالجمال الفتان وبالتساهل الذريب مما لا يجمل بنا ذكره فى هذا الكتاب وتعتبر الجلفة اليوم مفتاح بلاد الصحراء .

سكانها : وبدائرتها المتزجة من المسلمين ٧٤٨٤٦ ومن الاروبيين ٨٤٧ الجملة ٥٧١١٧ .

* الحراش * (ج) مركز من اعظم المراكز الاقتصادية بالجزائر وخط مواصلات عديم النظير ؛ فهو جسر مدينة الجزائر الذى يصلها ببقية البلاد كان اسمه القديم « برج القنطرة او برج الآغا » وكان به حصن تركى منيع لحماية الجسر الموضوع على وادى الحراش وقد ابتنى ذلك البرج سنة ١٧٤٦ ؛ اما الجسر الموضوع على الحراش فقد ابتناه اولا الحاج احمد باي سنة ١٦٩٧ ثم جدده ابراهيم بن رمضان سنة ١٧٣٦ واخيرا جددته السلطة الفرنسية سنة ١٩١١ .

والحراش مركز الاستعمار الدينى ، حيث يوجد به المقر الرسمي لجماعة الاباء البيض ، وهم من اشد رجال المسيحية مراسا ؛ اسس نظامهم الكاردينال لافيجرى سنة ١٨٦٨ والبسهم البرانيس البيضاء والشواشى الحمراء وخصصهم لبث الدين المسيحي بين الاوساط الاسلامية بشمال افريقيا والاوساط الزنجية ببلاد السودان ولهم بالحراش مزرعة من اغنى وازهر المزارع في البلاد وقد انتشروا في طول البلاد وعرضها ولهم الآن ٢٦ معهدا دينيا منها ٢١ في شمال افريقيا و ٥ في فرانسا ولهم كذلك ١٣٣ مركزا لنشر الدعاية الدينية بواسطة نحو الخمسمائة من الرهبان والراهبات . وللحراش سوق عامر يجتمع كل يوم جمعة ويعتبر هو اهم ان لم يكن هو اهم اسواق الجزائر على الاطلاق و بالحراش المدرسة الفلاحية الكبرى وتعتبر من اكبر واهم المدارس

الفلاحية الموجودة بالعالم . سكان الحراش : مسلمون ١٣٠٠٤ اروبيون ٨٦٨٢ الجملة ٢١٦٨٦ .

* خراطة * (ق) مركز جميل ببلاد القبائل به نهضة اسلامية طيبة وله مناظر جميلة ربما كانت اجمل مناظر القطر الجزائرى يقع على مفتتح فج خراطة المعروف بشعبة الاخرة وهو مضيق يبلغ طوله نحو ٧ كيلو متر و يبلغ ارتفاع جانبيه نحو الالف متر وتسير الطريق ملتوية متشعبة في اسفل الوادى بين الاشجار الباسقة والمياه المتدفقة ومن خراطة يستطيع الانسان ان يتجول في جبل بابور الجميلة وترتفع قمتها ٢٠٠٤ مترات

* دلس * (ج) مدينة اسلامية ذات مركز ممتاز كانت في العصور الاسلامية ذات قيمة علمية وبنية واسعة ، وكانت تابعة لدولة بنى حماد ثم كانت محل نزاع بين الدول الحفصية والزيانية و اخضعتها اسبانيا مدة قصيرة الى ان انقذها الاتراك نهائيا وابتنوا حولها سورا منيعا واحتلها الجند الفرنسى او لا سنة ١٨٣٧ ثم ارتحل عنها واحتلها من جديد عام ١٨٤٤ واهل دلس يمتازون بين البربر باستعرابهم التام لدرجة انهم نسوا البربرية لغة واخلاقا وعوائد وللمدينة مرسى صغير يحميه سد يجرى طوله ١٣٠ مترا والمدينة نقية جميلة طيبة الهواء سكانها : مسلمون ١٧٢٨٩ اروبيون ١١٤٦ الجملة ١٨٣٩٥ .

* سبدو * (و) واسمها العربى تافراوا قرية صغيرة تقع على ارتفاع ٩٣٠ مترا وسط غابة من القرو وقد اشتهر هذا المركز شهرة تاريخية حيث كان من اهم نقط دفاع الامير عبد القادر ووقعت فيه وحوله كثير من المعارك الدموية وبالقرية سوق صغير كل يوم ثلاثاء

* سعيدة * (و) هى آخر المدن على الاطلس التلى ، ولها من الجهة الاسلامية قيمة تاريخية كبرى لانها كانت من احدى العواصم التى شيد بها الامير الحاج عبد القادر ملكه وجعلها قاعدة اعماله وعمرها بالذخيرة والسلاح . هاجمها الجنرال بيجو من معسكر قصد اتلافها وايقن الامير انه لايستطيع عنها دفاعا فاحرقها و التجأ لجبال الحساسنة وقد ابتنى الفرنسيون في مكانها حصنا سنة ١٨٤٤ وعاد اليها العمران شيئا

فشيئا وهى تقع وسط بلاد خصبة جميلة الهواء معتدلة الطقس كثيرة المياه واشتهر اهلها بخدمة النحاس المنقوش وعلى بعد زوج كيلو مترات جنوب المدينة الحالية تجد انقاض « سعيدة » العتيقة عاصمة عبد القادر باسوارها وبناآتها .سكان سعيدة مسلمون ٦٧٥٥ اروبيون ٥٧٨٦ الجملة ١٢٥٤١ .

* سكيكدة * (ق) هى المرسى التجارى الاكبر لعمالة قسنطينة ومن امهات المدن بالقطر الجزائرى اسسها القرطاجنيون وكان اسمها « راس ايكاد » وعظمت اهميتها ايام الاحتلال الرومانى وخربها الواندال تخريبا اثناء هجومهم ثم وضع العرب من جديد اسسها واسموها « راس سكيكدة » وعادلها عمرانها واحتلها الماريشال فالي سنة ١٨٣٨ فاسس بها المركز الحديث واسماه « فيليب فيل » وبالمدينة آثار رومانية جميلة منها المسرح الذى طوله ٨٢ مترا و ٤٠ صنتيمترا وفيه نحو خمسة الآف وخمسماية مقعد ومنهاماهو مجموع في متحف اثرى .اما مرسى سكيكدة فهو مرسى صناعى ليست له أدنى منعة طبيعية ابتدىء صنعه سنة ١٨٦٩ وانفق عليه ٢٨ مليونا وهو يشمل المرسى الداخلي واتساعه ١٩ هكتارا والمرسى الخارجي ويغمر ٣٢ هكتارا ويحميهما من امواج البحر سد ممتد بين الامواج طوله ١٨٠٠ متر والاعمال تجرى الآن لزيادة توسيع هذا المرسى ووضع المعدات العصرية به وتبلغ معدل صادرات هذا المرسى ووارداته نحو ٣٠٠٠٠٠ طن من البضائع تحملها ٢٦١٠ من السفن تبلغ جملة حمولتها مليون ونصف مليون من الطنات ولقد نال الاستعمار بناحية سكيكدة ضربة قاسية اوقفت انتشاره وعاقت نموه وذلك بانتشار حشرة « الفيلوكسرا » فى الكروم فاتلفتها وعلى بعد ٢٤ كيلومترا شرق المدينة توجد مقاطع ارخام الشهيرة المسماة فلفلة وهو رخام ابيض به خطوط وردية وسوداء والى جانب مقاطع الرخام توجد معادن الحديد . سكان اسكيكدة مسلمون ٢٣٢٢٦ اروبيون ٢٣١٧٣ الجملة ٤٦٣٩٩ .

* سقر * (و) او عين سقر وتعرف اليوم باسم « تريزيل » مركز فلاحى قوى الاهمية وقرية ترتفع ١١٢٥ مترا عن سطح البحر يقام بها سوق كل يو م السبت هو

اهم اسواق عمالة وهران في الانعام . وحول سقر المزارع البديعة ومنها يشرف الانسان على جبال ونشريس .

* سيدي بلعباس * (و) مدينة كبرى اروبية بداخل العمالة ومركز فلاحي من اعظم المراكز ترتفع ٤٧٤ مترا عن سطح البحر ، وسط سهل خصيب يعد من اجمل نواحي القطر الزراعية ومن اكبر مراكز الاستعمار . اسس هذا المركز الجنرال بيدو سنة ١٨٤٥ ، ليجعله معقلا حربيا تجاه « قبة سيدي بلعباس » يتقي به شر القبائل العربية العتيدة بتلك الناحية ، قبائل بني عامر ؛ ولما هاجرت اكبر اقسام هذه القبيلة الى المغرب الاقصى اثر حوادث الاحتلال استولى الاستعمار على ارضها الخصبة الشاسعة ووزعها على المستعمرين الذين قويت بها ثروتهم واشتد ساعدهم . وسيدي بلعباس اليوم مركز فرقة اللفيف الاجنبي الفرنسي والاهالي في سيدي بلعباس ضعاف جدا الا ماقل وندر وهم ثلث جملة سكانها والمدينة بديعة التخطيط جميلة الحارات كثيرة الملاهي يسميها الاروبيون باريس الصغيرة .

سكان سيدي بلعباس مسلمون ١٥٠١٨ اروبيون ٢٧٦٥٣ الجملة ٤٢٦٧١ .

* سيدي عقبة * (ص) واحة من اجمل واحات الجنوب الجزائري تشمل ما يزيد على تسعين الف نخلة وبها مزروعات غنية تسق كلها ، واشهر ما في هذه الواحة مدينتها التي يسكنها نحو سبعة آلاف نسمة ؛ ومسجدها الذي به ضريح الفاتح العربي الاشهر عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه وقد استشهد هو واصحابه على مقربة منها سنة ٦٢ هجرية .

* سوق اهراس * (ق) مركز فلاحي تجاري كبير الاهمية يقع على مقربة من التخوم التونسية وتحيط به قبيلة الحنانشة العتيدة وهي بربرية مستعربة بصفة تامة وقد انتشر بها الاستعمار وغرس بها كروما كثيرة لجودة ارضها التي ترتفع ٦٧٣م عن سطح البحر ، وهذه المدينة مركز تربية مواشي شهيرة ، ولها سوق عامر يجتمع كل يوم ثلاثاء وحولها غابات بدعة شاسعة وتستثمر بها كثير من المناجم ويرتاد

كثير من طلبتها المعهد الزيتونى سكانها ، مسلمون ٧٥١١ اروبيون ٦٠٩٢ الجملة ١٣٦٠٣ .

* شرشال * (ج) من اجمل المدن الساحلية وابدعها موقعا تشرف عليها جبال بنى مناصر الخضراء وهي مدينة فينيقية اسمها « ايول » وقد اكتسبت شهرة عالمية واسعة ايام سلطة الرومان حيث استقر بها الملك البربرى العظيم يوبا الثانى ودعاها قيصرية وابدع في تشييد معالمها وادخال الفن الاغريقى بها ثم خربت تحت موجة الواندال وانتعشت مع السلطة العربية ، وهاجر اليها اللاجئون من بلاد الاندلس الشهيدة في القرن الرابع عشر فاصبحت وسطا من ارقى الاوساط الاسلامية بالبلاد واحتلها بربروس خير الدين سنة ١٥٢٠ وانكسر بها الملك شركان الاسبانى شر كسرة سنة ١٥٣١ ؛ واحتلها الجند الفرنسى فى ٥ مارس ١٨٤٠ ولا تزال بالمدينة آثار السور العتيق سور قيصرية وكانت اعظم من شرشال الحاضرة وقد كان لها مرسيان ، المرسى التجارى والمرسى الحربى اما اليوم ففيها مرسى تجارى صغير دقيق الصنع ؛ يخيل اليك انك تستطيع وضعه في جيبك وتسافر به يغمر فى مجموعه ٤ هكتارات خارجية وهكتارين فى الداخل وعمقه يتراوح بين ٣ مترات وخمسين صنتيمترا و ٤ متراوات و ٢٠ ص م ؛ وحركته التجارية السنوية ٣٠٠٠٠ طن وفى المدينة الكثير من الآثار الرومانية ولها متحف من ابدع المتاحف في الجزائر جمع طرفا نفيسة من بدائع الفن القديم وبها مسجد قديم بديع الصنع به اعمدة من الرخام الاخضر اصبح اليوم مستشفى عسكريا والمدينة نقية جدا .

سكانها ، مسلمون ٩٦٦٤ اروبيون ٢٢٥٧ الجملة ١١٩٢١ .

* شلالة * (ج) مركزي تجاري فلاحي صغير ، يقع فى وسط بلاد موردها الوحيد تربية الاغنام ، ونسج الصوف ، ولها سوق يعمر كل جمعة يكاد يختص بتجارة المواشي والاصواف ، وبها مدرسة حديثة لتعليم صناعة الزرابى ؛ وعلى بعد ٤٠ ميلا فى الجنوب تجد قرية تاقين وقد اشتهرت في التاريخ بالنكبة التى حلت بالامير عبد

القادر عند ما هاجمه على حين غفله الدوق دومال على راس ستمائة من الجند ، ولم يكن العرب يتوقعون تلك الهجمة فاختلت صفوفهم، واستولى الفرنسيون على « الزمالة.» .واخذوا بها كل اموال وذخائر الامير واسروا اكثر من ٣٠٠٠ رجل وامراة بسكان.شلالة (الدائرة المتزجة) مسلمون ١٧٥٧٠ اوربيون ٣٣١ جملة ١٧٩٠١

* طولقة * (ص) واحة جميلة كبيرة ، في وسطها قرية ضخمة يبلغ ،سكانها نيفا وثلاثة ءآلاف وبها آثار معاقل رومية بيزنطية.وطولقة بلاد الابار الفوارة (الارتوازية) الغنية ، حيث يوجد بها بيرعين الطرشة وهو يفور على حساب ٤٥٠٠ لتر في الثانية ،وبيرسعد بن الطيب ، وتدفقه ١٣٠٠٠ لترا في الثانية (٧٨٠٠٠٠ لترا في الساعة) وبير بوشير (١٠،٠٠٠ لتر في الثانية) . وبطولقة مركز الزاوية الرحمانية الشهيرة التي كان شيخها عام ١٨٧٠ سيدي علي بن عمر ، وقد منع اتباعه ومريدية تلك السنة من اعلان الثورة ضد السلطة الفرنسية كما اعلنها الرحمانية بناحية الصدوك .

وعلى ٣١ كيلومترا من طولقه توجد واحه ليشانه الشهيرة بتمرها العجيب الشفاف « الذي يسمى دقلة نور » ، وبها صناعه وتجارة الصوف سكانها ٣٢٤٢

* عزابه * (ق) قريه كبيرة ذات اهميه من حيث تربيه المواشي ولها سوق يعمر يوم الاثنين ، ولقد كانت الجبال المحيطه بها تكتسي حلة بديعة من الغابات الا ان اكثرها قد احترق . والفرنسيون يدعون هذه القريه « جيماب » . سكانها مسلمون ٤١٦٤ ، اوربيون ١٠٥٨ الجملة ٥٢٢٢

* العلمه * (ق) ويدعونها سانت ارنو هي قريه كبيرة ترتفع ٩٧٠ مترا عن سطح البحر ، ويجتمع بها سوق عظيم كل يوم اثنين ، واهل هذه القرية من احسن رجال الجزائر يقينا وايمانا ، واكثرهم عملا ونشاطا ، وعندهم نهضة عربية اسلامية تبشر بكل خير. ودائرة العلمه الادارية المتزجة تجمع ٥٠ الفا من السكان وعلى بعد ٣٠ كيلومترا في ناحيتها الشرقية توجد خرائب مدينه « جميلة » التي كانت في القديم تدعى كويكول ، وهي خرائب مدينه تامه كشفت عنها ادارة الآثار،

فاصبحت تزاحم في استجلاب السواحين مدينه" تيمقاد . وسكان سانت ارنو مسلمون ٧٦٢٤ ، اروبيون ١١١٣ الجملة" ٨٧٣٧ ؛ اما دائرة العلمه" المتزجه" فسكانها مسلمون ٤٩٨٥٣ ، اروبيون ٥٢٦ الجملة" ٥٠٣٧٩

* عنابة * (ق) واسمها القديم بونة والفرنسي الحديث بون هي من امهات المدن واكبر المراسى في القطر الجزائرى تقع على مقربة من مصب نهر سيبوز ويشرف عليها جبل ايدوغ وتقع وسط سهل زبرجدى بديع تدفقت مياهه واشتد عمرانه وقوى ساعد الاستعمار فيه وللايطاليين بناحيتها والمتفرنسين منهم شان يذكر؛ ولقد كانت في القديم مركزا قرطاجنيا ، ثم اصبحت مرسى رومانيا تحت اسم هيبون ومن بعد صارت بونة" العربية" مدينة العناب وكثر عمرانها ان الى احتلها الجند الفرنسى في ٣ اوت ١٨٣٠ ثم اخلاها سريعا ، ولم يعد لاحتلالها نهائيا الا سنة" ١٨٣٢ . وللمدينة" مركز اقتصادى ممتاز ، فاليها ترد نتائج مناجم السماد (الفوسفاط) من تبسة" . ومناجم حديد الونزة ؛ ونتائج غابات ايدوغ وبنى صالح والخيول والغنم والبقر من جهات قالمة وسوق اهراس و الخمور والحبوب من جهات وادى السيبوز فحركتها التجارية تزيد كل سنة على ٧٠٠٠٠٠ طن من البضائع ؛ اربعة اخماسها صادرات وخمسها واردات اما مرسى عنابة فهو مجهز احسن تجهيز واتقنه كان لا يشمل الا ١١ هكتارا وبلغت نفقات بدائه الاول ٧ ملايين فرنكا ثم وقع توسيع المرسى بان حفر له حوض آخر يغمر ٤٩ هكتارا وبلغت نفقة حفره ما يقرب من عشرين مليون فرنك وعمقه نحو ٨ امتار ونصف متر وللمرسى رصيف يبلغ طوله نحو الالف متر حوله ارض انتزعت من البحر بالردم وهنالك مخازن السماد تشغل وحدها مساحة ٢٥ الف متر مربع ويزور المرسى نحو ٣٦٠٠ سفينة في السنة .

والمسلمون في عنابة يسكنون الحارة الجبلية القديمة والاروبيون يمتدون فى الحارات السفلى الجميلة ذات المنازه والبذخ ؛ وفى المدينة بداية نهضة اسلامية عربية ، نسال الله ان ينتج منها نتاجا حسنا ، وعلى مقربة من عنابة توجد آثار هيبو العتيقة ، وهي

مفيدة من الناحية التاريخية والفنية ؛ وتوجد بها صهاريج رومانية عتيقة وقع اصلاحها وترميمها وهي التى تمد المدينة اليوم بمياهها . طولها ٤٨ مترا وعرضها ٣٨ مترا ونصف ، وتسع ١٢٠٠٠ متر مكعب من الماء . اما جبال ايدوغ المشرفة على المدينة ونواحيها فهي جبال بديعة بها غابات البهش الغنية التى تبلغ مساحتها نحو ٥٠ الف هكتار .

سكان عنابة ؛ مسلمون ٢٨٤٢٢ ؛ اروبيون ٣٧٣٢١ الجملة ٦٥٦٥٣

* عين بسام * (ج) مركز من مراكز الاستعمار به كروم بديعة تنتج عنبا من ابدع وافخر نوع والقرية ترتفع ٦٧٧ مترا عن سطح البحر ، وعلى بعد ٨ كيلو مترات في الشمال الشرقى من هذه القرية توجد كدية المصدور المشرفة على وادى السغلاط ، وبها استشهد المرحوم السيد الحاج المقرانى الباش اغا ، زعيم الثورة القبائلية ، وذلك في ٥ مايه ١٨٧١ .

سكان عين بسام مسلمون ٢٤٢٥ ، اروبيون ٦٢٠ الجملة ٣٠٤٥

* العين البيضاء * (ق) مركز تجارى وفلاحى شهير ، وهو مدينة صغيرة تكتسب اسمها من عين دافقة هناك ، ترتفع الف متر عن سطح البحر ؛ وتقع فى ارض القبيلة العتيدة قبيلة الحراكتة ، وهي قبيلة بربرية مستعربة اتم الاستعراب ؛ وقد اصبحت القبيلة مقسمة الى ثلاث مناطق ممتزجة : ام البواقى ، ومسكيانة ؛ وصدراتة ولرجال هذه القبيلة صلابة في الايمان وشدة مراس قل نظيرها . يجتمع في العين البيضاء سوق عامر كل يوم اثنين ، ومن اشهر ما يعرض فيه احيانا زرابى من صنع الحراكتة . سكان العين البيضاء : مسلمون ١١٩١٣ ، اروبيون ١٨٤٥ الجملة ١٣٧٧٨

وعلى بعد ٤١ كيلو مترا فى جهة الجنوب تجد آثار مدينة باغاي ، وكانت فى القديم مركز رجال البربر الذين اعلنوا الاعتزال تحت امرة الراهب دونات ، وانكروا الوهية المسيح وقاعدة التثليث ، وكانوا من اكبر اسباب تحطيم السلطان الرومانى واشتهرت باغاي من بعد في التاريخ الاسلامى بهذه الديار وكبرشانها .

* عين تموشنت * (و) مدينة ذات مركز فلاحى ممتاز في الناحية الوهرانية تقع وسط بلاد قبائل بنى عامر العتيدة وقد نصب بها الاستعمار اوتاده واستولى على اطيب ارضها ؛ وغرس بها كروما غنية وله بها مزارع جميلة واغلبية سكان عين تموشنت من الاروبيين والاسبان بصفة خاصة . وكان الرومان يسمونها البولاى والعرب يدعونها قصر ابن سنان ترتفع ٢٦٠ مترا عن سطح البحر وتقام بها سوق عامرة للحبوب والانعام وبجوارها يوجد وادى سنان وقد اشتهر بما فيه من الاشجار المثمرة البديعة . وسكان هذه المدينة : مسلمون ٧٧٦٤ اروبيون ٩٦٠١ الجملة ١٧٣٦٥

وعلى ٣٠ كيلو مترا من عين تموشنت توجد قرية بنى مصاف ويسكنها العملة خاصة وهم يشتغلون باستخراج الحديد من مناجم غار البارود لحساب شركة مقطع الحديد ولهذه القرية مرسى صغير ترسل منه حديدها الى الخارج ويدعى مرسى سيدى احمد . وقد انشأته الشركة على نفقتها بين سنتى ١٨٧٧ و ١٨٨٠ وبلغت نفقاته ٤ ملايين فرنكا ، يغمر نحو ١٨ هكتارا ، تحميه ثلاثة سدود وعمقه بين ٨ و ٩ امتار وقد صنع بضة تسمح لقاطرات السكة الحديد بافراغ ما فيها من الحديد مباشرة في البواخر التى تنقله الى الخارج ويبلغ سنويا مقدار ٦٠٠٠٠٠ طن تقريبا تحمله نحو ٧٥٠ باخرة .

* عين صالح * (ص) هى المركز الادارى لواحات تيديكالت بارض الواحات في بلاد الجنوب ، وبها واحة نخيل بديعة وآبار فوارة غنية وحوض ماء يدعى البركة وتعتبر من اجمل الواحات الصحراوية وبها حصون عتيقة وقرية تدعى « قصبة العرب » يسكنها الزنوج . سكان دائرتها ١١٢٩٩ .

* عين صفراء * (ص) مركز اداري عظيم الاهمية فى الجنوب الوهراني يرتفع ١١٠٠ متر عن سطح البحر وبها واحة فقيرة واهلها ضعاف وبجهاتها كثير من الحجارة المنقوشة التى تركها هنالك اجداد البربر ؛ وفيها رسوم حيوانات منقرضة كانت موجودة بالبلاد . سكانها : ٢٣٩٦ .

* عين ماضي * (ص) واحة جميلة بها قصر يسكنه نحو الالف والخمسمائة نسمة وبها مركز الزاوية التجانية الشهيرة ، التى اسسها سيدى احمد التيجاني وهى المركز العام للطريقة التجانية التى لها مئات الآلاف من الاتباع فى الشمال الافريقى ، وقد امتنعت هذه الواحة من الرضوخ لسلطة الامير عبد القادر واستعصت عليه فهاجمها واحتلها عنوة سنة ١٨٣٨ وكان شيخ الزاوية يومئذ سيدى محمد الحبيب .

سكانها ١٢٢٣ منهم ١١٨٠ مسلما .

* غرداية * (ص) هى عاصمة بلاد ميزاب وام المدن فى بلاد الشبكة الميزابية مبنية على شكل هرمي تعلو قمته منارة المسجد ومما تشمل عليه المدينة حارة يسكنها العرب من قبيلتى المذابيح والمرازيق وحارة يسكنها اليهود ويمتاز اليهود في غرداية بالقذارة التامة التى لم يصل درجتها احد قبلهم او بعدهم . ولما اعانت فرانسا تجنيس سائر اليهود فى ارض الجزائر لم يشمل يهود ميزاب ذلك الامر لان بلادهم ليست تابعة لفرانسا بل هي بلاد حماية . وكذلك لم يشمل يهود جنوب الجزائر في الارض العسكرية .

وبلاد ميزاب التى عاصمتها غرداية من اغرب بلاد الدنيا واعجبها تمتد على مساحة ٣٨٠٠٠٠٠ هكتار ، ويسكنها قوم من اكثر امم الارض جدا وعملا ونشاطا وحسبك انهم استوطنوا تلك الارض قاعا صفصفا فما زالوا بها عملا وجدا حتى اوجدوا بها حضارة ومدنا وحفروا بها ما يزيد على الثلاثة آلاف من الآبار العميقة التي تبلغ احيانا في عمقها ٦٠ مترا وكونوا بتلك البلاد واحات بديعة وحدائق وبساتين يتجاوز عدد نخيلها ٢٠٠٠٠٠ نخلة وذلك في وسط ارض جرداء صخرية موحشة وترتفع غردايه ٥٣٠ مترا عن سطح البحر وواحتها تمتد على طول ٧ كيلو مترات وبها ٦٠٠٠٠ نخلة وجملة سكانها ١١٥٠٣ منهم اباضيون ٧٢٩٣ وعرب ٢٧٧٧ ويهود ١٣٣٥ ومن قرى ميزاب :

٢ — بنى يزقن ، وهي من الجهة الدينية رئيسة المدن الميزابية سكانها كلهم اباضيون يبلغون ٤٦٢٤ نسمة وبواحتها الجميلة ٢٦ الفا من النخيل واهلها من

اغنى سكان وادى ميزاب واكثرهم اقبالا على العلم والصناعه وهى على زوج كيلو مترات من غردايه .

٣ — بونورة ، وتمتاز بابنيتهاالبربرية الجميلة وسكانها لايتجاوزون ١٤٨٥ نسمة منهم ١١٤٣ اباضيون و ٣٤٢ عرب وانما واحتها بديعة متسعة يبلغ عدد نخيلها ١٠٠٠٠ نخلة وهى تبعد ٣ كيلومترات عن غردايه .

٤ — مليكه ، تبعد ٦٠٠ متر عن غردايه وكانت في القديم المركز الديني لبلاد ميزاب تقع في اعلى قمة صخريه سكانها ١٤٨٦ منهم ٧٧٣ اباضيون و٧٠٧ عرب ونخيلها ٤٠٠٠ نخله .

٥ — العطف ، وهى على ٤ كيلو مترات شرقى بونورة قريه هي اقدم قرى ميزاب تاسيسا حيث اختطت سنة ٤٠٢ هجريه يسكنها ١٨٢٤ منهم ١٦٩٧ اباضيون و١٢٧ عرب وبها مسجدان خلافا لبقيه المدن الميزابيه التي توجب ان لايكون بالمدينة الا المسجد العتيق وحده وللعطف واحة ذات ٥٠٠٠ نخلة وحول المدينة سور .

٦ — القرارة ، تبعد عن العطف ٩٠ كيلومترا في جهة الشمال الشرقى ، وهى اجمل الواحات الميزابية من حيث شكلها تأسست في اواسط القرن الحادى عشر يسكنها ٦١٤٩ نسمة منهم ٤٧١٥ اباضيون و ١٢٩٠ عرب و ١٠١ يهود وبواحتها ٤٠ الف نخلة

٧ — بريان ، تبعد ٤٨ كيلومترا عن غرداية وهى والقرارة احدث قرى ميزاب تاسيسا حيث وقع ابتناء بريان فى اواخر القرن السابع عشر م سكانها ٣٩٢٠ منهم ٢٣٨٢ اباضيون و ١٥٣٨ عرب و بواحتها ٢٦٠٠٠ نخلة .

فسكان القرى السبع فى ميزاب المستقرون بها دائما من المسلمين يبلغون ٢٧٤٠٨ منهم اباضيون ٢٠٥٦١ و ٦٨٤٧ من العرب واما الجاليات الميزابية المتنقلة فانها لم تدخل فى هذا الاحصاء . ويقدر عددها بنحو العشرين الفا

هذا وقد اشتهرت بلاد ميزاب بنسج الصوف وصناعة الزرابى المرقومة البديعة كما اشتهرت بجودة تمرها الطيب النكهة .

* غليزان * (و) مدينة شهيرة بمالها من القيمة الفلاحية الكبيرة تقع في سهل وادى مينا وهو من اهم سواعد الشلف ،وغليزان شديدة الحرارة صيفا ، الا ان وفرة مياهها وانتظام الري فيها بواسطة سد وادى مينا الذي يستطيع ان يسقي ٦٠٠٠ هكتار جعلتها ذات حدائق و بساتين واشجار مثمرة بديعة ،ونالت غليزان شهرة جديدة باكتشاف آبار النفط فيها وتلك الآبار توجد الى جانب قرية مجيلد من قرى غليزان واشهر تلك الآبار اكتشفت عام ١٩٢٣ وهى تفور مرتفعة عن الارض نحو ٢٠م اما عمق البئر فهو ١٢٨ مترا و معدل ما تخرجه تلك الناحية من النفط « البترول» في كل سنة الف طن .

وعلى بعد نحو عشرين كيلو مترا من غليزان توجد قرية «سيدى محمد بن عودة» وقد كان هذا الولي يعيش منعزلا عن الدنيا في هذه الناحية سنة ١٦٦٠ م ، وتقول الخرافات العامية ان السباع التى كانت ترتاد تلك الناحية قد تأثرت من صلواته ودعائه واقباله على العبادة ، فكانت تاتيه بقوته اليومي . فلما توفاه الله اليه رفع رجال قبيلة فليسة فوق قبره قبة واعتكفوا على خدمتها ؛ وهم يتجولون في كل انحاء القطر المغربى بين تونس والجزائر والمغرب الاقصى و بين يدى كل فريق منهم اسد يكون في الغالب اعمى يجمعون بواسطته الوعود والنذور لزاوية سيدى ابن عودة وتسمى تلك الاسود « سباع سيدى بن عودة » .

سكان غليزان من المسلمين ٩٦٠٩ و من الاروبيين ٥٥٨٤ الجملة ١٥١٩٣ .

* فقيق * (ص) ليس الفقيق اسم قرية صحراوية اوواحة منفردة ؛ بل هو في الحقيقة اسم لناحية تشمل نحو ٢٠ كيلو مترا مربعا وفيها سبعة قصور يحمي كل قصر منها جدار عظيم ؛ والقصور هى : الزناقة والوداغير والعبيد والمعيز واولاد سليمان والحمام الفوقانى والحمام التحتانى .

وسكان هذه القصور والواحات التى حولها كلهم من البربر ؛ يتكلمون اللسان البربرى العتيق وعددهم نحو ١٥ الف من الانفس ولسكان هذه الناحية نظام لري بساتينهم

وواحاتهم غريب ، ذلك لان المياه تنبع بعيدة عنهم يستجلبونها من عين تادرت وعين تاكرومت ودار البيضاء فى قنوات تحت الارض يفتحون لها فوهات، عند حاجتهم الى الماء والواحة تشمل ما يزيد عن مائتى الف نخلة تتخللها الاشجار المثمرة ويزرعون بينها الشعير ، وهم يربون بعض المواشى و يشتغلون بصناعة نسج الصوف وخدمة الجلد ويهاجرون غالبا هجرة موقتة للعمل في البلاد الشمالية ولهم مهارة كبرى فى التجارة وحذق غريب ، والسماء في الفقيق صافية ابدا والشمس تغدق على البلاد طوفانا من الاشعة الخلابة والطقس مع ذلك شديد الاعتدال . ولقدكانت واحات الفقيق تابعة كلها لسلطنة مراكش العظمى ايام دولة المولى اسماعيل الاكبر (١٦٧٢ – ١٧٢٧ م) واعترفت المعاهدة الفرنسية المغربية المنعقدة سنة ١٨٤٥ بان واحات الفقيق تابعة لسلطنة المغرب ثم يقول الفرنسيون ان تلك الواحات اصبحت ملجأ لجميع الذين يقاومون السلطة الفرنسية بالبلاد ، وان مسيو جونار ذهب سنة ١٩٠٣ الى تلك الجهة ليتولى المفاوضة مع نائب السلطان بها ، فاصلاه اهلها نارا حامية وجرح عدة رجال من حاشية الوالي جونار وعلى الاثر ضرب الفرنسيون قصور فقيق بالمدافع فخضع اهلها وللفقيق اليوم ادارة مستقلة تنتخبها الجماعة تحت اشراف نائب سلطان المغرب المسمى الباشا و يراقب الجميع رئيس دائرة بنى قيل العسكرية . فالفقيق لا تزال اسما تابعة لسلطنة المغرب الاقصى الا انها تعتبر ضمن منطقة الجنوب الجزائرى العسكرية والقسم التابع منها راسا لقسم الجنوب العسكرى الجزائرى هو بنى ونيف ويدعوه الفرنسيون « ريفوال » وبنى ونيف قرية تشتمل على ٣٠٠ من المسلمين و ٥٠ اوروبيا ، وعلى مقربة منها قبة سيدى سليمان بو صماخة وهى قبة بديعة الشكل وسيدى سليمان هو راس قبيلة عربية صغيرة تدعى زوا ، وقد هاجرت عند قدوم الفرنسيين الى المغرب والتحقت بالزعيم الثائر بو عمامة .

* القالة * (ق) وتعرف فى القديم بمرسى الخزر هى اقرب المراكز الجزائرية الى التخوم التونسية وقد كانت فرنسا بواسطة الشركة المرسيلية وغيرها تنال امتياز

صيد المرجان بمركز القالة ولها حق ابتناء ما يلزمها من الابنية مع اشتراط عدم تسليح المركز وقد كان تسليح فرنسا لمركزها بالقالة من اكبر اسباب الخلاف الذى ادى الى الاحتلال . واستمر صيد المرجان زاهرا بذلك المركز الى ان تنوسى واضمحل ولا يسكن القالة اليوم من المسلمين الا ٢١٦٥ ومن الاروبيين ٢٨٢٩ ، اغلبهم من الايطاليين اما من جهة الطقس فالقالة تعتبر اجمل القرى الساحلية طقسا والطفها فى الصيف والشتاء هواء ، و يزيد في بهائها ولطافة هوائها مجاورة غابة البهش (الفرنان) Liège لها ، وهى غابة تمتد على ٧٠ الف هكتار منها نحو ٦٠ الفا من املاك الدولة ، والحق انه لو اعتنت الادارة الجزائرية او شركة جزائرية بجهة القالة لاصبحت من اعظم وابدع مراكز الاصطياف ومن اجمل والذ مراكز الشتاء .

* قالمة * (ق) مدينة بربرية فنيقية كانت تدعى في القديم كالمة ، وازدهرت ايام الاحتلال الروماني وكبرت ، ولا يزال بها الكثير من آثار الرومان والروم و بها متحف يحوى اجمل هاتيك الآثار الموجودة بقالمة و خميسة ومداوروش . وفي المدينة كذلك بقايا حمامات رومانية و مسرح روماني ، واشتهرت قالمة بتربية نوع من البقر يعد من اجمل انواع البقر الموجود في الجزائر وان كان لبنه قليلا وهو صبور متحمل وبه صفات لا توجد في غيره ، فاذا اشترك فى النسل مع ثيران شويتز الشهيرة جمع الى جمال الهيأة والصبر والجلد كثرة اللبن ووفرته . وتقام بقالمة سوق شهيرة كل يوم اثنين ؛ و بها مدرسة فلاحية تطبيقية . سكان قالمة : من المسلمين ٨٦٨٥ ومن الاروبيين ٣٣١٣ الجملة ١١٩٩٨ .

وعلى ١٥ كيلو مترا من جنوبى قالمة يوجد جبل ماهونة الذى كان مشتهرا بما فيه من الوحوش الضارية والتى انعدمت الآن ؛ وبه غابات جميلة ؛ وترتفع ١٤١١ عن سطح البحر ثم على بعد ١٧ كيلو مترا من المدينة يوجد الحمام البديع الذى يدعى : حمام المسخوطين . وبه مياه معدنية تفور من عشرة عيون شديدة الحرارة التى تتراوح بين ٩٤ و ٩٨ درجة وتعلوها طبقة كثيفة من الدخان وتنبع تلك العيون

على نسبة ٣٠٠٠ ليتر فى الدقيقة الواحدة ، ولما يبرد الماء السائل منها يترك متجمدا ماكان به من كربونات الجير فتتكون من ذلك اكداس كلسية بديعة اهمها هو « الشلال » وهو اعجوبة هذا الحمام وتشكل تلك الاكداس شبه تماثيل واساطين وصور على اشكال مختلفة ولمياه هذا الحمام قيمة طبية عالية ، خاصة لمعالجة امراض البرد والاعصاب « الروماتيزم » والمسلمون بتلك الناحية يستعملون تلك الحمامات كثيرا وقد شيد الاروبيون هنالك حماما على شكل الحمامات الكبرى ؛ واقاموا عليه نزلا وسط حدائق من النارنج والليمون وعلى مقربة الحمام توجد البحيرة الخفية ، وهى بحيرة يبلغ طولها ٨٠ مترا تقع داخل كهف كبير يمكن الدخول اليها والصيد فيها بواسطة القرب .

* قصر البخارى * (ج) يقع على ضفة وادى الشلف اليمنى ويرتفع ٦٢٣ مترا عن سطح البحر؛ مركز تجارى له اهمية كبرى لان كل القبائل المحيطة به تتجه الى سوقه الذى يعمر كل يوم اثنين لشراء ما يلزمها ويسكنه من المسلمين ٣٨٧٢ نسمة ومن الاروبيين ٩١٦ الجملة ٤٧٨٨.

وعلى ٨ كيلو مترات من قصر البخارى يوجد مركز « بوغار » ويسكنه من المسلمين ٢٣٢٠ ومن الاروبيين ٢٠٨ الجملة ٢٥٢٨ ، وقد اختار الامير عبد القادر هذا المركز وجعله معسكرا محصنا فى جويلية ١٨٣٩ ، الا ان الفرنسيين هاجموه بشدة فى ٢٣ ماية ١٨٤١ ، فانسحب منه رجال الامير بعد ما احرقوه والبغار مركز حربى جليل لارتفاعه ١١١٢ مترا عن سطح البحر واشرافه على كل السهول والهضاب التى حوله ويسمى نافذة الصحراء وتسكن البخارى وما جاوره قبيلة تسمى « اولاد عنتر » ويقول نسابوها ان هذه القبيلة من ابناء عنترة بن شداد العبسى الشهير صاحب المعلقة ولا نصدقهم الاعلى قاعدة : الناس مصدقون فى انسابهم .

* قسنطينة * (ق) ام المدن بالناحية الشرقية الجزائرية ، ومركز الادارة والتجارة والثقافة ؛ وهى ابدع مدن القطر الجزائرى من حيث الموقع الطبيعى فهى

مدينة مبنية على طرفي صخرة يفصل بينهما وادي الرمل ويبلغ عرض ذلك الوادي العميق نحو المائة متر ؛ والمدينة مشرفة من ثلاثة اطرافها على الهاوية ؛ وتتصل ببقية الارض من جهتها الرابعة فقط ثم وقع وصل الطرفين بعضهما ببعض بواسطة جسور تعد آية من آيات الفن الحديث وتعرف بالجسور المعلقة ، يدعى اطولها جسر سيدى مسيد وطوله ١٦٨ مترا ويرتفع عن الوادى ١٧٥ مترا .

والمدينة مقسمة الى قسمين : المدينة الاروبية الحديثة وتمتد في جهة السهل الذى يصل قسنطينة بالارض ، والمدينة الاسلامية والحارة اليهودية وهما فى القسم الجبلي المرتفع الذى يشرف على وادى الرمل وهاويته السحيقة .

اسم قسنطينة فى القديم « سيرتا » وهو اسم كنعانى فنيقى يعنى المدينة او القرية الكبيرة ، وكانت ايام الدولة القرطاجنية مهد الاستقلال البربرى نشأت بها عائلة سيفاكس الملوكية التى اسست اول مملكة منظمة ببلاد نوميديا ؛ واشتهر بها ماسينيسا الباسل المغوار الذى اراد ان يتحصل على استقلال البربر بواسطة روما ، لكن آماله خابت كما خابت آمال الملك حسين بن علي الهاشمى الذى اراد ان يتحصل على استقلال العرب بواسطة نصر الحلفاء فى الحرب الكبرى؛ فكانت عاقبته ان قضى بقية عمره مغربا في قبرص . ثم اصبحت سيرتا مستعمرة رومانية الى ان خربها البربر اثر ثورة دامية فاعاد الامبراطور قسطنطين بناءها ودعيت « قسنطينة » واصبحت ايام الفتح الاسلامي تابعة للدول التى تعاقبت على تلك الناحية ،كالحماديين والحفصيين واحتلها الاتراك في القرن السادس عشر من بنى حفص ، و جعلوها مركز الولاية الشرقية . ومن اشهر ولاتها زمن الاتراك صالح باي (١٧٧١ — ١٧٩٢) الذى اعاد لها سالف عمرانها وشيد فيها القصور واصلح الجسور واجرى المياه ؛ ثم احمد باى الذى وقع في ايامه احتلال الجزائر ، وكان حاضر المعارك الاولى فلما تم الامر واستولى الفرنسيون على المدينة رجع الى الحراش وجمع نحو الثلاثة الاف من مهاجرى مدينة الجزائر ، واردف كل رجل منهم احد جنوده واحتفظ بنسائهم و ذراريهم وقطع بهم على تلك

الصفة كل المسافة التى تقطع بين الجزائر وقسنطينة مخترقا بلاد القبائل الكبرى فوصل قسنطينة ولم يفقد أحد من رجال ونساء وصبيان المهاجرين ؛ ثم نظم الدفاع عن المدينة نظام الابطال ورد عنها غارات الفرنسيين مرتين وفى ١٢ اكتوبر سنة ١٨٣٧ هاجمتها القوات الفرنسية بقوة واشتعلت بها معركة من اكبر معامع الاحتلال واخيرا احتل الفرنسيون المدينة اثر حوادث تشيب لها النواصى ، والتجأ احمد باى الى جبل اوراس واستمر يحارب الى جوان ١٨٣٨ حيث اسره الفرنسيون ومات في الجزائر سنة ١٨٥٠ ودفن بضريح سيدى عبد الرحمان الثعالبى رضى الله عنه .

ولاتزال قسنطينة والحمدلله حافلة بآثارها الاسلامية البديعة ، اذ لم تعبث يد الزمان الا بالنزر اليسير منها ، من اهم هاتيك الآثار المسجد الاعظم الذى شيد سنة ٦١٨ هجرية (١٢٢١ م) وقد تناوله النقص من اطرافه اثر حوادث الاحتلال ، ثم مسجد سيدى الخضر المبنى فى القرن الثامن عشر وبه قبور بعض الاقدمين اهمهم حسان باى ، ثم مسجد سيدى الكتاني ويسمى مسجد صالح باى وهو من اجمل وابدع مساجد القطر الجزائري ؛ وقدابتنى بيت الصلاة فيه المرحوم المبرور صالح باى فى اواخر القرن الثامن عشر والى جانب المسجد مدرسة سيدى الكتانى ولا تزال الى يومنا مدرسة علم ؛ وبها قبور صالح باى وبعض افراد عائلته وكذلك قصر احمد باى الذى هو اليوم مركز السلطة العسكرية بقسنطينة ؛ وقد ابتناه مهندس قسنطينى اسمه السيد الحاج الجابرى . وتحيط بمدينة قسنطينة مزارع بديعة وحدائق غناء وبساتين شيقة ومنتزهات جميلة ، وبالمدينة نهضة علمية عربية اسلامية تجعلها في طليعة مدن القطر الجزائرى وبها بعض مدارس خيرية اسلامية ، علاوة على دروس العلامة الاكبر عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبقسنطينة تصدر جريدة النجاح اليومية الوحيدة ببلاد الجزائر ومجلة الشهاب الشهرية الوحيدة كذلك ؛ ولا تزال تلك المدينة الطيبة محافظة كل المحافظة على العوائد والاخلاق الاسلامية ، وكذلك اغلب يهودها لا يزالون محافظين على عوائد واخلاق

الاسلاف ، والطبقة الوسطى في قسنطينة كبيرة و منتشرة ويرجى من نهضتها الحديثة كل خير .

سكان قسنطينة : من المسلمين ٥١٤٤٥ ومن الاروبيين واليهود ٤٨١٥٠ ، ومن الذين يعدون فى الاحصاء و حدهم كالمسجونين وغيرهم ٢٣١٥ الجملة ١٠٤٩٠٢ .

* القل * (ق) مدينة صغيرة كانت لها شهرة قديمة واسعة اسسها الفنيقيون وكان اسمها فى القديم شلو ، واشتهرت ايام القرطاجنيين وايام الرومانيين بصبغ الثياب بالالوان الحمراء القرمزية الارجوانية ، واستمرت شهرتها ايام توطد حكم المسلمين بهذه الديار ، وبعد نكبة الاسلام بصقلية واستيلاء الملك رجار الثانى النرماندى على املاك المسلمين بها تقدم الى السواحل الافريقية واحتل القل انما لم يلبث بها طويلا ؛ واستولى عليها بربروس خير الدين سنة ١٥١٩ واستمرت تحت حكم الاتراك الى ان وقعت حوادث الاحتلال فاستولى عليها الجند الفرنسى في ١١ ابريل ١٨٤٣ .

والقل مبنية على سفح جبل بديع تكسوه الخضرة الدائمة ، وتبلغ قمته الف متر. ولها مرسى صغير يزوره في السنة نحو ٩٢٥ باخرة وحركته التجارية نحو ٨ الاف طن ومن اجمل منتزهات القل جبل سيدى عاشور حيث يرى الانسان منظرا بحريا من ابدع ما تبصره العيون ، وكل نواحى مدينة القل منتزهات بديعة تسر الناظرين وتترك في الحافظة اثر لايمحى. سكانها ٤٦٥١ .

* قلعة بنى حماد * (ق) هى اليوم قرية حقيرة لاشان لها ولا اهمية مادية وما اوسع مسافة الخلف بينها وبين قلعة بنى حماد التى كانت عاصمة لدولة من اعظم الدول الاسلامية شانا بهذه البلاد . ولا تزال خرائبها الى يومنا هذا قائمة على ٣١ كيلو مترا جنوبى برج بوعريريج . وترتفع المنارة وسط تلك الخرائب واضحة ، وهي منارة مسجد كان طوله ٦٠ مترا وعرضه ٦٥ ؛ وكذلك آثار قصر المنار ، وآثار قصر الامراء من بنى حماد ومسجد القصر .

ابتنى القلعة حماد الصنهاجى سنة ١٠٠٧م فاصبحت عاصمة للدولة الحمادية الكبرى وفى سنة ١٠٩٠ انتقل كرسى المملكة الى بجاية ، وسنة ١١٤٨ نقل ملوك بنى حماد كل ما كان بالقلعة من اثاث وزخرف وطرف الى بجاية ؛ ثم في سنة ١١٥٣ اتم تهديمها الملك الاعظم عبد المومن بن علي الموحد ؛ لكيلا يتخذ اعداء الوحدة ذلك المركز قاعدة لاعمال الفتنة والاضطراب

* القليعة * (ج) بلدة جميلة لطيفة ، اسسها مهاجرو الاندلس باعانة الاتراك سنة ١٥٥٠ ؛ ايام ولاية حسان باشا بن بربروس خير الدين ، وبالمدينة ضريح سيدى مبارك المتوفى في القرن السابع عشر ، وكان من اكبر الصالحين ؛ وترك عائلة كبيرة ذات نفوذ قوي ؛ فلما وقعت حوادث الاحتلال انضم شيخ الزاوية سيدى ابن علال بن مبارك الى الاميـر الحاج عبد القادر ؛ وتولى قيادة الجند النظامى الاسلامى ، وخاض به معامع الوقائع المختلفة ، الى ان وقعت مقاتلة الملاح في عمالة وهران فاستشهد سيدى ابن علال رضي الله عنه استشهاد الابطال ، وقطعت راسه ووضعت في جراب من الجلد وارسلت لاتباعه ومريديه بالقليعة والجزائر ليتاكدوا موته وليقع وهن من جراء ذلك في قلوبهم ، ثم دفن الراس والجسد اثر ذلك فى مقبرة سيدى مبارك وقد ادى له الفرنسيون عند الاحتفال بجنازته التحية العسكرية كما يوجبه الشرف الجندى ؛ اعترافا ببسالته وغيرته وتضحيته العظمى فى سبيل الله .

والقليعة ترتفع ١٢٦ مترا عن سطح البحر ؛ وهي تشرف على سهول متيجة الخصبة ولقد هدمها الزلزال سنة ١٨٢٥ ، ثم اعيد بناء بعضها زمن الاتراك باعانة حسين باشا ؛ والبعض الآخر ابتني اثر الاحتلال الفرنسى ؛ وقد استولت السلطة الحربية على مسجد سيدى مبارك فجعلته مستشفى عسكريا وهو مسجد جميل جليل لا يزال على حاله لم يتغير منه شيء وهو مجاور لقبة سيدى مبارك .

سكان القليعة من المسلمين ٥٨١٢ ومن الاروبيين ٢٠٣٠ الجملة ٧٨٤٢

* لالا مغنية * (ص) من اهم المراكز في ارض الجنوب ، ترتفع ٣٦٠ مترا

عن سطح البحر ؛ وحولها سهل خصيب يسقى من قنوات تستمد مياهها من وادى تافنة وموبلا ، وقد كانت حركتها التجارية شديدة الاهمية قبل حوادث سنة١٩٠٧ واحتلال المغرب الاقصى وقد ابتدأت هذه المدينة تعمر سنة ١٨٤٤ حيث اقام الفرنسيون حصنا بقربتها ، واخذ الناس من اروبيين ومسلمين يسكنون حولها حتى اتسع عمرانها واصبحت تشمل من المسلمين ٤٠٠٠ ومن الاروبيين ١٨٠٠ الجملة ٥٨٠٠ ولها سوق يعمر اسبوعيا تباع به المواشى الواردة من الهضاب العليا وتباع به كذلك الابسطة الصوفية البديعة التى ينسجها نساء اولاد سنوس وعلى بعد خمس كيلومترات من المدينة يوجد حمام سيدى الشيخ ؛ وبه مياه معدنية شديدة الحرارة (درجة ٥٣) يفور على نسبة ٣٦٠٠ ليتر فى الدقيقة الواحدة ؛ وقد حفر له الناس هنالك صهريجا وانتفعوا به وعلى بعد ١٠ كيلومترات من المدينة توجد معدن المعازيس التى تصدر من معدن الزنك ما معدله ٢٨٠٠ طن في السنة .

* مازونة * (و) مدينة صغيرة تقع عند ضفة وادى واريزان اليسرى وترتفع فوق ثلاث ربوات هرمية الشكل تعلوها قبب المساجد وثلاثة مآذن ، ويسكن المدينة اربعة آلاف من الانفس كلهم مسلمون ما عدا بعض افراد قلائل من الاروبيين واشتهرت نسوة مازونة بصنع اوانى الخزف الملون ولها سوق يعمر كل يوم خميس وقرب المدينة يوجد شلال بديع حيث تسقط مياه وادى واريزان من ارتفاع نحو ٢٠ مترا .

لما توطد امر الاتراك بالبلاد اتخذوا مازونة قاعدة لولاية الجزائر الغربية الى ان عدلوا عنها الى مدينة معسكر . وبمازونة توجد اول زاوية من زوايا الطريقة السنوسية الشهيرة ، حيث ان سيدي محمد بن علي السنوسى ابتدأ تاسيس طريقته وشيد زاويته الاولى بمازونة ثم ارتحل الى الصحراء الطرابلسية وهنالك اسس معاقله الكبرى وتوفى سنة ١٨٥٩ .

* المدية * (ج) كانت مدينة قديمة خربتها حوادث الايام ؛ ونظرا لجمال موقعها

ومركزها الممتاز اعاد الملك البربري العظيم بلكين بن زيري ابتناءها وهو كما علمت الذي ابتنى مدينة الجزائر ، وكانت ايام الدول الاسلامية الجزائرية ذات شان كبير ولما استولى الاتراك ملك الجزائرجعلوا مدينة المدية قاعدة لولاية تيطري وهي تقارب داخل عمالة الجزائر الحالية ، وقد ارسلت فرانسا عام ١٨٣٠ « بايـا » من الجزائر ليحكم المدية وناحيتها باسمها ، فسافر ورجع بخفي حنين واسمت بدله بايا آخر فاسره رجال الامير عبد القادر ، واخيرا احتلت فرانسا تلك المدينة اثر معركة موزايا الكبرى سنة ١٨٤٠ ولاتزال في المدية بقية كبيرة من اجفاد الاتراك يغارون على اصلهم غيرة شديدة فهم واحفاد الاتراك بتلمسان من هذه الناحية على حد سوى .

والمدية ترتفع ٩٢٠ مترا عن سطح البحر لذلك كانت مزارعها تشبه كثيرا المزارع في اروبا وبها اشجار مثمرة كادت تكون عديمة النظير بهذه البلاد ، وكرومها تنتج عنبا شهيرا .

وبالمدية نهضة اسلامية عربية طيبة ؛ واسس بها الشبان نادي المولودية ، وجمعوا به مكتبة غنية والقيت فيه المحاضرات ومثلت بعض الروايات العربية وهم الآن بصدد تأسيس مدرسة عربية اعانهم الله وايدهم . سكان المدية : من المسلمين ١٣٠٨٤ ومن الاروبيين ٢٥٧٩ الجملة ١٥٦٦٣ .

* مستغانم * (و) من اكبر المدن في الناحية الغربية الجزائرية ، ابتدا تخطيطها المرابط يوسف بن تاشفين حيث ابتنى مركزا حربيا يدعى « برج الامحال » جمع محلة وهي الفرقة الجندية ، بمكان كان يدعى مشتى غانم ، ثم نما العمران حول ذلك البرج ؛ وازدهرت المدينة تحت حكم بني زيان وبني مرين ؛ وشيد فيها ابو الحسن المريني مسجدها الكبير سنة ١٣٤٠ ؛ واخيرا كبر عمرانها عند ما احتلها خير الدين بربروس وحصنها تحصينا قويا ولما وقعت حوادث الاحتلال استاجرت فرنسا حاميتها التركية فحافظت على المدينة باسم قوات الاحتلال ودفعت الهجمات العربية الصارمة ؛الى ان احتلها الجنرال دي ميشال ووضع بها حامية فرنسية في جوليت ١٨٣٣ .

والمدينة تشمل حارة اروبية متسعة منتظمة وحارة عربية تدعى تاجديت ، وواديعين الصفراء يسيل في ترعة تحت المدينة؛ وقد انفجر سنة ١٩٢٧ انفجارا هائلا فهدم قسما من اكبر اقسام المدينة واوقع فيها كارثة من افدح الكارثات . وكان ذلك مع انصداع سد بريقو الشهير ، فكان جملة من مات في الكارثتين نحو الالف نفس .

ومرسى مستغانم مفتوح لكل الرياح ؛ بحيث اذا وقعت زوبعة تضطر السفن الى الالتجاء لمرسى ارزيو . ومرسى مستغانم يغمر ١٨ هكتارا ، وحوله سدان يندفع اولهما في البحر مسافة ٩١٨ مترا ؛ والثانى مسافة ٣٣٥ مترا : وتبلغ حركته التجارية نحو مليون طن في السنة

ومسلمو مستغانم على جانب عظيم من الفضل والصلاح ، وان كانت نهضتهم الى اليوم لم تصل الى المركز اللائق بهم . والى جانب المدينة تقوم ابنية الزاوية العلوية الشهيرة ؛ وقد اسس تلك الطريقة التى هي فرع من الشاذلية الشيخ سيدى احمد بن عليوة .

سكان مستغانم من المسلمين ١٤٠٦٣ ، ومن الاروبيين ١٢٧٧٦ وممن يحصون وحدهم ١٤١٦ الجملة ٢٨٣٥٧

* مسيلة * (ق) ، قرية جميلة فسيحة تتخللها قنوات المياه ، وارتفاعها ٤٧٠ مترا عن سطح البحر ؛ ويجرى الى جانبها وادى القصب ، وبها صناعة يدوية اهلية جميلة وفقيرة اهمها التطريز باسلاك الذهب والفضة والحرير على الجلد ، وكانت المسيلة في القرون الوسطى ذات قيمة كبيرة ، وتاسست بها امارة الحمدونيين (انظر صفحة ٢٤) وترقى وسطها الفكرى والادبي ثم تدهورت وكادت تضمحل . ومسيلة اهم قرى سهل الحضنة الذي يغمر القسم الكبير منه شط الحضنة الملح ، وشرق سهل الحضنة توجد خرائب مدينة طبنة التى كانت عاصمة الزاب الاغلبى ، ونالت شهرة واسعة بعلمائها ورجالها ؛ وهى واقعة على ٤ كيلو مترات شمالى مركز بريكة ؛

سكان دائرتها المتمزجة ٨٤٩٨١

* معسكر * (و) من اهم مدن الناحية الغربية ، كانت في القديم قرية بربرية صغيرة ، الى ان استحسن الباي مصطفى بوشلاغم مركزها ، فنقل اليها مركز الولاية من مازونة سنة ١٧٠١ واستمرت الادارة التركية مستقرة بها الى سنة ١٧٩١ ، حيث احتل الاتراك وهران وجعلوها مركز الولاية . ولما وقعت حوادث الاحتلال واجتمعت كلمة العرب حول الامير عبد القادر ؛ اتخذ معسكر عاصمة له وجمع بها قواته وتحصن بها سنة ١٨٣١ ، واحتلها الجنرال كلوزيل مرة اولى سنة ١٨٣٥ واحرقها واتلفها ؛ ثم استولى عليها الامير عبد القادر من جديد سنة ١٨٣٧ ، واعاد بناءها وضرب بها النقود باسمه ونظم بها الادارة العربية تنظيما متقنا بديعا ، وفي ٢٠ مَّاية ١٨٤١ انسحب منها نهائيا واحتلها الفرنسيون .

ويخترق المدينة وادى تودمان ،اما القسم الذى يسكنه المسلمون فيسمى ربض باب علي وهو خارج الاسوار ويقع بين شعبتين من وادى تودمان وكان المسلمون من قبل يسكنون داخل المدينة ولهم فيها المسجد الاكبر ومسجد العين البيضاء الشهير الذى اعتلى الامير عبد القادر منبره واعلن فيه الجهاد سنة ١٨٣١، وقد اصبح اليوم مخزن حبوب للجند اما دار البايات وما يحيط بها من الثكنات العسكرية فهى كلها اليوم بيد السلطة العسكرية .

ومدينة معسكر تقع وسط السهول الخصبة البديعة المسماة بلاد اغريس وبها الكروم والزياتين ويزرع بها الدخان وتكثر بها الحبوب ، ومعسكر محل صناعة البرانيس السمراء الشهيرة باسم البرانس الغريسى او برانس خيدرس . وسوق معسكر الشهير يعمر ثلاثة ايام في الاسبوع : الثلاثاء والاربعاء والخميس . وعلى مقربة من معسكر توجد ارض بنى هاشم وبها قرى كثيرة وحدائق ومزارع ، وهم آل الامير عبد القادر ، وتوجد كذلك قرية تليوانت الواقعة وسط بقعة تكثر فيها آبار النفط (البترول) يتراوح عمقها بين ٦٠ و ١٥٠ مترا و تنتج سنويا نحو ثمانية آلاف طن من النفط الجيد الثمين وعلى ٢٥ كيلومترا من معسكر على طريق فرندة وتيارت توجد

قرية كشرو وهي القرية التي ولد بها الامير عبد القادر الهاشمي سنة ١٨٠٧ وبها ضريح والده الولي الصالح سيدي محي الدين الهاشمي رضي الله عنه .

وسكان معسكر يبلغون ٣٠٢٢١ ، منهم مسلمون ١٦٧١٩ ، واروبيون ١٣٤٠٣

* مليانه * (ج) مدينة جميلة ذات موقع حسن وجمال خلاب ، تقع على سفح جبل زكار الغربي ، وتشرف على سهول الشلف الواسعة . ترتفع ٧٢٠ مترا عن سطح البحر ، وحولها الحدائق الغناء والبساتين الناضرة ، وفيها الاشجار الباسقة ، والمياه الدافقة. ويحيط بمليانةسور جدده الفرنسيون على انقاض السور العربي والسور التركي . ولقد اسس هذه المدينة ؛ نفس مؤسس المدية والجزائر الملك العظيم بـلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي ؛ في القرن العاشر الميلادي. واستمرت المدينة ذات عمران واسع طيلة ايام العرب والاتراك ؛ وقد استولى عليها الامير عبد القادر سنة ١٨٣٤ ، ووضع بها خليفة وجعلها مركز ولاية ، ثم هاجمها الفرنسيون فدافع عليها العرب دفاعا قويا ثم احرقوها ولم تستعد مكانتها القديمة الا اثر حوادث سنة ١٨٤٢ ؛ فجدد اهلها بناءها شيئا فشيئا ورمموها . وعلى مقربة من المدينة مناجم وادى الرهان . ويستخرج منها كل سنة من الحديدنحو ١٥٠٠٠٠ طن ومن غرائب الصدف ان العملة بينما كانوا يحفرون الانفاق لاستخراج الحديد ؛ فتحوا نبع ماء قوي يبلغ نحو ٣٠٠٠ ليتر مكعب في الدقيقة الواحدة وهو الذي يسقى اليوم سهول خميس مليانة. وعلى ١٠ كيلو مترات من مليانة توجد عين النسور ، وهي مركز اصطياف بديع اسسه الوالى العام جونار عام ١٩٠٧ وسط غابة بديعة وجبال مرتفعة ، يبلغ علوها ١١٥٠ مترا . وفيها مناظر بديعة .

وعلى بعد ٣٣ كيلو مترا من مليانة يوجد اهم الحمامات الجزائرية شأنا واعظمها اهمية واجملها بناء وهو :

حمام ريغة ؛ يقع على ارتفاع ٥٢٠ مترا عن سطح البحر ، وتحيط به غابة جميلة من الصنوبر ؛ وبه نزل ضخم ، وكازينو. اما مياهه فتختلف درجة حرارتها باختلاف العيون فمنها ما تبلغ حرارته ٦٧ درجة ؛ ومنها ما تبلغ ٣٩ ؛ ومياهها مالحة فيها سلفاط الكلس

وتشبه في تركيبها الكيماوى كل الشبه مياه مركز كونترڪسفيل الفرنسي الشهير . وبه عين جارية ذات مياه باردة غازية تشرب مع الاكل ؛ ويقصد الناس هذه الحمامات اما للنزهة او للاستشفاء من امراض الجهاز العصبي والبرد والنقرس والقروح ، والطقس لا ينزل في حمام ريغة عن ١٣ درجة في الشتاء . وقرب الحمام توجد غابة الشائنة ومساحتها ٨٠٠ هكتار ، وهي من املاك النزل الكبير هناك .

سكان مليانة من المسلمين ٧٣٨٠ ؛ ومن الاوربيين ٢٥١٠ الجملة ٩٨٩٠

* المنيعة * (ص) وتعرف بالقليعة ؛ بالقاف المعقود ؛ واحة من اجمل الواحات تقع في اقصى الجنوب الجزائرى ؛ وديارها مبنية على الطريقة السودانية ، اهلها مسلمون صادقوا الايمان ؛ وكانت لهم ادارة مستقلة الى ان احتلت الجنود الفرنسية البلاد سنة ١٨٦١ . وقد تغنى الكتاب والشعراء بوصف القليعة وطقسها الجميل ومياهها الدافقة ومزروعاتها الجميلة وبساتينها الخلابة . تجد في رياضها تحت النخيل الباسقة ذات الافنان الخضراء ، اشجار الليمون والنارنج والخوخ والرمان والمشمش وحب الملوك واللوز ؛ وتجد الزهور والرياحين من ورد وياسمين وفل ونسرين ، وبالمدينة حديقة بلدية شاسعة نضرة ،فيها بئر فوارة ولها صهريج متسع ، و بها بحيرة صغيرة تجرى بها الفلك ،كل ذلك وسط صحراء قاحلة وبيداء قفر ورمال محرقة جافة ، فسبحان من يخرج الحي من الميت! وتجارة المنيعة واسعة وارزاقها موفورة . وبها مسجد جامع جميل ومركز للمبشرين والمبشرات سكانها : ١٧٧٢ منهم ٥٤ فرنسيا

* ميلة * (ق) كانت في القديم تعرف باسم ميلو ، وكانت لها اثناء الاحتلال الرومانى قيمة كبيرة واستمرت قيمتها كذلك اثناء الحكم الاسلامى سواء فى دولة بنى الاغلب او بنى حماد ؛ وانجبت كثيرا من جلة العلماء وحولها حوض خصبة استولى الاستعمار على اكثرها ؛ اما مدينتها العربية فانها تقع داخل السور الذى ابتناه الامبراطور الرومى جوستينيان سنة ٥٤٠ وبها بناء عتيق اسلامى يدعى القصباء

عليه كتابات عربية إثرية و يبلغ سكان ميلة من المسلمين ١١٢٠١ ومن الاروبيين ٢٧٩ الجملة ١١٥٦٥

* ميشلي * (ج) مدينة صغيرة فى قلب بلاد الجرجرة او بلاد القبائل الكبرى واسمها القديم عين الحمام ترتفع ١٠٨٠ مترا عن سطح البحر ومنها يرى الانسان اجمل مناظر البلاد القبائلية وحولها عدة قرى و دشر وبها مدارس فرنسية عديدة ومدارس صناعية ومن ميشلي يتجلى منظر قمة لالا خديجة وهو ارفع نقطة في تلك البلاد واغلب سكان ميشلي من المتوظفين ويقصدها سكان القرى المجاورة للاتجار ومن اشهر القرى التي بناحيتها قرية كوكو ، وقد كانت فى القديم شبه عاصمة عامة لبلاد الجرجرة ويسكنها رجال ايت يحيى وازدهرت فيما بين القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادى ولا تزال بقايا سورها قائمة وبها مسجد عتيق وزاوية . وميشلي مركز سياحة واصطياف واستطلاع لامثيل له .

* ندرومة * (و) مدينة بديعة الجمال لطيفة نقية ، يسكنها ٦٠٠٠ من المسلمين و ٧٥٠ من الاروبيين و ٥٠٠ من اليهود ترتفع ٤٢٠ مترا عن سطح البحر ؛ وقد كانت ندرومة محاطة بسور محكم لا تزال بقاياه موجودة ، وبها مسجد عتيق يدعى مسجد سيدى ابي علي والمسجد الاعظم وقد ابتنيت منارته سنة ١٨٤٨ ومسجد سيدى يحيى ابن عوفين . ويشتغل اهلها بصناعة الخزف و بنسج الصوف و يتعاطون تجارة واسعة وندرومة حازت في افريقيا شرف انجاب بطل الموحدين الاعظم الخليفة عبد المؤمن ابن علي صاحب المهدى بن تومرت و موحد شمال افريقيا ؛ وهو من قبيلة كومية التى كانت تسكن تلك المدينة وناحيتها و من ندرومة يستطيع الانسان ان يتسلق جبل فيلوسين وهو يبعد عنها مسيرة ساعتين ويرتفع ١١٣٦ مترا و منه يستطيع المرء ان يبصر السواحل الاسبانية ان كان الجو صافيا .

* نمور * (و) واسمها الاصلي « جامع الغزوات » يسكنها ٦٩٨٤ نسمة منهم مسلمون ٤٥٨٩ واروبيون ٢٣٩٥ ؛ وهى تقع عند مصب وادى المرسي وقد كانت فى

العهد الروماني ذات اهمية وكان بها في العصر الاسلامي رباط كبير كما ذكره البكري ثم اكتسبت اثناء حكم الدولة التركية اهمية بحرية عظيمة ، واسس الفرنسيون بها مركزا حربيا وقرية سنة ١٨٤٤ اثناء حربهم مع المغرب والامير عبد القادر . ومرساها مفتوح لم يتم بعد عمله يزوره في السنة نحو السبعماية باخرة ، وجملة حركته التجارية تبلغ نحو ١٦٠٠٠٠ طن في السنة وحول الغزوات حدائق جيدة وبساتين وعلى قمة تاونت وارتفاعها ١٢٤ مترا وهي تبعد نحو الالف متر عن المدينة توجد آثار قصر بربري عتيق ، هو اصل جامع الغزوات وحوله سور سميك . وفي الطريق الموصلة من الغزوات الى بورساي يوجد عمود مونتانياك التذكاري ، وقد نصب هناك تذكار الموقعة الكبرى التي تسمى موقعة سيدي ابراهيم والتي انتصر فيها الامير عبد القادر انتصارا عظيما على الفرنسيين الذين كان يقودهم الكولونيل مونتانياك وكانوا ٦٢ فارسا و٣٥٠ راجلا فالتجأ اكثرهم الى ضريح سيدي ابراهيم وتحصنوا به فحاصرهم الامير وحاولوا الخروج والالتجاء الى الغزوات فلم ينج منهم الا ١٢ رجلا فقط . وفي نفس تلك الناحية يوجد ضريح سيدي الطاهر ؛ وهو المكان الذي اضطر فيه الامير عبد القادر ان يستسلم للمقادير ، فسلم سلاحه للجنرال لاموريسيار الذي اقتاده الى الغزوات وسلمه للدوق دو مال بعد ان جاهد جهاد الابطال وقاتل قتال الاشراف مدة ١٦ عاما لم يذق خلالها راحة ولم يستسلم لدواعي اليأس والفشل .

* وادي سوف * (ص) بلاد واحات شاسعة مترامية الاطراف جنوب مقاطعة قسنطينة ، تمتد من بلاد الجريد التونسية الى وادي الشبكة « ميزاب » وتشمل قرى كثيرة جميلة اهمها الواد وقمار ، واهل سوف من قبيلة زناتة البربرية وقد استعربوا استعرابا تاما ، وان بقيت البعض من قراهم تتكلم اللغة البربرية داخل جدران المنزل ، وقل ان تجد فيها اميا لان التعليم العربي منتشر فيها انتشار غريبا بفضل المؤدبين وبعض الزوايا ، واهل سوف كلهم لا يتجاوزون ٦٥ الفا من الانفس وواحاتهم تشمل ٣٠٠ الف نخلة تنتج التمر المشهور بدقلة نور ويغرس بها ايضا الدخان وهو ينتج نوعا

حارا يعرف بالدخان السوفي و يستعمل على الاكثر في السعوط (النفة او الشمة).

ومن اغرب عوائد سوف خصوصا في نواحي قمار ؛ ان النساء لايحتجبن مطلقا فيها وان الفتيات عندما يبلغن سن الزواج يتجملن ويلبسن اجمل اثواب الزينة وكذلك الفتيان ، ويتلاقى الجميع في الشوارع وبين نخيل الواحات وعند آبار المياه فيقع التعارف ويتم الاتفاق على الزواج بين الصبية والفتى راسا ، ويشتهرذلك فلا يرى فيه اهل الفتى واهل الفتاة من غضاضة بل يقوم الفتى الى دار مخطوبته فتخرج اليه جهارا ويذهبان الى الفسحة ، او يتلاقى واياها عند آبار المياه ، فيتبادلان احاديث اللطافة والنكات العذبة ، ويبالغ القوم هنالك فتيانا وفتيات في العفاف وقل وندر ان تقع حادثة خنى واذا اشتهر عن شاب انه خدع خطيبته فانه يقاطع مقاطعة تامة وينبذ ولا ترضى اي فتاة ان يغدو لها خطيبا .

واهل سوف كثيرو الهجرة الموقتة الى جهات تونس والجزائر لطلب الرزق بالعمل ثم يعودون الى وطنهم ، ويشتغلون على الاكثر بنسج الصوف والحرير وصناعة الزرابى البديعة .

ورقلة (ص) واسمها الاصلي : بني وارجلان : قصر من ابدع القصور البربرية في الجنوب الجزائرى يسكنه نحو ٥٥٠٠ نسمة ؛ ذوو دين وايمان وعقيدة راسخة ، وتنقسم المدينة داخل اسوارها الى ثلاث حارات : حارة بني سيسين وحارة بنى واجين وحارة بنى ابراهيم وبداخل المدينة مسجد كبير تعلوه منارة يبلغ ارتفاعها ٧٠ مترا ويسمى مسجد لالا عزة ، ووادى ميه يسير مختفيا تحت الرمال الى ان ينبع بواسطة بئر فوارة قوية اسفل ورقلة تسقى تلك الواحات البديعة المترامية الاطراف ويبلغ عدد النخيل في كل ورقلة وعلى بعد ١٦ كيلو مترا منها ٩٠٠٠٠٠ نخلة وبتلك الواحات نحو الالف بئر .

وكانت بنى وارجلان محط رحال الاباضية عندما تشتتت الدولة الرستمية في القرن العاشر الميلادى واسسوا بها قرى كثيرة اهمها سدراته ، ولاتزال خرائبها باقية الى

يومنا هذا . ولما نزحوا منها الى بلاد ميزاب حل محلهم كثير من الزنوج ؛ ونشأت بتلك الواحات مملكة زنجية .

ثم ان باشا الجزائر التركي صالح رائس هاجم سنة ١٥٥٢ واحات الجنوب وادخلها ضمن المملكة الجزائرية ؛ وهو مؤسس ورقلة الحالية ، واستمرت الناحية خاضعة لاتراك الجزائر ، ثم استقلت بنفسها اثناء الاحتلال الى ان احتلها سى حمزة قائد اولاد سيدى الشيخ باسم الدولة الفرنسية ثم ثار اهلها واخرجوا ممثلي السلطة واخيرا احتلتها الجنود الفرنسية نهائيا سنة ١٨٧٢ واخذ الكثير من رجال ميزاب يفدون اليها ويكادون الآن يسترجعون بها مكانتهم القديمة باستحواذهم على اغلب الواحات والتجارة ؛ حتى اصبح اغلب الزنوج الذين بها خماسة عندهم واهل ورقلة كلهم رجال خير وايمان وصلاح يهاجرون كثيرا الى جهات الشمال لاجل العمل ، فلا تكاد تحصي على احد منهم سيئة او هنة .

* وهران * (و) اعظم المدن الجزائرية عمرانا واتساعا وحركة بعد العاصمة تقع داخل خليج مفتوح اقل جمالا من خليج الجزائر . ووراءها جبل ايدور يشرف عليها تعلوه قلعة سانتاكروز الاسبانية العتيقة . والمدينة اروبية بحتة ، لاتكاد تجد فيها للمسلمين رائحة الا اذا اهتديت الى حيهم والعنصر الاكبر فيها هو العنصر الاسباني وفيه المتفرنس وفيه الباقى على جنسيته ريثما تبتلعه قوانين التجنيس ؛ وبالمدينة كذلك طائفة يهودية فرنسية كبيرة .

فالاروبيون فى وهران يبلغون ١٢٥٨٦٦ ؛ والمسلمون ليسوا الا ٣٢١١٥ فقط وجملة سكان المدينة ١٦٣٧٤٣ ؛ وغنى عن البيان ان كل الثروة وكل منابع الحياة بيد الاروبيين وان الاغلبية الساحقة من المسلمين كلهم عملة ؛ ووهران كالجزائر فاقدة الطبقة الوسطى لذلك لم تبد بها حركة اسلامية الا بصورة ضئيلة وغير مستمرة .

كانت وهران فى القديم قرية بربرية ضعيفة اسمها ايفرى ، ومعناه الكهوف الى ان وقعت الهجرة الاندلسية الكبرى فحط بها كثير من رجال البحر الاندلسيين . اسسوا

مدينة وهران الحديثة سنة ٩٠٢ هجرية واشتهر مرساها ايام الدولة الزيانية وازدهر وكانت علاقاته مع اسبانيا محكمة وكـذلك مع بقية دول البحـر المتوسط وفى ١٧ مـاية ١٥٠٩ وقع عليها الاعتداء الاسبانى فاحتلها الراهب الكردينال كنزيماذ'س في حملة صليبية فظيمة ؛ يحدوها التعصب الاعمى والشنآن الممقوت وقتل الكردينال اثناء احتلالها اربعة الاف من المسلمين واسر ثمانية الاف منهم واستعبدهم وصير كل مساجدها كنائس وحاول ان يحتل دواخل البلاد فاخفق وانكسرت الجيوش الاسبانية امام قوات الزيانيين انكسارا شنيعا سنة ١٥٥٨ .

مكث الأسبانيون بوهران كالسرطان في الجسم مدة ١٩٩ عاما ، الى ان من الله عليها بالانقاذ على يد البطل التركي مصطفى بو شلاغم مؤسس معسكر سنة ١٧٠٨ ثم استرجعها الاسبان سنة ١٧٣٢ ومكثوا بها الى ان افتكها الاتراك نهائيا منهم سنة ١٧٩٢ وعند ئذ انتقلت اليها الادارة التركية و مكنت قاعدة البلاد الغربية الى سنة ١٨٣١ حيث سلمها حسان باى الى الجنود الفرنسية يوم ٤ ينـاير وقد هجرها الكثير من عائلاتها القديمة عند حوادث الاحتلال بحيث لم يكن بها سنة ١٨٣٢ من المسلمين الا ٢٥٠ مسلما ومن الاروبيين ٧٥٠ ، ومن اليهود ٢٨٠٠ . وبفضل مركزها الممتاز بين الجزائر والمغرب الاقصى ؛ ووقوعها على راس الخط الحديدى الذى يخترق الجنوب اصبح لها المركز العظيم الذى لها الآن .

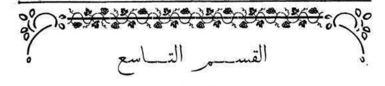
والمدينة" العربية" اليوم تدعى « القرية" الزنجية" » وقد اسكن فيها الجنرال لاموريسيار سنة" ١٨٤٥ بعض القادمين من داخل البلاد وخصوصا الزنوج ؛ واقاموا لانفسهم هنالك مسجدا دعوه مسجد سيدى بلال .

والمسجد الاعظم بالمدينة ، ويدعى مسجد الباشا امر ببنائه باشا الجزائر بابا حسان فى اواخر القرن الثامن عشر ، تذكار انقاذ المدينة من ايدى الاسبان فبناه واليها الباى محمد الكبير ؛ ومما هو جدير بالاهتمام مسجد سيدى محمد الهوارى المتوفى فى وهران سنة ١٤٣٩ وقد ابتناه باي وهران عثمان سنة ١٧٩٩ وقد اصبح ذلك المسجد اليوم مخزنا عاما للعسكرية .

ومرسي وهران من اعظم مراسى البحر المتوسط ، يزوره كل سنة نحو ٨٠٠٠ باخرة تبلغ حمولتها زهاء ١١٦٠٠٠٠٠ طن وتبلغ معاملاته التجارية نحو مليونى طن في السنة وتقصده نحو الف سفينة فى السنة لتأخذ الفحم فتأخذ منه نحو ٤٥٠٠٠٠ طن فى العام وبهذا المرسى اربعة احواض تغمر جميعها ٩٥ هكتارا ويحميه سد يمتد فى البحر موازيا للارض طوله ٣٢٢١ مترا ،ويتراوح عمقه بين خمسة امتار و ١٢ مترا اما مسطحاته المعدة لوضع البضائع فهى تمتد على طول ٣١٠٠ متر وقد بلغت نفقات انشاء هذا المرسى ٦٥ مليونا من الفرنكات والعمل يجرى لفتح حوض جديد يغمر ٨٫٤ هكتارا ويحميه سدان وتبلغ جملة نفقات الاصلاح والتكبير الجارى بها العمل الآن نحو ٨٠ مليونا من الفرنكات تدفع الحجرة التجارية الوهرانية ثلاثة ارباعها .

وعلى ٨ كيلو مترات من وهران يوجد المرسى الكبير وقد اكتسب شهرة عالمية واسعة ايام سلطة الخليفة عبد المؤمن بن علي الموحدى ، حيث جعله مرسى لاسطوله ودار صناعة له وفي القرن الخامس عشر ابتنى ملوك بني زيان مدينة عند ذلك المرسى وسكنها من بعد مهاجرو الاندلس ثم احتلها الاسبان عدة مرار وانتزعت من ايديهم واصبحت تابعة في تاريخها لوهران ، ترجع معها لحكم المسلمين وتسقط معها تحت النير الاسبانى الى ان جاء ١٤ دسامبر ١٨٣٠ فاحتلتها الجنود الفرنسية نهائيا تحت امرة الجنرال دازيمون . ويسع حوض المرسى الكبير اليوم نحو ٤٠ باخرة حربية و١٥٠ باخرة تجارية .

وحوالي وهران منتزهات جميلة اهمها حمام بو حجر وعين الترك .



القسم التاسع

٩ — ١٠

الحكومة المركزية والادارات العامة في الجزائر

هذا فيما سلف ان الارض الجزائرية تنقسم الى قسمين : القسم الشمالي والقسم الجنوبي ، فاما القسم الشمالي فادارته مدنية بحتة وفيه ثلاث عمالات : قسنطينة والجزائر ووهران يتولى كل عمالة عامل يدعى « البريفي » وتنقسم العمالة الى دوائر ، يتولى كل دائرة نائب عامل ويسمى (سوبريفي) ثم تنقسم مع ذلك الى بلديات عاملة ، يتولى أمرها مجلس بلدي منتخب يرأسه شيخ المدينة (المير) والى مناطق بلدية ممتزجة يرأسها المتصرف (الادمنستراتور) وله التصرف المطلق والحول والطول وفي كلا المنطقتين البلديتين يوجد « القواد » وهم اعوان الادارة للضبط واستخلاص الضرائب .

واما القسم الجنوبي فهو خاضع للسلطة العسكرية ، وينقسم الى اربعة اقسام ارض تقرت وارض غرداية وارض عين الصفراء وفي اقصى الجنوب ارض الواحات والادارة العسكرية تحكم هنالك بواسطة « المكاتب العربية » والقواد .

وتشرف (الولاية العامة الجزائرية) في العاصمة على امور الادارتين الشمالية والجنوبية واليها يرجع القول الفصل في كل ما يتعلق بهما . واننا فيما يلي سندرس نظام الولاية العامة واقسامها ، ثم ندرس النظام الاداري في العمالات ونظام المناطق البلدية واخيرا نظام اراضي الجنوب .



البحث الاول

الحكومة واداراتها

حق التشريع

تتابعت ادوار خمسة على التشريع في الجزائر .

الدور الاول — من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٣٤ - لم يكن هنالك من نص قانوني اثر سقوط حكومة الاتراك والاحتلال الفرنسى يخول حق التشريع لسلطة من السلط ، فكان القائد العام للجند هو الذى يصدر قراراته في كل ما يختص بالامور العسكرية وكذلك صاحب السلطة المدنية (*L'intendant Civil*) فيما يتعلق بالادارة وكان الخلاف سائدا بصفة تامة بين السلطتين .

الدور الثانى — من عام ٢٨٣٤ الى عام ١٨٤٨ - صدر قرار ملوكي في ٢٢ جويلية ١٨٣٤ يقول الفصل الرابع منه ان حق التشريع خاص بالملك وحده في الارض الفرنسية بشمال افريقيا الى ان يصدر ما يخالف ذلك ، ونص ذلك القانون على ان للوالي العام الحق في تنفيذ بعض المشاريع التشريعية اذا اقتضت ذلك حالة فوق العادة واستثنائية لكن الولاة العامين افرطوا فى استعمال هذا الحق المخول لهم .

الدور الثالث — من سنة ١٨٤٨ الى سنة ١٨٥٢ - وقع تحرير الدستور الفرنسى الجديد سنة ١٨٤٨ ، الا انه نص ايضا على ان التشريع الجزائرى يقع بواسطة قرارات ؛ فالتشريع الجزائرى لم يتغير في صبغته بواسطة الدستور الجديد عما كان عليه في الدستور القديم ، و نص الدستور الجديد المتحدث عنه على ان الجزائر تبقى خاضعة للتشريع بواسطة القرارات الملوكية الى ان يقع ادخالها تحت احكام الدستور .

الدور الرابع — من سنة ١٨٥٢ الى سنة ١٨٧٠ - حررت الامبراطورية الثانية الفرنسية دستورا جديدا لفرنسا في ١٤ جانفي ١٨٥٢ فاعطى حق التشريع في الجزائر

لمجلس السينا ، وهو يصدر قراراته باسم « سيناتوس كونسوات » انما ذلك لم يمنع ان التشريع في الجزائر بقى ايضا من حقوق الامبراطور الذى يصدر قراراته .

الدور الخامس — من سنة ١٧٧٠ الى الآن . لما تحرر دستور الجمهورية الثالثة لم يقع النص فيه على حالة الجزائر ؛ وبما ان مجلس السينا الامبراطورى الخاص قد الغى بواسطة الدستور الاخير ؛ فالجزائر اصبحت تحكم كما كانت بواسطة قرارات يصدرها المشرع الفرنسى نفسه ، والمشرع في الدستور الفرنسى الحديث هو البرلمان ، وقراراته التشريعية تنفذ بواسطة رئيس الجمهورية فالتشريع الجزائرى اليوم انما هو من متعلقات مجلس الامة ورئيس الجمهورية ؛ ويكون ذلك بواسطة قوانين او بواسطة قرارات فقط ؛ والجزائر فى الواقع تحكم بواسطة قرارات وزارية يمضيها رئيس الجمهورية اكثر مما تحكم بواسطة قوانين يصدرها البرلمان ، ورجال القانون والقضاء ينتقدون بشدة هذه الطريقة ، ويقولون ان ارض الجزائر لا يمكن ان تبقى اليوم كما كانت في اوائل عهد الاحتلال محكومة بواسطة قرارات وزارية سريعة التغير والتقلب بل يجب ان تكون محكومة بواسطة قوانين قارة .

ولا تكون القرارات والقوانين نافذة الا اذا وقع نشرها فى الصحيفة الرسمية ، واذا اصدر مجلس الامة قانونا لفرنسا والجزائر معا و جب ان يزيد عليه « ينفذ فى الجزائر » هذا ولا يجوز ان ينقض قرار وزارى يصدره رئيس الجمهورية قانونا اصدره من قبل مجلس النواب .

وللوالي العام ان يصدر قرارات نيابة عن وزير الداخلية فيما يتعلق بالمسائل الادارية الخاصة ولا تنفذ تلك القرارات الا اذا نشرت في الجريدة الرسمية الجزائرية .

تاريخ الولاية العامة

هى الدولاب المحرك الحقيقي لسائر المصالح في القطر الجزائرى ولقد دخلت الولاية العامة فى سبعة ادوار حتى استقرت على حالها الآن .

الدور الاول — (من ١٨٣٠ الى ٢٢ جويلية ١٨٣٤) كانت الولاية عسكرية

واتخذ بعض الولاة ثلاثة معاونين : احدهم للعدلية وثانيهم للداخلية وثالثهم للمالية .

الدور الثانى — (من ٢٢ جويلية ١٨٣٤ الى ٢٤ فراير ١٨٤٨) عندما قررت فرانسا الاستمرار على فتح الجزائر وضعت على رأس الجزائر « الوالي العام الجزائرى » وكانت اغلب حكومته عسكرية يومئذ وكانت الادارة الجزائرية كلها راجعة الى وزارة الحرب الفرنسية .

الدور الثالث — (من ٢٤ فراير ١٨٤٨ الى ٢٤ جوان ١٨٥٨) ابتدأت سياسة الالحاق ؛ وتأسست المجالس الفرنسية البلدية المنتخبة بالبلاد ؛ وفصلت ادارات الاديان والعدلية والديوانة والتعليم واملاك الدولة الجزائرية عن وزارة الحرب ؛ والحقت بالوزارات الفرنسية الاخرى وفي ٩ دسامبر ١٨٤٨ صدر قرار في تقسيم الجزائر الشمالية الى ثلاث مقاطعات على النظام الفرنسى ؛ ثم تقسيم المقاطعة الى دوائر ؛ وتقسيم الدائرة الى بلديات ، ووضع في كل مقاطعة مجلس العمالة والمجلس العمومي وبقيت ادارة الجنوب تحت السلطة العسكرية .

الدور الرابع — (من ٢٤ جوان ١٨٥٨ الى ٢٤ نفامبر ١٨٦٠) في ذلك الدور انشأ الامبراطور نابليون الثالث « وزارة الجزائر والمستعمرات » وكانت الوزارة تجتمع في باريس وحولها كل المصالح الجزائرية ، واضمحلت الولاية العامة ، وحل محلها « القائد العام لقوات البر والبحر » وكان من جراء هذا النظام ان توسعت سلطة العمال (البريفيات) واصبح المجلس العمومي في كل عمالة يعين اعضاؤه من لدن الامبراطور وكان البرنس جيروم بونابارت هو المتولي امر وزارة الجزائر ، فسار شوطا بعيدا في سياسة الحاق الجزائر بفرنسا ، وكانت سياسته الاهلية هى السياسة الاهلية الوحيدة التى اثمرت بهذه البلاد ، والتى لو استمرت لكان للمسلمين اليوم شان عظيم ضمن الدائرة الفرنسية ؛ ثم الغى السلطة الزجرية التي كانت لسكان النواحى العسكريين وعوضها بلجان عالية تفض المشاكل بين المسلمين ؛ وكان الاستعمار شديد النقمة على هذه الادارة

الدور الخامس — (٢٤ نفامبر ١٦٨٠ الى ٤ سبتامبر ١٨٧٠) الغى نابليون الثالث وزارة الجزائر عندما راى انها لاتستطيع ان تحكم ارض الجزائر من باريس فنقل الادارة الجزائرية الى نفس العاصمة الجزائر وجعل على راسها واليا عاما له نفس سلطة الولاة العامين قبل سنة ١٨٥٨ ؛ فكانت الولاية العامة فى هذا العهد عسكرية ، يتولى امرها المريشال ما كماهون ، وقد فكر نابليون فى هذا الدور فى جعل الجزائر « مملكة عربية » تابعة لفرنسا ، واخذ يبدى اهتماما شديدا بالعنصر الاهلي ، واصدر قانون السيناتوس كونسولت الشهير سنة ١٨٦٣ الذى جعل المسلمين يملكون رسميا ارض العروش المشاعة وقد اشتدت نقمة رجال التسلط والاستعمار على الامبراطور والولاية المنفذة لامره وقامت حركات شديدة لفائدة التسلط الفرنسى التام .

الدور السادس — (من ٤ سبتامبر ١٨٧٠ الى ٣١ دسامبر ١٨٩٦) كان رد الفعل شديدا ضد السياسة السالفة عندما سقطت حكومة الامبراطورية واستوات الجمهورية الثالثة فقد الغت الجمهورية بضربة واحدة الولاية العامة ومجالس الحكومة وكل ما يتعلق بالادارة الجزائرية فاصبحت الجزائر تعتبر ثلاث مقاطعات فرنسية بحتة مثل سائر مقاطعات فرنسا ، والغت النفوذ العسكرى بصفة تامة فجعلته محصورا في اراضى الجنوب ثم جعلت سلطة مركزية تجمع شمل المقاطعات الثلاث محصورة فى شخص مندوب سامي فوق العادة للجمهورية الفرنسية ثم ارسلت واليا عاما بدل المندوب السامي ؛ فاخذ يجمع حوله الادارات الجزائرية وجمع من جديد مجالس الحكومة واللجنة الاستشارية . وفي سنة ١٨٧٣ كانت سياسة الجنرال شانزى ترمي الى اتمام الحاق كل المصالح الجزائرية بفرنسا ، وكانت قاعدته العامه في عمله هى « الابتكار فى الجزائر والتشريع في باريس ، والتنفيذ في الجزائر والمراقبة فى باريس » وكان من نتائج الحاق المصالح الجزائرية بفرنسا ان كل وزير فرنسى كان يخاطب الوالي العام فيما يتبع وزارته : يخاطبه وزير المال فى المسائل المالية ووزير الحرب فى المسائل العسكرية وهكذا فكانت مسؤولية الادارة الجزائرية ملقاة على عاتق الوزراء الفرنسيين ، ولم يكن للوالي

الا صيغة المنفذ وعون الارتباط فقط ، وقال جول فيرى الشهير : ان الوالي العام اصبح زينة باهضة الثمن لافائدة منها . وقرر البرلمان في ٢٦ اوت ١٨٨١ ان يطلب من الحكومة اعادة تنظيم المصالح الجزائرية كى تخرج البلاد من ازمة التباطىء والتراخى .

الدور السابع — (من ٣١ دسامبر ١٨٩٦ الى الآن) صدر القانون فى ذلك اليوم يعيد للولاية العامة الجزائرية مركزها كما كانت عام ١٨٦٠ ، وانتصب الوالي العام رئيسا ومهيمنا على الادارة الجزائرية كلها ما عدا الادارات الملحقة بفرنسا منذ عام ١٨٤٨ .

وصدر قانون ثان في ٢٣ اوت ١٨٩٨ يكمل القانون الاول ويتمه ، وينظم الادارات الجزائرية ومصالحها والمجالس المنتخبة ؛ ثم صدر قانون ١٩ دسامبر ١٩٠٠ القاضى بالاستقلال المالي الجزائرى تحت مراقبة البرلمان وجعل مجلس النيابات المالية ذا سلطة مالية واسعة جدا .

الوالي العام

فالوالي العام الجزائرى هو اليوم السلطة المركزية الاصلية في الجزائر ؛ ولقد تعينت وظائفه ومخصصاته بواسطة قرارات ٣١ اوت ١٨٩٦ و٢٣ اوت ١٨٩٨ و ٢٧ اجوان و ٧ اوت ١٩٠١ ، واخيرا ٣ دسامبر ١٩١٦ ، فينتج من كل تلك القرارات ان الوالي العام يمثل الحكومة الجمهورية فى الارض الجزائرية ويهيمن على الحكومة الجزائرية واداراتها في القطر الجزائرى كله شمالا وجنوبا ، وتحت سلطته القائد العام للفيلق التاسع عشر والكونتر اميرال قائد البحرية ، وذلك فى كل ما يتعلق بحفظ الامن في الجزائر ، وهو كما راينا سالفا لا يملك حق تشريع القوانين ويتلقى الاوامر مباشرة من وزير الداخلية الذى هو رئيسه الاعلى ، والوالي العام يهىء مشروع الميزانية ؛ وينفذ فصولها ويتولى عقد القروض باسم بلاد الجزائر ويعين الوالي على اعماله الحكومية مجلس الحكومة والادارات الجزائرية . وهذه الادارات موضوعة تحت اشراف

« الكاتب العام للحكومة الجزائرية » ولقد تعينت وظيفة هذا الكاتب العام فى ٨ جوان ١٩٠٣ ، وهو اول معاون للوالى ؛ والمنفذ لقراراته وخليفته عند مغيبه .

﴿ مجلس الحكومة ﴾

هو للجزائر بمثابة مجلس الوزراء فى بقية البلاد ، يكون رئيسه الوالى العام الجزائرى ، ونائب رئيسه هو الكاتب العام للحكومة الجزائرية ، واعضاؤه هم الرئيس الاول لمحكمة الاستئناف ، والمدعى العمومى العام بمحكمة الاستئناف ، والاميرال قائد الاسطول ، والجنرال قائد فرقة الجينى (الاعمال العسكرية) والمراقب العام للجسور والطرقات ، والمراقب العام للمالية ، وعميد الكليات ، واربعة مستشارين مقررين ، وثلاثة مستشارين مقررين نائبين ؛ ونائب عن وزارة الزراعة ؛ والمراقب العام لاستثمار المناجم ، والمراقب العام للسكك الحديدية الجزائرية والتونسية والكورسكية (جزيرة كورسكا) . وكل مدير قسم في الولاية العامة يمثل قسمه فى هذا المجلس وللمجلس كاتب عام يتعين بواسطة قرار حكومى .

ومما يلاحظ انه اذا تخلف احد اعضاء هذا المجلس ، فان خلفه في المنصب يحضر المجلس مكانه . ويجتمع هذا المجلس مرة كل اسبوع . وللوالى العام ان يستدعى لحضور هذا المجلس عمال العمالات الثلاثة وقواد الجنود وان حضروا تكون اصواتهم استشارية فقط

على ان مجلس الحكومة ليس فى واقع الامر الا مجلسا استشاريا ، فهو يعطى آراءه للوالى ، ولهذا الوالى ان يتبعها او يخالفها ؛ الا ان الكثير من اعمال الوالى لا تكون نافذة الا اذا صادق عليها مجلس الحكومة ؛ مثل الاعمال المتعلقة باملاك الدولة وتغيير التقسيم الادارى والقضائى ، وتقرير نزع الملكية للمصلحة العامة ؛ والاذن للعمالات او البلديات بعقد القروض ، وكذا لا يمكن الحكم على الاهالى المسلمين بحجز املاكهم او تغريمهم الغرامات المشتركة او الحكم على افرادهم بالنفي الادارى لمدة سنتين الا بعد مصادقة مجلس الحكومة . ويكون صوت المجلس استشاريا كما قلنا فيما يتعلق بمشاريع القرارات التى يصدرها الوالى خاصة بالادارة الجزائرية اوالتجارة والمالية والاستعمار

فالوالي يستشير المجلس في ذلك ؛ انما له ان يتبع او يخالف الاشـارة . وقد صدرت قرارات سنة ١٩٠١ وسنة ١٩٢٦ متعلقة بترتيب مجلس الحكومة ونظامه .

الادارات العـامة

من الادارات العامة في الجزائر ما هو تـابع راسـا للوزارات الفرنسية وهي ادارة الجيش و البحرية والتعليم العام والخزينة العامة . ومنها ماهو مستقل بنفسه في الجزائر وهي : ادارة الداخلية وادارة المالية وادارة البريد وادارة الاشغال العامة وادارة السكك الحديدية وادارة الفلاحة والتجارة والاستعمار وادارة الامور الاهلية .

ولنبسط القول اولا عن الادارات التابعة للوزارات الفرنسية وندرس نظامها :

١ — الادارة الحربية

وهي تشمل كل ما يتعلق بالجند التابع للفيلق التاسع عشر المكلف بالدفاع عن الجزائر ؛ وجند الاحتلال في الجزائر ينقسم الى ثلاث فرق : لكل عمـالة فرقة. ثم ان لكل فرقة مراكز متعددة في نواحي العمالة فعمالة الجزائر بها مركز الجزائر ومركز المدية ؛ وعمالة وهران بها مراكز وهران ومعسكر وتلمسان ، وعمالة قسنطينة بها مراكز قسنطينة وسطيف و باتنة ولكل مركز مراكز ثانوية .

والفرق العسكرية تشمل : اولا ـ فرق المشاة ، ثانيا ـ فرق الفرسان ؛ ثالثا ـ فرق المدفعية .

اما فرق المشاة فتشمل : اولا — جنود الزواف ؛ وكانوا من الاهالي ثم اصبحوا كلهم من الاوروبيين خاصة. ثانيا — الترايور الاهلي ، وقد ابتدئ بتنظيمهم في ٧ دسامبر ١٨٤١ وعدد فرقهم ١٢ فرقة منها فرقتان بتونس و ٥ فرق بالمغرب الاقصى ووظائف قبطان ورئيس باطيون بهذه الفرق خاصة بالفرنسيس ، ورتب ليوتنان وسوليوتنان نصفها للاهالي ونصفها للفرنسيس ؛ اما الرتب السفلى مثل سرجان وكابران فللاهالي الثلثان وللاوروبيين الثلث منها في هذه الفرق . ثالثا — فرقة اللفيف الاجنبي ، وهي تشمل جنودا من مختلف الملل والنحل ، وفيها الكثير من الفرنسيين الذين قضوا

خدمتهم العسكرية واصبحوا من فرق الرديف ومقر هذه الفرقة في سيدى بلعباس رابعا — فرقة المشاة الخفيفة الافريقيه ، وهي تشمل ذوى السوابق الذين صدرت عليهم احكام تجعلهم غير اهل للعمل في الفرق العسكريه الاخرى . خامسا — فرقه الزجر ؛ وهي تشمل كل الجنود الذين اشتهروا بعدم الانقياد للاوامر العسكريه ، وكانت المعامله في هذه الفرقه قاسيه صارمه ؛ واستبدلت اخيرا بنظام « الفرق المخصوصه »

وفرق الفرسان تشمل : الشاسور دافريك الاروبي ، والسباهيس او الصبايحيه الاهالى ونظامهم فى الفرسان اشبه بنظام التاريور في المشاة .

اما فرق المدفعيه ، فقد اعيد نظامها بقانون ١٥ افريل ١٩١٤ وهي تشمل عشر فرق مستقله وتوجد الى جانب هذه الاقسام الثلاثه بعض فرق فنيه من رجال لاعمال العسكريه وغيرها . كلها فى الغالب مستمدة من الفرق الفرنسيه بفرنسا . والخدمه العسكرية اجبارية على كل الفرنسيين والمسلمين بارض الجزائر و خدمة الاروبى تحت السلاح عام واحد وخدمة المسلم عامان ويشرف على الادارة الحربية كلها القائد العام للفيلق التاسع عشر .

الادارة البحرية

وهي موضوعة تحت تصرف « قائد البحرية الجزائرية » وهو عضو لازم من اعضاء مجلس الحكومة والمجلس الاعلى ؛ ورئيسه هو الاميرال قائد اسطول الجزائر وتونس ومركزه مرسى بنزرت بالبلاد التونسية ، اما اداريا فهو تحت سلطة الوالي العام الجزائرى ، وليس لقائد البحرية الجزائرية من اسطول حربى يناسب وظيفه ، بل الاسطول كله مجهز في مرسى بنزرت ؛ وليس بالبلاد الجزائرية الا ست قطع صغيرة من نوع (كونتر تور بيور) مركزها المرسى الكبير بوهران ، ولقد كان جنود البحر قبل سنة ١٩٠٣ يؤخذون من الاروبيين الفرنسيين خاصة ؛ لكن مسيو البان روزى تداخل لدى مجلس الامة فاستصدر قانون ١٨ جويلية ١٩٠٣ القاضى بتشكيل فرقة بحرية اهلية ؛ بعد ان كانت اعمال البحر كلها ممنوعة عن المسلمين الجزائريين

الا ان عملهم في الاسطول الحربى لايكون الا بواسطة التطوع لمدة ثلاثة اعوام قابلة للتجديد ، واذا استوت مراتبهم مع مراتب الفرنسيين فانهم ينالون نفس المرتبات التى يتقاضاها الفرنسيون و يمكنهم ان يتحصلوا ـ نظرياً ـ على كل الرتب البحرية الى رتبة (اونسيين دى فيسو) :

اما البحرية التجارية فلها نفس نظامات البحرية الفرنسية ،

ادارة التعليم العام

لم يكن فى الجزائر قبل عام ١٨٤٨ نظام خاص للتعليم ، فكان المسلمون يتعلمون في الكتاتيب القرآنية والزوايا والمساجد ؛ على نفقتهم الخاصة ونفقة الاوقاف والزوايا، والاروبيون يتعلمون فى المدارس التى تفتحها الحكومة بدون نظام مخصوص ثم وقع ترتيب الكليات الجزآئرية وسنت سياسة التعليم العام بواسطة قرار صدر في ١٦ اوت ١٨٤٨ ؛ والتعليم فى الجزائر ـ نظريا ـ هو نفس التعليم الموجود بفرنسا ، الا ان التعليم الرسمى الاسلامي خاص بالجزائر .

و يرأس هيأة التعليم العام بالجزائر مدير الجامعة المسمى (ريكتور) وقطر الجزائر يعتبر في مجموعة منطقة اكاديمية علمية مركزها عاصمة الجزائر ، وارض فرنسا كلها مقسمة كما لايخفى الى عدة مناطق اكاديمية يراس كل منطقة منها الريكتور مدير الجامعة ، ولمدير جامعة الجزائر امتياز على مديرى الجامعات الفرنسية ، ذلك ان له الحق في تولية وعزل المعلمين والمعلمات ؛ بينما ذلك الحق لايخول في فرنسا الا لعمال المقاطعات ، ومدير الجامعة والعلوم موضوع تحت سلطتين ، فهو من جهة التعليم العام تحت سلطة وزير المعارف الفرنسية ومن جهة التعليم الاسلامى الرسمى تحت سلطة الوالي العام ، ويجتمع حول الريكتور مجلس علمي يشمل اعضاء رسميين واعضاء منتخبين ؛ والوالي العام من جملة الاعضاء الرسميين . وسياتيك في قسم التعليم العام بيان مفصل عن الكليات والمدارس العليا والثانوية والتعليم العربى فى قطر الجزائر .

الخزينة العامة

كانت من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٨ مندمجة مع ادارة البريد و في عام ١٨٤٨ اصبحت تابعة لوزارة المالية راسا ولما اعلن الاستقلال المالي الجزائري في ١٩ دسامبر ١٩٠٠ اصبحت الخزينة العامة مستودع الميزانية الجزائرية كلها ، انما لم يكن وضعها راسا تحت سلطة الوالي العام لانها ليست مكلفة بالميزانية الجزائرية قبضا وصرفا فحسب بل لها عدة حسابات ذات اهمية كبرى مع الحكومة الفرنسية نفسها ، لذلك كانت الخزينة العامة ادارة موضوعة تحت رقابة الوالي العام وتابعة لوزارة المالية ، ويرأس الخزينة العامة القابض العام وهو رئيس محتسبى الدولة والناظر الاعلى على الميزانية الجزائرية التى تقبض و تصرف تحت مسؤوليته ، وله قابض عام نائب فى مدينة الجزائر و وهران وعنابة . ورئيس المحاسبات في الجزائر وعدة موظفين في انحاء البلاد وكل محاسبات الجزائر موضوعة تحت مراقبة المراقب العام للمالية الجزائرية .

هذه هى الادارات التابعة للوزارات الفرنسية ، اما الادارات الجزائرية المستقلة التابعة للولاية العامة فهى :

ادارة الداخلية

وتحت نظرها اغلب المصالح التى تهم داخلية البلاد ؛ ما عدا ما يتعلق منها بالمسلمين خاصة ، فذلك راجع الى ادارة الامور الاهلية وسياتي كلامنا عليها ، واهم اقسام الادارة الداخلية هي :

ادارة الاعانات الخيرية : (*Assistance*) وهى موضوعة تحت مراقبة قيم عام ولها لجنة عليا تشرف عليها وتنظم اعمالها وهى تشتغل بكل ما يتعلق باعمال حفظ الصحة ، والمستشفيات العامة والمستوصفات الصحية ، وتحت سلطتها مصلحة اطباء الاستعمار الموزعين في كل المراكز الاستعمارية بالبلاد ؛ ووظيفهم هو معالجة الفقراء مجانا والتجول في المنطقة كلها لعيادة المدارس ومقاومة الاوبئة وغير ذلك ؛ وفى كل مركز عمالة توجد لجنة صحية طبية مهمتها السهر على اطباء الاستعمار

واعطاء ملاحظاتها وارشاداتها للادارة العامة وجمع وترتيب تقارير اطباء الاستعمار بالعمالة .

ادارة الاحتياط (Prévoyance) وتحت نظرها كل المشاريع الاحتياطية الاروبية ، واعمال خزائن التوفير الموضوعة بادارة البريد ومراقبتها .

ادارة السجون وقد كانت تابعة للوزارات الفرنسية الا انها منذ غرة اكتوبر ١٨٩٨ و٣ ابريل ١٩٠٢ اصبحت ادارة جزائرية مستقلة تابعة لادارة الداخلية وموضوعة تحت سلطة الوالي العام وهو يتصرف في هذه الادارة وموظفيها كتصرف وزير الداخلية في ادارة السجون الفرنسية والوالي العام يرسل لوزير الداخلية صحبة آرائه الخاصة ما يرد اليه من مطالب العفو او تخفيف امد السجن وغير ذلك ، ويرسل كذلك صحبة آرائه الخاصة ملفات اوراق المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة والنفي الموجودين بالجزائر رهن ارسالهم الى السجون المعروفة باسم « الكراكات » (١) ويراقب هذه الادارة سنويا مراقب عام ينتخبه الوالي العام من بين مستشاري الولاية العامة .

ولا باس بذكر السجون الجزائرية التابعة لهذه الادارة ، وهي : السجنان المركزيان في لمبيز ، السجن المركزي الفلاحي في البرواقية ، قسم سجون الحراش وهي اهم سجون الجزائر وسجن مستعمرة الاولاد في بئر الخادم قرب الجزائر وهو موضوع لتأديب الاولاد الذين يسجنون دون سن الرشد ؛ لكنهم لا ينالون في تلك السجون الاعكس المطلوب وذلك بواسطة القدوة السيئة ، و١٦ سجنا عماليا على نسبة سجن واحد في كل مركز دائرة عدلية و٧٨ سجنا ثانويا و ٨٦ سجنا بلديا وغرف ضبط .

ومما يلاحظ هنا وجود عدة سجون عسكرية هي كلها تابعة لوزارة الحربية الفرنسية راسا .

ادارة الشغل وجب تاسيس ادارة خاصة للعمل والشغالين وذلك اثر تنفيذ القوانين

(١) وهذه الكلمة تحريف (الحراقات) وهي سفن بحرية كان يعمل بها الاسارى اعمالا شاقة

الفرنسية الصادرة في تنظيم الاعمال والاشغال وحقوق العملة والصانعين في المعامل والشغالين في المخازن التجارية ،كما جرى به العمل في فرانسا منذ سنة ١٨٩٢ وتشمل هذه الادارة في الجزائر مراقبا عاما للشغل وهو مدير الادارة وتحت سلطته ثلاثة مديرين كل واحد منهم في عمالة ونظرا لوجود عدة معامل تشتغل بها النسوة خاصة فقد انشأت الادارة وظيف « مراقبة الاشغال النسائية » واسندته الى امرأة و تجتمع في الادارة هيأة استشارية وظيفها السهر على تنفيذ الاوامر والقوانين المختصة بالعملة ، وحفظ العلائق الحسنة بين العمال واصحاب الاموال وتعطي آراءها في مشاريع القوانين التي تسن متعلقة بالاعمال والعمال .

ادارة المالية

وهي دولاب الحركة الجزائرية والروح التي تحيي بها ارض الجزائر فيها تجتمع اموال الضرائب والاتاوات وكل مداخيل البلاد ومنها توزع ، وليس على الخزينة العامة الا السمع والطاعة . يراس هذه الادارة المراقب العام للمالية ، وتمتاز هذه الادارة بوجود نوعين من المتوظفين فيها : المتوظفون الفرنسيون الذين يردون عليها من وزارة المالية الفرنسية ، ولهؤلاء مراكز ممتازة بحيث ان سلطة الوالي العام عليهم ضعيفة جدا ، وهم تابعون من حيث المرتب والترقيات للنظام الفرنسي والمتوظفون الجزائريون وهم يشغلون مراكز ثانوية بالنسبة للاولين ؛ والوالي العام هو الذي يسميهم في مناصبهم وله عليهم الحق المطلق .

وللادارة المالية عدة فروع عامة هي :

ادارة التسجيل واملاك الدولة والتامبر ؛ واغلب متوظفي هذه الادارة من فرنسا ووظائفها الدنيا بايدي الفرنسيين الجزائريين ووزارة المالية في فرنسا تراقب هذه الادارة من حيث تقاضي اجر التسجيل والتامبر والرهن وغير ذلك على نفس النسبة الموجودة بفرنسا والوالي العام هو المسؤول عن سير الادارة وانتظامها .

ادارة الضرائب المختلفة ، وهي اليوم عبارة عن قباضة عامة تتصل بكل الضرائب

الشخصية والمختلفة ؛ ومتوظفوها يتعينون بواسطة امتحان ، والوالي العام هو الذى يعين مراكزهم ويرقيهم : ويقرر لهم العقوبات . وفى قطر الجزائر مكاتب عديدة لادارة الضرائب المختلفة ؛ يتولى كل مكتب منها مدير وظيفه قبض سائر الضرائب والاتاوات الدولية والبلدية والعمالية ، وهو الذى يتولى اعمال المالية في البلديات العاملة التى لاتتجاوز مداخليها ٥٠ الف فرنكا وكذلك مالية المناطق البلدية الممتزجة والمناطق البلدية الاهلية مهماكانت مداخيلها .

وتحت نظر هذه الادارة هيأة مراقبة غراسة وصناعة الدخان ، اما من جهة غراسة الدخان فقصارى عملها انها ترشد الفلاحين الى طرق تحسين الانتاج وتمدهم بالنصائح اللازمة واما من جهة الصناعة فعملها جسيم لانها تراقب تلك الصناعة بصفة فنية لتنفيذ قوانين الاتاوات الموضوعة على صناعة الدخان .

ادارة الضرائب القارة، انشئت في الجزائر في ٨ ماية ١٨٧٢ وفيها مثل الادارة السالفة فريقان من المتوظفين . فريق وارد من فرانسا يشغل الوظائف العليا ، وفريق من فرنسى الجزائر يشغل الوظائف التى دون ذلك وهذه الادارة تشتغل بكل ما يختص بالضرائب الشخصية القارة ؛ وللوالي العام بها سلطة واسعة منذ يوم ١٣ جويلية ١٩١١ حيث اصبح له الحق في نظر المطالب المتعلقة بحذف او تخفيف المطالب الزائدة وهى الخطايا والغرايم التى تفرض على دافعى الضرائب الذين لم يرضخوا لنصوص القوانين ؛ بشرط ان تكون تلك الخطايا والغرايم فوق الالف فرنك ودون الخمسة ءالاف.

ادارة الديوانة ووظيفها تنفيذ القوانين الحكومية المتعلقة بمراقبة الصادر والوارد من البضايع والنتائج عن طريق البر والبحر واستخلاص الاداء على ما يدفع منها اداء وهذه الادارة موضوعة تحت سلطة الوالي العام ويرأسها مدير الديوانة المستقر بمدينة الجزائر .

و مجالس النيابات المالية هو المتصرف المطلق في تقرير ميزانية الجزائر وسياتي الكلام عليه

ادارة البريـد والبـرق

صدر قرار في ٣ افريل ١٩٢٠ بجعل ادارة البريد والبرق تحت سلطة الوالي العام بالجزائر . وارض الجزائر كلها تعتبر منطقة بريدية من المناطق الفرنسية ، يراسها «مدير البـريد » وتحت امرته مدير بكل من العمالات الثلاث ، وادارة البريد العامة بفرنسا هي التي تضع تحت طلب الوالي العام التوظفين اللازمين لهذه الادارة ، عنـدما يطلب الوالي منها ذلك . وقد تأسس مجلس تـاديبي في الجزائر يستشيره الوالي العام قبل تنفيذ العقوبات على متوظفي هذه المصلحة ، ويراقب هـذه الادارة المراقب العام لادارة البريد الفرنسي ، ويرسل تقريره عن ذلك للوالي العـام وكـذلـك يراقبهـا دوريا مراقب المالية العام وكل القوانين واللوايح والقـرارات المتعلقة بـالبريد الفرنسي تنفـذ في الجزاير .

ادارة الاشغـال العـامة

وهي تشمل عدة مصالح ذات اهمية كـبرى ولها موظفون فرنسيون ترسلهـم الوزارة الفرنسية وموظفون جزائريون يسميهم الوالي العـام ، اما مصالحهـا الكبرى فهي :

ادارة الجسور والطرق ، وظيفها حفظ وترميم واصـلاح وانشاء الجسور والطرق العامة والمنارات البحرية والمراسي وكـذلك كل مـا يتعلق بسـدود الميـاه واعمـال الري وهذه المصلحة موضوعة تحت مراقبة المراقب العـام للاشغـال العـامـة ، وللوالي العام نظر واسع على هذه الادارة انما له ان يستنير براى اللجـان الكبـرى الفنية المؤلفة في وزارة الاشغـال بفرنسـا .

ادارة المناجم ؛ وظايفها العليا بايدى الواردين من فرنسا وهي موضوعة تحت نظر « رئيس مهندسى المناجم بالجزاير ، وتنقسم اعمال الادارة على ثلاث مناطق في الارض الجزائرية ، وهي تشتغل بالفحص عن المناجم واستثمارها ومراقبتها . وتشتغل كـذلك برسم الخرائط الجيولوجية الرسمية للجزائر ومراقبة سير السكك الحديدية بصفة فنية وللوالي العام سلطة واسعة عليها .

ادارة السكك الحديدية

ابتدىء بتنظيم السكك الحديدية الجزائرية سنة ١٨٥٧ ، وفي سنة ١٨٦٢ سافر اول قطار من الجزائر الى البليدة ، وكانت السكك تابعة لشركة خاصة تراقبها الدولة الى ان اخذت الدولة تشترى الخطوط من الشركات ؛ وتنشىء خطوطا على حسابها ؛ فلما اعلن الاستقلال المالي سلمت فرنسا كل السكك الحديدية الجزائرية الى ولاية الجزائر تستثمرها ولها غنمها وعليها غرمها انما تمنحها فرانسا اعانة سنوية وعقدت الجزائر سنة ١٩٠٢ و ١٩٠٨ قروضا خاصة لانشاء السكك الحديدية . ويراس هذه الادارة مدير عام يحيل له الوالي سلطته لمراقبة سير وانتظام هذه المصلحة ويراقب الادارة مراقب عام من لدن ادارة الجسور والطرق اوادارة المناجم ومقره بباريس ، ووظيفه الاسترشاد لدى الادارة العليا بفرنسا ولجانها الفنية عن كل الاعمال التى تهم مصلحة السكك الحديد ، وحضور جلسات الشركات التى لها خطوط ببلادالجزائر وينوب عن مدير الادارة في حضور الجلسات التي تهم السكك الحديدية الجزائرية وللوالي العام سلطة واسعة جدا فى كل ما يتعلق بخطوط الترام الكهربائى وله ان يمنح الشركات امتياز خطوط الترام . واغلب موظفي هذه الادارة من فرنسا .

ادارة الفلاحة والتجارة والاستعمار

وهى الادارة التي تشتغل بكل موارد البلاد الحيوية ، وتبسط نظرها على جميع فروع الاعمال فيها وهى تشمل عدة مصالح مختلفة هى :

الفلاحة متوظفو الفلاحة يردون من فرنسا ويوضعون تحت سلطة الوالي الشخصية وله عليهم حق الاجازة والعقاب وللادارة مدرستان فلاحيتان سياتى الكلام عليهما في قسم التعليم ، والادارة تتداخل في اعمال الفلاحة بواسطة الاعانات التى تمنحها للشركات ثم هى تشرف وتعين على غراسة القطن والكشنيليا والكتان والزياتين وتربية دود القز . والادارة تنشط وتعين تربية الخيول العربية ، ومصلحة الفلاحة تشتغل كذلك بمقاومة الحشرات الفتاكة مثل الفيلوكسرا للكروم والجراد ؛ وللادارة

ساطة واسعة فى مقاومة الجراد بحيث يمكنها ان تسخر سائر السكان من اروبيين واهليين لتلك المقاومة ؛ وكذلك تقاوم امراض الماشية بصفتها آفات فلاحية وقد صدر فى ذلك قانون شهير في ١٢ نفامبر ١٨٨٧ .

وقد انشأ الوالي فى ١٥ افريل ١٩١٤ المجلس الفلاحى الاعلى ليستنير برآيه فى كل المسائل التى لها تعلق بالفلاحة خاصة فيما يتعلق بتغيير النصوص القانونية و فى كل ما يعود بالنفع على الفلاحة عامة ؛ ويشمل ذلك المجلس تحت رئاسة الوالي العام ومدير الفلاحة وثلاثة اعضاء من المجلس الاعلى الحكومي يعينهم رفقاؤهم ؛ وستة من الفرنسيين وثلاثة من المسلمين اعضاء مجلس النيابات المالية ينتخبهم كذلك رفقاؤهم ورئيس او نائب رئيس كل من المجالس العمالية الثلاثة ، ورئيس او نائب رئيس جمعية الفلاحين الجزائريين ؛ وجمعيات الفلاحة بقسنطينة و وهران ، وستة من اعيان الفلاحيين وعشرون نائبا عن مختلف المصالح الفلاحية واعيان علماء الفلاحة التطبيقية واثنان من علماء الاقتصاد والاجتماع يسميهم الوالي العام ، ويجتمع هذا المجلس مرة على الاقل كل سنة .

المياه والغابات ؛ مصلحتها موضوعة حسب قانون ٢٦ جويلية ١٩٠١ تحت ادارة الوالي العام واغلب الوظائف ذات الاهمية بيد الذين تـرسلهم الادارات الفرنسية ، والجزائر مقسمة من حيث نظام و حفظ المياه والغابات الى ثلاث مناطق ؛ وينتظر ان تنتظم من جديد مصلحة المياه والغابات وتصبح ادارة مستقلة ، وقد انشىء لها وظيف مراقب عام فني تشمل سلطته المناطق الثلاث .

الاستعمار ؛ كل الادارات والمصالح الجزائرية تشتغل فى الحقيقة بمسائل الاستعمار ويوجد مكتب بالولاية العامة وظيفته جمع كل ما يهم مصلحة الاستعمار .

الرسم الجغرافي ، وهي مصلحة ذات اهمية كبرى وقد كان عملها عظيما لتنفيذ قرار السيناتوس كونسولت القاضي بتحديد ارض كل قبيلة وسط ارض العروش ثم قسمة ارض القبيلة على الاشخاص وفى سنة ١٨٩٩ تمت اعمال التقسيم على القبائل في الارض

المدنية حسبما كانت محددة يومئذ و بقيت هذه الادارة تشتغل اليوم بالابحاث الجزئية المتعلقة بذلك التقسيم . فلما توسع التراب المدنى فى ١ جانفى ١٩٠٦ استأنفت الادار اعمالها في تقسيم ارض العروش على القبائل المستقرة بها ؛ وتسجيل الاملاك الخاصة بالدولة وهذه الادارة موضوعة تحت سلطة ثلاثة مديرين لهم لقب « مراقب عام » وبها جم غفير من الرسامين والجغرافيين والمهندسين وغير ذلك اغلبهم وارد من فرنسا .

التجارة والصناعة . ولها مكاتب تشتغل بجمع و درس كل ما يهم التجارة والصناعة بالقطر الجزائرى ، والسمسرة وهى من جهة التجارة مباحة للعموم ولها قوانين خاصة اما السمسرة البحرية فالوالي العام هو الذى يعين السماسرة وتشتغل الادارة كذلك بمسائل الموازين والمكاييل والمقاييس ، تنفيذا لكل الاوامر الصادرة في ذلك .

ادارة الامور الاهلية

وهى في الحقيقة عبارة عن حكومة تشتغل بكل ما يتعلق بامور المسلمين في القطر الجزائرى . صدر القرار بتعيين وظائفها واشغالها فى ٣٠ مارس ١٩٠٩ فهي تجمع مصالح التعليم الاسلامي ؛ والدين والقضاء والادارة البلدية والاعانة والاحتياط واستخلاص الضرائب العربية ومراقبة الغابات في النواحى العربية فهذه الادارة بالنسبة للمسلمين تمثل سائر الادارات الاخرى المتقدمة ، وتضع حدا فاصلا بين المسلمين والاروبيين بهذه البلاد .

وهنالك نزاع شديد في النظريات حول هذه الادارة ؛ فالذين يريدون ان يسير المسلمون الجزائريون في طريق التفرنس والاندماج يحملون على هذه الادارة حملة شعواء ويطلبون حذفها حتى يدخل المسلمون ضمن القوانين العامة الفرنسية ومن اولئك الاستاذان العظيمان اميل لارشى وجورج ركتانفالد وقد قالا فى كتابهما التشريع الجزائرى (ص ٥٦٤ ج ١) ما نصه : يجب علينا ان نقول بان مسلمى الجزائر اذا كانوا لم يرتقوا مثل رقى اخوانهم فى فارس ومصر وتركيا وتونس ، فان الغلطة المقصودة فى ذلك ترجع الى ادارة الامور الاهلية لانها تبنى المساجد ؛

وتوسع اراضي العروش وترفض مطالب التجنيس ، وتقاوم انتشار النفوذ الافرنسي » .

اما الذين يريدون ان يترقى المسلمون ضمن دائرة دينهم واخلاقهم وعوائدهم حسب فكرة وعبارة السياسي الفرنسي الاخير فالديك روسو ، فيحبذون بقاءادارة الامور الاهلية ، ويرون انها تحفظ الذاتية الاسلامية في الجزائر ضمن المنطقة الفرنسية

واننا سندرس اغلب المسائل التي ترجع امورها الى هذه الادارة في ابواب قادمة ؛ كمسائل التعليم والقضاء وغير ذلك . انما نلمع هنا الى اهم ما تشتغل بـه وتراقبه هذه الادارة

الجمعيات الخيرية ، كانت اوقاف المسلمين غنية جدا في الجزائر ، فاستولت عليها الدولة بقرار من قائد جند الاحتلال في ٨ سبتامبر ١٨٣٠ خلافا لصريح بنود المعاهدة التي سلمت بها الجزائر لفرنسا عام ١٨٣٠ واصبحت الحكومة مجبورة على القيام باعمال الاسعاف التي كانت تقوم بها الاوقاف ، وتأسست في الجزائر جمعية رسمية تتمتع بالذاتية القانونية ؛ ولها الحق في قبول الهبات والتبرعات والاوقف، يرأسها شيخ مدينة الجزائر ولها ٥ اعضـاء مسلمين و٥ اعضاء من الاروبيين . اما مداخيلها فهي من الاعانة الدولية السنوية وقدرها الان ١٦٠٠٠٠ فرنكا ، ومن مداخيل التبرعات والصدقات وقليل ما هي ،ويوجد اليوم اخذ ورد بين الجمعية التي يراسها با لنيابة صديقنا الجسور السيد عمر بوضربة وبين الادارة ، لان الجمعية تطلب ان تاخذ قسطا من مجموع الاتاوات البلدية على المراسح والملاهي وقد سلمت لها الحكومة بذلك الا ان التنفيذ لـم يقع الى الآن ، اما الاعانات التي تمنحها الجمعية للفقراء والفقيرات في الجزائر ونواحيها فهي لاتسمن ولاتغني من جوع ولاتروي حتى من ظمأ وناهيك ان الفقـراء لا يتناولون اكثر من ٥ فرنكات في الشهر ... وهنالك بعض عائلات مملقة ينال كل فرد منها ٥فرنكات شهريا وعلى الجمعية الخيرية ان تقوم بملجأ العاجزين والمقعدين وفيه اليوم ٤٢ منهم ، وبملجأ سيدي ولي دادا حذ وضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي وتعطي منحا للتلامذة المسلمين الذين يتعلمون الصناعـات الحديثة . ولوكانت هذه

الجمعية الخيرية غنية لامكنها ان تعمل كثيرا ؛ الا ان منحة الدولة ضعيفة جدا كما رايت ، اما التبرعات والاعانات فتكاد تكون مفقودة ، ولولا ان المرحوم المبرور الخالد الذكر السيد القينعي قد حبس على الفقراء احباسا ذات ريع طيب تتصرف فيها الجمعية لكانت اعمالها لا تستحق ادنى اهتمام ويبلغ ريع تلك الاوقاف نحو المسابتي الف فرنك فى السنة .

وقد أسست ادارة الامور الاهلية عدة مستوصفات اسلامية خاصة في مختلف البلاد ؛ عددها ٩٣ مستوصفا .

وانشأت وظائف معاونين اهليين لاطباء الاستعمار يبلغ عددهم نحو المئاية ، وكذلك خصصت الادارة بعض النساء الطبيبات لعيادة المسلمات فى البادية والقرى مجانا ؛ فهنالك مجهود تبذله الادارة من الناحية الصحية الا انه الى اليوم لم يبلغ درجة الاشراف على الكمال .

جمعيات التعاون والاحتياط ؛ قلنا سالفا ان العربي لا يعرف للاقتصاد معنى ولا مبنى وذلك بخلاف البربري ؛ فالعربي مغرم بانفاق كل ما عنده باسراف حتى اذا اصابته جائحة ذهبت بكل قواه ، لذلك وجب تنظيم جمعيات التعاون والاحتياط ، التى انشئت بقانون ١٤ افريل ١٨٩٣ ، ويقول ذلك القانون انه يمكن انشاء جمعيات تعاونية اهلية فى كل منطقة بلدية ؛ ويكون مركز الجمعيات فى مركز العمالة او مركز العمالة الثانوية ؛ وتكون لها فروع في كل منطقة بلدية . والعامل (البريفي) هو الذى يسمى رئيسها بطلب من المجلس او اللجنة البلدية . وامين مال الجمعية يجب ان يكون القابض البلدى . وعند ما تتاسس جمعية يجب ان يعرض قانونها على الوالى ويصادق عليه ووظيفة هذه الجمعيات اعانة الاهالى الفلاحين الفقراء على اعمالهم الفلاحية ، او فى حالة المرض والاصابات اعانات موقتة ، وتعين الفلاحين على تحسين فلاحتهم وادواتهم ؛ ويمكن لجمعية احتياطية ان تقرض جمعية احتياطية اخرى بما لا يتجاوز عشر راسمالها ؛ ويمكنها كذلك ان تضمن المزروعات ضد الحريق وآفات

الشتاء بصورة مشتركة اما مداخيل هذه الجمعيات فهى تتالف من : معلوم سنوى يدفعه الاعضاء قمحا او شعيرا ويقرر كمية ذلك المعلوم المجلس الاداري حسب حالة الصابة ، ومن فوائض الدين الذى لها على الغرماء ؛ ومن الاعانات التى تمنحها الدولة او العمالة او البلدية او الجمعيات الخيرية ويبلغ عدد الجمعيات الاحتياطية اليوم بالقطر الجزائرى نحو ٢٠٠ جمعية عدد اعضائها ٥٠٠٠٠٠ ، ويبلغ مجموع راس مالها حوالى ٨٠ مليونا فرنكا

ورغم كل انتقادات التى توجه على هذه الجمعيات ؛ فاننا نقول بانها ابدع مؤسسة وجدت بهذه البلاد من الناحية الفلاحية التعاونية ، وبودنا لو ان الحكومة تعتنى بها من جهة فتجعل فائدتها اجزل ، وتطهرها ممن يحوم حولها من حشرات مفسدة ... ؛ ويعتنى بها المسلمون من جهة اخرى ، فيقبلوا على تاسيس تلك الجمعيات في كل مراكز المناطق البلدية ، وعندئذ تعم فائدتها وتوصد ابواب الفقر والمجاعة في وجه الفلاحين البائسين . وتقطع الطريق امام المرابين الذين امتصوا دماء الاعراب واكلوا لحمهم ونسفوا عظامهم .

ويعسر على الانسان ان يلخص كل الامور التى تشتغل بها ادراة الامور الاهلية ، انما نكتفي بقولنا ان سائر امور المسلمين الجزائريين مهما اختلفت ترجع الى هذه الادارة .



المبحث الثاني

ادارة العمالات

تمتاز العمالات الجزائرية عن العمالات الفرنسية (ديبرتمان) بمساحتها الشاسعة فعمالة قسنطينة تبلغ مساحتها ٥٤٧ ٨٧ كيلو مترا مربعا ؛ وعمالة الجزائر ٠٨٧ ٥٤ ك . م ؛ وعمالة وهران ٦٧٥ ٥٥ ك . م . بينما متوسط مساحة المقاطعات في فرنسا لا يتجاوز ٦١٤٠ كيلوا مترا . والعمالة في الجزائر ليست وحدة جغرافية ، ولا اقتصادية ولا عمرانية ، بل انما هي وحدة ادارية ليس الا . وقد انتقد نظامها وتقسيمها انتقادا شديدا . وكثيرا ما تكون مصالح الجهات المتفرقة في العمالة الواحدة متباينة متخالفة فمن الواجب تقسيم الجزائر الى نحو ٨ او ٩ مقاطعات ؛ تكون كل مقاطعة منها وحدة اقتصادية طبيعية لها مصالح متوحدة .

والعمالة الجزائرية لها ذاتية قانونية ادارية ؛ يراسها العامل (البريفي) ولها مجلس العمالة ، والمجلس العمومي المنتخب ، ولها ميزانيتها الخاصة ؛ ولها اقسامها الادارية

ادارة العمالة ، العامل في الجزائر « البريفي » ليس تابعا راسا الى وزارة الداخلية بل هو تابع للوالي العام الجزائري والعامل هو المشرف الاعلى على كل ما يعمل وما يقع في العمالة وهو رئيس الادارات كلها فيها وللعامل متوظفان برتبة كاتب عام للعمالة ؛ تقرر وظيف اولهما في ٢٧ اكتوبر ١٨٥٨ ووظيف ثانيهما في ٧ مارس ١٩٠١ والاول مختص بالادارة ، والثاني مختص بالمسائل الاهلية والضبط العام وفي ادارة العمالة مكاتب عامة لمختلف الاشغال الادارية .

مجلس العمالة ، في كل عمالة يجتمع مجلس العمالة وهو يتألف من ثلاثة مستشارين هم تحت سلطة الوالي العام يسمى كل سنة عضوين لكل مجلس من مجالس العمالات يكون احدهما نائبا للرئيس الذى هو البريفي وثانيهما نائبا للمدعى العمومي ؛ وينظر هذا المجلس في كل المسائل التى تنظر فيها مجالس العمالات الا انه يختلف عن مجالس

فرانسا في جزئيتين : يعطى للشخص في فرانسا ١٥ يوما ليقدم تقريرا بدفاعه لدى مجلس العمالة اما في الجزائر فللشخص المطلوب اجل شهر كامل والاستدعاء يقع في فرنسا قبل الجلسة باربعة ايام ، وفى الجزائر قبلها بثمانية ايام وللمجالس العمالة في الجزائر حق النظر فى منح قطع الاستعمار .

المجلس العمومى ؛ ولكل عمالة مجلس منتخب يدعى المجلس العمومى ينظر فى ميزانية العمالة واعمالها ؛ وسنتكلم عنه فى قسم المجالس المنتخبة الجزائرية .

ميزانية العمالة ؛ يتألف قسمها الاكبر من الصنتيمات الاضافية الاعتيادية التي يعين مقدارها قانون المالية ومن الصنتيمات الاضافية التكميلية التي يقترع المجلس العمومى على اضافتها اويصدر قرار الوالي باضافتها ومن الصنتيمات التكميلية المخصصة للطرق العامة في العمالة ، اما الميزانية التى فوق العادة فتتألف من صنتيمات اضافية يسنها المجلس العمومى اومن قروض .

تقسيمها الادارى ، تنقسم العمالات الى عدة دائرات و فى الجزائر كلها ١٧ دائرة ادارية هى :

في عمالة قسنطينة :دوائر قسنطينة وعنابة و قالمة وسكيكدة وسطيف وبجاية و باتنة .

وفى عمالة الجزائر دوائر الجزائر ومليانة وتيزي وزو والاصنام والمدية .

وفي عمالة وهران : دوائر وهران و مستغانم ومعسكر و تلمسان وسيدى بلعباس

ويرأس كل دائرة ماعدا مركز العمالة نائب عامل يدعى « سوبريفي »

ووظيف نائب العامل في الدائرة هو مراقبة الدائرة الادارية والاطلاع على كل ما يقع فيها واعلام الادارة العليا بذلك و بذل الجهد في سبيل توطيد الاستعمار ومراقبة ادارة الاهالي . والمتوظفون في ادارة نيابة العامل هم : مدير نايب وخوجة اهلي كاتب و فارس و شاوش . والمدير النايب يشغل وظيف الكاتب العام فى نيابة العمالة ويعين نايب العامل في مراقبة كل ما يختص بالامور الاهلية فى المناطق البلدية العاملة ؛ و يدير هيأة « معرفة الشخصية العدلية » فى مركز الدائرة.

البحث الثالث

المناطق البلدية

المنطقة البلدية هي الوحدة الحقيقية في النظام الاداري الجزائري . وكانت البلديات معروفة منذ ايام السلطة القرطاجنية . وتوجد في القطر الجزائري ثلاثة انواع من المناطق البلديات : اولها البلدية التامة او العاملة . وثانيها المنطقة البلدية المتزجة . وثالثها البلدية العربية . ولكل من المناطق الثلاث نظام خاص نلخصه فيما يلي

البلديات العاملة

وعددها في القطري الجزائري ٢٨١ منطقة بلدية ، ومساحتها كلها ٢٥٤٤٦١٣ هكتارا ؛ هي نظريا مماثلة تمام المماثلة لبلديات فرانسا؛ التي انشئت بقانون ٥ افريل ١٨٨٤ ؛ ولكل منطقة بلدية تامة مجلس بلدي منتخب انتخابا عاما من سكان المنطقة البلدية بين اروبيين ومسلمين . وسياتي الكلام على المجالس البلدية في القسم الخاص بالمجالس المنتخبة .

وللبلدية ميزانية عامة تحت تصرفها . واهم موارد ميزانيتها هي الضريبة على الاكرية والضريبة على المحلات الاحترافية ؛ والضريبة على الكلاب ؛ والضريبة على المذابح اما الضريبة على الاكرية وهي اهم هذه الضرائب فهي عبارة عن ١٢ في المائة من ثمن كراء المحلات . وجميع السكان على الاطلاق يدفعون هذه الضريبة ، واذا كان صاحب الملك نفسه يسكن محله فانه يدفع ضريبة الكراء كما لو كان مستاجرا ومن اهم الضرائب البلدية كذلك : المكس على واردات البحر ، وهي ضريبة تشبه معاليم الديوانة . والخزينة العامة تتقاضى الجزء السادس من هذه الضريبة البلدية ؛ وما بقي يوزع على البلديات حسب عدد سكانها ، ما عدا البلديات العربية .

القياد . اظهرت التجاريب ان شيوخ المدن ليس لهم استعداد لحكم المسلمين المستقرين بالمنطقة البلدية مباشرة ، لذلك وجبت الاستعانة بالمعاونين الاداريين

الاهليين ، وهم الذين يسمونهم بالقياد ، جمع قايد . والقياد في المناطق البلديه" العامله" هم في نظامهم غير القياد في المناطق البلديه" المتزجه" . والقائد فى المنطقه" العامله" يؤخذ من بين اعضاء المجلس البلدى او من غيرهم حتى ممن لا يسكنون المنطقه" البلديه" . وسلطه" القايد لا تشمل الا المسلمين وهو تحت سلطه" المير رئيس البلديه" ولا يحكم غالبا الا المسلمين الخارجين عن المدن ؛ اما فى داخل المدينه" فالمجلس البلدي نفسه يحكم و يراقب بواسطه" البوليس المختلط الفرنسي الاهلى .

والقواد مسؤولون علاوة على وظيفهم البلدي ، عن حفظ النظام بمنطقتهم واعلام الادارة عن كل ما يقع فيها واعانة جباة الضرايب البلدية والحكومية ومراقبة الحالة المدنية من حيث المواليد والوفيات والزواج والطلاق حتى تكون دائما ملايمة لما في دفتر الحاله" الشخصيه" والسهر على الامن والقبض على الجناة والمجرمين . وتنفيذ قوانين الخدمه" العسكريه" الاجباريه" حتى لا يفلت منها فرد .

وتوجد انتقادات كثيرة توجه على القياد ، وليست كلها عاريه" عن الصحه" . ولقد قال مسيو موريس فيوليت في كتابه : هل تحيا الجزاير » مانصه « الامر المحقق هو ان ٧٥ في المايه" من القياد هم من ذوى الشهامه" والمروءة والثقه" ولكن يوجد ٢٥ في المايه" ممن هم دون ذلك .... » وقد انتقد مسيو فيوليت طريقه" اختيار القياد ثم اعتذر للقياد (٢٥ في المايه" ....) الذين توجه اليهم الانتقادات المرة بقوله « يجب علينا ان ننظر بعين الانصاف الى حالتهم خاصة الذين ليست لهم ثروة شخصيه" منهم فان حالة هؤلاء موجبه" للشفقة وقد رفضت الادارة دايما ان تمنحهم اكثر من سبعة او ثمانية ءالاف فرنك في السنة ! ويظن انه يسمح لهم بان « يدبروا راسهم » للتحصيل على ما يكفيهم من الموضوعين تحت سلطتهم وكان الادارة تنشط ذلك بان تعطى القياد جزءا مايويا مما يستخلصونه من الضرائب .»

ان القياد يقومون باكثر الاعمال تشعبا فى هذه البلاد ، وهم الذين يمثلون ببرانيسهم الحمراء السلطه" لمجموع المسلمين ؛ فواجب الحكومة ان ارادات ان تحسن

سمعتها عند مجموع المسلمين وان تنتظم الادارة انتظاما متينا هو ان تعيد النظر بامعان في مسألة القياد من جهة الكفاءة اولا ، فلا ينتخب الا الكفء الذكي العارف النزيه . ومن جهة المرتب ثانيا حيث تمنح القائد مرتبا يكفيه ويجعله بعيدا عن مواطن الريبة و يناسب ما يقوم به من الاعمال .

والدوار الذي يتولى القائد امره هو نواة الوحدة الادارية الظاهرة الحقيقية في الجزائر وهو قسم من اقسام المنطقة البلدية يتمتع بالذاتية القانونية وهوالذي يملك قطعة ارض العرش ان كانت ارض العرش توجد في الدوار وللدوار مجلس خاص به يدعى مجلس الجماعة وسياتيك تفصيل الكلام عليه .

البلديات المتزجة

وتعرف با لكومين ميكست وعددها ٧٨ بلدية ومساحة ارضها ١٨١٦٨٧٤١ هكتارا فهي تشمل الاغلبية الكبرى من الارض الجزائرية و يتولى امر هذه البلدية المتزجة شخصية غريبة من شخصيات المتوظفين الفرنسيين بهذه البلاد : المتصرف (الادمينستراتور) وهذه المناطق البلدية عبارة عن وسط بين البلديات العاملة والبلديات الاهلية .

والادمنستراتور تابع راسا للوالي العام الجزائري هو الذي يسميه وهو الذي يرقبه او يعاقبه وسلطة الادمنستراتور تكاد تكون غير محدودة بل في اغلب الاحيان يكون هو الحاكم بامره في دائرته المتزجة وكان يملك كل السلط بين يديه الا ان السلطة العدلية قد انتزعت من بين يدى المتصرفين من يوم غرة جانفي ١٩٢٨ فاصبحت سلطتهم ادارية بحتة والمتصرف يلبس لباسا شبيها باللباس العسكري وله حرس من الخيالة يسمى « الدائرة » ولكل متصرف مكتب يتألف من كتاب ارو بيين وكتاب مسلمين « خوجات » .

وحول كل ادمنيستراتور تجتمع لجنة بلدية تشمل : الادمنستراتور بصفه رئيس و نواب

رئيس فرنسيين واعضاء فرنسيين وكلهم منتخب والقياد الذين يكون المناطقة البلدية الممتزجة ورؤساء جماعات الدواوير ووظيفة هذه اللجنة البلدية نظر الميزانية خاصة .

والقياد في هذه المناطق البلدية هم عدة الادارة وعليهم اعتمادها ويقومون بنفس الوظائف المنصوص عليها سالفا الا ان نفوذهم اقوى واشد وامرهم يرجع للوالي العام راسا فهو الذى يمكنه ان يرقيهم الى رتبة آغا او باش آغا وهى رتب شرفية ليس الا وهو الذى له حق عزلهم بعد عرضهم على مجلس التأديب .

وفي اراضى الجنوب توجد بعض مناطق بلدية ممتزجة يرأسها كومندان الجند واعضاؤها هم الفرنسيون المنتخبون والقياد والفرق بين البلديتين هوان الاخيرة تجلى فيها الروح العسكرية اكثر من الاولى وعدد بلديات الجنوب الممتزجة ۷ بلديات ومساحتها نحو ۱۳ مليون هكتار .

البلديات الاهلية

وهى خاصة باراضى الجنوب ، و فى هذه البلديات التى لاتسمى بلديات الا مع التسامح الكبير لاتوجد وحدة ادارية متينة الا في القبيلة . فكل قبيلة هنالك لها ذاتيتها الخاصة ولها املاكها يحكمها القايد تحت اشراف كومندان الدآيرة اورئيس الملحقة ويدعى ذلك القايد آغا او باش آغا حسب اهمية القبيلة والمركز وقد انشأت الادارة اخيرا رتبة « شيخ العرب » ومنحتها لباش آغا الزيبان ابن قانة ورتبة « الخليفة » ومنحتها للباش آغا سى جلول بالاغواط .

وعدد البلديات الاهلية فى الجنوب ۷ ومساحتها نحو ۳۰ مليونا و ۵۰۰ الف هكتار وكل بلدية تشمل كومندان الدائرة بصفة رئيس واعضاؤها هم رجال العسكرية والقياد والاغوات ويعينهم كومندان الدائرة كل اربعة اعوام ولكل قبيلة مجلس جماعة يعينه الوالي العام في اراضى الجنوب وللمجلس الجماعة كاتب مكلف بدفاتر الحالة الشخصية .



البحث الرابع

ادارة اراضي الجنوب

بعدما استولت فرانسا على توات ، واخضعت الصحراء لسلطانها رأت وجوب قسمة البلاد الى قسمين: الشمال والجنوب ، وجعلت الشمال وهو الذي درسنا نظامه فى هذا القسم ارضا مدنية وجعلت الجنوب ارضا عسكرية موضوعة تحت نظر الوالي العام مباشرة. والذى زادفي وجوب هذا التقسيم هو ان الجزائر بعدما تحصلت على استقلالها المالي اصبحت لاتريد ان تنفق من ميزانيتها على اراضي الجنوب التى تعود مصلحتها العسكرية على فرانسا اكثر مما تعود على الجزائر وايضا كيلا تستولى ميزانية الجزائرعلى موارد الجنوب الضيئلة فتنفقها على مشاريع الشمال . تأسست اراضى الجنوب في ٤ دسامبر ١٩٠٢ وترتبت ميزانيتها فى ٣٠ دسامبر١٩٠٣ وانتظمت اداراتها فى ٤ اوت ١٩٠٥ وتم ترتيب نظمها وتقسيم مناطقها فى ٥ اوت ١٩٢٠ ،فاراضى الجنوب من الجهة القانونية مستعمرة خاصة لها اداراتها ولها ميزانيتها ولها املاكها ويحق لها ان تعقد القروض وان تمنح امتياز السكك الحديدية. وترتبط مع بلاد الجزائر في شخص الوالي العام وبعض الادارات العامة؛ اما الحد الفاصل بين الشمال والجنوب فقد رسم بقانون ١٩٠٢ .

والوالي العام هو الرئيس الاعلى لادارة اراضى الجنوب له فيها السلطة التى له على ارض الشمال وكذلك السلطة التي للعمال ، وهويمثل ادارة الجنوب قانونا وهو المسؤول عن الراحة والامن فيها وتوجد فى الولاية العامة ادارة خاصة تشتغل بكل ما يتعلق باراضى الجنوب .

ومشروع ميزانية اراضى الجنوب يهيئه الوالي ويعرضه على مجلس الحكومة وينفذ بواسطة قرار بعد عرضه على وزير الداخلية ، ولايجوز تغيير الضرائب فى ارض الجنوب او حذفها الا بقرار يصدره مجلس شورى الدولة ، اما المصاريف العسكرية

وهى نحو ثلثي الميزان فان فرنسا تدفعها من ميزانية الحربية . واذا كانت في الميزانية فواضل فانها توضع فى خزينة الاحتياط للقيام بالاشغال العامة وقد تقدت اراضي الجنوب قرضا يبلغ ٥٠ مليونا فرنكا عام ١٩٠٢ ثم قرضا آخر مبلغه ٨ ملايين لانشاء السكة الحديد بين بسكرة وتقرت . وميزانية اراضى الجنوب تبلغ نحو ١٥ مليونا ونصف مليون اغلبها يدخل الخزينة بواسطة الضرائب العربية العتيقة وسيأتي الكلام عليها .

وتقدم لنا ان هذه الارض تشمل : ارض عين صفراء ومركزها عين صفراء وارض غرداية وقاعدتها الاغواط وارض تقرت ومركزها تقرت وارض الواحات ومركزها ورقلة وعلى راس كل ارض يوجد كومندان عسكرى يسمى بواسطة قرار ويدير الامور العسكرية والادارية معا وتقسم كل ارض الى دائرات وملحقات .

فارض تقرت بها : مركز اولاد جلال وملحق بسكرة وملحق تقرت وملحق الوادى .

وارض غرداية بها : ملحق الجلفة وملحق الاغواط وملحق غرداية ومركز القليعة .

وارض عين صفراء بها : ملحق المشرية وملحق جريفيل (البيض) وملحق عين صفراء ومركز بنى ونيف ودائرة بشار وملحق ساور وملحق توات .

وارض الواحات بها : ملحق ورقلة و ملحق اجار و ملحق عين صالح وملحق الهقار .



القسم العاشر

١١ — ١٢ — ١٣ — ١٤

المجالس المنتخبة بالقطر الجزائرى

في القطر الجزائرى اليوم مجالس منتخبة كثيرة ، منها ما يشتغل بالمصالح المحلية الخاصة كمجالس الجماعات والمجالس البلدية ومنها ما يشتغل بمصالح الناحية كلها كمجالس العمالات ؛ ومنها ما يهتم بالحالة الجزائرية عموما وتدبير ميزانيتها كمجالس النيابات المالية ومنها ماهو مختص بشعب الحياة المختلفة كمجالس الحجرات الفلاحية والتجارية . واننا سندرس في هذا القسم من الكتاب نظام وتاريخ هذه المجالس المختلفة واه، ما يتعلق بوجودها ،ونبتديء بحثنا باصغر المجالس ثم نرتفع الى اعلاها .

مجالس الجماعات

تقدم لنا في القسم السالف ان « الدوار » يمثل من الناحية الاسلامية في ارض الجزائر وحدة متماسكة ، وهو نواة المجتمع الجزائرى ، وللدوار فى المناطق البلدية الممتزجة « كومين ميكست » اهمية تفوق اهمية الدوار فى البلديات التامة .

وللدوار مجلس خاص به يدعى مجلس الجماعة وكان يشمل رؤساء العشائر الذين يلقبون با لكبار او الامناء ؛ ويرأسه القائد وقد صدر قرار الوالي العام فى ٦ فيفرى ١٩١٩ بتنظيم مجلس الجماعة في البلديات التامة كما صدر قراره في ٥ مارس ١٩١٩ بتنظيم مجالس الجماعة فى المناطق البلدية الممتزجة .

وتتعين مجالس الجماعة لمدة ستة اعوام ، والمتصرف (الادمنسترانور) هو الذي يستدعى المجلس لعقد جلساته ، بدل القائد الذى هو رئيس المجلس وذلك في

البلديات المتزجة فقط ، اما في البلديات التامة فالرئيس المنتخب هو الذى يستدعى المجلس ويمكن للمتصرف ان يستدعي مجلس الجماعة لجلسات غير اعتيادية دون ان يستصدر اذنا من العامل ويمكنه كذلك ان يحضر كل جلسات الجماعة ، اما القياد فيحضرون المجالس بصفتهم ممثلي السلطة وقد قررت دائرة الاستيئناف بالجزائر ان المتصرف هو الذى له الحق في تمثيل مجلس الجماعة والتكلم باسمه قانونا.

ومجالس الجماعة اسسها نابليون الثالث بقانون السيناتوس كونسولت الشهير سنة ١٨٦٣ ؛ ثم اضمحلت في البلديات التامة سنة ١٨٨٤ وبقيت فى البلديات المتزجة فقط ثم عادت الى البلديات التامة سنة ١٩١٨ ومجالس الجماعة اليوم تنتخب على الطريقة التى ينتخب بها المسلمون نواب المجالس البلدية ولمجلس الجماعة الحق فى تعيين رئيسه ويشتغل هذا المجلس بكل الامور التى تهم الدوار .

مجلس اللجان البلدية

فى مراكز البلديات المتزجة لاتوجد مجالس بلدية بل توجد لجان بلدية تشمل من الناحية الفرنسية نوابا منتخبين انتخابا حرا ، كل مماية شخص ينتخبون واحدا ؛ ومن الناحية الاسلامية تشمل اعضاء معينين هم القياد الذين يوليهم ويعزلهم الوالي العام ، ورؤساء جماعات الدواوير المنتخبين وتقوم هذه اللجان بنفس الاعمال التى تقوم بها المجالس البلدية ، والمتصرف (الادمنستراتور) هو الذى يرأس هذه اللجان ، وميزانية البلدية المتزجة يهيء المتصرف مشروعها وتتفاوض فيها اللجنة البلدية وتقررها ولاتنفذ الا بعد مصادقة العامل (البريفى) وقد كان القياد وحدهم اعضاء في اللجان البلدية الا ان قانون ٦ فيفرى ١٩١٩ جعل رؤساء جماعات الدواوير والعشائر اعضاء بتلك اللجان .

البلديات الاهلية

وهى ليست من المجالس المنتخبة الا اننا نذكرها بصفتها من المجالس الجزائرية على كل حال ، وهي لاتوجد الا في الارض العسكرية . يمثل العنصر الاروبي فيها

رجال السلطة العسكرية ؛ ويكون بها احيانا واحد او اثنان من اعيان الجالية الفرنسية يعينهم الوالي العام اما العنصر الاسلامي فلا يمثله بهذه المجالس الا اقياد وفي كل قبيلة يوجد مجلس الجماعة كما هو موجود بكل دوار .

المجالس البلدية

انشأت السلطة مجالس بلدية معينة ذات نظر محدود اثر حوادث الاحتلال ثم انتظمت المجالس البلدية الجزائرية تنفيذا لقانون ٥ افريل ١٨٨٤ وقد كان للعنصر الاسلامي حسب هذا القانون اهمية قليلة بالمرة : ممثل واحد للالف من السكان بشرط ان لا يتجاوز عدد النواب المسلمين ربع اعضاء المجلس البلدى ، او عدد ستة اشخاص الان قوانين ٦ فيفرى ١٩١٩ قد وسعت ذلك قليلا ، فاصبحت كل قرية يجاوز عدد المسلمين فيها ماية شخص لها حق انتخاب ممثل بلدي ، واصبح للالف الاولى من السكان ٤ نواب ولكل الف بعد ذلك نائب ؛ انما يشرط ان لا يتعدى عدد النواب الاهالي في كل مجلس ١٢ نائبا ولا يكون اكثر من ثلث سائر المجلس .

اما الناخبون المسلمون من غير المتجنسين بالمجالس البلدية فيشترط فيهم : ان يجاوز سنهم ٢٥ عاما وان يكونوا قد سكنوا المنطقة البلدية منذ عامين على الاقل وان يكونوا محرزين على احدى هذه الصفات : العمل في الجندية البرية او البحرية ؛ الملكية ؛ استثمار ارض ، التوظف فى الحكومة او العمالة او البلدية ، عضوية حجرة التجارة او حجرة الفلاحة ، شهادة مدرسية ابتدائية ، حمل وسام فرنسى ، التجارة في المنطقة البلدية منذ عام ودفع معلوم الباتيندة ، الاحراز على جائزة من معرض فلاحى او صناعى .

ويمكن للاهالي ان ينتخبوا فرنسيا او متجنسا ينوب عنهم ضمن المجلس البلدى انما الفرنسيون والمتجنسون لا يمكنهم ان ينتخبوا الا النواب الفرنسيين او المتجنسين وللنواب المسلمين ــ نظريا ــ نفس الحقوق التى للنواب الاروبيين في المجالس البلدية ؛ وهم يشاركون فى انتخاب المير ـ شيخ المدينة او رئيس البلدية ـ

الا انه لا يمكن اصلا ان يكون رئيس البلدية منهم والكثير من البلديات لم تعترف لهم بحق منصب نيابة المير ، والتى اعترفت به كان اعترافها صوريا فقط .

اما النواب الفرنسيون فهم يمثلون العنصر الاروبى والمتجنس كله وينتخبون على قاعدة المجالس البلدية الفرنسية فى فرنسا ؛ والمجالس البلدية ذات اهمية كبرى لانها هى التى تشتغل بكل ما يتعلق بالمنطقة البلدية من ضبط واعتناء بالحالة الصحية المادية والادبية وابتناء المدارس وغير ذلك ، وبين ايديها ميزانية البلدية المتكونة من الضرائب التي تكلمنا عنها في القسم التاسع . ومن الحيف الجارح ان يحدد عدد المسلمين بالثلث مع اشتراط عدم تجاوز عددهم ١٢ عضوا والواجب الحق هو ان يكون العدد اما مناصفة او حسب اهمية السكان مع عدم التقيد بعدد مخصوص اما هذا التفوق العددى المفروض فهو حيف لا يوجد له مبرر اصلا ، واعضاء المجالس البلدية ينتخبون جميعا كل ستة اعوام .

المجالس العمومية

ويدعونها اصطلاحا بالمجالس العمالية ؛ لان وظيفها هو الاشتغال بكل ما يهم العمالة عموما وتهيمن على سائر مصالحها ، انشأ هذه المجالس الامبراطور نابليون الثالث في ٢٧ اكتوبر ١٨٥٨ وكان هو الذي يسمى اعضاءها وفي ١١ جوان ١٨٧٠ اصبحت المجالس العمومية (الكونساى جنرال) ذات صبغة تمثيلية انتخابية وتشمل هذه المجالس نوابا من المسلمين ونوابا من الاروبيين .

اما نواب الفرنسيين فى هذه المجالس فعددهم ٣١ في مجلس الجزائر وقسنطينة و٢٧ فى مجلس وهران ، ينتخبهم الفرنسيون انتخابا عاما مطلقا حسب قوانين الانتخاب فى فرنسا .

واما نواب المسلمين فقد كانوا الى سنة ١٩٠٨ يعينهم الوالي العام تعيينا ، وابتداء من ٢٤ سبتامبر ١٩٠٨ اصبحوا ينتخبون وتحدد عددهم بستة اعضاء فقط في كل مجلس واخيرا صدرت قوانين ٦ فيفرى ١٩١٩ ؛ فجعلت كل الناخبين البلديين ينتخبون

نوابهم لمجالس العمالات ، انما اصبح عدد هؤلاء النواب لايمكن ان يتعدى ربع كامل المجلس ؛ فان كانت الانتخابات البلدية التي تجعل الاهالي ثلث المجلس حيفا ، فان الانتخابات العمالية التي تجعلهم الربع فقط مظلمة واجحاف لايسوغهما منطق سليم ؛ و .. رك في انتخاب الاعضاء المسلمين للمجالس العمالية مع الناخبين البلديين كل اعضاء اللجان البلدية في البلديات الممتزجة وسائر اعضاء الجماعات .

والعضو المالي ينتخب لمدة ستة اعوام ، وكل ثلاثة اعوام يجدد نصف المجلس ففي سنة ۱۹۳۱ مثلا وقع تجديد نواب المناطق الاولى والثالثة والخامسة والسابعة وهلم جرا . وفي سنة ۱۹۳٤ سيتجدد نواب المناطق الثانية والرابعة والسادسة والثامنة الخ وكل عمالة تحتوي على عدة مناطق واقسام انتخابية تحددها الولاية العامة .

والمجالس العمالية تعقد غالبا جلستين في السنة ؛ وعندما يقع تجديد النصف من المجلس تنعقد جلسة فوق العادة لتعين اعضاء المكتب وتعيين النواب الذين يمثلون المجلس العمومي في المجلس الاعلى وعددهم خمسة من كل مجلس عمالي .

مجلس النيابات المالية

وهو البرلمان الجزائري ؛ وصاحب السلطة الكبرى في المسائل المالية ، اسس سنة ۱۸۹۸ ولم تكن الجزائر متمتعة باستقلالها المالي ؛ فكان القصد منه تمثيل دافعي الضرائب والاستنارة باراء نوابهم ؛ وينتخب اعضاؤه لمدة ستة اعوام يجدد نصفهم كل ثلاثة اعوام مثل المجالس العمومية ، ويعقد المجلس جلستين اعتياديتين في السنة .

والسبب في تسمية المجلس بالنيابات المالية هو ان القانون قسم دافعي الضرائب الناخبين الى عدة اقسام كل قسم منها ينتخب نوابه على حدة ، فالقسم الاول هو قسم رجال الاستعمار وينتخبون ٢٤ نائبا والقسم الثاني هم رجال الصنائع والحرف الحرة الفرنسيون وينتخبون ٢٤ نائبا كذلك ، والقسم الثالث يشمل الاهالي كلهم ولا ينتخبون الا ٢١ نائبا منهم ١٢ عربيا و٩ من القبائل البربر يشكلون لجنة فرعية فانت ترى كيف تقترف هذه المظلمة الغريبة وكيف يسلك هذا التصرف الشنيع تحت

شعار الحرية والعدالة والمساواة ، اذ لم يكف الذين وضعوا قوانين النيابات المالية انهم اعتبروا الاهالى برمتهم وعددهم نحو الستة ملايين قسما ثالثا تجاه قسمي المستعمرين والغير المستعمرين من الفرنسيين بل جعلوا نفس القسم الاهلي الثالث اقل عددا من كل قسم آخر فهو ٢١ مقابل ٢٤ من كل قسم اي ٢١ مقابل ٤٨ من المجموع .

وكل قسم من الاقسام يتفاوض على حدة ، ثم تجتمع الاقسام كلها في جلسة عامة للمصادقة على الميزانية والناخبون البلديون الذين ينتخبون اعضاء المجالس البلدية واعضاء المجالس العمالية هم الذين ينتخبون اعضاء المجلس النيابى وقد كان الناخبون للنيابات المالية لا يشملون قبل ٢٣ افريل ١٩١٩ الا اعضاء المجالس البلدية المسلمين .

ومجلس النيابات المالية كما قلناه هو الذى يتفاوض فى الميزانية الجزائرية ويتصرف فيها ويقررها ، انما الميزانية التى يهيىء الوالي مشروعها ويتفاوض فيها مجلس النيابات المالية ويقررها ؛ لا تكون قابلة للتنفيذ الا بعد عرضها على المجلس الاعلى ومصادقته عليها ثم تعرض بعد ذلك على مجلس شورى الدولة بفرنسا ، ويصدر مجلس الامة قرارا بقبولها و تنفيذها .

وللوالي العام سلطة واسعة على مجلس النيابات المالية فهو يستطيع حله ويستطيع الغاء مفاوضاته ويستطيع تحجير نشر ما يراه منافيا للمصلحة من اقواله .

ثم ان مجلس النيابات المالية كذلك يجب ان يصادق على تغيير النظام المالى بالجزائر فان لم يصادق فلا يمكن ان يقع اى تغيير وكذلك لا يمكن ان تعقد الجزائر قرض الا بعد مصادقة النيابات المالية ؛ ولا يمكن ان تنال شركة منحة سكة حديدية الا بعد مصادقة المجلس كذلك .

ولقد كانت النيابات المالية الجزائرية تتفاوض فى الميزانية بصفة استشارية بحتة فراى رجالها ورجال الاستعمار عامة انه من المجحف بحقوق الجزائر ومن المضر بمصالحها ان يتولى البرلمان الفرنسى نفسه ادارة ماليتها والتصرف فى ميزانيتها ضرورة ان مجلس الامة لا يعرف عن الجزائر وما هى بحاجة اليه الا النزر اليسير الذى

يتسرب اليه من التقارير الرسمية ؛ فما زال رجال الاستعمار وانصارهم يوالون محاولاتهم حتى تمكنوا من التحصيل على قانون ١٩ دسامبر ١٩٠٠ الذى جعل للجزائر ميزانية خاصة ، وقد جاء في مقدمة ذلك القانون الذى وافق عليه مجلس البرلمان ما تعريبه « اتفقت الآراء الآن على عدم اعتبار الجزائر مجرد قطعة من التراب الفرنسى ، ذلك لان الجزائر بمركزها الجغرافي ؛ وخاصة بما فيها من العنصريات المختلفة وبتقدمها في المضمار الاقتصادى ، قد اصبحت ذات شخصية خاصة بها . »
بذلك القانون نالت الجزائر استقلالها المالى واصبحت مصاريف البحرية والعسكرية في عهدة فرنسا وسائر المصاريف الاخرى تخرج من الميزان الجزائرى ؛ الا انه وقع الاتفاق بين فرنسا والجزائر فى سنة ١٩١٥ على ان تدفع الجزائر لفرنسا مشاركة فى المصاريف العسكرية ، ووقع تقرير المشاركة سنة ١٩٢٠ بما قدره ٦ في المائة من مجموع مداخيل الميزانية الجزائرية .

والمصاريف التى تشمل الميزانية الجزائرية تنقسم الى قسمين : مصاريف وجوبية ومصاريف اختيارية ؛ فاما المصاريف الوجوبية فهى : نفقات الادارة العامة وتسديد القروض وفوائضها و مرتبات الموظفين ونفقات الجندرمة الوطنية و المصالح الاسلامية والامور الاهلية . ولا يمكن التنقيص اصلا من مقدار المصاريف الوجوبية او الزيادة فيها الا بعد مصادقة مجلس النيابات المالية ؛ اما المصاريف الاختيارية فامرها موكول الى نفس المجلس وهو يقررها كما يشاء .

و مجلس النيابات المالية ذو سلطة واسعة فى تقرير الضرائب وانشائها وتخفيفها ورفع معلومها ، ما عدا معلوم الديوانة الذى تقرره فرنسا ويكون نافذا فى بلادها و بلاد المستعمرات ، انما لا يمكن ان يقرر المجلس نهائيا ضرب ضريبة جديدة او الغاء ضريبة الا بعد صدور قرار من مجلس شورى الدولة ، اما فواضل الميزانية فهى توضع فى صندوق احتياطى ، وقد كانت من قبل تقتسم بين فرانسا والجزائر الا ان قانون ٢٣ جويلية ١٩٠٤ جعل تلك الفواضل خاصة للجزائر .

الضرائب الجزائرية . كانت الضرائب وهى اهم موارد الميزان الجزائري مقسمة الى قسمين : الضرائب الاروبية والضرائب الاهلية ؛ فأما الضرائب الاهلية فقد كانت العشر وهى ضريبة على نتائج الفلاحة والزكاة وهى ضريبة على المواشي والحكر وهى ضريبة تكميلية على الفلاحة الواقعة بارض كانت تابعة للدولة . واللزمة المختصة ببلاد القبائل وضريبة النخل على الواحات ، وكان الاروبيون من جهتهم يدفعون ضرائب خاصة خفيفة ويجهلون الضرائب التى كانت موجودة بفرنسا ؛ فكان الحيف كثيرا والاجحاف مرهقا . واخيرا صدرت قوانين ٣٠ نفامبر ١٩١٨ فوضعت في الارض المدنية حدا لهذه الحالة الغير المعقولة واوجدت المساواة التامة فى الضرائب بين المسلمين والاروبيين من حيث نوع الضريبة اذ لم تبق هنالك من ضريبة خاصة على المسلمين واخرى للاروبيين فاصبحت الضرائب الجزائرية تشمل : الضريبة العقارية على الأملاك المبنية والغير المبنية والضريبة على الدخل وراس المال المنتقل والضريبة على ارباح الفلاحة والضريبة على ارباح الصناعة والضريبة على ارباح الصناعة والتجارة والضريبة على ارباح الحرف الغير التجارية والضريبة على محلات الاحتراف والضريبة التكميلية على مجموع الدخل . هذا من حيث الضرائب الشخصية (Directe) اما الضرائب الغير الشخصية (Indirecte) فهي الضريبة على امتياز بيع المشروبات والدخان والضريبة على الكحول والضريبة على تجول الخمور والضريبة على الدخان وعلى اوراق اللعب ؛ وما تستخلصه الادارة من معاليم الديوانة وما يتحصل من معلوم التامبر والتسجيل ، والضرائب على الموازيث وهى معلوم النقل ، ولم تنشأ هذه الضريبة الا سنة ١٩٢٠ .

الاهالي والضرائب ، وقبل ان نخرج من موضوع الضرائب يجب علينا ان نبحث باجمال كيف يتألف الميزان الجزائرى وهل المسلمون يدفعون الضرائب اكثر من الاروبيين او ان الاروبيين هم الذين يدفعون اكثر من المسلمين.

وهذا لايسعنا الان ندلي بكلام يعد حجة في الموضوع من رجل لايمكن

ان يتهم في عدالته او اطلاعه الا وهومسيو موريس فيوليت الوالي العام الاسبق فقد قال في كتابه ذى الاهمية الفائقة «هل تحيا الجزائر ؟» ما نصه :

لاحظ مسيو موراز مقرر ميزانية النيابات المالية ان الاروبيين يدفعون اكثر من الثلثين فى الضرائب الجزائرية . فانا لم امحص هذه المسألة وان كانت امرا ممكنا الا انها على فرض وجودها فهى لا تدل على شيء ، فاذا اعتبرنا جملة الضرائب التى يدفعها الاهالي بالنسبة لعددهم الجسيم امام العنصر الاروبى ؛ خيل الينا انهم ينتفعون من الضرائب التى يدفعون اقلها ؛ ولكن اذا قسنا حمل الضرائب التى يدفعها كل شق من السكان لا بنسبة عدد افرادهم بل بمقدار ثروة كل فريق من الطائفتين يتغير حسابنا الاول . وان العدالة تقتضى ان تتوزع الضرائب لا على نسبة عدد الافراد بل على نسبة مقدرة كل فرد على الدفع . »

فمسيو فيوليت يقول : انا اذا اعتبرنا الضرائب مقسمة على الافراد راينا ان ٩٠٠٠٠٠ اروبى يدفعون ضعفى ما يدفعه ٥٦٠٠٠٠٠ اهلي ، اما اذا اعتبرنا الضرائب مقسمة على حسب الثروة ، بان يدفع كل شخص حسب ثروته الخاصة فان ذلك الحساب يتغير ونرى ان الاروبيين الذين يملكون كل خيرات الجزائر واخصب ارضيها يدفعون اقل ما يدفعه الاهالي الذين لعبت بهم البأساء والضراء ثم يزيد مسيو فيوليت على قوله ذلك بيانا ويقول :

وقع تقدير اداء الاهالي بـ ٥٦٩٠٦٠٠٠ فرنك في محصول الدخل الراجع نفعه للمستعمرة منها ٢٢٠٥٢٠٠٠ ادا‌ءات قارة و ٣٤٨٥٤٠٠٠ فرنك اداءات غير قارة وعليه فان مشاركة الاهالي تكون على نسبة ١٦ في المائة فى مبلغ الاداءات القارة و٢٨ فى المائة في مبلغ الاداءات الغير القارة و٢١ فى المائة فى جملة مدخول الاداء من الميزانية الخاصة . اما الاداء على الفرد فهو ٢٤ «٢٥٠ فرنك بالنسبة للاروبيين و٩٣«١٢ بالنسبة للاهالى .

وعند جمع مداخيل الضرائب التى تنتفع منها ميزانيات مختلفة (الميزانية الخاصة

وميزانيات الدوائر والبلديات) يظهر انه من مجموع ٠٠٠ ٩٨٢ ٣٧٣ يدفع الاهالي ٠٠٠ ٥٩٢ ١٠٠ فرنك اى ٢٧ فى المابة و ٦٩ « ٢٢ فرنك على الراس والقسط الذى يدفعه الاروبيون قدره ٠٠٠ ٢٩٠ ١٧٣ فرنك اى ٧٣ في المابة و ٠٩، ٢٣٢ فرنك على كل ساكن.

ثم قال مسيو فيوليت ان الثروة كانت موزعة في الجزائر قبل الحرب الكبرى حسبما يلي: للاروبيين من مجموع الثروة الجزائرية ٦٣ فى المابة ؛ وللمسلمين من مجموعها ٣٧ فقط ، الا ان هذا الحساب غير صحيح فى نظر مسيو فيوليت ؛ فهو يرى ان ثروة الاروبيين اكثر من ذلك ؛ وثروة الاهالى اقل. ضرورة ان الاروبيين — حسب قوله — يملكون جميع الارض المغروسة كروما ، وكل اراضى الخضر ؛ والقطن ، وارض الثمار والبقول المبكرة ؛ واخصب واغنى ارض زراعة الحبوب . فاذا راينا الاروبيين يدفعون ٧٣ في المائة من الضرائب ، والاهالى ٢٧ منها ، فليس ذلك بالامر الغريب . ثم يقول : « يجب علينا ان نقول الحق ؛ فان العائلة الاهلية تعيش في وسط صحي يؤسف له غاية الاسف ، وليس لها في الاكثر من مسكن غير كوخ من اغصان الشجر او بيت حقير ابتني بالحجارة المجففة ؛ يحيط به سور من شجرات التين الشوكى . وليس لتلك العائلات البائسة من ادوات في مساكنها غير ماعون الطبخ الذى يشتغل كل يوم باحضار نوع واحد من الغذاء لا يكاد يكفى لسد حاجة الجسم فتنتهى الانحطاط المادي والامراض تفتك بهذه الاوساط فتكا ذريعا » (١)

لهذا فالامر المحقق هو انه اذا نظرنا الى توزيع الضرائب توزيعا عادلا حسب ثروة كل فريق ، راينا ان الاهلي يدفع اكثر من الاروبي ؛ ويتحمل بقسط وافر من الضرائب اكثر مما تتحمله ثروته التافهة .

الضرائب العربية :ثم نرجع الى حديثنا عن انواع الضرائب الجزائرية ؛ فنقول انه لا تزال في ارض الجنوب العسكرى توجد « الضرائب العربية » المذكورة آنفا

---

(١) هل تحيا الجزائر ٠ ص ١٢٦

وهي الزكاة والعشر والاداء على النخيل . ومدخول هذه الضرائب لا يدخل في ميزانية الجزائر ، ولا نظر لمجلس النيابة المالية عليه ، بل يدخل في ميزانيه اراضى الجنوب الخاصة .

الحالة المالية الجزائرية ، كانت حالة الجزائر المالية حسنة للغاية قبل الحرب الكبرى ، فكانت ديونها قليلة واحتياطها كبير. وكانت الجزائر قد عقدت قرضين : اولهما سنة ١٩٠٢ وقدره ٥٠ مليونا من الفرنكات والثاني سنة ١٩٠٨ وقدره ١٧٥ مليونا . وقد كانت ميزانية الجزائر سنة ١٩٠١ تبلغ ٥٧ مليونا و ذلك عندما اعلن الاستقلال المالي فلا زالت تنمو بفضل النيابات المالية حتى اصبحت ١٦٠ مليونا سنة ١٩١٣ ؛ وكان مجلس النيابات المالية يبالغ في ادخار فواضل الميزانية بخزينة الاحتياطى حتى اصبح عند الجزائر ١١٥ مليونا اقتصدتها في ١٣ عاما ، لكن الحرب عامة قد بدات الحالة فقضت على الاحتياطى كله ولم يمكن تصفية حسابات ايام الحرب الا بواسطة قرض ثالث عقدته الجزائر و مبلغه ٤٠٥ ملايين ثم عقدت قرضا آخر جسيما مقداره مليار وستماية مليون ، يصرف اقساطا متوالية للقيام باشغال عامة ؛ وذلك ابتداء من عام ١٩٢١ ثم ان الجزائر اثر الحرب قد بذلت جهدا عنيفا لاصلاح ماليتها ، فسددت ديونها للبنك وضاعفت قيمة الضرائب ؛ واخذت من جديد تكون مالها الاحتياطى حتى جمعت منه مقدارا وافيا ، واصبحت ميزانية الجزائر التي كانت عام ١٩١٤ تبلغ ١٧٥ مليونا : ٦٧٣ مليونا عام ١٩٢٦ ، و ٦٨٢ مليونا عام ١٩٢٧ ؛ و ٩٩٨ مليونا عام ١٩٢٨ ؛ ومليار و ٣٤٠ مليونا عام ١٩٢٩ ،

الا ان الضرائب اصبحت ثقيلة واخذ الناس من اوربيين ومسلمين يضجون منها . وهنالك ضجة يقوم بها ممثلو الصناعة والتجارة والحرف الحرة ، يقولون ان الفلاحة في الجزائر وهي الثروة الكبرى بايدى المستعمرين لا تدفع من الضرائب ما يوازى ارباحها الجسيمة ، بينما الصناعة والتجارة وغيرها تدفع اضعاف ما تتحمل . والمسلمون ينتقدون بشدة مجلس النيابات الاهلية لانه من جهة لا يمثلهم التمثيل اللائق بهم من حيث العدد كما رايت ، ولانه من جهة اخرى يقتصر على

المشاريع الاهلية تقتيراً لا يسمن ولا يغني من جوع . فلا ينال الاهالي من الميزان الواسع الا النزر اليسير ؛ بينما حالتهم لا تزال متدرجة من سيء الى اسوأ . وتقهقرهم المادي والادبي لا يزداد الا تفاقما .

مستقبل النيابات المالية — والدوائر السياسية تتكلم بنشاط عن اصلاح مجلس النيابات المالية . وبعض الدوائر الاخرى ترى وجوب الغائه بالمرة وادماج الجزائر من جديد في فرنسا فتكون لكليهما ميزانية واحدة . الا ان العنصر الاستعماري بهذه الديار ، وهو صاحب الحول والطول فيها ، لا يوافق ابدا على الغاء هذه المجالس التي اصبح بها مالكا لناصية المالية الجزائرية ، بل هو يتدرج بها رويدا رويدا نحو استقلالها وتوسيع سلطتها . ولربما وصل يوم ليس ببعيد يتحصل فيه على اعطاء ذلك المجلس صبغة تشريعية ، وعندها تصبح الجزائر « دومنيونا » تماما . اي مستعمرة مستقلة كالمستعمرات الانكليزية مثل كندا والكاب واستراليا . فهل يشتغل رجال السياسة المسلمين في هذه البلاد -- ان كان بها من يصح ان يدعوا رجال سياسة - بدرس هذه المسائل عن كثب ، وتقرير موقفهم في هذه المسائل الخطرة الحيوية ، قبل ان يقضى امرها ويبت وهم نائمون ؟

المجلس الاعلى

تأسس هذا المجلس العالي بامر صادر في ١٠ دسامبر ١٨٦٠ وانتظم حسب حالته الحاضرة بامر صدر في ٢٣ اوت ١٨٩٨ . وهذا المجلس يشمل ستين عضوا ، منهم ٣١ منتخبا و ٢٩ عضوا حكوميا رسميا .

فاما الاعضاء المنتخبون فهم : ٦ نواب عن قسم المستعمرين بمجلس النيابات المالية و ٦ نواب عن قسم الغير المستعمرين به و ٤ نواب فقط عن القسم الاهلي بالمجلس منهم ٣ عرب وواحد قبائلي بربري و١٥ نائبا عن مجالس العمالات الثلاث ، كل مجلس ينيب عنه اربعة من الاروبيين وواحدا من الاهالي فمثلوا مجلس العمالات ومجلس النيابات المالية يبلغون ٢٤ اروبيا و٧ من المسلمين الجملة ٣١ .

والاعضاء المعينون وعددهم ٢٩ هم اعضاء مجلس الحكومة وقياد الجيش واربعة من كبار المتوظفين الجزائريين يعينهم الوالي العام وثلاثة من الاهالي يعينهم الوالي كذلك فيكون بالمجلس الاعلى ٦٠ نائبا منهم ١٠ من المسلمين ، وقد كان الارشفيك رئيس الدين المسيحى بالجزائر عضوا رسميا في المجلس الاعلى الا انه فصل عنه بقرار صادر فى ١٦ ماية ١٩٠٧ وذلك تنفيذا لقانون فصل الدين عن الدولة .

والمجلس الاعلى يعقد جلسة اعتيادية واحدة كل سنة عندما يتم مجلس النيابات تقرير الميزانية ، وللوالى العام ان يدعو المجلس لعقد جلسة فوق العادة ولاتكون جلساته قانونية الا اذا حضر ٣١ عضوا ويكون اقتراعه علنيا الا اذا طلب الاقتراع السرى عشرة اعضاء على الاقل فهذا المجلس ينظر فى الميزانية التى اتم مجلس النيابات المالية المصادقة عليها ، وليس له الحق فى زيادة اى مصاريف جديدة انما له ان يخفض من ارقام المصاريف الاختيارية فقط وليس له الحق في المداولة الا في المسائل التى يعرضها عليه الوالي العام ، او يعطى آراءه في المسائل التى لاتعلق لها بالسياسة الحكومية

والوالي العام يفتح هذا المجلس بتلاوة « تقرير عام عن الحالة في ارض الجزائر هو وثيقة تاريخية تشمل كل ما وقع بالجزائر في كل نواحى الحياة خلال السنة ثم يلقي الوالي خطاب الافتتاح ويضمنه خلاصة الاعمال الادارية ، وبعد ذلك ينقسم المجلس الى لجان : ١ — لجنة الادارة العامة وادارة العمالات والبلديات ٢ — لجنة المالية وهى اهم اللجان ٣ — لجنة الاستعمار والفلاحة والتجارة ٤ — لجنة الاشغال العامة وتتفاوض اللجان والمجلس في الميزانية ونظرها محدود فيها وفى بعض الاقتراحات التى يقدمها الوالي العام او الاعضاء ؛ ولما يتم المصادقة على الميزانية بعد تحويرها قليلا ترسل لفرنسا لاتمام العملية : مصادقة مجلس شورى الدولة وقرار البرلمان .

فانت ترى ان الاستقلال المالي الجزائرى ليس تاما بل هو استقلال ضيق تحت مراقبة فرنسا الفعلية .

مجلس المراقبة المالية

وزيادة على المراقبة الفعلية التى يجريها « المراقبون » الذين يسميهم الوالي العام في الجزائر، وزيادة على مراقبة وزارة الداخلية ووزارة المالية بفرنسا لميزانية الجزائر فان الوالي العام الجزائرى يعين عند انتهاء كل سنة مالية مجلسا مؤلفا من ثلاثة نواب ماليين (١ من المستعمرين و١ من غير المستعمرين و١ من الاهالي) ونائبين من المجلس الاعلى ، ومراقب المالية العام ومستشار حكومي وهذا المجلس يعيد نظرا فى الميزانية السالفة وينظر كيف وقع تنفيذها ويقابل بين حساب الوالى العام وحساب القابض العام ويعرض تقرير هذا المجلس على مجلس النيابات الماليةوالمجلس الاعلى ليعلنا مصادقتها عليه .

الحجرات التجارية

توجد بالجزائر سبع حجرات تجارية مركزها فى : الجزائر ووهران وعنابة وسكيكدة وقسنطينة وبجاية و مستغانم ، وهى تشتغل بكل ما يتعلق بالتجارة وما يدافع عن مصالح التجار . وقد تأسست هذه الحجرات بامر صادر في ٩ افريل ١٨٩٨ ويمكن لحجرات التجارة ان تتذاكر راسا مع الوزارات الفرنسية فى امور التجارة والاقتصاد الا انه يجب عليها ان تطلع العامل والوالى على مذاكراتها .

والوالى العام هو الذى يصادق على ميزانيات الحجرات التجارية .ومواردها تكون غالبا من اعمال المراسى والنقل البحرى والمعاملات المالية المحلية . وميزانية غرفة تجارة الجزائر بلغت هذه السنة زهاء ٣٢ مليونا ، والناخبون لحجرات التجارة هم سائر التجار الذين يدفعون الاداء عن تجارتهم ويسجلون اسماءهم في سجل الانتخابات التجارية سواء كانوا اروبيين او مسلمين ، انما لا يجوز ان يكون عدد الناخبين المسلمين متجاوزا للعشر من مجموع عدد الناخبين اما الاعضاء المسلمون فلا يكونون الا اربعة فقط فى الجزائر (وكانوا ٣ الى آخر سنة ١٩٣١) و ٢ في كل مجلس من المجالس الستة الباقية . وقد ابتنيت بورصة مالية في مدينة الجزائر سنة ١٨٥٢ ثم وقع

انشاء بورصة في وهران واخرى في عنابة . وهنالك محاكم تجارية يشارك التجار في انتخاب اعضائها ، الا انه ليس للمسلمين الحق في التقاضى لدى المحاكم المختصة بالتجارة الفرنسية لذلك لايشارك المسلمون فى انتخاب أولئك الاعضاء وتسهر غرفات التجارة سهراجديا على مصالح التجارة والصناعة بالجزائر وتعنى عناية خاصة بترويج النتائج الجزائرية.

حجرات الفلاحة

وهي في قطر الجزائر اكثر اهمية واوفر عملا من حجرات التجارة ، ذلك لان الاستعمار في الجزائر كما اسلفنا هو اكسير الحياة الفرنسية في البلاد ؛ فالحجرات التى تعنى بمصالح الفلاحة والاستعمار هى الحجرات التى تصنع اكسير الحياة وقد صدر الامر بانشاء هذه الحجرات الفلاحية في ٣١ مارس ١٩٠٢.

فكل عمالة جزائرية لها فى مركزها الادارى غرفة للفلاحة تشمل ٢٢ عضوا منهم ١٦ من الفرنسيين و ٦ من الاهالي؛ والوالى العام هو الذى يعين الاهالى الستة تعيينا . اما الاعضاء الفرنسيون فينتخبهم الفلاحون المستعمرون انتخابا حرا ويشارك في انتخابهم العملة الفلاحون الفرنسيون ومديرو ومدرسو المدارس الفلاحية والمرأة الفرنسية ان كانت من تلك الطبقات تشارك في الانتخاب . وذلك هو انتخابها الوحيد ويتعين الاعضاء لمدة ستة اعوام ويتغير نصفهم كل ثلاثة اعوام وجلستهم تنعقد مرتين فى السنة فى مارس ونفامبر . ويمكن للوالى ان يستدعى الحجرات الفلاحية لعقد اجتماعات فوق العادة ، وتتفاوض هذه الحجرات فى جميع ما يتعلق بالفلاحة وغراسة الاشجار والتعليم الفلاحى . والحجرة الفلاحية كالحجرة التجارية تملك الذاتية القانونية فيمكنها ان تملك وان تطالب وان تكون مطلوبة . ولو ان النواب المسلمين ولو كانوا معينين بهذه الحجرات ،ولو كان عددهم ضئيلا اهتموا بالمسائل الفلاحية حق الاهتمام ودرسوا حق الدراسة ما يحتاجه ابناء ملتهم البائسون وسوادهم الاعظم لا يعيش الا من حثالة الارض الباقية لديه ؛ لامكنهم ان يقدموا بين يدى امتهم خدمات جليلة تذكر وتشكر . وفقهم الله .

المجلس الفلاحى الاعلى لقطر الجزائر

تاسس هذا المجلس حسب قانون ١٥ افريل ١٩١٤ ، ووظيفه هو كما جاء في نص القانون : اعطاء رايه في جميع المسائل التى يعرضها عليه الوالى العـام . » وخاصة في كل ما يتعلق بادخال تغيير فى القوانين والنظم المتعلقة بالفلاحة وتربية المواشى ، والمسائل الاجتماعية والاقتصادية والمالية والجمركية المتعلقة بالفلاحة او الصناعة الفلاحية. والوالى العام هو رئيس هذا المجلس ومعه مدير الفلاحة وثلاثة اعضاء من مجلس الحكومة الاعلى ينتخبهم زملاؤهم وستة نواب من النيابات المالية الفرنسية وثلاثة من النيابة الاهلية ورؤساء المجالس العمالية الثلاث او ثلاثة اعضاء تعينهم تلك المجالس ورئيس جمعيات الفلاحين الجزائريين او نائب عنها ؛ ورئيس او نائب عن جمعية فلاحي وهران وجمعية فلاحي قسنطينة وغيرهم من اعيان الفلاحين ورجال الفن يعينهم الوالى العام . ويجتمع هذا المجلس على الاقل مرة كل سنة .

*

* *

تلك هى في مجموعها المجالس المنتخبة المختلفة فى ارض الجزائر . وقد لاحظت كيف ان العنصر الاسلامي فيها لاينال قسطه الطبيعى او حتى نصفه من التمثيل فيها ؛ والحال انه لايوجد اى مبرر معقول او شبيه بالمعقول لجعل العنصر الاسلامى اقلية ضئيلة بالمرة في جميع المجالس المنتخبة هى تارة العشر وتارة السدس وتارة الربع ولا تكاد تصل ابدا الى الثلث . هذا ولو ان المسلمين استعاضوا عن هذا النقص العددى بقيمة نوابهم فلا ينتخبون الا الكفء القادر على تمثيلهم والدفاع عن مصالحهم وابلاغ اصواتهم ورغائبهم خلال المجلس لرجال الحل والعقد لهان الخطب قليلا ؛ الا انهم طالما انتخبوا من سوء الحظ من هم دون ذلك فاضاعوا مصالحهم وفرطوا في واجباتهم وبقوا بفضل اولئك النواب فى معزل عن الحياة العملية بارض الجزائر التى هى ارضهم وبلادهم .

القســم الحادي عشر

١٥ — ١٦

التعليم العام في الجزائر

البـاب الاول

التعـليم الرسمى

رأيت الشجرة الكبيرة ، وقد ذبلت اغصانها وتناثرت اوراقها من شدة الظمأ واشتاقت قطرة الماء التى هى املها الوحيد فى الحياة وهي الواقية لها من الموت ؟ تلك هى امة الجزائر وذلك هو اشتياقها للتعليم وذلـك هو المثـال الذى يصور لك شدة تعطشها اليه ، وناهيك بامة تبلغ درجة الامية فيها نحو ٩٥ في المائة من مجموع افرادها ولها جيش عرمرم يبلغ نحو السبعمائة الف من الصبيـان لا يجدون الى التعليم سبيلا .

ان الجزائر وان كانت ليست خالية من التعليم وليست واقفة تجـاه هذا المشكل الاكبر موقف العاجز الحائر القوى ، فان ما هو موجود فيها لا يناسب بالمرة درجة تقدمها المادى ولا يفى اصلا بحاجتها او ببعض حاجتها .

اذا نحن نظرنا الى التعليم الموجود بارض الجزائر نجده قد انقسم الى قسمين بينهما بون شاسع وفرق غريب : تعليم الفرنسيين والاروبيين عامة وهو منتشر انتشـارا غريبا وهو اجبارى على العموم فلست تجـد ابـدا اية قرية او دشرة او مركـز صغير من مراكـز الاستعمار الا ورايت به بناية المدرسة الجميلة و وجـدت كل اطفال القرية او المركز تفد ـ اجباريا ـ زرافات و وحدانا على المدرسة ، فلست ترى ابدا في الاوساط الفرنسية والاروبية من ولد امي لا يجد في المدرسة مقعده الفسيح . ثم تعليم المسلمين وهو

يسير الهوينا مشية الاعرج الهرم . فتجد البوادى والقرى والمدن عامرة بالآف الاطفال الذين يذهبون كل غرة اكتوبر الى المدارس فلا يجدون بها مقاعد لهم . فيعودون ادراجهم القهقرى وقد امتلات انفسهم ياسا والما ويهيمون على وجوههم فيعيشون اميين جهلاء لا يعرفون من الوجود الا ما يعرفه المرء بالغريزة و بتعامه بالمخالطة ، وما اسعد من ساقته المقادير يومئذ الى مكتب قرآني او مدرسة عربية حديثة اوزاوية يتلقى بها علوم ءابائه الاولين .

التعليم الابتدائى

هو في الجزائر يتبع مبدئيا نظام التعليم فى فرنسا ، فنجده خاضعا لقوانين ١٦ جوان ١٨٨١ المتعلقة بمجانية التعليم الابتدائى، ولقانون ٢٨ مارس ١٨٨٢ المتعلق بالاجبار على التعليم الابتدائى . وفي كل عمالة جزائرية يوجد مراقب عام للتعليم ، ومراقبون ابتدائيون ؛ ومجلس عمالي للمراقبة . ومبدئيا يجب ان يكون فى كل مركز بلدية تامة او بلدية ممتزجة مدرسة واحدة عمومية على الاقل والتعليم اجبارى فى كل تلك المراكز على البنين والبنات من سن السادسة الى سن الثالثة عشر ؛ وذلك فيما يتعلق بالاروبيين خاصة ، اما الاهالي فلا يكون اجباريا عليهم الا عندما يصدر امر من الوالي العام بذلك . والى الآن لم يصدر ذلك الامر وليس صدوره بقريب .

فاذا نظرنا الى التعليم الابتدائي من حيث تقسيمه ومدارسه ؛ راينا ان المدارس الابتدائية الخاصة بالاروبيين تشمل ما يلي :

١ — مدرستان لتخريج المدرسين، الاولى في بوزريعة قرب الجزائر والثانية في قسنطينة .

٢ — ثلاث مدارس لتخريج المدرسات الاولى في مليانة والثانية في قسنطينة والثالثة في وهران .

٣ — ١٠ مدارس ابتدائية عليا للذكور تقع فى : الجزائر و بوفاريك والحراش وقسنطينة وسيدى بلعباس و مستغانم و مليانة و باتنة وسطيف والمدية .

٤ — ٨ مدارس ابتدائية عليا للاناث تقع في : الجزائر والبليدة و مليانة وقسنطينة معسكر و مستغانم وسطيف وسيدي بلعباس .

٥ — ١٥٣٠ مدرسة ابتدائية تشمل ٢٧٩١ قسما .

٦ — ١٠٦ مدارس امومية عامة .

وجملة الاوروبيين الذين يتلقون علومهم بهذه المدارس يبلغون زهاء ١٣٦٠٠٠ من البنين والبنات (وجملة الاوروبيين ٩١٣ الفا .)

اما المسلمون فكل الذين يتعلمون منهم في المدارس الحكومية هم ٦٠ الفا (وجملة المسلمين نحو ٦ ملايين فالتعليم يعطى لواحد في المابة من المسلمين ولنحو ١٥ في المابة من الاوروبيين) فاذا اعتبرنا ان العدد الذي يجب ان يتلقى التعليم الابتدائي هو ١٥ في المابة من مجموع السكان كنسبة عدد التلامذة الاوروبيين لمجموع السكان وجدنا ان جملة الصبيان المسلمين الذين يجب ان يتلقوا العلوم الابتدائية يجب ان يبلغ عددهم ٨٤٠ الفا . فاذا طرحنا من ذلك العدد ٦٠ الفا يتلقون علومهم بالمدارس الحكومية بقي لدينا ٧٨٠ الفا من الصبيان لايتلقون اى تعليم حكومي .

من المسلمين من يتلقى علومه في نفس المدارس الفرنسية و ذلك قليل لايجاوز عدده ٩ الآف فقط ، اما البقية وهي ٤٨ الفا فتتلقى العلوم الفرنسية في مدارس خاصة تدعى اسما المدارس العربية الفرنسية وان لم يكن للعربية فيها نصيب ، وعدد هذه المدارس في كل القطر الجزائري ٥٤١ مدرسة منها ٥١٩ مدرسة للذكور بها ١٠٣٣ قسما . وتلاميذها ٤٥ الفا و ٢٢ مدرسة للبنات بها ٨٠ قسما وتلميذاتها ٣٠٠٠ فقط .

التعليم الثانوي

وهو في برنامجه تابع ايضا لبرامج فرنسا، انما فيه مكان ضيق جدا حسب تعبير المأسوف عليه مسيو لارشي للغة العربية . ويوجد للتعليم الثانوي بالارض الجزائرية ثلاث ليسيات (مدارس عليا) اولها بالجزائر وله فرع في ابن عكنون قرب الجزائر وفرع في حي مصطفى باشا بالجزائر وثانيها في قسنطينة وثالثها بوهران . وثماني

مدارس عليا من نوع «كوليج» تقع في البليدة والمدية ومستغانم وتلمسان وعنابة وسكيكدة وسطيف وسيدى بلعباس .

ثم توجد عشر مدارس ثانوية حرة اروبية .

وتوجد ثلاث ليسيات للبنات : بالجزائر وقسنطينة ووهران وكوليج بلدى في عنابة ودرس ثانوى بسكيكدة .

ودخول الليسيات والكوليجات مباح للمسلمين والتعليم فيها ليس مجانيا والعربية فيها مكانة ضئيلة جدا اختيارية . وادارة الليسيات والكوليجات تختار مدرسين لتعليم الدين الاسلامي لمن يطلب ذلك من التلامذة فى ساعات مخصوصة وبثمن مخصوص قدره ١٢٠ فرنكا في السنة فى الليسى ، ولوكانت ادارة الليسيات تحسن دائما اختيار اساتذة الدين الاسلامى، ولوانتبه كل المسلمين الذين يزاولون التعليم بالليسيات لاهمية هذه الدروس لكانت لها نتيجة طيبة ، اما بالكوليجات فان المدرسين الرسميين الذين تعينهم الادارة بالمساجد هم الذن يقومون بالتدريس العربى الاسلامى .

والذى يبشرنا بمستقبل حسن هو ان المسلمين يزدادون يوما فيوما اقبالا على التعليم الثانوى ويشاركون فيه مشاركة لاباس بها، ولولا فقر الاوساط الاسلامية من جهة وارتفاع أجور التعليم الثانوى من جهة اخرى لكان اقبال ابناء المسلمين اكثر من ذلك على هـذا النوع من التعليم .

التعليم العالى

له فى مدينة الجزائر جامعة علمية (*Université*) تشمل اربع كليات اولها كلية الحقوق ، وهى تدرس الحقوق العامة والفرنسية والنظم الجزائرية والقوانين الاسلامية وتمنح شهادة الليسانس في الحقوق والدكتورا ، وثانيها . هو كلية الطب والصيدلة وثالثها كلية الآداب ؛ وتكاد تشتغل خاصة بكل ما يهم المشرقيات ، ففيها بالنسبة للادب الفرنسى درس للاداب الفرنسية و درس للغات والاداب القديمة ودرس للاداب واللغات الحديثة وفى مقابل ذلك يوجد درس للفلسفة الاسلامية

ودرس لتاريخ الفلسفة الاسلامية ؛ و درس للغة العربية الفصحى و درس للاداب العربية الحديثة و درس للاثار الافريقية و درس لجغرافية افريقيا ودرس لتاريخ شمال افريقيا و درس لتاريخ التمدن الاسلامى الى غير ذلك .

فهى معهد للعلوم الاسلامية الجزائرية يستفيد منه الاروبيون وقليل من المسلمين كثيرا . وتمنح هذه الكلية للطلبة : شهادة العلوم التاريخية وشهادة الدراسة العليا للغة العربية وءادابها وشهادة للغة العربية واخرى للغة القبائلية ؛ وشهادة الكفاءة لتدريس اللغة العربية باللِيسيات والكوليجات وتمنح اخيرا الدكتوراء في الاداب والقسم الرابع من الجامعة هو مدرسة العلوم .

ويوجد من ابناء المسلمين نحو ٧٥ طالبا يتلقون التعليم بمختلف الكليات اغلبهم فى الحقوق ثم الاداب ثم الطب ؛ و منهم ١١ طالبا ينالون الاعانة الدراسية الاولية ومبلغها ٣ ءالاف فرنك في السنة .

التعليم الابتدائي العربي

راينا ان الستين الفا من ابناء المسلمين الذين يتلقون علومهم فى المدارس الابتدائية الحكومية لاينالون من العربية اى نصيب ؛ والذى يجب ان نلاحظه هنا بكل اسف وكدر هو ان البرنامج العلمي الحكومى لايعتنى اى عناية لاكبيرة ولا صغيرة بالتعليم العربي ، فبرنامج التعليم الابتدائي للمسلمين هو برنامج اروبى بحت ؛ والاغرب والاعجب ان الادارة تعنى بعض عناية بالتعليم الثنوي والعالى العربى بواسطة المدرسين والمدارس ؛ ولاتعني اي عناية بالتعليم الابتدائى العربي و لولا ان المسلمين اعتمدوا على انفسهم وعلى مؤسساتهم العتيقة والحديثة لما كانت حتى المدارس الحكومية تجد طلابا يعمرون مقاعدها .

فالتعليم الابتدائي العربي من الناحية الحكومية مهمل اهمالا تاما لانجد كيف نصفه او ماذا نقول عنه .

﴿ التعليم التحضيري ﴾

وهو يبث في الاوساط الاسلامية بواسطة المدرسين في المساجد ، وقد عين قرار حكومي فى ٣٠ اجوان ١٨٩٨ مراكزهم وهم ٣٣ مدرسا ، يشترط ان يكونوا متخرجين من القسم العالي بالمدرسة الثعالبية ؛ فيعلمون الناس فى ٣٣ بلدة من بلاد الجزائر وفي المسجد الاكبر من مساجدها ، ما يريدون ان يتعلموه من نحو او فقه او توحيد ، وليس لهم برنامج معين يسيرون عليه او منهاج ينفذونه بل هم يعلمون حسب اجتهادهم او حسب رغبة الناس غالبا .

بعض هؤلاء المدرسين توفرت فيه شروط الكفاءة والاخلاص فهو يعتقد انه يقوم بواجب مفروض وان عليه ان يخلص لله ولوطنه وللذين عهدوا اليه بمهمة التعليم فهو يبذل جهده ويكتسب ثقة اهل البلد ويمكنه ان يفيد كثيرا ويهيء طلبة لدخول احدى المدارس الاسلامية الحكومية .

ويقال — والعهدة على الراوى — ان فيهم من لم تتوفر فيه شروط الكفاءة ، او شروط الاخلاص او كل الشروط معا فيعتبرون ذلك الوظيف العوبة وعبثا ويسلكون سيرة تنفر الناس منهم فلا يكون لوجودهم من فائدة . وتتخذهم الادارة حجة على الامة فتقول اننا وضعنا لكم المدرسين في المساجد فابيتم ان تتلقوا عليهم العلوم .

انا لا اصدق انه يوجد في طبقة المدرسين مثل هؤلاء الاسافل الادناس الذين بدل ان يمدوا ايديهم لانتشال امتهم من وهدة الجهل ، ولانقاذ لغتهم ولغة دينهم ولغة ءابائهم واجدادهم من مهاوى الاضمحلال ؛ يكونون بدل ذلك من جملة المعاول الهدامة المخربة ويخونون الله ويخدعون الوطن ولا يخافون عقاب الاخرة ولا توبيخ الضمير .

اما المرتبات التى ينالها هؤلاء المدرسون فهى كما يلي : لمرتبة التدرب ١١٠٠٠ في السنة وللمرتبة الثالثة ١١٥٠٠ وللمرتبة الثانية ١٣٧٠٠ وللمرتبة الاولى ١٥٧٠٠ وللمرتبة فوق العادة ١٨٧٠٠ وللمرتبة الممتازة ٢٠٥٠٠ : ويقدر عدد الذين يحضرون دروس المدرسين فى كل البلاد بنحو ستماية طالب .

وان كان لى ان اقول كلمة لهؤلاء المدرسين ، فانا اقول لهم ايها السادة اتقوا الله واعلموا ان المسؤولية الملقاة على عاتقكم عظيمة جسيمة امام الله وامام الناس اجمعين وانكم يجب ان تكونوا بسيرتكم وباعمالكم وبما تبثونه من العلوم والنصائح فى الاوساط التى كلفتم بالتدريس فيها مثالا حيا للتضحية ولنكران الذات ولتكريس الحياة باسرها في نفع الامة وانقاذ لغتها و بث فضائل الدين وسامى الاخلاق وجميل الخلال فيها ؛ وما ضركم لو اندفعتم في سبيل الله تبثون العلوم فى الناشئة المهملة وتسيرون خلفها لجمعها وتثقيفها وتهذيبها ؟ ان لم يكن ذلك هو واجبكم امام الادارة ، اليس ذلك هو واجبكم امام ضمائركم وامام الله .

هذا ولنا ثلاث ملاحظات يجب ان نقولها بصدد المدرسين :

الاولى -- ان عدد ٣٣ مدرسا لا يكفى بالمرة ؛ فما لكثير من القرى والنواحى خالية من مدرس رسمى : فالواجب رفع ذلك العدد الى ١٠٠ على الاقل فى جميع نواحى القطر الجزائرى .

الثانية — من العبث ان يبقى حبل التعليم ملقى على غاربه ، فيجب ان تهيء ادارة العلوم برنامجا تاما للتعليم العربي الاسلامى الابتدائى يشمل مبادى علوم اللغة وعلوم الدين والعلوم الرياضية حتى يكون المدرس فى المسجد قائما مقام مدرسة ابتدائية عربية ويستطيع التلامذة ان يتلقوا عنه تعليما ابتدائيا عربيا حسب برنامج محكم ، يكفيهم ان اقتصروا عليه ويهيئهم لدخول المدارس الثانوية ان ارادوا اتمام معلوماتهم والواجب مع هذا ان تقع مراجعة مرتبات المدرسين بصفة تجعلهم لا يفكرون الا في العلم والتدريس .

ثالثا — يجب ان لا يتولى خطة التدريس الا من فاز في امتحان خاص شفاهى وكتابي تشرف عليه لجنة علمية عليا ويمكن ان يشارك فيه المتخرجون من المدارس الجزائرية كما يشارك فيه المتخرجون من غيرها ؛ اذ من الغريب العجاب ان يرجع الجزائرى الى وطنه حاملا شهادة الزيتونة او الازهر بعد ان تغرب فى سبيل العلم

وذاق الامرين فلا يستطيع ان يشارك في اي وظيف ديني او تدريسي في قطر الجزائر. وان كانت الادارة تريد ان تقصر التعليم على المدارس وحدها وتجعل الجزائريين يقبلون على تلك المدارس الثلاث اقبالا شديدا ويهجرون الزيتونة او الازهر، فليست هذه هي الطريقة التي توصلها لمقصودها، انما الطريقة الوحيدة هي ان تعيد نظرا في برنامج المدارس وتصلحها وتجعل تعليمها موازيا للتعليم في الزيتونة مثلا، وعندئذ لن ترى في الجزائريين من يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير.

اقول هذا لانه رأيي وان كنت اعتقد انه لن ينفذ بحال من الاحوال.

التعليم الثانوي والعالي

قال مسيو كومب في تقريره الذي قدمه لمجلس الشيوخ في ٢ فراير ١٨٩٤ ما نصه : كان التعليم العالي يشمل في ارض الجزائر جما غفيرا من الناس المتعطشين للعلم والمعرفة يجلسون حول شيوخ علماء محترمين، لا يتلقون عنهم علوم الشريعة وقوانينها فحسب بل يتلقون ايضا علوم الرياضيات والآدب والهيأة. فكانت نتيجة انتصار اسلحتنا ان تفرق الشيوخ والطلبة واضمحل التعليم العالي.»

رات الحكومة نفسها بحاجة الى تكوين طبقة من العلماء الدينيين يتولون المناصب الشرعية فقررت في ٣٠ سبتامبر ١٨٥٠ تاسيس مدارس عربية اسلامية في المدية وتلمسان وقسنطينة، وقد نقلت من بعد مدرسة المدية الى البليدة ثم الى العاصمة الجزائر وقد قال مسيو جونمير مدير المعارف في تقرير له عن المدارس نشر في دسامبر عام ١٨٩٤ ما نصه : ان هذه المدارس لم تعط النتيجة التي كانت تتوقعها الحكومة منها وذلك نظرا لقصر سنوات الدراسة ولانحطاط مستوى التعليم» واثر ذلك وقع ادخال تنقيحات عديدة على نظام المدارس الثلاث.

قال لارشى : ان هذه المدارس تعتبر تابعة للتعليم العالي اذا راعينا بعض العلوم التي تلقى بها، وتعتبر من مدارس التعليم الابتدائي من حيث درجة الطلبة العلمية ومن حيث المرتبة الضئيلة جدا التي للعلوم العصرية بها.»

ولقد اعيد تنظيم المدارس كما قلنا واصبحت مدة الدراسة فيها اربعة ، ويشترط في الطلبة الذين يريدون الالتحاق بها الاحراز على الشهادة الابتدائية الفرنسية وعلى « معلومات عربية » .

والمدرسون فيها يكونون من المسلمين الذين تخرجوا منها ومن الفرنسيين، والعلوم التى تدرس بها هى : اللغة الفرنسية والجغرافيا والتاريخ والقوانين والنظامات الادارية والحساب ومبادى الهندسة والعلوم الطبيعية والكونية وحفظ الصحة.

ثم اللغة العربية و التوحيد والفقه الاسلامى .

فاذا اتم الطالب برنامج الدراسة الاول ومدته اربعة اعوام ، تحصل على الشهادة الابتدائية من المدرسة ، ثم يدخل بعد التحصل على تلك الشهادة الى القسمين العاليين في الثعالبية بالعاصمة حيث يتلقى علوم الفقه والتفسير والآداب العربية وتاريخ التمدن الفرنسى و مبادى الحقوق الفرنسية والنظام الادارى الجزائرى . ولا يمكن لكل طالب نال الشهادة الابتدائية ان يلتحق بالقسمين العاليين لان ذلك يقصر كل عام على عشرة فقط من تلامذة المدارس الثلاث والطالب الذى لاينجح فى القسم النهائي عند نهاية العامين تقطع عنه الاعانة و يمكنه ان يبقى فى المدرسة ان اراد على حسابه الخاص وذلك ايضا معلق على ارادة المدير والادارة العليا .

وعندما ينجح الطالب في الامتحان النهائى بعد السنتين ياخذ « شهادة العلوم العليا » وقد الحق بالمدرسة الثعالبية قسم تجارى يتلقى فيه بعض الطلبة بسايط العلوم التجارية باللغتين العربية والفرنسية وهذه الدروس اسستها غرفة تجارة الجزائر ولا تمنح المدرسة شهادات خاصة لها بل ينص فى الاجازة على ان حاملها فاز في امتحان التجارة وتلاميذ المدارس الثلاث يبلغون كلهم ١٤٠ تلميذا ، والتلاميذ يتقاضون اعانة شهرية قدرها ٢٥٠ فرنكا لمن كانت عائلته خارج المدينة التى بها المدرسة و١٢٥ فرنكا فقط للتلامذة المستقرين بالمدينة ويشترط فى راغب دخول المدرسة ان يكون سنه بين ١٥ و ٢٠ عاما ويسكن الطلبة فى المحلات المعدة لهم بحجرات المدارس .

والاقبال على هذه المدارس ضعيف بالمرة كما رايت ؛ وذلك اولا لضعف التعليم العربى بها وعدم كفايته بالمرة واقتصاره على اساليب عتيقة اكل الدهر عليها وشرب اما المعلومات الفرنسية فانها تلقى بعناية خارقة للعادة الى درجة ان المتخرج من القسم السادس من المدرسة يمكنه ان يشارك بنجاح عظيم في شهادة الباكلوريا ويفوق احيانا اقرانه الذين زاولوا العلوم بالليسيات الا ان الادارة لا تريد اصلا ان تعتبر اجازة العلوم العليا كشهادة الباكلوريا؛ فهى بهذا مثل الادارة التونسية التى لا تريد ان تعترف لشهادة « انتهاء الدراسة » بالمدرسة الصادقية بقيمة شهادة الباكلوريا مع ان المحرز على الاولى يفوق احيانا بل في اغلب الاحيان المحرز على الثانية ويزيد عليه معرفته العربية وتعمقه فيها احيانا. ثانيا ـ لان الاعانة المدرسية « البورس سكولير» غير كافية ؛ وقد كان الاوفق لادارة العلوم ان تنظم لطلاب المدارس كما تنظم الليسيات لطلابها المقيمين بها مطاعم خاصة بهم تقيهم الالتجاء الى مطابخ البلد الحقيرة. ثالثا ، لان الادارة لم تجعل مستقبل المتخرج من المدرسة زاهرا وقد جعلت المناصب التى يمكنه ان يحرز عليها ذات مدخول قليل واحيانا لا يكفى لسد الرمق بالمرة

فشهادة المدرسة الابتدائية تسمح لحاملها بان يتولى : عون قاض و وكيل لدى المحاكم الشرعية و خوجة ، وهوكاتب بادارة البلديات الممتزجة. وعدل بمحكمة القاضى . دلال بدار القاضى .

اما اجازة التعليم العالى فهي تسمح للمتحصل عليها بالاحراز على رتبة : باش عدل وهو مثل نائب القاضى او رئيس العدول وقاضى وقاضى موثق ومفتى ومدرس بالمساجد ومدرس بالمدرسة .

ان الانتقادات توجه اليوم شديدة عنيفة الى المدرسة ونظامها ، سواء من اغلب المفكرين المسلمين او من كبار المستشرقين . والامر المحقق هو ان بقاءها على حالتها الحاضرة امر لا يمكن ان يدوم ، فاما ان يتناولها الاصلاح من مختلف نواحيها ، واما ان تنعدم منها الفائدة تماما . فهل يمكن ان تبقى الجزائر وهي نقطة الوسط في شمال

افريقيا جامدة هامدة فى امر التعليم العربي العالى ، في الوقت الذى استفاقت فيه الادارة من سباتها فى المغرب الاقصى ، فنظمت امر التعليم من جديد بكلية القرويين ورتبته ترتيبا محمودا ؛ وفي الوقت الذى اعادت فيه الدولة التونسية اصلاح الكلية الزيتونية اثر حركة عامة لم تعهد لها البلاد مثيلا ؟

انه والله لعار عظيم على ادارة الجزائر — واقول هذا خدمة للعلم لا استنقاصا لها — ان ينحط التعليم العالى الاسلامى فيها الى هذه الدركة التى كاد يضمحل معها ، وما هي قيمة ١٤٠ طالبا وسط ٦ ملايين من السكان ، بينما نجد جامع الزيتونة زاده الله نورا وعمرانا يشمل هو وفروعه ما يزيد عن الثلاثة آلاف نسمة لشعب لا يتجاوز عدده المليونين من السكان وطلاب الازهر والمعاهد الدينية الخمسة بمصر يتجاوزون ٢٢ الفا ؟

ان تعطش الجزائريين للعلم الصحيح العالى الاسلامى ، ويأسهم من المدارس وبرامجها الحالية هو الذى جعل العشرات منهم يتحملون آلام الغربة وشظف العيش ويجاورون مسجد الزيتونة الاعظم يرتشفون من مناهله العذبة ما يطفىء غلتهم ، ويجدون هنالك من اخوانهم التونسيين من حسن الوفادة وجميل المعاشرة ما ينسيهم نايهم عن الاهل والبلد .

من الميسور جدا على ادارة الجزائر اصلاح هذا الخلل ، وجعل المدارس الجزائرية الثلاث مفخرة من اجمل وابدع مفاخرها . وذلك بصفة لا تكلفها مشقة ولا عناء :

اولا — تجمع لجنة لاصلاح التعليم كما فعلت حكومة تونس وحكومة المغرب وتجعل فيها ثلة من كبار العلماء المدرسيين والزيتونيين وبعض كبار العلماء والفنيين من المستشرقين والتونسيين للاستنارة بافكارهم والاستفادة من تجاريبهم . فتقرر تلك اللجنة برنامجا جديدا للتعليم العالي العربى الاسلامي يوازى التعليم العالي بالزيتونة والقرويين ، ويوسع في سنوات التعليم و يجعل القسم العالي من المدرسة الثعالبية قسما للتخصيص الحقيقي يتخرج منه القضاة ورجال الافتاء والمدرسون فى المدارس الثلاث بعد ان يكونوا قد قضوا سنوات معينة في التدريس بالمساجد .

ثانيا — الاعتراف بان شهادة المدرسة تعتبر شهادة باكالوريا وادخال ما يلزم من التنقيح على طريقة التعليم الفرنسى بالادراك هذه الغاية ، وجعل المحرزين على الاعانة الدولية للتعليم يعاملون في المدارس الثلاث كما يعامل المحرز على تلك الاعانـة فى المدارس العليا .

ثالثا — اصلاح مرتبات الوظائف التى يتحصل عليها المتخرجون من المدارس الثلاث ؛ مثل المدرسين والقضاة والعدول وغيرهم . وفتح وظائف جديدة فى وجوههم كان يشترط مثلا بان وظيفة قائد لا تعطى الا للمتخرج من المدارس . بهذه الطريقة يمكن أن تزدهر المدارس وان يتخرج منها رجال فطاحل ؛ وان تصبح مماثلة لبقية المعاهد الاسلامية العربية الكبرى بالمغرب الاقصى وتونس ومصر وسوريا وفلسطين والعراق والهند وغيرها . اما ان تبقى الجزائر من حيث التعليم العربى سواء فيه الابتدائى او العالى فى آخر بلاد الاسلام لا يجيء بعدها الا قطر طرابلس الغرب في حالته الحاضرة ؛ فذلك ما لا يرضى به انسان وما لايجب ان ترضى به الادارة نفسها .

التعليم العربي الحر

راينا ما هو حظ التعليم العربي الرسمى في المدارس الحكومية المختلفة ؛ فيمكننا ان نقول بانه لولا التعليم الحر العربى لانعدمت العربية وانعدم تعليم الاسلام بهذه الديار.

كان التعليم العربى الحر يشمل قديما ثلاث مراتب : اولى وتعطى فى الكتاتيب ويقبل الناس عليها اقبالا شديدا ؛ فلا تجد حارة من حارات المدن والقرى اومضربا من مضارب الخيام او دشرة الا وبها « الكتاب والطالب » وكان التعليم بها بسيطا جدا يشمل القراءة والكتابة والقرآن الشريف ، وبفضل تلك الكتاتيب البسيطة كانت الامية قليلة الانتشار بالقطر الجزائرى ، امـا التعليم الثانوى والعالي فكانا بالمساجد والزوايا يتولاهما شيوخ من المشهود لهم بالعلم والدراية والنزاهة فكانت الدروس الاسلامية العربية توجد في اغلب المساجد والزوايا وقد تخصص بعضهـا للتدريس امثال زوايـا الجنوب ومساجد ميزاب و معهد الهامل و معهد سيدى منصور ومعهد سيدى البلولى .

الا ان الوقائع الرهيبة وكوارث الايام قدقضت على اغلب ذلك التعليم؛ ولم تستطع الامة الى هذه الساعة ان تقيم مكانه تعليما آخر يفي بالمرام: فكانت النتيجة أن ساد الجهل و انتشرت الامية. وقد كان الناس يعرفون قليلا من العربية دون الفرنسية اما اليوم فاغلبهم يجهل هذه وتلك معا.

حدثت في الامة نهضة اخيرة؛ وكانت جهود هذه النهضة كلها متجهة نحو التعاليم والتهذيب، فاخذت الامة تقوم في كل البلاد بتاسيس المدارس القرآنية الحرة انما على نظام حديث لا على النظام القديم فتعلم القراءة والكتابة والقرآن الشريف مع ما يلزمه من ادوات عربية ومما لاغنى عنه باتقان علوم الدين كالحساب لمعرفة الفرائض وغير ذلك؛ واظهر الناس رغبة شديدة في ايجاد هذه المدارس التي انقذت الآلاف الاطفال من اخطار الازقة المادية والادبية واقبلوا على تاييدها بالمال الجزيل ولا انسى تلك المناظر الجليلة المؤثرة عندما تقع حفلات جمعية الشبيبة الاسلامية وجمعية السلام بالعاصمة وتلك الاريحية التي قابل بها المسلمون لافرق بين غنيهم وفقيرهم تاسيس جمعية الفلاح في العاصمة التي جمعوا لها نحو اربعماية الف فرنك لبناء محل يخصص للتعليم العربي وشراء دار السلام التي ابتاعتها هذه الجمعية وجعلتها مستقرها الرسمي لتعليم الناشئة ولايواء الطلبة الذين لايجدون الساعة ملجأ يلجؤون اليه غير المعاهد الدينية المسيحية؛ وانها لمناظر تبث الامال في القلوب البائسة وتؤكد لكل متشائم ان هذه الامة الجزائرية المحمدية لن تموت ولن تضمحل و فيها مثل هذا الايمان القوي وهذا الشعور الحي.

كان الصديق الفاضل مصطفى حافظ هو اول من فكر جازاه الله خيرا في تكوين هذا الضرب من التعليم القرآني المنظم، و ماعتمت الامة حتى نسجت على منواله واصبحت المدارس القرآنية الحرة تكون شيئا فشيئا في انحاء القطر الجزائري حتى بلغ عددها الساعة زهاء الثلاثين مدرسة، احدثها عهدا بالتاسيس هي مدرسة بجاية التي قام باعبائها صديقنا المخلص الفاضل الشيخ العادي الزروقي، فلقيت من الامة البجائية

اقبالا وتاييدا ومدرسة جمعية الاخاء التى اوجدتها بيسكرة النخيل ثلة من الرجال الذين اخلصوا لله اعمالهم ، وتبرعوا لها بأموال جزيلة .

والواجب على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ان تحرر منهاجا دراسيا للمدارس القرآنية وتوزعه على جميع ما هو موجود منها وما سيوجد،حتى تتوحد جهود العاملين وتتلقى الناشئة فى مختلف البلاد علومها القرآنية على سياق واحد .

هذا واني انحى باللائمة على الامة التى لا تزال الى يومنا هذا غافلة او متغافلة عن هذا التعليم القرآنى الذى هو وحده الكفيل باخراج ابنائها من الامية القاتلة وتلقينهم مبادى الدين والعربية . وما هى قيمة ٣٠ مدرسة قرآنية يبلغ عدد طلبتها نحو الثلاثة الاف، من امة تشمل نحو الستة ملايين من الانفس ولها نحو ٧٨٠ الفا من البنين والبنات الذين لا يتلقون اي تعليم؟

في استطاعة اهل كل قرية وكل دشرة وكل مدينة ان تؤسس مدرسة او مدارس قرآنية تحفظ بها بعض ان لم اقل كل اولادها من اخطار الامية والاهمال ، ولا يقولن قائل ان الحكومة تمنع التعليم القرآني وتحجره ، فـان كانت الادارة قد منعت في بعض النواحى تاسيس بعض المدارس القرآنية فذلك منع غير قانوني او لعلها تستند في ذلك المنع الى بعض المخالفات القانونية ، فهي تشترط ان يكون المحل صحيا يتخلله الهواء ولا يضر بصحة الصبيان ، وتشترط ان يكون الشيخ او المؤدب محرزا على شهادة علمية تثبت انه اهل للتدريس ، و يستطيع الانسان ان يحرز على هذه الشهادة من القاضي او المفتى او المدرس الرسمى ؛ هذا اذا لم يكن الشيخ او المؤدب نفسه محرزا على شهادة علمية حكوميه . وهنالك تصريح رسمى صدر بهذا الصدد من عامل عمالة قسنطينه ونشر بنصه في جريدة النجاح، خلال سنة ١٩٣٠ ؛ فعلى الامة ان تقوم بواجبها في تعليم ابنائها لغة دينهم وامتهم ، والا فانها تحمل اكبر قسط من المسؤولية اذا جاء يوم يضيع فيها دينها وتتلاشى لغتها . لاقدر الله بذلك .

اما البنات المسلمات فانهن الى هذه الساعة لم يجدن اي اهتمام بـامرهن ، ومـا

عدا نحو الثلاثة آلاف بنت اللاتي يجدن في المدارس الحكومية مقاعد ، ولا يتلقين شيئا من العربية او علوم الدين ، فكل البنات المسلمات مجبورات على الرضى بالجهل والامية ؛ ولم تكن الحالة هكذا في القديم وخاصة بالمدن الكبرى وقد اثبت التاريخ انه كانت بالعاصمة الجزائر ٢٢٢ مدرسة ابتدائية بعضها للبنين وبعضها للبنات ولا تزال بعض العائلات الموسرة في المدن الكبيرة والنواحي تاتي ببعض الشيوخ وتقوم باودهم وتكل اليهم امر تعليم بناتها ولا يزال الى يومنا يوجد من بين نساء الجزائر من تحفظ القرآن الشريف وتقرأ العربية وتكتبها بغير تكلف ، الا ان ذلك نادر قليل . فجميع ما قلناه عن المدارس القرآنية الخاصة بالصبيان يجب ان نقوله عن المدارس القرآنية الخاصة بالبنات والتي يجب ان تؤسس في مختلف انحاء البلاد حسب منهاج دراسي ملائم لوظيفة البنت التي خلقت لتقوم بها في الهيأة الاجتماعية .

هذا ما نقوله في شان التعليم الابتدائي العربي الحر .

اما التعليم الثانوي الحر ، فقد كان كما قلنا منتشرا في الكثير من المساجد والزوايا واخذ يضمحل شيئا فشيئا الى ان بقي محصورا في البعض من الزوايا والمعاهد الكبرى امثال معهد الهامل قرب بوسعادة و مساجد ميزاب و زوايا الجنوب وزاوية سيدي منصور ببلاد القبائل البربرية ، وتعد من احسن معاهد التعليم الابتدائي والثانوي معا والمتخرج منها يتم دراسته بمعهد سيدي اليلولي ، وتشترط هذه الزاوية ان يكون الطالب ذا سمعة حسنة وسيرة صالحة ومعلومات طيبة وصحة مستقيمة ؛ والجم الغفير من علماء القبائل الابرار قد تخرج من هذه الزاوية الجليلة الشان .

وهنالك في مختلف انحاء القطر رجال كرسوا حياتهم لنفع الناشئة وبث العلم والهدى والدين الصحيح في النفوس فتطوعوا بالتدريس في مختلف المساجد التي وجدوا التدريس فيها سبيلا ، امثال الاستاذ الشيخ الطيب المهاجي بوهران والاديب الكبير الشيخ ابو عبدالله البوعبدلي في مدينة سان لو ، والسادة الابرار الذين ذكرنا اسماء بعضهم على صفحات ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ من هذا الكتاب .

فالتعليم الثانوى الحر ليس موجودا بصفة منتظمة ببلاد الجزائر ، والواجب تكوينه والسهر عليه ، حسب برنامج تقرره و توزعه جمعية العلماء المسلمين كما تقرر برنامج المدارس القرآنية الابتدائية حتى يجد الطالب المتخرج منها معهدا ثانيا يتم به معلوماته الاولية . وتخصص الجمعية لهذا التعليم الثانوى بعض الزوايا او المساجد ان تمكنت من ذلك فى مختلف انحاء القطر .

اما التعليم العالي الحر ، وهو اليوم مفقود بالمرة فيكون خاصا بالكلية الدينية التى فكر في تاسيسها العلامة الاكبر عبد الحميد بن باديس ؛ وعرض فكرته على جمعية العلماء فاقرتها وقررت تنفيذها فتكون هذه الكلية هى المعهد الحر الذى يتخرج منه علماء العربية والدين في هذه البلاد ، وتكون هذه الكلية تتمة المنهاج الدراسى الذى يبتدىء بالمدارس القرآنية و يستمر في معاهد التعليم الثانوى .

هذا برنامج عملي لاحياء العربية والدين ونشر التعليم القومي القويم بين افراد هذه الامة العربية المسلمة ، فان بذلت الامة جهدا صادقا فى سبيل تنفيذه وتمكنت من اخراجه من حيز القوة الى الفعل ، تكن قد عملت عمل الابطال وانقذت لغتها و دينها واخلاقها وثقافتها الاسلامية من مهاوي السقوط والاضمحلال .

وان تنفيذ مثل هذا البرنامج ليس بعسير على امة الجزائر القوية الايمان الشديدة المراس ، التى قد انبثق فجر نهضتها بعد طول السبات فكان فجرا صادقا ستشرق من بعده شمسه الزاهية بحول الله .

التعليم الفلاحى

فى قطر الجزائر معهد فلاحى عظيم الشان اسمه « المعهد الفلاحى الجزائرى » يقع فى مدينة الحراش قرب العاصمة ، وياتيه الطلبة من كل فج عميق حتى من اروبا والشرق يتلقى فيه الطلبة التعليم الفلاحى النظرى والتطبيقي وقد عني به مجلس النيابات المالية عناية خاصة ، ولم يبخل عليه باى اعانة مادية . والتلميذ يتحصل من هذا المعهد العالي بعد اتمام دراسته بنجاح على لقب « مهندس » ويتبع هذا المعهد قسم للتجاريب

وقسم للنشر وقسم لاجراء الاختبارات ؛ ولهذا المعهد الفلاحى فرع ثانوي فى اولاد حملة بالهضاب العليا القسنطينية .

وهنالك في عمالة قسنطينة مدرسة ثانوية فلاحية هى مدرسة سكيكدة ، ودخول هذه المدارس ميسور للجميع الا ان المسلمين من سوء الحظ لم يقبلوا عليها الاقبال اللازم . وهنالك عدة مدارس ابتدائية زراعية ، منها ماهو مخصص للزهور والرياحين و موقعه فى عاصمة الجزائر بحديقة الحامة ومنها ماهو مخصص لتعليم البنات التعليم الفلاحى المنزلى وهو بالحامة كذلك .

ان المدارس الفلاحية يجب ان تلقى من المسلمين عناية كبرى ، فقطر الجزائر قطر فلاحي بحت لاتمكن الحياة فيه الا لمن عمل في ارضه العمل الذى يستثمرها به استثمارا علميا .

التعليم الصناعى

وهو موجود بكثرة في قطر الجزائر ، الا انه لا يجد من المسلمين اقبالا عليه كذلك و ذلك مما يؤسف له . واذا استثنينا بعض المدارس التي اسستها الادارة لتعليم صغار المسلمين بعض الصنائع المحلية امثال صناعة الخزف ونسج الزرابى ، فاننا نجد المدارس الصناعية تكاد تكون خالية من العنصر الاسلامي .

وهنالك الكثير من الجمعيات تساعد الادارة على نشر التعليم الصناعى و بثه فى سائر الاوساط اهمها جمعية التجهيز الصناعى بالجزائر وفيها يشارك صغار المسلمين مشاركة محمودة .

والتعليم الصناعى الابتدائي الرسمى ينتشر بواسطة مدرسة التعليم الصناعي بمدينة دلس ؛ تاسست سنة ١٨٨٠ ، والغاية منها ايجاد صناع ماهرين مسلمين واوربيين ، يمكنهم ان يكونوا مديرى اشغال صناعية ، خاصة فيما يتعلق بصناعة الحديد والخشب وتطبيق الكهرباء على الصناعة . وآخر احصاء لدينا عن هذه المدرسة هو انه يوجد بها نحو المائتين تلميذ منهم نحو ٤٠ مسلما وبالمدرسة قسم اهلي خاص يتعلم فيه بعض

المسلمين الصنائع وتنفق البلدية والجمعية الخيرية الاسلامية عليهم .

و يعطى التعليم الثانوى الصناعى بواسطة «المدارس التطبيقية الصناعية » وهي ثلاث مدارس : بالجزائر وقسنطينة ووهران . وحظ المسلمين فيها تافه لا يذكر . اما التعليم الصناعى العالي فله « المعهد الصناعى العالي في الحراش » وله اهمية كبرى ، وينال المتخرجون منه شهادة « مهندس » وانه لمن الواجب المحتم على المسلمين ان يشاركوا مشاركة فعلية فى هذه المدارس العملية ، لان قطر الجزائر وان كان قطرا فلاحيا، فان الصناعة فيه ذات حظ كبير وقد كاد يختص بها غير المسلمين لاهمال ابناء جلدتنا امرها واغفالهم شانها وانه لشان عظيم هم عنه غافلون فعساهم عما قريب ينتبهون .

هذا وقد احسنت الادارة بتاسيسها عدة مدارس بسيطة لحفظ الصناعة المحلية الجزائرية ، و ذلك ببلاد الجرجرة و بالعاصمة و بتلمسان، حيث يتلقى الطلبة و بعضها للطالبات صناعة الزرابي والخزف(الفخار) المزخرف والتطريز على الجلد والخياطة وغيرذلك ، وقد انشات قسما جديدا بالمدرسة التى اسمتها حديثا دار الصناع الاهالي لتعليم النقوش العربية الاندلسية والخطوط الجميلة العربية و هى صناعة جميلة كادت تندثر ولم يبق من يباشرها اليوم الا السيد عمر راسم والسيد كشكول محمد ؛ وهو الذى كلفته الادارة بالتعليم في هذا القسم فعساه ان يلقن تلاميذه اصول هذا الفن الجميل حتى لا يندثر و ينعدم .

و بودنا لو افردت المدرسة قسما لتعليم الخط العربي خاصة ؛بين كوفي وثلثي ورقعي وفارسي ، فالخط العربي كما قال المرحوم ناصر الدين اتيان دينى هو ءاية من ءايات الفن الزخرفي الجميل ، ولم يبق هذه الساعة فى ارض الجزائر من له اطلاع ومهارة في الخطوط العربية خاصة غير الفنان الكبير الاستاذ عمر راسم الآنف الذكر ،وان لم تنشىء ادارة المدرسة له قسما خاصا لاحياء هذا الفن فالواجب المحتم على جمعياتنا العلمية التهذيبية بالعاصمة ان تعمل على انتشال الخط العربى الفنى من الاضمحلال ، ما دامت تجد بين ايديها من يبث ذلك الفن و ينشره .

هذا و يوجد بالجزائر مدرسة عليا للفنون المستظرفة ، كانت تابعة لوزارة المعارف الفرنسية ثم اصبحت تحت نظر الوالي العام ؛ ورقابة الوزارة الفرنسية ،وفيها اقسام عدة للرسم والفنون الجميلة المختلفة ؛ وهي من سوء الحظ لا تجد كذلك اقبالا من المسلمين على دروسها النافعة المختلفة .

التعليم التجاري

يبث بواسطة المدارس الثانوية المختلفة . وله مدرستان خاصتان به ، لهما اهمية كبرى وقيمة عالية ، هما مدرسة الجزائر العليا و مدرسة وهران الثانوية ،وغني عن البيان ان اقبال المسلمين ضعيف جدا على هذه المدارس ذات الاهمية الكبرى و ذلك ممايوجب الاسى والاسف ؛لان النهضة الاقتصادية في امة هي اساس النهضات جميعها ؛ والنهضة الاقتصادية تشمل الفلاحة والصناعة والتجارة. فان كنا نرى الامة لاتقبل على المدارس المخصصة لذلك ولا تنجب في الميدان الاقتصادي رجالا فنيين عارفين فكيف يرجى لها نهضة اقتصادية سريعة ؟

اما المدرسة التجارية التى انشاتها غرفة تجارة الجزائر والحقتها بالمدرسة الثعالبية فهي ذات اهمية ثانوية لاتذكر بالمرة مع المدارس التجارية العليا المذكورة .

واننا لنختم هذا الفصل المتعلق بالتعليم العام من كل نواحيه ؛ بحث الامة حثا شديدا على تاسيس مدارسها القرآنيه في كل ناحيه من نواحي البلاد والاقبال بقوة على كل المدارس المفتوحه امامها الى الآن والتى تفتحها الادارة شيئا فشيئا ؛ ثم الاقبال بشدة على المدارس الصناعيه والفلاحيه والتجاريه ؛ فان الطبقه الراقيه المتعلمه في امه ليست هي طبقه المحامين والاطباء خاصة بل هي ايضا طبقه الفلاحين والصناع والتجار الذين يباشرون اعمالهم بصفه علمية يستفيدون منها ويستفيد الوطن من علومهم و تجاريبهم وقيمتهم الفنيه .



القسم الثاني عشر

١٧ — ١٨ — ١٩

﴿ النظام القضائي والعدلي في الجزائر ﴾

البحث الاول

﴿ القضاء الفرنسي ﴾

لم يكن النظام العدلي الفرنسي في بلاد الجزائر متوطد الاركان على اسس متينة منذ عهد الاحتلال ؛ بل اخذ يتدرج شيئاً فشيئاً في طريق الانتظام والكمال متتبعاً النظم والطرائق التي تسير عليها العدلية الفرنسية .

ففي ١٩ اوت ١٨٥٤ وقع تأسيس قضويات الصلح ذات السلطة الواسعة وانشئت محاكم الجنايات (كوردا سيز) بدون ان يكون فيها نظام المحلفين (الجوري) وفي ١٥ دسامبر ١٨٥٨ صدر القرار بتوسيع محكمة جنايات الجزائر والحقت بها غرفة الاتهام التي تاسست بواسطة هذا القرار ، ثم صدر قرار حكومة الدفاع الوطني في ٢٤ اكتوبر ١٨٧٠ ؛ فانشأ نظام المحلفين بمحاكم الجنايات وجعل محاكم الجنايات اربعاً في ارض الجزائر : بالعاصمة ووهران وقسنطينة وعنابة .

وصدر في ٢٣ فراير ١٨٨١ القانون منشئاً في الجزائر نظام محاكم العرف للحرف والصنائع (كونساي ابريدوم) وسمح بايجاد اعضاء مسلمين في هذه المجالس بالنواحي التي يكثر بها المسلمون ، واخيراً صدر قانون ٣٠ اوت ١٨٨٣ ، ملحقاً المحاكم الجزائرية كلها بالنظام العدلي الفرنسي ، ومنذ قانون ٢٨ افريل ١٩١٩ اصبح لرجال القضاء الفرنسي بالجزائر نفس الحقوق والامتيازات التي لرجال القضاء بفرنسا .

انواع المحاكم الفرنسية و مراكزها

يشمل النظام العدلي فى ارض الجزائر عدة انواع من المحاكم فى جهات مختلفة من البلاد هذا تفصيلها:

* ١ — دائرة استئناف واحدة مقرها الجزائر (كور دابيل)
* ٢ — محاكم جنائية (كور داسيز) مقرها في الجزائر وقسنطينة ووهران وعنابة
* ٣ — ١٧ محكمة ابتدائية (بروميير انستانس) مراكزها :

فى عمالة الجزائر : الجزائر والبليدة وتيزى وزو والاصنام .

وفي عمالة قسنطينة : قسنطينة وعنابة وسكيكدة وسطيف وبجاية وقالمة وباتنة

و في عمالة وهران : وهران ومستغانم وتلمسان و معسكر وسيدي بلعباس وتيارت .

* ٤ اربع محاكم تجارية تقع فى الجزائر وقسنطينة ووهران وعنابة .
* ٥ — ١٧ قضوية صلح اعتيادية تقع واحدة منها فى كل مركز من مراكز المحاكم الابتدائية المذكورة آنفا ، وتدعى مراكز الدوائر القضائية .
* ٦ — ٩٦ قضوية صلح ذات سلطة واسعة هذه مراكزها :

في دائرة الجزائر القضائية : عين بسام والاربعاء وسور الغزلان و بوفاريك وبويرة وبوسعادة والحراش ومنيرفيل (ثنية بنى عيشة) وبالسترو و تابلاط .

و في دائرة البليدة : الخميس (افرفيل) و برواقية وقصر البخارى وشرشال والجلفة والقليعة والاغواط ومارانقو والمدية ومليانة .

و في دائرة الاصنام : دوابرى وواد فضة وتنس وثنية الاحد وفيالار .

وفي دائرة تيزى وزو : برج ام نائل ودلس و ميشلي (اربعاء بنى راتن) وذراع الميزان وفورناسيونال والعزازقة وبورقيدون (ازفون) .

و في دائرة باتنة : بريكة وبرنيل و بسكرة وخنشلة .

وفى دآيرة عنابة : هربيون (سيدى عكاش) ودوفيفي والقالة ومندوفي ومريس

وفي دآيرة بجاية : اقبو و جيجل والقصر وقرقور وخراطة والطاهير .

وفى دآيرة قسنطينة : عين مليلة و شاتودان والسمندو والميلية وفج امزالة والحروب وميلة ووادي العثمانية .

وفي دآيرة قالمة : عين البيضاء ووادي الزناتي وتبسة وصدراتة وسوق اهراس .

وفي دآيرة سكيكدة : القالة والعروش وعزابة (جيماب)

وفى دآيرة سطيف : برج بوعريريج وقصر الطير (كولبير) ومنصورة ومسيلة والعين الكبيرة (بيريقوفيل) وسانت ارنو (العلمة) .

وفي دآيرة معسكر : فرندة وباليكاو بريقو وسعيدة الشمالية وسعيدة الجنوبية

وفي دآيرة مستغانم : عمى موسى وكسان وعين كرمان وغليزان وتيارت وسقر (تريزيل) وزمورة .

وفي دآيرة وهران : عين الاربعاء وعين تموشنت وارزيو والارمل وسانكلود والسيق والتليلات .

وفي دآيرة سيدي بلعباس : بوخنيفيس وميرسي لاكومب (الزفيزف) وتلاغ .

وفى دآيرة تلمسان : لالا مغنية ولامور يسيار (اولاد الميمون) ومونتان (رمشى) ونمور (جامع الغزوات) والسبدو .

* ٧ — ١٤ قضية صلح عسكرية هذا توزيعها :

يتبع دآيرة البليدة القضائية : غرداية .

» » بـاتنة » : المنيعة والواد وعين صالح وورقلة وتقرت

» » معسكر » : تيارت وعين صفراء وبشار والبيض ومشرية وقورارا.

» » مستغانم » : افلو .

» » تلمسان » : العريشة .

* ٨ — ١٠ مجالس عرفية للحرف و الصنائع (كونساى ابريدوم) تقع فى :

الجزائر وقسنطينة وعنابة وسكيكدة وبجاية ووهران وسيدى بلعباس ومعسكر ومستغانم وتيارت

ولنات الآن على بعض التفاصيل المتعلقة بهذه المحاكم المختلفة التي يتحاكم فيها المسلمون والاروبيون معا ؛ ما عدا محكمة الجنايات (الكوور داسيز) فهي خاصة بالجناة الاروبيين ؛ ويقابلها للمسلمين خاصة محكمة الجنايات (الكور كريمينال) والمحاكم التجارية التي لايمكن ان يتقاضى اليها الاالاروبي فقط .

قضويات الصلح الاعتيادية

وهي التي تقع في المدن التي بها محاكم ابتدائية ؛ فهي لاتنظر الا في مسائل محدودة بسيطة لاتتعدى الخلافات الطفيفة بين دائن ومدين ومالك ومستأجر وغير ذلك وهي نفس قضويات الصلح الموجودة بفرنسا سلطة ونظاما. والمتقاضون لديها يمكنهم استيناف احكامها الى المحاكم الابتدائية ، في مدة شهر بعد اعلامهم رسميا بصدور الحكم .

قضويات الصلح المتسعة السلطة

وقد انشئت هذه القضويات بقرار صدر في ١٩ اوت ١٨٥٤ ، وسلطة قاضي الصلح فيها اوسع من سلطة قضاة الصلح الاعتياديين ، وذلك لان قضوية الصلح ذات السلطة الواسعة تقع في النواحي البعيدة عن المحكمة الابتدائية فقاضي الصلح يقوم مقام محكمة ابتدائية ، ويمكنه النظر في القضايا التي تنظر فيها عادة تلك المحاكم ؛ وقد كان وقع سنة ١٩١٣ خلاف بين مجلس النيابات المالية الجزائرية ولجنة مجلس الامة التي قررت الغاء قضويات الصلح الممتازة وجعلها قضويات صلح بسيطة فنجح مجلس النيابات في ابقائها ، فقاضي الصلح ذي السلطة الواسعة يمكنه النظر في كل القضايا الشخصية والتجارية والمتعلقة بالاملاك المنتقلة وهو يحكم حكما نهائيا في كل القضايا التي لاتتعدى ١٦٠٠ فرنكا ، ويحكم حكما ابتدائيا يمكن استئنافه في القضايا التي تتجاوز ذلك وله ان يحكم في المخالفات كاحكام المجالس التاديبية (الكور يكسيونال و ينظر في القضايا المتعلقة بمخالفة قوانين الصيد وله ان ينظر في الجنح التي لاتتعدى العقوبة فيها ستة اشهر سجنا و ٥٠٠ فرنكا غرامة ولقاضي الصلح ذي السلطة الواسعة ان

يامر بالتثقيف كما يامر رئيس المحكمة الابتدائية ؛ وله ايضا ان يحكم الاحكام المستعجلة (ريفيري) .

ولا يمكن ان يتولى قاضي صلح في ارض الجزائر سواء كان اعتياديا او ذي سلطة واسعة الا اذا كان محرزا على شهادة التشريع والقوانين الاسلامية والعوائد الاهلية وهي شهادة وضعت بقرار ٣١ دسامبر ١٨٨٩ وصار الاحراز عليها شرط وجوب للوصول الى قضوية الصلح منذ يوم غرة جانفي ١٩١٠ والمحرز من قضاة الصلح على اجازة في اللغة العربية يقدم على غيره في الترقي وقضاة الصلح كلهم يعتبرون قانونا قضاة للشرع الاسلامي كما سياتي .

قضويات الصلح العسكرية

وهي تقع في التراب العسكري ولا تنظر في امور المسلمين لان هؤلاء في ارض الجنوب يرجع امرهم الى القضاة والى السلطة العسكرية مباشرة فقضويات الصلح في التراب العسكري يتولاها رجال الجندية لفض المشاكل البسيطة التي تقع بين الاروبيين او المخالفات التي تصدر منهم ويمكن استئناف احكامها الى المحاكم الابتدائية في الدوائر التابعة قضوية الصلح لها .

المحاكم الابتدائية

وهي تسمى « محاكم الدرجة الاولى » اذا نظرت مدنيا في الخلافات ذات الاهمية بين الناس ثم هي نفسها تسمى « محاكم التأديب » (كريكسيونال) اذا نظرت في الجنح . وقد كان الاروبيون خاصة يتحاكمون لديها منذ وقع سن قوانين الانديجينا الجائرة او اذا كان المطلوب اروبيا ؛ اما اذا كان المطلوب مسلما او القضية بين مسلمين فهي ترجع للمحكمة الزجرية التي ابطلت نهائيا في جويلية الاخير عام ١٩٣١ لا اراناها الله وجهها مرة اخرى .

وهذه المحاكم تصدر احكامها الابتدائية من جهة ؛ وتنظر نهائيا في الاحكام التي تستانف اليها من قضويات الصلح ومن محاكم الشرع الاسلامي وهي في الحالة

لاخيرة تحكم حسب القوانين الفقهية الاسلامية . ويمكن للمتقاضين استئناف حكام هذه المحاكم الى دائرة الاستئناف في مدة لاتتجاوز شهرا بعد صدور الحكم ليهم .

دائرة الاستئناف

وهى اكبر دائرة عدلية في الجزائر وتونس ؛ اليها يرجع نهائيا نظر القضايا ستانفة من سائر المحاكم الابتدائية بالقطرين ، وهى تشمل اربعة اقسام علاوة على سم الاتهام ؛ وقد كان وقع الاقتراح بتاسيس دائرتى استئناف اخرى فى وهران قسنطينة ، كما طلب رجال الحقوق بتونس تاسيس دائرة استئناف خاصة بالمملكة تونسية الا انه ربيء بان دائرة الاستئناف يجب ان تكون واحدة لكى يتوحد تشريع الحكمي (الجوريسبريدانس) فى قطر الجزائر كله .

د وقع تنظيم هذه الدائرة من جديد في ٢٨ افريل ١٩١٩ فاصبحت دائرة ذات اربعة سام فيها جميعا : رئيس اول و ٤ رؤساء اقسام و ٢٤ مستشارا و مدعى عمومي و ٤ كلاء حق عام و ٤ نواب وكلاء الحق العام ورئيس كتبة و٦ كتاب .

محاكم الجنايات (الكور داسيز)

تاسست فى قطر الجزائر تنفيذا لقرار ١٩ اوت ١٨٥٤ وكانت محاكم لاتشمل الا ضاة خاصة وليس بها محلفين شعبيين (جورى) وفى اكتوبر ١٨٧٠ كما رأينا لفا ادخل عليها نظام المحلفين .

ولا تنظر هذه المحاكم الا في الجرائم التى يرتكبها الاروبيون خاصة ، اما رائم التى يرتكبها المسلمون فامرها يرجع الى (الكور كريمينال) وهو من بقايا رانين التى نصبت احكام الاندجينا الزجرية على البلاد .

محكمة النقض والابرام (الكور دى كاساسيون)

وهي الملجأ الوحيد للذين تصدر عليهم احكام دائرتى الجرائم (الكور داسيز كور كريمينال) او محكمة الاستئناف ومقر هذه المحكمة باريس و هى لاتنظر في

اصل الدعوى بل تنظر هل الحكم صدر موافقا للقانون ام لا . فان لم تر من مخالفة قانونية في الحكم ابرمته فصار نافذا نهائيا ، وان وجدت ان فيه مخالفة قانونية نقضته وامرت بارسال القضية امام محكمة اخرى لتعيد النظر فيها .

وفى حالة صدور الحكم بالاعدام من احدى دائرتى الجرائم وابرام الحكم فى باريس ، فللمحكوم عليه ان يستشفع برئيس الجمهورية فينظر ديوان رئاسة الجمهورية فى القضية وان راى ان المحكوم عليه يستحق رحمة صدر الامر الرئيسي باستبدال الاشغال الشاقة بعقوبة الاعدام وان رفض الرئيس مطالب الشفاعة نفذ الحكم .

محاكم العرف (ابريدوم)

وهى تنظر غالبا فى الخلافات التى تقع بين العمال والمستخدمين وكل ما يتعلق بذلك ؛ وقد انتظمت نهائيا فى الجزائر بواسطة قوانين ٣ جويلية ١٩١٩ و ٣٠ مارس ١٩٢٠ ؛ وقد حوى هذا القانون فى قسمه السابع بعض بنود خاصة بالجزائر .

واعضاء هذه المحاكم يتعينون بالانتخاب ؛ ويجب ان يكون عدد نواب العمال المنتخبين مساويا لعدد نواب اصحاب رؤوس الاموال المنتخبين ؛ والذين ينتخبون اعضاء هذه المجالس من الخادمين والمخدومين هم الناخبون البلديون .

و يشترط فى الاعضاء المسلمين سواء كانوا من قسم العمال اومن قسم اصحاب الاموال ان يتكلموا اللغة الفرنسية فقط ان كانوا يكتبون ويقرأون اللغة العربية . والا فيشترط فيهم الكلام والقراءة والكتابة بالفرنسية ؛ والاعضاء المسلمون يشاركون فى انتخاب الرئيس ونائب الرئيس .

فاذا كانت القضايا المرفوعة امام نظر مكتب التسوية او مكتب الحكم تشمل مسلمين سواء كانوا طالبين اومطلوبين ؛ فالمكتب يضم اليه نائبا مسلما من العمال ونائبا مسلما من اصحاب الاموال ويكون لهما صوت فعلي فى التسوية او الحكم .

المحاكم التجارية

تاسست اول محكمة تجارية بالجزائر سنة ١٨٣٤ ثم تاسست محاكم وهران وقسنطينة وعنابة ، ولهذه المحاكم نفس نظامات المحاكم التجارية الفرنسية ضرورة ان القانون التجاري والقانون المدني واحد في الجزائر وفرنسا ، والجهات التي ليس بها محاكم تجارية ترجع خلافاتها التجارية الى المحكمة الابتدائية اوقضويات الصلح ذات السلطة الواسعة ، ولا يحق للمسلمين ان يتقاضوا للمحاكم التجارية الا اذا كانوا مطلوبين وكان طالبهم اروبيا .

وقد كان اعضاء المحاكم التجارية يعينون تعينا من قبل الدولة الا ان امر ٢٤ نفامبر ١٨٤٧ اعطى اعيان التجار الفرنسيين حق انتخاب اعضاء المحاكم ، والعشر فقط من التجار الرسميين هم الذين يحق لهم انتخاب هيأة المحكمة .

رجال المحامات

لم تعرف المحاكم الجزائرية الاولى رجال محامات اصلا ، وفي سنة ١٨٣٤ صدر امر بتاسيس وظيفة محامين رسميين ينوبون عن الخصوم ان تخلفوا . وفي ١٦ افريل ١٨٨٤ صدر امر الوالي بتنظيم هيأة المحامات ، والمحامون يتخرجون من كليات الحقوق سواء بفرنسا او بالجزائر ؛ ويمكن ان يكونوا من الفرنسيين او من المسلمين ؛ ولا يمكن للمحامي (الافوكا) ان يستقل بعمله ويباشر النيابة عن الخصوم باسمه الخاص الا بعد ان يقضي مدة التدرب القانونية في مكتب محام آخر اتم مدة التدرب وهي خمسة اعوام

رجال تقديم القضايا

وهم موظفون عدليون ؛ تقع تسميتهم بواسطة قرارات حكومية ، ويشترط فيهم ان يكونوا محرزين على شهادة الحقوق ، وعلى شهادة النظامات التشريعية الجزائرية التي تعطيها كلية الحقوق بالجزائر . ولا يكون (الافوى) *L'avoué* الا فرنسيا بلغ من العمر ٢٥ عاما ، وتقديم القضايا في المحاكم الابتدائية ودائرة الاستئناف لا

تكون الا على يديه . والترافع لا يكون من بعد الا للمحامي *l'Avocat* ويحق للافوى ان يترافع بنفسه اذا كان عدد المحامين قليلا بالدائرة العدلية . ومدة التدرب القانونية للافوى عامان .

اعوان الشرع

وهم اللوسيات (*les Huissiers*) ولا يكونون الا من الفرنسيين او المتفرنسين . صدر في ٢٦ نفامبر ١٨٤٢ قرار وزير الحربية بتنظيم هيأتهم في الجزائر ، وهم اعوان عدليون مكلفون بتبليغ الاوامر العدلية الى من يهمهم الامر وبتنفيذها ، تقع تسميتهم بواسطة قرارات حكومية ، ويقدمهم للحكومة اما رجال القضاء اوالاعوان الذين تركوا المحل وارادوا احلالهم في محلهم ؛ ويشترط فيهم تجاوز سن ٢٥ عاما والعمل سنتين على الاقل في مكتب عدل (نوتير) او عون شرعي او افوى او مباشرة الكتابة مدة ثلاثة اعوام في دائرة الاستئناف اوالمحكمة المدنية .

شهود المعاملات

وهم يقومون في النظام العدلي الفرنسي مقام الشهود العدول في النظام الشرعي الاسلامي ، وهؤلاء الشهود (النوتيرات *Les Notaires*) انتظم امرهم في الجزائر منذ اوائل الاحتلال وصدر قرار ٢٠ اوت ١٨٤٨ بالحاقهم بنظام الفرنسيين واصبح رئيس الجمهورية هو الذي يصدر قرارا بتسميتهم . ثم صدر امر ٢٧ جوان ١٩٠١ جاعلا امر النوتيرات راجعا الى الوالي العام ، ولا يكون النوتير الافرنسيا له من العمر اكثر من ٢٥ عاما قام بخدمته العسكرية يتمتع بسائر حقوقه المدنية ؛ اتم مدة التدرب القانونية وهي ستة اعوام منها عامان على الاقل بصفة رئيس كتاب عند نوتير بالجزائر او بفرنسا ؛ محرزا على شهادة الاهلية والاستقامة من اللجنة المتشكلة في الجزائر من رجال القضاء لهذا العمل خاصة ، ومحرزا على شهادة النظامات التشريعية الجزائرية ، ولهيأة الشهود النوتيرات نقيب برأسهم تستشيره الحكومة في امرالشهود الذين تقدم ضدهم الشكايات ، ويتداخل بين جماعته بعض ما يقع بينهم من خلاف اوبينهم

وبين حرفائهم . وعلى يد النوتير تقع البيوع والعقود والمعاملات المالية واذا كانت المعاملات بين المسلمين وكان احدهم اوكلهم لايستطيع الامضاء، فالمترجم المحلف الذي يجب ان يحضر عقد المعاملة يضع امضاءه ، وقد جاء في قرار ٧ جوان ١٨٨٩ انه اذا وقع عقد بهم مسلمين وكان النوتير لا يعرف اسم احدهم اوكلهم ولا محل سكناهم فيمكنه ان يعتمد في معرفة ذلك على كل مسلم ذكر جزائري بالغ معروف عنده ، واقارب المرأة المسلمة او اصهارها يعرفون بها ؛ واذا وقع كتب عند نوتير ولم ينص فيه النوتير على أنه يعرف المتعاقدين او ينص فيه على الشهود المعرفين فهو كتب فاسد يعد لغوا وليست له حتى قيمة الاتفاق الخاص الممضى بين طرفين .

والمدينة او القرية التي ليس بها نوتير يمكن ان يقوم فيها كاتب قضوية الصلح بخطة شاهد معاملات بعدما يتحصل على الاذن من وزير العدلية بذلك وقد صدر بهذا الصدد قرار في ١٨ جانفي ١٨٧٥ .

المترجمون الشرعيون

كان من الواجب في قطر كالجزائر ادارته فرنسية بحتة وسكانه قل ونذر من يتكلم و يفهم فيهم الفرنسية ان تنشأ الى جانب الهيأة العدلية وغيرها هيأة التراجمة الذين يكونون واسطة تفاهم بين الجانبين .

صدر الامر من وزير الحرب بتنظيم هيأة التراجمة في ٢ فيفري ١٨٣٥ ، وكان الامر متعلقا بالتراجمة المحلفين فقط ثم صدر امر ٢٦ سبتامبر ١٨٤٢ بانشاء فرقة جديدة من التراجمة هي هيأة التراجمة الشرعيين واخيرا صدر القرار النهائي في ٢٥ افريل ١٨٥١ بتنظيم هذه الهيأة

فالتراجمة الشرعيون *(interpretes judiciaires)* يوجدون في سائر المحاكم الفرنسية بالقطر الجزائري وهنالك تراجمة للسان العربي وآخرون للسان البربري في بلاد القبائل . وهؤلاء التراجمة يعتبرون من المتوظفين العدليين امثال الكتاب وغيرهم والوالي العام هو الذي يصدر امر تسميتهم و يجب عليهم ان يودوا اليمين القانونية عند

الشروع في العمل ؛ ولا يمكنهم ان يقوموا مع عملهم باى عمل آخر بل يجب عليهم ان يكونوا دائما بالدواير العدلية تحت طلب الحكام . والتراجمة على ثلاث درجات : الرتبة الاولى تراجمة دائرة الاستئناف والرتبة الثانية تراجمة المحاكم الابتدائية والمحاكم التجارية والرتبة الثالثة تراجمة قضويات الصلح ـ وامتحان الترجمة يقع امام لجنة يراسها احد الحكام يعينه المدعى العمومي .

وهؤلاء التراجمة هم الذين يحق لهم ان يقوموا بترجمة ما يقال فى المحكمة وترجمة كل اوراق المحاكم الجنائية والجناحية عندما تجب الترجمة ، واذا كانت قرية او مدينة خالية من مترجم محلف فانه يحق للمترجم العدلى ان يقوم مقامه ويحق للمترجم العدلى ان يعمل عمل المترجم المحلف ولو في مكان به ترجمان محلف وذلك اذا كان المترجم العدلي قد فاز فى امتحان الترجمة العسكرية من الدرجة الاولى .

وهؤلاء التراجمة الذين يمكن ان يكونوا فرنسيين او مسلمين ؛لهم مرتبات قارة من الدوائر العدلية بصفتهم متوظفين رسميين ، ويمكن لكل مترجم عدلى ان ينيب عنه في القيام باعباء وظيفه وتحت مسؤوليته الخاصة مترجما آخر بشرط ان يكون النائب محرزا على شهادة الترجمة مقبولا من طرف المدعى العمومي ؛ ويقسم اليمين عند مباشرة الترجمة .

﴿ المترجمون المحلفون ﴾

وعملهم خارج عن جدران المحاكم ووظيفهم هو مساعدة الشهود النوتيرات والقضاة والقونسيات وغيرهم على التفاهم مع اصحاب القضايا الذين لا يفهمون اللغة ويجب عليهم ان يضعوا امضاءهم على العقود التى تتم بواسطة اعانتهم ولا يمكن ان تتقدم اية ورقة لاى محكمة فرنسية مكتوبة بلغة عربية او اجنبية الا اذا كانت مترجمة على يد مترجم محلف (*Interprète traducteur assermenté*) ولا يمكن الادلاء باى ورقة مكتوبة بلسان فرنسى او اجنبي امام محكمة اسلامية الا اذا كانت مترجمة كذلك بواسطة المترجم المحلف والترجمة التى يقوم بها الترجمان

المحلف كافية وحدها في المحكمة بحيث يقع الاستغناء بها عن الاصل المترجم.

ولا يمكن ان يتولى خطة المترجم المحلف الا من جاوز سنه ٢١ عاما وكان فرنسيا او مستقرا في الجزائر منذ ثلاثة اعوام وبعد اجتياز امتحان امام لجنة يعينها المدعى العمومي وتكون التسمية صادرة من الوالي العام .

وليس للمترجمين المحلفين من مرتب حكومي ؛ انما لهم تعريفة خاصة بما يجب ان يتقاضوه من اجور على اعمالهم يجب عليهم ان لا يتعدوا حدودها والا عوقبوا على مقتضى القانون .

اعوان الضبط

وحق علينا ان نختم هذا البحث بذكر اعوان الضبط الذين يسهرون على الامن العام و ينفذون اوامر الدولة المتعلقة بحفظ سلامة الناس والضبط *La police* في الجزائر ينقسم الى قسمين في الترتيب المدني: الضبط العدلي، والضبط الاداري ، ووظيف الاول هو التحقيق في المخالفات واثبات وجودها ، ووظيف الثاني هو السهر على الامن ومنع وقوع المخالفات ، والوظيفان في الحقيقة يختلفان اختلافا نظريا فقط الا ان البوليس الاداري تابع لمراقبة خاصة في ادارة الامن العام بالولاية العامة ويتبعها البوليس السري .

ورؤساء البوليس الاعلون هم : في كل عمالة العامل ، وفي كل دائرة عدلية قاضي التحقيق و المدعى العمومي ونوابه .

اما رؤساء البوليس الثانويون فهم : قضاة الصلح ، ضباط وانصاف ضباط وكوماندانات فرق الجندرمة ؛ وشيوخ البلد (الميرات) ونوابهم الفرنسيون خاصة دون النواب الاهالي ، وفي البلديات الممتزجة : المتصرف ونوابه الاداريون ونوابه المنتخبون من الفرنسيين وكوميسارات البوليس ومراقبوا البوليس السري .

والخيرا حراس النواحي من رتبتي قارد شمبيتر وقارد فوريستي . واعوان الضبط هم بعد ذلك : الجندرمة *Gendarmes* واعوان البوليس ورجال الديوانة واعوان

الادارات المختلفة المكلفين بمراقبة وتنفيذ قراراتها والسهر على حفظ الطرق والمياه وغيرذلك .

وعندما كانت احكام الانديجينا القاسية الصارمة نافذة على المسلمين ، كان البوليس فى البلديات الممتزجة تحت امرة المتصرف (الادمنستراتور) فـلا يحق لقاضى الصلح ان يطلب تدخله الا فى المسائل المتعلقة بالاروبيين خاصة .

وقد شوهد اخيرا ان وضع البوليس كله تحت سلطة البلدية التى تتغير اشخاصا وافكارا امر غير معقول ؛ فانشىء الى جـانب البوليس البلدى بوليس دولي يتبع الادارة العليا

والبوليس يشمل الفرنسيين والمسلمين ، وان كان عدد الاولين اجسم .

هذا ما يتعلق بنظام الضبط في اراضى الشمال المدنية ؛ اما فى اراضى الجنوب العسكرية فالحالة غير ذلك ، ذلك ان المحاكم الاعتيادية الفرنسية هناك لاتحكم الا على الاروبيين خاصة ؛ اما المسلمون فمحاكمتهم تقع امام القضاة والمجالس العسكرية او اللجان الزجرية فرؤساء البوليس فى ارض الجنوب هم نفس الذين ذكرنا القابهم في الفصل السالف يطرح منهم النواب و يزاد عليهم الضباط وقواد الجنود .



البحث الثانى

القضاء الزجرى

وهو جملة الانظمة والقوانين الرهيبة الجائرة التى يطلق عليها اسم قوانين الاندجينا ، والتى ضيقت الخناق على هذه الامة واخمدت انفاسها وجعلتها تعيش فى جو مظلم وحالة ضغط يصعب تصورها وقلما يستطيع العقل تصديقها

وقد كانت احكام الاندجينا تشمل اربعة اصناف : سلطة الوالي العام والمحاكم الابتدائية الزجرية ومحاكم الجنايات وسلطة المتصرفين العدلية .

اما سلطة المتصرفين العدلية الزجرية ، وهى التى ضجت منها الارض ووقع بواسطتها من التضييق وارهاف الحد مالا يستطيع قلم وصفه او التحدث عنه ، فقد زالت — بصفة رسمية — منذ سنة ١٩٢٨ واصبح الحكم - رسميا - لقاضي الصلح وحده في تنفيذ قانون الاندجينا .

واما المحاكم الزجرية المختصة بالمسلمين والتى يراسها قاضى فرنسى بعضوية مسلم واروبي فقد انتهت بصفة تامة فى شهر جويلية الاخير عام ١٩٣١ غير ماسوف عليها

واما سلطة الوالي العام على الافراد والجماعات ، والمحاكم الجنائية الخاصة فهي باقية .

قانون الاندجينا

ويجب علينا ان نفصل انواع المخالفات التى يشملها قانون ٢١ دسامبر ١٨٩٧ الذى اخذ يتجدد كلما انتهى امده الى سنة ١٩٣٠ وكان للمتصرفين الحق فى الحكم على الاهالى بالسجن خمسة ايام وبغرامة ١٥ فرنكا على المخالفات التى يرتكبونها وللمجالس الزجرية السلطة الواسعة العريضة فى ذلك .

اما انواع المخالفات والجنح التى نص عليها قانون الاندجينا فهي :

١ — تكلم مالا يليق فى فرنسا وحكومتها .

٢ — رفض او عدم تنفيذ امر الحراسة حسبما تنص عليه الادارة او التخلف عن مركز الحراسة او التهاون في الحراسة .

٣ — الامتناع من اعطاء اعوان السلطة مقابل الثمن المعجل وحسب التعريفة الادارية التى يسنها المتصرف او اعوانه وسائل النقل والمؤونة والماء الصالح للشرب والوقود ، وذلك فيما اذا كان لاعوان السلطة لهم اذن خاص بذلك و يحملون رسائل تعرف بهم رئيس الدوار او القبيلة في النواحي التي يعينها الوالى العام سنويا ، وعلى رئيس الدائرة او القبيلة ان يعرف سائر رجال الدوار او القبيلة بالتعريفة الرسمية التى تشمل ثمن الاشياء التى يمكن ان تجرى عليها السخرة .

٤ — عدم تنفيذ الاوامر التى تصدر لتعيين الملكية اولحفظها .

٥ — السهو عن تقييد المواليد والوفيات فى دفتر الحالة المدنية او التأخر فى ذلك او مخالفة الامر الصادر في جعل اللقب العائلي .

٦ — عدم احترام القرار الادارى في تقسيم الارض المشاعة للفلاحة بعد اخذ راى مجلس الجماعة فى ذلك .

٧ — التاخر عن دفع الضرائب او الغرائم وكل مال من اموال الدولة والبلدية .

٨ — عدم الاجابة حالا بدون موجب شرعى على استدعاء مراقب او موزع الضرائب المختلفة بمناسبة تقرير الضرائب .

٩ — محاولة اخفاء او المشاركة في محاولة اخفاء الحيوانات والاشياء كيلا تدفع عليها الضرائب الدولية .

١٠ — الاحتفاظ بحيوانات تائهة اكثر من ٢٤ ساعة بدون اعلام السلطة .

١١ — ايواء اشخاص من غير الدائرة الممتزجة اذا لم يكونوا حاملين رخصة السفر الخاصة، بدون اعلام رئيس الدوار بذلك .

١٢ — عدم تسجيل السلاح فى ظرف ١٥ يوما سواء كان السلاح موروثا او وقع اشتراؤه برخصة رسمية خاصة .

١٣ السكنى في مكان منعزل خارج عن الدشرة او الدوار بدون اذن خاص من المتصرف او نائبه اوالسكنى بمكان يمنع السكنى فيه .

١٤ — الخروج من تراب الدائرة التى يسكن فيها والدخول في تراب دائرة اخرى الالمن كان محرزا على جواز سفر ، ويصلح جواز السفر لمدة عام واحد فان اساء الاهلي استعماله نزع منه واصبح لايستطيع ان يغادر باي حال من الاحوال مدينة او قرية اودوار سكناه .

١٥ — اذا حل بمدينة غير مدينته الاصلية واستقر بها على الاقل ٢٤ ساعة وتغافل عن الذهاب لمركز السلطة وتسجيل جواز سفره ، وكلما حل بمركز وجب عليه تسجيل ذلك الجواز ، فاذا استقر بالمدينة المسافر اليها سجله كذلك .

١٦ — الخروج الى السوق بدواب وماشية قصد بيعها دون التحصل من عضو اهلي من اللجنة البلدية على شهادة يتحصل عليها بدون ثمن تتضمن وصف ذلك واسم مالكه وعلى العضو الاهلي ان يشعر المتصرف بذلك حالا .

١٧ — اذا حدث الشغب فى السوق او في محل عمومي وكان شغبا لايكفى لاعتباره جنحة .

١٨ اذا رفض او تغافل عما طلب منه القيام به من عمل او خدمة او مشاركة فى اغاثة عند وقوع حادث اونهب اوشغب عام اوتنفيذ قرار عدلي .

١٩ القيام بزيارة ولى اوعمل وليمة له (زردة) في جماعة بدون اذن خاص او اطلاق عيار نارى في حفلة عرس اوختان اوغير ذلك بدون اذن خاص ايضا .

٢٠ — فتح اى محل دينى او مدرسة للتعليم بدون اذن .

٢١ — رفض الوقوف امام كوميسار البوليس العدلى بعدالاتصال بالاذن الكتابي بذلك

٢٢ — التغافل اورفض ارسال الصبيان الى المدرسة الابتدائية اذا كانت المدرسة لاتبعد اكثر من٣ كيلو مترات عن محل السكنى الا لعذرمعقول(وهذا لم ينفذ الا فى بلاد القبائل البربرية فقط .)

٢٣ — عدم تنفيذ اى امر صادر من السلطة الادارية .

٢٤ . — مخالفة القرارات المتعلقة بنظام المياه والابار والاودية والعيون وقنوات السقي زيادة على ما يمكن الحكم به على المتعدى من تعويضات وغرامات .

٢٥ — قطع شجرة اواشجار بدون اذن من المتصرف الا في الحالة التى نص عليها قانون ٩ دسامبر ١٨٨٥ .

٢٦ — رفض اعطاء المعلومات اللازمة الى اعوان السلطة الادارية او القضائية اثناء قيامهم بوظيفهم ، اواعطاؤهم معلومات مخالفة للحقيقة .

٢٧ — تحطيم او تغيير او تبديل العلامات الحجرية او الترابية التى يضعها رجال السلطة في مختلف الجهات .

هذه هى المخالفات التى يعاقب عليها قانون الانديجينا ، وكانت الصولة في تنفيذ العقوبات بيد المتصرفين في البلديات الممتزجة ثم اصبحت منذ عام ١٩٢٨ بيد قضاة الصلح ، وكانت هذه الاحكام لاتشمل الذين لهم حق الانتخاب البلدى ولاتنفذعليهم ولم يقع تجديد قوانين الانديجينا الاستثنائية ، فزالت وانتهى معها عمر المحاكم الزجرية سنة ١٩٣١ وبقي من الاحكام الاستثنائية على المسلمين : سلطة الوالى العام ومحاكم الجنايات الاهلية ومحاكم الجنوب .

سلطة الوالى العام الزجرية

يمكن للوالي العام الجزائرى بواسطة السلط الواسعة المخولة له ان يحكم على الاشخاص اداريا ، بالنفي الادارى لمدة لاتتجاوز سنتين ويسمى ذلك النفي رسميا : الوضع تحت المراقبة الخاصة . وان يحكم بالغرامة المشتركة على الدواوير والعروش ويحكم ايضا بحجز املاكها ؛ انما كل ذلك بعد عرض المسالة على المجلس الاعلى الحكومي الذى يوافق غالبا .

النفي الادارى : وقد كانت سلطة الوالي فى النفي الادارى او السجن الادارى واسعة جدا ؛ ثم ضيقت وانتظمت بقانون ١٥ جويلية ١٩١٤ ، واصبح الوالى العام لا

يستطيع بعد اذن المجلس الاعلى الاوضع الشخص تحت المراقبة فى مكان معلوم لايستطيع ان يخرج منه ، واذا راى الوالى وضع الاهلي تحت المراقبة اي النفي الادارى فانه يهيء له ملف اوراق تشمل اولا — بيان الاعمال التى يرى الوالي مؤاخذة الرجل بها و نفيه لاجلها ؛ ثانيا — ورقة التعريف العدلي عدد ٢ ، ثالثا — مذكرة تبين عمر الشخص وسوابقه وموارد حياته وطريقة معيشته وكيف تتالف عائلته و راى نائب العامل او الكاتب العام للامور الاهلية فى نوع العقوبة و مداها ؛ والوالي يقدم اللوسى الى المجلس الحكومي الاعلى الذى يراسه فى هذه الحالة نائب الرئيس لا الوالي العام نفسه : والوالي يعين احد اعضاء المجلس لتحرير تقرير في المسألة .

فاذا قدم العضو المقرر تقريره اصدر المجلس الاعلى حكمه اما مؤيدا طلب الوالي او مقررا رفضه لعدم توفر البراهين او شروط التتبع ؛ و يمكن للمتهم ان يطلب عشرة ايام لتهيئة دفاعه و يمكنه لاستعانة بمحام او طلب تعيين محام من قبل الادارة ، و يمكن للمجلس ان يصدر حكمه باطلاق سراح المتهم موقتا ريثما تتم اعمال المجلس الاعلى، ولهذا المجلس أن يأذن للمتهم باحضار الشهود الذين يرى احضارهم مفيدا له ، وله ان يرفض ذلك ؛ واذا اجتمع المجلس الاعلى للنظر في مثل هذه القضايا فان حضور المدعى العمومي والرئيس الاول لدائرة الاستئناف اومن ينوب عنهما يكون واجبا وعندما تتم اعمال المجلس في القضية ؛ يمضى القرار كل الاعضاء الذين حضروا و يرسل الى الوالي العام في ظرف ثلاثة ايام ليرى رايه فيه ، ولايمكن للوالي العام ان يضع اهاليا تحت المراقبة الا بعد اذن المجلس ؛ انما يمكن للوالي ان يخفف من العقوبة التى يقررها المجلس .

والذين يصدر عليهم حكم الوالي اداريا على هذه الصفة يمكنهم ان يرفعوا امرهم مستانفين اما الى وزير الداخلية او الى مجلس شورى الدولة *Conseil d'état* فى باريس وطلب المراجعة لايوقف تنفيذ الحكم .

وقد كانت سلطة الوالي فى هذه الاحكام الادارية موقتة لخمسة اعوام آخرها

يوم ١٥ جويلية ١٩١٩، و في ذلك التاريخ انتهت فعلا لكنها اعيدت بقانون ٤اوت ١٩٢٠ انما اعيدت بصفة مستمرة غير موقتة .

حجز الاملاك ، باشرت الادارة الفرنسية حجز الاملاك منذ اوائل عهد الاحتلال واول عمل قامت به هو حجز املاك الداي والبايات والمتوظفين الاتراك الذين الزموا بمغادرة البلاد اثر تسليم المدينة فى جوان عام ١٨٣٠ ، ثم صدر الامر بتنظيم مسالة حجز الاملاك الخاصة او العامة وادخالها فى املاك الدولة فى ٣١ اكتوبر ١٨٤٥ . و تحجز الاملاك في قطر الجزائر لسببين : اولا — القيام باعمال عدائية ضد فرنسا او ضد القبائل الخاضعة لفرنسا ، او اعانة اعداء فرنسا بصفة مباشرة اوغيرمباشرة او عقد علائق ودية مع اعداء فرنسا؛ ثانيا -- هجر الارض والاملاك والالتحاق بالعدو وزاد قانون ١٧ جويلية ١٨٧٤سببا ثالثا — وهو احراق الغابات اذا ثبت العمد في احراقها .

و حجز الاملاك (*Le sequestre*) لا يكون من اوله ادخالا للاملاك المحجوزة فى املاك الدولة ويمكن للاهالى الذين وقع حجزاملا كهم ان يطالبوا الدولة بارجاعها اليهم في مدة عام من تاريخ اعلان الحجز و ذلك اذا اثبتوا بان الحجز وقع عليهم غلطا او بانهم لم يرتكبوا اي عمل يبرر الحجز ، فاذا لم تقع اجابة طلبهم فى مدة عامين من تاريخ الحجزوقع ضم الاملاك المحجوزة لاملاك الدولة . ولايكون قرار الحجز نافذا الابعد مصادقة المجلس الحكومي الاعلى .

التغريم المشترك (*Amende Collective*) وهى الخطايا التى يمكن للوالى العام بعد مصادقة المجلس الحكومي الاعلى ان يفرضها على مجموع قبيلة اودشرة او دوار ، وقد جرى العمل منذ اوائل عهد الاحتلال بهذا التغريم المشترك واصدر الماريشال بيجو قراره فى ٢ جانفي ١٨٤٤ فى تنظيم هذا النوع من التغريم الذى يصيب المذنب والبريء معا ؛ و في ايام الامبراطور نابليون الثالث وقع الغاء هذه الخطايا ثم اعيدت من بعد بمنشور وزارى صادر فى ٨ مارس ١٨٥٩ ، اما النص القانوني فهو يجعل

عقوبة التغريم المشترك خاصة بجريمة احراق الغاب لكن مجلس الحكومة الاعلى ينفذها لجرائم أخرى غير ذلك بعدما ينظر فى التقارير التى ترفعها اليه السلطة المحلية الادارية و مصلحة المياه والغابات ؛ و بعد استماع ملاحظات ودفاع رؤساء الدواوير او القبائل.

القضاء الفرنسى فى اراضى الجنوب

ان القضاء فى بلاد الجنوب الخاضعة للاحكام العسكرية يخالف تمام المخالفة نظام القضاء فى بلاد الشمال المدنية ، وذلك فيما يتعلق بالجرائم والمخالفات التى يرتكبها المسلمون . اما الاروبيون فامرهم يرجع الى محاكم الشمال وكذلك اليهود

فالقضاء في اراضى الجنوب يشمل : المجالس الحربية للقضايا الجنائية واللجان الزجرية للقضايا الجناحية والرؤساء العسكريين والاهليين في المخالفات .

المجالس الحربية (Conseil de Guerre) وهى ثلاث مجالس : في الجزائر وفي قسنطينة وفي وهران وتحاكم المسلمين اهالي ارض الجنوب العسكرية كما تحاكم العساكر والضباط والعبرة في المحاكمة بمكان وقوع الجريمة ، فان وقعت فى الارض العسكرية حوكم مرتكبها عسكريا وان وقعت في الارض المدنية حوكم المجرم مدنيا ، والمحكوم عليهم بالاعدام من طرف المحاكم العسكرية يعدمون رميا بالرصاص كالجنود ولا تقطع رؤوسهم .

والاحكام العسكرية لا تعرف الاستئناف بل كان الصادر عليه الحكم يمكنه طلب المراجعة ليس الا ،فلما الغيت مجالس المراجعة اصبحت القضايا تقدم لمحكمة النقض والابرام وهى اما تثبت الحكم واما تنقضه من اصله و ترجع القضية لمحكمة عسكرية اخرى .

وفى الحقيقة ان نظام المجالس الحربية منتقد جدا وطالما ثار عليها رجال القانون ،وقال العلامة لارشى ان هذه المجالس ربما كان لها ما يبررها اثناء الاحتلال وعند حروب الامير عبد القادر اما الآن فليس لها اصلا اى وجه معقول .

اللجان الزجرية : وهى لجان عسكرية قال عنها مسيو لارشي المذكور : هي لجان ليست بمحاكم ، وفيها رجال جند ليسوا بقضاة تصدر على رعايانا احكاما بالسجن تبلغ سنة وتغريما يبلغ الالف من الفرنكات » وانتقد هذه اللجان بشدة ، قائلا انه ليس لها ما يبرر وجودها الا رغبة رجال الجند بالمكاتب العربية في الحصول على سلطة استثنائية تمكنهم بصفة مختصرة وسريعة وفعالة من زجر الاهالي وقد كانت المكاتب العسكرية التى تسمى المكاتب العربية هى المكلفة بزجر الاهالي وكانت تصدر احكامها حتى على الذين تقدموا امام المجالس الحربية و حكمت ببراءتهم لعدم توفر الحجج ضدهم وقامت زوبعة شديدة فى صحافة فرنسا وثار اصحاب الافكار العادلة الحرة ضد هذا النوع من الحكم الغريب ؛ واخيرا وقع القضاء على نفوذ المكاتب العربية — بصفة رسمية — واوجد مكانها اللجان الزجرية .

لكن ما هي المخالفات او الجنح التي تدخل تحت احكام اللجان الزجرية ؟ لا يوجد نص قانونى بذلك ، انما يوجد منشور من الوالي العام صادر في ٤ جانفى ١٨٦٨ يعينها وهى : ١ — الضرب والجرح الذى يسبب تعطيلا عن العمل اقل من عشرين يوما ؛ ٢ — الضرب والجرح خطأ بصفة لم تسبب الموت ، ٣ — اتهام الغير تهمة باطلة ٤ — السرقة البسيطة والمشاركة فيها و بيع المسروق ، ٥ — محاولة السرقة ٦ — التحيل ، ٧ — اختلاس الودائع وخيانة الامانة ، ٨ — استعمال مكائيل ومقائيس غيرقانونية ، ٩ — قتل الحيوان او التمثيل به ، ١٠ — قطع او اتلاف الاشجار ، واتلاف المزروعات واحراق اكوام الحصاد ، ١١ — الخصام ، ١٢ — عصيان رجال السلطة والتحيل عليهم اوتهديدهم ، ١٣ — فرار المسجونين والمشاركة في القيام بالجنح ١٤ — التشرد .

اما العقوبات التى تصدر على الاهالى من اجل ذلك فهى : السجن لمدة لاتتجاوز عاما اذا كان الحكم صادرا من لجنة مركزية ، والسجن لمدة لاتتجاوز شهرين اذا صدر الحكم من لجنة فرعية ، والغرامة لاتتجاوز الف فرنك في الاولى و مائتي فرنك في الثانية .

والبحث يقع على يد الضابط المكلف بالمسائل الاهلية وهذا يرسل تقريره الى كوماندان الناحية ، فان كانت المسالة بسيطة ارسلها الى لجنة فرعية او كانت ذات اهمية ارسلها امام لجنة مركزية وان كانت جنائية ارسلها الى القائد العام ليسلمها الى المجلس العسكري .

ويجب على المتهم ان يحضر بنفسه امام اللجنة الزجرية و يمكن للجنة ان تسمح له بالادلاء بشهود وله ان يعين محاميا يدافع عنه ، ولا يكون حكم اللجان نهائيا الا بعد مصادقة الوالى العام الا ان انتظار مصادقة الوالى لا يوقف تنفيذ الحكم بالسجن .

سلطة كوماندانات العسكرية القضائية : خول القرار الصادر في ١٤ نفامبر ١٨٧٤ لكوماندانات الدوائر العسكرية سلطة لمعاقبة الاهالي مباشرة على المخالفات التى يقومون بها ؛ ويترك للكوماندان العسكرى الحرية فى تقدير المخالفة وتقدير عقوبتها ... انما يحدد تلك العقوبات كما يلي : كوماندان الفرقة يحكم حكما اقصاه شهران سجنا و٣٠٠ فرنك غرامة ، والكوماندان الثانى يحكم بما اقصاه شهر وغرامة ١٠٠ فرنك وكوماندان الدائرة او الملحق بما اقصاه ١٥ يوما سجنا و٥٠ فرنكا غرامة ويمكن للكوماندان في حالة تغيبه ان يحيل سلطته العدلية الى ضباط مكتبه العربي على ان لا يحكموا بالسجن اكثر من ثمانية ايام وبالتغريم اكثر من ثلاثين فرنكا .

سلطة الرؤساء الاهالي القضائية : والرؤساء الاهالي هم : القياد والاغوات والباش آغوات ، وقد كانت السلطة انتزعت من بين ايديهم بصفة تامة عام ١٨٧٢ ، ثم اعيد لهم بعضها عام ١٨٧٤ ، و لا يمكن لهؤلاء الرؤساء مهما علت درجتهم ان يحكموا بالسجن على اهلي ؛ انما لهم ان يحكموا عليه بغرامة لا تتعدى عشرين فرنكا ولا تنفذ الا بعد مصادقة السلطة الفرنسية المحلية ، وذلك منطوق منشور صادر من الولاية العامة في ١٩ نفامبر ١٨٧٤ ؛ واذا عثر القائد او الآغا او ما فوقه على اهلي متلبس بجريمة فله حق القاء القبض عليه ، انما عليه ان يسوقه حالا لرجال السلطة الفرنسية .

﴿ محاكم الجنايات ﴾

وهى التى تدعى الكوركريمينال ؛ وتقوم بالنسبة للمسلمين الجزائريين مقام الكور داسيز ، لما قضت قوانين الاندجينا ان المسلمين يحاكمون زجريا فى غير المحاكم الشرعية المعتادة . انتظمت هذه المحاكم بواسطة قانون ٣٠ دسامبر ١٩٠٢ ، ثم دخلت عليها بعض تطورات بقوانين ١٤ فيفرى ١٩٠٣ و ٢٤ جويلية ١٩١٠ .

توجد محكمة للجنايات فى مركز كل دائرة عدلية ؛ والدوائر العدلية فى قطر الجزائر ١٧ كما رأينا في صفحة ٣١٣ ، وتتألف محكمة الجنايات الاهلية من ٣ قضاة فرنسيين (رئيس وعضوين) ومحلفين اثنين فرنسيين ومحلفين اثنين مسلمين ؛ ويراس مجلس الجزائر احد مستشارى مجلس الاستئناف ؛ وفى بقية الدوائر العدلية اما احد المستشارين من المجلس المذكور اورئيس المحكمة الابتدائية ؛ والاعضاء المحلفون المسلمون تقع تسميتهم من بين المسلمين الذين يمكنهم ان يفهموا اللغة الفرنسية ويستطيعون ان امكن وضع إمضائهم او الاجابة بنعم او لا على الاسئلة ، وكل عام تحرر قائمة باسماء المحلفين المسلمين تشمل ٢٠ اسما ، وكل ثلاثة اشهر تعقد محكمة الجنايات جلسة لا يمكن ان تدوم اكثر من ١٥ يوما ؛ وقبل ابتداء كل دورة من جلسات المحكمة يقع تعيين المحلفين الاربعة من بين الاسماء المعروضة وكلما وقعت مباشرة قضية يقع الاقتراع على اسماء المحلفين الذين يجلسون على مقاعد الحكم فيها ؛ ويمكن لوكيل الحق العام وللمتهم ايضا ان يطلب تغيير احد المحلفين او كلهم لاسباب يبينها وعندئذ يقع الاقتراع من جديد ثم يقسم المحلفون يمينا على تتبع المسالة باهتمام وحفظ سرية المفاوضات وانهم لا يحكمون الا ضمائرهم .

وهذه المجالس تحاكم « كل المسلمين سواء كانوا جزائريين او اجانب » ماعدا الذين يسكنون في مناطق الجنوب العسكرية ولا تحاكم الا على الجرائم المرتكبة في قطر الجزائر فقط والمحلفون يتشاركون فى المفاوضة مع الحكام لا في موضوع القضية فحسب بل في تقرير العقوبة ومقدارها ؛ بينما المحلفون في الكورداسيز لا يشاركون

الا في تقرير التهمة و حسبهم ان يقولوا ان المتهم مذنب او بريء . فان كان بريئا اطلقت ساحته ، وان قرروا ادانته اصدر عليه القضاة وحدهم الحكم

البحث الثالث

القضاء الاسلامى

لم تبق الايام من هذا القضاء الا شبحا ضئيلا ؛ وقد كان بهذه الديار . كما كان في سائر بلاد الاسلام محترم الجانب موفور الكرامة متصفا باجل واروع اوصاف العدل والانصاف وكان لا يتولاه الا من توفرت فيه شروط النزاهة والاستقامة وغزارة العلم وجلال التقوى ؛ يعهد اليه الامير بالحكم بين المسلمين ينفذ فيهم القانون الذى انزله الله ، فلا يجد المسلمون فيما حكم به بينهم حرجا ويسلموا تسليما .

وكان الامراء — من عهد الفتح الاسلامى الى آخر العهد التركى -- يحترمون القضاء ويحلونه المحل الارفع ، فان بدت من قاض زلة ابرهنة واخذوه من غير شفقة ولا رحمة بعد ان يتثبتوا من امره وكان من وراء القاضي مجلس الشرع يجمع جماعة العلماء لينظروا فى الاحكام وهل هي موافقة للشرع . واحيانا يجتمع هذا المجلس تحت رئاسة الباشا بصفة مجلس نقض وابرام ليتداول في القضايا الهامة

تاريخ محاكم الشرع

وقع الاحتلال ، فاقرت السلطة القضاة وتركتلهم في اول الامر سلطتهم ، ونفت من البلاد من رات انه لا يمكن ان يعمل الى جانبها امثال الشيخ العنابى والشيخ ابن الكبابطى رحمهما الله . وفى ٢٨ فيفرى ١٨٤١ صدر امر ينسف نفوذ القاضى نسفا ؛ وذلك بان نزع منه سلطة الاحكام في الجنايات والجنح ، وجعل احكامه تستأنف الى دائرة الاستئناف الفرنسية ،

وفي ايام نابليون الثالث الذى كان يريد تاسيس « المملكة العربية » بارض الجزائر

صدر قانون غرة اكتوبر ١٨٥٤ ؛ فنظم القضاء الاسلامى تنظيما جديدا وقسمه الى مناطق ثم الغى الاستئناف الى الدائرة الفرنسية ؛ وشكل « المجلس الشرعى » من جديد فاصبح ذلك المجلس دائرة استئنافية شرعية قانونية . وشكل فوق ذلك « المجلس الشرعى الاعلى » المؤلف من رجال القضاء والافتاء ، بعاصمة الجزائر لمراقبة سير المجالس وتوحيد التشريع الحكمى.

وفي ٣١ دسامبر ١٨٥٩ اضمحل كل ذلك ؛ وعادت الحالة الى ما كانت عليه من قبل ؛ بل زيد عليه في ١٣ دسامبر ١٨٦٦ ، رغبة الحكومة فى جعل المسلمين يتقاضون لدى قاضى الصلح ، ويكون القاضى المسلم منفذا فقط لاحكام قضاة الصلح . وانشئت في دائرة الاستئناف غرفة خاصة بها حكام فرنسيون ومعاونون مسلمون للنظر في القضايا المستأنفة . ووقع انشاء « المجلس الاعلى للقانون الاسلامى » يشمل خمسة من اكبر علماء المسلمين ؛ تستشيره دائرة الاستيناف وتعمل وجوبيا برايه . ثم وقع الغاء هذا المجلس في ١١ نفامبر عام ١٨٧٥

وكان عهد الجمهورية الثالثة عهد نسف سلطة القضاة نسفا تاما . فقد صدر قانون ٢٦ جويلية ١٨٧٣ ، ينزع من القضاة حق النظر في مسائل الملكية والاستحقاق . ثم صدر قانون ١٧ افريل ١٨٨٩ يجعل قاضى الصلح هو الحاكم في القضايا العامة بين المسلمين و اخيرا صدر قرار ٧ جوان ١٨٨٩ المنقح بقراره ٢٥ ماية ١٨٩٢ فنظم شان القضاء الشرعى الاسلامى تنظيما اخيرا بعد ان نزع عنه كل سلطة ، واصبح نظر القاضى لا يشمل الا الانكحة والمواريث وتنفيذ احكام قضاة الصلح .

والقضاء الاسلامى يشمل اربعة فروع : القضاء في الارض المدنية ؛ والقضاء في بلاد القبائل البربرية ، والقضاء في ارض الجنوب ؛ والقضاء الاباضى .

القضاء الشرعى في الارض المدنية

للقضاء الشرعى الاسلامى عدة محاكم بارض الجزائر ، هذا توزيعها حسب الدوائر العدلية .

* في دائرة الجزائر : محاكم اصلية بالعاصمة المحكمة الاولى والمحكمة الثانية وبتابلاط وبسور الغزلان وبيوسعادة ومحاكم ملحقة في الاربعاء وتـابـلاط ومنرفيل (تابلاط) وسيدى عيسى (سور الغزلان) .

* في دائرة البليدة: محاكم اصلية ، البليدة والبخاري وشرشال والمدية ومليانةوتيطرى وشلالة ومحاكم ملحقة في البرواقية (مدية) و مارانقو (بليدة) .

* فى دائرة الاصنام : محاكم اصلية الاصنام و دوبرى وتنس وثنيةالاحد وفيلالار ومحكمة ملحقة : واد فضة (الاصنام) .

* في دائرة قسنطينة : محاكم اصليةقسنطينة والميلية وفج امزالة وشاتودان والخروب ومحاكم ملحقة : احواز قسنطينة (قسنطينة) ميلة (فـج امزالة) وادى العثـمانية (شاتودان) عين مليلة (الخروب) .

* في دائرة باتنة : محاكم اصلية باتنة وباتلي (مركزها شير) وانقاوس وبسكرة وتقوط وخنشلة و جبل شيشار (مركزها تابردغا) ومحاكم ملحقة بلزمة (انقاوس) اولاد زيان ومركزها القنطرة (بسكرة) بريكة (انقاوس) .

* في دائرة عنابة : محاكم اصلية عنابة والقالة ، ومحاكم ملحقة موندوفي(عنابة) بو حجر (القالة) .

* فى دائرة قالمة : محاكم اصلية قالمة وعين البيضاو وادى الزناتي وسوق اهراس وتبسة

* فى دائرة سكيكدة : محاكم اصلية القل وعزابة ومحاكم ملحقة : سكيكدة (عزابة) العروش (عزابـة) .

* في دائرة سطيف : محاكم اصلية سطيف و برج بوعريريج و مسيلة وقصر الطير وسانت ارنو ومحكمة ملحقة : زمورة (برج بوعريريج) .

* في دآيرة وهران : محاكم اصلية وهران وعين تموشنت والسيق وارزيو ومحاكم ملحقة : التليلات (السيق) .

في الصفحة يمناه و في السطر ١٦ منها ذكرنا قرار ٧ جوان ١٨٨٩ . والحقيقة انه لاتعلق لـه بالقضاء الاسلامى الخاضع الآن لقانون ١٧ افريـل ١٨٨٩ وقراره ٢٥ ماية ١٨٩٢ فقـط .

* في دآيرة معسكر : محاكم اصلية معسكر وسعيدة و محاكم ملحقة : باليكاو واسمها الاصلي تيغنيفت (معسكر) بريقو (معسكر) .

* في دآيرة مستغانم : محاكم اصلية مستغانم و زمورة و مازونة وكسان وعمي موسى و محكمة ملحقة : غليزان (مستغانم) .

* دائرة سيدي بلعباس : محكمة اصلية سيدي بلعباس .

* دآيرة تلمسان : محاكم اصلية تلمسان وندرومة وسبدو وميسردا و بني واسين و محكمة ملحقة : بني كيمان (ندرومة) .

* دآيرة تيارت : محاكم اصلية : تيارت وفرندة وسقر وافلو .

المحاكم الاصلية والملحقة ، المحكمة الاصلية هي المحكمة الشرعية الاسلامية التي يراسها قاض ومعه باش عدل واحد او عدة باش عدول ؛ وعدل او عدة عدول والوالي العام هو الذي يؤسس هذه المحاكم او يلغيها بواسطة قرارات .

والمحاكم الملحقة هي المحاكم الشرعية التي لايراسها القاضي بل يراسها باش عدل ينوب عن القاضي في سائر اعماله وتكون المحكمة الملحقة تابعة للمحكمة التي بها القاضي ، والوالي العام ينشيء هذه المحاكم و يلغيها حسب اوامره .

اختصاص المحاكم الشرعية واحكامها : لاتشمل احكام القضاة الا المسلمين الغير المتجنسين ، وتشتغل المحاكم الشرعية بعقود الزواج بين المسلمين والنظر في القضايا المتعلقة بالزواج والطلاق وتقرير الطلاق والحكم في مسائل النفقة والحضانة وتقسيم الميراث على المستحقين حسب الشرع الاسلامي والنظر في الخلافات التي تقوم بين المستحقين والحكم فيها حكما نهائيا ان كانت قيمة المختلف عليه لاتتجاوز ٥٠٠ فرنكا ، وحكما ابتدائيا يمكن استئنافه للمحكمة الفرنسية ان كان الخلاف متعلقا بمقدار فوق ذلك .

واذا دخل نائب بيت المال في قضية ميراث فان تلك القضية تخرج عن نظر محكمة القاضي وتدخل للمحاكم الفرنسية .

البربر القبائل والمحاكم الشرعية : ومن اغرب واعجب ما عملته السلطة فى البلاد هو ان سكان بلاد القبائل البربر ، وليست لهم في بلادهم محاكم شرعية بل محاكم خاصة سياتى الكلام عليها وهم مسلمون من احسن الناس عقيدة وايمانا لايحق لهم ان يتحاكموا حتى في غير بلادهم امام القضاة المسلمين في المحاكم الشرعية بل كل قضاياهم فى امور الزواج والطلاق والميراث وغير ذلك يجب وجوبا ان تجري امام قاضى الصلح وذلك حسب قرار ١٧ افريل ١٨٨٩ لكن اذا رضى البربرى والبربرية بعقد زواجهما امام القاضى الشرعى المسلم وكان ذلك رفضا لعرفهم الخاص فانهما يستطيعان التحاكم لدى القاضى المسلم و يكون الميراث بينهما حسب الشريعة الاسلامية لاحسب العرف البربرى .

القضاة : الوالى العام هو الذى يعين القضاة للمحاكم من بين الباش عدول المقيدين بقائمة التقدم لمنصب القضاء ، ولا يحق للباش عدل ان يطلب منصب القضاء الا اذا قضى على الاقل عشرة اعوام في خدمة المحكمة منها خمسة اعوام بصفة باش عدل ، و يكون محرزا على الشهادة العليا من المدرسة الثعالبية او شهادة استحقاق منصب قاض ، وقد قرر الوالى في ٣١ جويلية ١٩١٤ و في ١٢ اكتوبر من تلك السنة اجراء امتحان خاص لتولى منصب القضاء الا ان ذلك لم يقع الامرتين فقط .

وللقضاة خمس مراتب : مرتبة ممتازة لايتجاوز عدد القضاة فيها ٣ و مرتب القاضى فيها ١٤٥٠٠ في السنة ومرتبة اولى وعدد قضاتها ٦ ومرتبهم السنوى ١٣٥٠٠ ومرتبة ثانية وقضاتها ١٢ و مرتبهم السنوى ١٢٥٠٠ ومرتبة ثالثة وقضاتها ٢٤ ومرتبهم السنوى ١١٠٠٠ .

والقاضى هو رئيس المحكمة والمسؤول عنها ؛ يحكم فى المسائل التى من خصائصه الحكم فيها وله الحق فى استلام الامانات والودائع ، و يباشر تنفيذ الاحكام التى تصدر من المحاكم الفرنسية والتى له حق تنفيذها وعندما يتولى القاضى منصب القضاء يؤدى امام المحكمة الابتدائية الفرنسية اليمين القانونية ونصها : امام الله والناس

اجمعين اقسم واعد بطهارة ضمير ان اقوم دينيا باعباء وظيفتي احسن قيام .

والمدعي العمومي هو رئيس القضاة الاعلى .

وللقاضي الحق في غشيان الاسواق في اوقات معلومة لفض بعض القضايا البسيطة بين الناس فيها لاتتجاوز قيمته مائتي فرنك .

ولطالما وجه الناس بحق وبباطل انتقاداتهم المرة على الكثير من القضاة واتهموهم في ثقتهم وامانتهم ؛ والله يشهد انه لو احاطت الادارة القضاة بسياج من الاحترام و حفظت لهم ناموسهم وسلطتهم ، واعطتهم وهم موظفون عدليون كسائر المتوظفين مرتبات تليق بمنصبهم وتكافيء ما يقومون به من الاعمال ؛ ولواعتبرتهم من حيث المرتب حتى كما تعتبر قضاة الصلح فقط ، ولااقول كرؤساء المحاكم الابتدائية اذا لقطعت جهيزة كل خطيب ، ولما راينا اصلا اى انتقاد يوجه على اى قاض ؛ فالواجب على الادارة ان كانت رغبتها ابقاء القضاء الاسلامي بهذه الديار ان تعيد نظرا في مسألة المحاكم الشرعية ، فتعتبرها من حيث النظام والمرتبات كقضويات الصلح سواسية على الاقل ؛ ولن يرى الناس يومئذ من المحاكم الشرعية والقضاة الا مايبيض الوجوه و يسر الانفس ؛ وخاصة اذا وقع اصلاح برنامج المدرسة الثعالبية واصبح القسم العالي منها يخرج علماء جلة يتولون مناصبهم العالية فيزينون بعلمهم وغزارة اطلاعهم ونزاهتهم مجالسها .

الباش عدول : يعينهم الوالي العام كما يعين القضاة ، ويختارهم من بين عدول المحاكم ؛ و يشترط فيهم ما يشترط في القضاة من الشهادات ، والباش عدل هونائب القاضي وله كل السلط التى لذلك ؛ وعندما يتولى منصبه ينطق امام المحكمة الفرنسية باليمين التى يحلفها القاضي ؛ وان كانت محكمة بها عدة باش عدول فان اقدمهم عهدا هو الذى يكون نائب القاضي .

و في المحاكم الملحقة يكون الباش عدل هو رئيس المحكمة يعمل فيها كل اعمال القاضي وعلى قاضي المحكمة الاصلية ان يراقب المحكمة الفرعية مرتين في السنة .

العدول : لايمكن ان يسمى عدلا الا من بلغ من العمر ۲۲ عاما وكان محرزا على شهادة المدرسة الابتدائية ، والوالي العام هو الذى يسمى العدول باقتراح من رؤساء دائرة الاستئناف ، والعدل هو كاتب المحكمة ، يكتب تحت املاء القاضى ويختم معه اومع الباش عدل بصفته شاهدا ، ثم هو الذى يحفظ اموال المحكمة و يسجل حساباتها . ويقسم اليمين عند تولية المنصب .

الاعوان ؛ وهم المعاونون فى المحاكم ، يبلغون الاستدعاء للخصوم ويقومون باشغال المحكمة ، ويمكن للعون ان ينوب العدل اذا تخلف . والمدعى العمومي هو الذى يسمى الاعوان في مناصبهم ولا يقبل العون الا بعد امتحان وعليه ان يؤدى اليمين القانونية عند مباشرته خطته .

اجور العدول والاعوان : و من اغرب ما يقع في المحاكم الشرعية ، ان الادارة لاتعين مرتبا قارا للباش عدول او للاعوان ؛ بل كل محكمة تقتسم مداخيلها الخاصة من اجور العقود التى تقوم بها والرسوم المختلفة حسب تعريفة خاصة لا يجوز لها ان تتعداها ؛ وهذه طريقة خرقاء غريبة لا يوجد اصلا ما يبررها . وكان الاقرب للمعقول وللعدل ولحرمة المحاكم ان تتعين مرتبات قارة كافية لطبقتي العدول والاعوان كما ان كل موظفي وكتبة قضويات الصلح لهم اجورهم الوافرة الكافية ، وتكون مداخيل المحاكم راجعة للادارة راسا وبهذا ينتهي الغبن الفادح و يضمن احترام الحقوق .

قضاة الصلح مقام القضاة : ومما يزيد في الطين بلة و في باساء القضاة بالمحاكم نغمة ، ان القانون الصادر فى ۱۰ سبتامبر ۱۸۸٦ سمح لقضاة الصلح بان ينظروا في سائر القضايا التى هي من خصائص المحكمة الشرعية ، وذلك اذا رضى الخصمان بالتحاكم لدى قاضى الصلح بدل المحكمة الشرعية ، و فى هذه الصورة يحكم قاضى الصلح بمقتضى القوانين الاسلامية . وكان ذلك القانون يريد ان يثبت بان قاضى الصلح هو وحده المختص بالمسائل الاسلامية وان المحاكم الشرعية ليس بقاؤها الا استثنائيا . الا ان المسلمين لم يرضوا ابدا ان يعدلوا عن حكام شريعتهم المطهرة

في محاكمهم الخاصة ، وقل وندر ان يرضوا بالتقدم امام قاضي الصلح و يعدلوا عن قضاة المحاكم الشرعية فيما يجوز لها النظر فيه .

تدوين الفقه الاسلامي ؛ يقع القضاء في القطر الجزائري حسب مذهب امام دار الهجرة مالك بن انس رضي الله عنه ؛ والنصوص الفقهية الواردة غالبا في متن خليل تكون هي دعائم الحكم ، ويقع الاعتماد احيانا على نصوص الفقه الحنفي الا ان ذلك نادر و يعتمد المتقاضون احيانا على فتاوى يستصدرونها من رجال الافتاء الذين تعينهم الادارة من متخرجي القسم العالي بالمدرسة و يوجد الكثير منهم في مختلف انحاء البلاد ، الا ان العمل بنصوص متفرقة وعدم تعمق الكثير من القضاة في العلم والبحث وعدم تضلع الكثير من رجال الافتاء ، اثبت وجوب تدوين المعاملات في الفقه الاسلامي بصفة مجلة قانونية ؛ يرجع القضاة والوكلاء والخصوم الى بنودها كما كان يجرى به العمل في البلاد العثمانية سابقا و في بلاد مصر الآن .

و جمعت الدولة مجلسا من علماء المسلمين و من رجال القانون الفرنسيين سنة ١٩٠٤ واخذوا يباشرون ذلك العمل ، ثم اصدر مسيو موران مدرس الحقوق بالكلية « مجلة الاحكام الاسلامية » وظن انه تمكن من حصر المعاملات الشرعية فيها واعتمد عليها قضاة الصلح و حكام المجالس الابتدائية ، وحتى بعض المحاكم الشرعية ، الا انه ثبتت بانها لاتوافق الفقه الاسلامي تمام الموافقة وفيها خلل كثير ، فكان من احسن اعمال مسيو موريس فيوليت الوالي العام الاسبق انه استمع شكاة رجال الشرع الاسلامي و جمع لجنة جديدة فيها عدة من رجال القانون والقضاء الفرنسي وثلة من كبار العلماء الرسميين امثال العلامة الكبير الشيخ المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة والمرحوم المبرور الشيخ مصطفى الشرشالي قاضي تيزي وزو والعالم الاكمل الشيخ محمود كحول الامام بالجامع الاعظم والقاضي الفاضل الشيخ عبد الرحمان الصديق قاضي العاصمة ، وبقية السلف الصالح الشيخ بلقاسم الحفناوي مفتي العاصمة و معهم الاستاذ محمد بالحاج مدرس الفقه الاسلامي بالمدرسة الثعالبية والاستاذ احمد لعيمش

المحامي الشهير والمدرس بمدرسة تلمسان وهو مترجم بداية المجتهد الى اللغة الفرنسية ؛ وصاحب اصدق ترجمة للقرآن الشريف واقربها للاصل. وقد عقدت اللجنة عدة اجتماعات وسارت شوطا بعيدا في عملها الشريف لكنها صودمت بموت الراحل الكريم العلامة ابن الشرشالي، واستعفاء مسيو فيوليت فنامت اللجنة الى يومنا هذا، ولا ادرى هل هو نوم حياة او نوم ابدى وبودنا لوتبعث الادارة هذه اللجنة من مرقدها وتضم اليها ثلة من علماء البلاد الاعلام الغير الرسميين وفيهم فحول نبغاء حتى يتم اصدار القانون الشرعي الاسلامي فيكون ضمانا وحجة للقاضين والمتقاضين معا.

الوكلاء الشرعيون

هم رجال المحامات، الذين يحق لهم ان ينوبوا الخصوم في القيام بالدعوى اوالدفاع لدى المحاكم الشرعية ولدى قضويات الصلح عندما تحكم بين المسلمين، والمدعى العمومي هو الذى يصدر امره بتسمية الوكلاء الشرعيين ؛ ولهم ضمن منطقة نفوذهم كل الامتيازات التي للمحامين، و يلبسون اثناء مرافعاتهم ثوبا خاصا بهم وهو ازرق اللون، ولا يمكن ان يتسمى وكيلا شرعيا الا من جاوز سنه ٢٥ عاما؛ وكان محرزا على الشهادة الابتدائية من احدى المدارس الثلاث ومتحصلا على وثيقة حسن السيرة والسلوك.

فان لم يتقدم للاحراز على الوكالة الشرعية متخرجون من المدارس فان للمدعى العمومي اجراء امتحان لغير المتحصلين على شهادة المدرسة يمكنهم ان يتحصلوا اثره على اجازة الوكالة، وتشمل لجنة الامتحان المدعى العمومي او نائبه ، وقاضى صلح من العاصمة وقاضيا شرعيا من العاصمة ايضا ، واحد مترجمي المحكمة الابتدائية وطالب هذه الحرفة يجب ان يقدم طلبه للمدعى العمومى قبل وقوع الامتحان بشهر ويصحبه بوثيقة حسن السيرة وقرار التسمية يعين للوكيل محل اقامته ؛ فلا يمكنه الانتقال من محكمة الى محكمة الا باذن صادر من المدعى العمومي.

٢ — القضاء في بلاد القبائل البربرية

كان اكثر البربر — خلافا لكل ما يقال — يخضعون لسلطة القضاة

المسلمين ايام وجود الحكم الاسلامي بهذه الديار ؛ لكن كثيرا منهم وخاصة البعداء عن المراكز الكبرى احتفظوا بالعادات البربرية القديمة واحلوها محل الحكم الشرعي ، واهم ذلك انهم لا يورثون المرأة اصلا . وقد بسطنا القول في القسم الثالث من هذا الكتاب عن عوائدهم التي اصبحت عرفا وقانونا ينفذه رجال الجماعة وتقهقر الدين هنالك تقهقرا غريبا من حيث المعاملات وقد صدر لتاييد ذلك العرف قانون ٣١ دسامبر ١٨٥٩ وهو القانون الذي نظم محاكم الشرع الاسلامي في البلاد ينص على ان احكام الشرع الاسلامي لاتشمل بلاد القبائل زعم ان اهلها يريدون الاحتفاظ على عرفهم الجاهلي ويريدون ان لا يكون الحكم في بلادهم الا لرجال الجماعة . فلما وقعت ثورة عام ١٨٧١ ضد فرنسا بتلك البلاد ، نزعت الادارة السلطة القضائية من بين ايدي الجماعة ، وجعلتها بيد قضاة الصلح . وجعلت الى جانب كل قاض من قضاة الصلح متوظفا مسلما يدعى « القاضي الموثق » وهو قاض لا يحكم ؛ انما حسبه ان يكتب الوثائق العامة في المعاملات ، الى جانب شهود المعاملات (النوتيرات) الفرنسيين وفي ٢٩ دسامبر ١٨٧٤ ، الغت السلطة الفرنسية سائر القضاة المسلمين الذين كانت نصبتهم من قبل في بعض بلاد القبائل ، فانعدم القضاء الاسلامي بالمرة من تلك البلاد ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

والقاضي الموثق يقوم زيادة على تحرير العقود بين المسلمين بتنفيذ الاحكام التي تصدرها المحاكم الفرنسية ؛ ويباشر توزيع مخلفات الهالكين على المستحقين ، ثم صدر في ١٨ افريل ١٨٨٢ قانون نزع سلطة التنفيذ من ايدي مجالس الجماعة ، وجعلها بين ايدي القضاة الموثقين خاصة ولكل قاض موثق نائب .

محاكم القضاة الموثقين ببلاد الجزائر

في دائرة الجزائر : بويرا و باليسترووعين بسام .

في دآيرة بجاية : بجاية واقبو و جيجل والقصر ولافاييت (قرقور) و خراطة (تاقيتونت) وسيدي عيش (بني واغليس) والطاهير .

في دآيرة تيزي وزو : برج لم نائل وتيزي وزو ودلس وذراع الميزان وقور ناسيونال و ميشلي (اربعاء بني راتن) والعزازقة وازفون (بورقيدون).

في دآيرة سطيف : عين الكبيرة (بيريقوفيل) والمنصورة .

رجال هذه المحاكم

القاضي الموثق : ينتخب القضاة الموثقون من بين نواب القضاة المسجلين بدفتر الترقي و ذلك حسب قرار غرة مايه ١٩٢٦ ، ويشترط ان يكون النائب قد عمل مدة سبعة اعوام على الاقل بصفته نائب قاضي موثق ويكون محرزا على الاجازة العليا من المدرسة الثعالبية ؛ ويجب ان يكون متحصلا على اجازة اللغة البربرية او يمتحن قبل تسميته في اللغة البربرية ؛ وليس للقاضي الموثق اي مرتب حكومي ؛ بل هو ياخذ اجرته من الحرفاء على ما يقوم به من اعمال حسب تعريفة خاصة ؛ والقاضي الموثق كما قلنا آنفا يقوم بكل اعمال القضاة انما ليس له الحق في الحكم الذي هو من خصائص قضاة الصلح ، وسلطة قضاة المحاكم الشرعية في البلاد العربية اوسع من سلطة القضاة الموثقين في مسالة التقديم على الايتام ، والوالي العام الذي يسمى القضاة الموثقين .

نائب القاضي الموثق : والوالي العام كذلك هو الذي يسمي نواب القضاة الموثقين من بين المتحصلين على الشهادة الابتدائية من المدرسة الذين جاوز سنهم ٢٥ عاما والذين لهم شهادة تعلم اللغة البربرية ، وهم مثل الباش عدول في المحاكم الشرعية العربية ولا يتولى قاض موثق او نائب قاض موثق الابعد اداء اليمين في المحكمة الابتدائية.

وانه لمما يؤسف له جد الاسف ومما يؤلم شديد الالم قسمة البلاد الجزائرية من جهة القضاء الاسلامي الى عربية نفوذ قاضيها ضئيل ؛ والى بربرية ليس لقاضيها اى نفوذ حكمى ؛ والواجب هو جعل قضاة الشرع الاسلامي في كل بلاد الجزائر اصحاب سلطة واحدة يحكمون بين العربى والبربرى في امورهم الشخصية بما انزل الله ، فالبربرى القبائلي مسلم من احسن الناس اسلاما ؛ ولئن رجع البعض من بني جلدته اثناء عصور الجهل والغفلة الى بعض العوائد القديمة المنافية للدين الاسلامي على خط مستقيم

مثل اخراج المرأة من الميراث اصلا ، فان ذلك لايمنع رجوع الجهلاء الى حظيرة الدين القويم فى عصر الرشد والنور ، وتقاضيهم الى قضاة المسلمين في امور المواريث حسبما جاء به القرآن الشريف . ولقد راينا في القسم الثالث من هذا الكتاب كيف ان بعض كبار المفكرين الفرنسيين صرح بانه لا يوجد طريق لتحرير المرأة القبائلية ايسر وابسط من جعل احكام الشرع الاسلامي تنطبق عليها ؛ هذا وان اخواننا اهل بلاد القبائل هداهم الله الى الصراط المستقيم يستطيعون بكل سهولة ان يدرأوا هذا الخطروان يضعوا حدا لهذه الحالة المؤلمة ،وذلك بان يبثوا الدعاية فيما بينهم وخاصة بواسطة علمائهم ومرابطيهم ، لكى يعقدوا انكحتهم كلها في المستقبل على يد القاضى المسلم ويكون ذلك اعترافاقانونيا منهم بنبذ احكام عرفهم المخالف للدين وقبولهم لاحكام الشرع الاسلامي في مسائل الزواج والطلاق والميراث ، واني اعجب كل العجب كيف ان رجلا يقول لااله الا الله محمد رسول الله ويصوم ويصلي ، ثم هو لايستمع قول خالقه جل وعلا : يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين» الآية ولقوله : ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » . ! وانا اعتقد انه لو لم تسائر الادارة او تنشط هذه الاعمال : ولوجعلت احكام القضاة نافذة في كل مكان لما كنا الساعة نرى مثل هذا : ولله الامر من قبل ومن بعد .

﴿ ٣ — القضاء فى اراضى الجنوب ﴾

ويمتاز القضاء الاسلامي في بلاد الجنوب بامرين لهما اهمية شديدة : اولهما ان سلطة القضاة هنالك واسعة تشمل كل المسائل المدنية بين المسلمين ، وليس لقاضى الصلح هنالك ان يتدخل فيها ، وثانيهما ان القضاة بالجنوب رغم نفوذهم الواسع لا يشترط فيهم التحصل على الاجازة العليا من المدرسة الثعالبية ؛ بل يكتفى منهم بالتحصيل على الشهادة الابتدائية فقط . حقا اننا فى بلاد المتناقضات ! والقضاة في بلاد الجنوب لايشملهم قانون ١٧ افريل ١٨٨٩ بل هم تحت مفعول قرار ٨ جانفي ١٨٧٠ ويمكن ان يتسمى القاضي فى ارض الجنوب من بين المحرزين على الشهادة الابتدائية

من المدارس ، او من الذين يتقدمون لامتحان خاص امـام لجنـة ممتحنة مؤلفة من ثلاثة قضاة بارض الجنوب ، ويشترط في الباش عدل مـا يشترط في القـاضي امـا العدل فلا يشترط فيه الا معرفة القراءة والكتابة وان يكون مشتهرا بحسن السيرة والوكيل يكون اما محرزا على الشهادة الابتدائية او شهادة اللجنة الممتحنة المؤلفة من ثلاث قضاة .

والقضاة المسلمون فى ارض الجنوب يقومون بخطة القضاء الشرعى الاسلامي وخطة قاضى الصلح معا في كل المسائل المدنية الاسلامية . ويحكمون حكما نهائيا في المسائل البسيطة وحكما ابتدائيا فى غيرهـا ، يمكن استئنافه امـام المحكمة الابتدائية الفرنسية فى الدائرة العدلية التى تتبعها المحكمة ؛ والعدل هو الذى يتلقى طلب الاستئناف وللقضاة في محاكم الجنوب مرتب سنوى قـار هو ١١٥٠٠ في السنة ؛ وهم تحت سلطة الوالي العام ورؤساء الدوآير العسكرية ومراقبتهم .

مراكز المحاكم في ارض الجنوب ؛ توجد فى الارض العسكرية الجنوبية ٢٧ محكمة شرعية هذه مراكزها :

* في ارض تقرت : مليلي و سيدى عقبة واولاد جلال وطولقة وتقرت وجـامعة والواد وقمـار.

* فى ارض غرداية : جلفة وزنينة و مسعد (مركزها كلها بجلفة) والاغواط والارباع (مركزها بالاغواط) وغرداية والعطف ومليكة و بونورة و بريـان وبنى يزقن وقرارة .

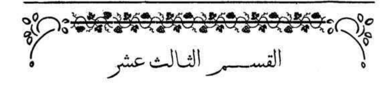
* في ارض عين صفراء : البيض وترافيس (مركزها بالبيض) ومشريـة وعين صفراء و بشار .

* فى ملحق ورقلة : ورقلة .

٤ — المحاكم الاباضية

صدر قرار ٢٩ دسامبر ١٨٩٠ مؤسسا ثلاث محاكم للمذهب الاباضي بالارض المدنية الجزائرية : واحدة بالجزائر واخرى بقسنطينة والثالثة بمعسكر ، ولا تشترط الادارة اى شرط على لاسناد خطة القضاء او العدالة او غيرها فى المحاكم الاباضية ؛ بل تكتفى بان يكون صاحب الخطة عارفا وذا سيرة حسنة ، اشتهر بين ابناء المذهب الاباضى بالعفة والاستقامة ، والقاضي يتناول مرتبا قارا هو ١٠٥٠٠ فرنكا في السنة ، والعدول والاعوان فى هذه المحاكم لاينالون اجورا بل يقتسمون مداخيل المحكمة حسب تعريفة خاصة ، ونظر هؤلاء القضاة الثلاثة قاصر على مسائل الانكحة والطلاق والمواريث ليس الا وفض مشاكلها بين الاباضيين المستقرين بالارض المدنية وللقضاة كذلك حق التقديم الشرعى على القاصرين ، وان كان صريح المذهب الاباضى يجعل ذلك الحق خاصا لعشيرة الهالك والموصى عليه ، والعبرة في قسمة المواريث وتقديم الاوصياء انما هى بمحل وفاة المورث ، فان مات بغرداية مثلا باشر قاضيها العمل ، وان مات بعمالة الجزائر او قسنطينة او وهران باشر قاضى العمالة تصفية حساب التركة وتقديم المقدم ، فان كان المورث قد مات بعمالة ولم يترك مالا او عقارا الا بعمالة اخرى او بارض الجنوب ؛ فان قاضى المكان الذى مات به المورث هو الذى يقوم بكل الاعمال ، ويعين الوصى و يطلب من زميله المستقر حيث توجد املاك المورث او حيث يوجد القاصرون ان يراقب اعمال الوصاية وقسمة الميراث .

والملاحظة التى لنا على هذا النظام هو ان مجلس العزابة بغرداية يجب ان يكون صاحب السلطة فى تسمية القضاة ببلاد التل ، ولو بان يقدم قائمة باسماء المترشحين للحكومة وهى تختار من بينهم الذى تراه لائقا ؛ فذلك اضمن للعدل واكفل للحقوق .



القسم الثالث عشر

— ٢٠ —

حالة المسلمين العامة فى القطر الجزائرى

وضعيتهم القانونية

ما هى وضعية المسلم الجزائري قانونا ؟ وما هى جنسيته ؟

كانت هذه المسالة ولاتزال محل اخذ و رد ومحل نزاع شديد ؛ لانها لم تبن على المعقول والمنطق ، بل تنبنى على الاغراض السياسية والمصالح الاستعمارية فحسب .

فالمسلم الجزائرى يعتبر قانونا فرنسيا ، الا انه من نوع ممتاز ، عليه كل ما على الفرنسيين واكثر مما على الفرنسيين وليس له ما لهم ؛ والسبب الظاهر فى حرمان المسلم الجزائرى من كل الحقوق الفرنسية ، هو احتفاظه على معاملات الشرع الاسلامي فى مسائله الشخصية بحيث لا يرث ولا يورث ولا يتزوج ولا يطلق الاحسب تعاليم الشريعة الاسلامية لا حسب القانون المدنى الفرنسى .

اما السبب الاصلي الحقيقى لحرمان المسلم الجزائري من الحقوق الفرنسية كلها رغم قيامه بسآير التكاليف الفرنسية واكثر من الفرنسيين انفسهم ، فهو خشية الادارة وخوفها من ان يتغلب العنصر الاسلامي الفرنسى على العنصر الفرنسى المسيحى فيستاثر دونه بالمجالس المنتخبة و يستبد بامور البلاد ضرورة ان المسلمين يفوقون ٦ مرات عدد الاروبيين ، لاجل هذا صدر اولا قرار دآيرة الاستئناف بالجزائر فى ٢٤ فيفرى ١٨٦٢ يقول : بما ان دستور فرنسا المحرر فى ٤ نفامبر ١٨٤٨ يلحق الجزائر الحاقا تاما بفرنسا فالمسلم الجزائرى فرنسى ، انما المسلم الجزائرى لا يمكن اعتباره وطنيا فرنسيا *Citoyen*

لانه يحافظ على قانونه الخاص، فهو لذلك يعتبر رعية فرنسية *sujet francais* .

ثم صدر قانون السيناتوس كونسولت الشهير فى ١٤ جويلية ١٨٦٥ ، يقرر المبدأ المذكور آنفا وقد جاء فى الفصل الاول منه ما تعريبه : الاهلي المسلم الجزائرى فرنسي ؛ لكنه يستمر خاضعا لاحكام القانون الاسلامي ، ويمكن استدعاؤه للخدمة في جندية البر والبحر ، ويمكن توظيفه في الوظائف المدنية الجزائرية ؛ ويمكنه — اذا طلب ذلك — ان يتمتع بحقوق الوطنى الفرنسي ، و في هذه الحالة تجرى عليه الاحكام المدنية والسياسية الفرنسية » .

فالمسلم الجزائرى من حيث المنطق والمعقول هو مسلم جزائرى وكفى ، ومن حيث القانون الدولى هو فرنسي ، ومن حيث المعاملات الداخلية الفرنسية هو « رعية فرنسية » يقوم بالواجبات ولا يتمتع بالحقوق الفرنسية الا اذا رضي بالخروج عن احكام الشريعة الاسلامية فى كل ما يتعلق بحالته الشخصية و دخل تحت احكام القانون المدني الفرنسي .

التجنس والمتجنسون

فتح باب التجنس ؛ او حسب التعبير الرسمى باب « التمتع بالحقوق الفرنسية » منذ قانون السيناتوس كونسولت ؛ وازداد ذلك الباب اتساعا منذ قوانين فيفرى ١٩١٩ ؛ واصبح للمسلم الجزائرى الحق فى طلب الاحراز على الحقوق الفرنسية بسهولة كلية عند ما يلتزم بالخروج عن الاحكام الشرع الاسلامى .

لكن هذه الحركة لم تلق من الشعب الجزائرى اي اقبال بالمرة ؛ وعدد الذين اقبلوا على التمتع بالحقوق الفرنسية ضئيل جدا لا يكاد يذكر . واغلبهم ان لم اقل كلهم ولجوا هذا الباب اما قضاء للبانات خاصة ، واما طمعا فى الاحراز على الثلث الاستعمارى ان كان المتجنس متوظفا . اذ لا يخفى ان المتوظف الاوروبي ينال ما يعادل ثلث مرتبه مقابل عمله فى المستعمرة ؛ والمسلم لا ينال ذلك الا اذا تجنس .

فالشعب الجزائرى وهو من اشد الشعوب الاسلامية محافظة على الدين والقومية ،

راى ان خروجه من حالة الضيم والارهاق التى هو عليها الى التمتع بالحقوق الفرنسية موقوف على خروجه راضيا مختارا عن احكام الشرع الاسلامى ونبذه عن طيبة خاطر الاحكام السماوية التى انزلها الله فى الزواج والطلاق والميراث ،وحكم ذلك العمل في الدين معروف لا يتنازع فيه عالمان ، ففضل الشعب البقاء على حالة الضيم والارهاق ، ولم يقبل التمتع بالحقوق التي تاتيه عن طريق نبذ تعاليم دينه والتقاضى بغير ما انزل الله

والطبقات الاسلامية كلها تنفر من التجنس نفورا كبيرا ، وتعتبر المتجنس الذى تدعوه « امطورنى » مارقا من الدين ، ولقد وقعت حوادث شهيرة في بلاد القبائل البربرية حول هذه المسالة ، حيث امتنع الطلبة هنالك من تلاوة القرآن والقيام بصلاة الجنازة على الاموات من المتجنسين ، وقد روى تلك الحوادث في جريدة « البلاغ الجزائرى » الاغر العالم الزواوى الشهير الشيخ السعيد ابو يعلى .

ولقد رايت راي العين هنا في العاصمة بعض العائلات الكبرى التى ترتبط مع بعضها البعض برباط المصاهرة والقرابة من القدم ، ترفض ان تزوج بناتها من ابناء الذين تجنسوا منها . وزيادة على نفور المسلمين من التجنيس ذلك النفور الدينى الشديد الذى يعتمد على نصوص من القرآن الشريف صريحة ، فان المتجنسين انفسهم لم يجدوا من الفرنسيين شعبا وادارة ما كانوا يرجونه من وراء تجنسهم ، فالمتجنس لا يزال ولن يزال مرموقا من الفرنسيين الجزائريين بالعين التى يرمق بها الاهلى ؛ يسمع ما يسمعه الاهلى ، ويرى ما يراه ، ولا يتمتع من الحقوق الفرنسية الا باقلها . اذ هنالك امتيازات كثيرة تخصص للفرنسى الاروبى خاصة ، دون الفرنسى المتجنس الافريقي ....! ومن ذلك المشاركة فى شراء ارض الاستعمار ، فانها لا تحق الا للفرنسى الاروبى فقط .

هذا وقد نال التجنس ضربة قاسية اثر حوادث انتخابات المقلع والمقلع مدينة صغيرة في بلاد القبائل ، اكثر اهلها متجنسون . فلما وقعت الانتخابات البلدية الاخيرة قدم الاهالى قائمة اهلية انتخبت ، وقدم المتجنسون قائمة افرنسية انتخبت ايضا ، فكان المجلس البلدى مؤلفا حسب هذه الصورة من اقلية فرنسية اروبية ؛ واكثرية

قبائلية بين اهالى ومتجنسين . فهال الامر الادارة ، وتقدمت المسألة امام مجلس العمالة في مدينة الجزائر ، فلم يكتف ذلك المجلس بالغاء الانتخابات فقط ، بل قرر الغاء نفس المجلس البلدى فى المقلع ، وعلل مجلس العمالة قراره بدعوى ان وجود اغلبية اسلامية ولو متجنسة بالمجلس البلدى يضر المصلحة الفرنسية ويقضى على سياسة التفوق فعلى الذين يقولون انه يجب علينا ان نتجنس لنحرز على صوت مسموع في الانتخابات ونتمكن من الاحراز على اكثرية ان يتدبروا فى هذا المثال الذى اظهر حقائق طالما حاول المحاولون اخفاءها !

ولقد نشر السيد الزناتى ، وهو اكبر داعية للتجنس والتفرنس فى قطر الجزائر بجريدته « صوت الاهلى » مقالا بديعا اماط به اللثام عن حقيقة موقف المتجنس ؛ وتكلم فيه بقلب يسيل الما ويقطر توجعا ، فقال تحت عنوان « المتجنسون المساكين » انه قدكان المظنون بان التجنس يدخل المرء اصالة فى العائلة الفرنسية ، فضحى الكثير من اجل ذلك ماضيهم وتقاليدهم ودينهم ؛ وجعلوا انفسهم عرضة لامتهان وازدراء بنى جلدتهم الا انهم بدل ان يصبحوا مقابل ذلك فرنسيين ، اصبحوا طبقة ثالثة فى البلاد لا هم من الفرنسيين ولا هم من الاهالى ؛ واصبحت الجزائر تشمل : طبقة الفرنسيين ؛ تليها طبقة المتجنسين ، ثم طبقة الاهالى .

والذى حصحص به الحق الآن ، هو ان المسلمين الجزائريين يريدون ان يتحصلوا على الحقوق وعلى الحرية ؛ انما مع بقائهم مسلمين يحتكمون فى امورهم الشخصية الى ما انزل الله . اما ان كان احرازهم على الحقوق لا يكون الا من طريق الرضى الاختيارى بنبذ الاحكام الاسلامية فهم يفضلون الاحتفاظ على دينهم ولو بضياع الحقوق الطفيفة التى احرزوا عليها .

فالذين يرون على قصر نظر وقلة بحث وعدم دراسة للوسط الجزائرى ، انه يمكن ان يجعل من هذا الشعب المسلم القومى الصلب شعبا فرنسيا بحتا ، مع طول الزمن ، في عوائده واخلاقه ونظمه ولغته وتقاليده انما هم قوم يعللون النفس برؤية البدر ساطعا فى رابعة النهار !

لم نر في التاريخ العالمي ان امة من الامم وقع عليها الاحتلال فاندمجت بكليتها ذاتية واخلاقا ولغة ونظاما في المحتل واصبحت واياه جزءا واحدا ، ذلك مخالف لنواميس الطبيعة ولسنن الله في كونه ؛ ولن تجد لسنة الله تبديلا . فالجزائر سواء احرزت او لم تحرز على الحقوق السياسية ، ستبقى رغم كل شيء جزائر عربية مسلمة لن ترقى ولن تتقدم ولن تنهض من كبوتها الا على طريق الجزائرية والعروبة والاسلام ، وذلك لا يمنع انها فرنسية قانونا ، والذين ساروا الى ميادين القتال وتركوا ثمانين الفا منهم مجندلين في ساحة الوغى ، ما كانوا الا مسلمين جزائريين عربا ، وما كانوا متجنسين وما كانوا مندمجين الا انهم رغم ذلك عرفوا كيف يدافعون عن الارض الفرنسية .

واحسن عبارة قيلت في الموضوع ، هي تلك الكلمة التي فاه بها رجل الجزائر وفخرها العلامة الاستاذ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين في خطاب له القاه ببجاية اذ قال ما معناه : لا تنتظم العلاقات وينمو الود الا اذا تعاملنا بصفاء على قاعدة انت انت وانا انا ، اما ان تصبح انت انا او انا انت فذلك عين المستحيل

﴿ الانتخابات ﴾

رأينا في قسم المجالس المنتخبة ؛ كيف ان المسلمين ينتخبون نوابهم مباشرة في مجالس البلديات التامة ، والمجلس العمومي ، والمجلس المالي ؛ ورأينا كيف ان الانتخاب ليس عاماً لسائر الرجال كما هو الشان عند الاوروبيين ؛ بل هو خاص بطبقات معينة ؛ فصلناها في صفحة ٢٧٩ . وبما ان القوانين لا تعترف للمسلم الجزائري بحق الوطنية ، فهو لا يشارك في انتخاب اعضاء مجلس الشيوخ ومجلس النواب ؛ والفرنسيون والمتفرنسون وحدهم هم الذين ينتخبون ٣ شيوخ و ٩ نواب للقطر الجزائري ؛ بنسبة شيخ واحد و٣ نواب لكل عمالة . وتقوم الدوائر السياسية الاهلية بحركة كبرى طالبة المشاركة في الانتخابات التشريعية ؛ ومنها من يريد نيابة اهلية خاصة ، ومنها

من يريد المشاركة في انتخاب النواب؛ اما الفرنسيون فانهم يرفضون ذلك بدعوى ان الاهالى بمحافظهم على الاحكام الدينية الشخصية لا يحق لهم ان ينتخبوا نوابا لدار الندوة الفرنسية.

الخدمة العسكرية

المسلم الجزائرى يقوم اجباريا باعباء الخدمة العسكرية. الا انه يجبر ايضا على الاعتراف بانه يقوم بخدمته العسكرية متطوعا! والقوانين التى صدرت بخاصة هذه المسالة هي قوانين ٣١ جانفي و٣ فيفرى ١٩١٢. وقد تشكل وفد من الجزائرين ساعتئذ، كان من بين افراده السيد عمر بوضربة والسيد احمد بوركايب ونقيب المحامين الاستاذ لادميرال، لبيان تذمر المسلمين وعدم رضاهم بالخدمة العسكرية الاجبارية؛ الا ان ذلك لم يجد نفعا. واشتد الانزعاج في الطبقات الاسلامية، وهاجرت مئات العائلات الى الشرق من العاصمة وبلاد القبائل وتلمسان وقسنطينة وغيرها. فاستقرت باستانبول وبلاد الشام!

فالمستدعى للخدمة العسكرية والذى يقرر المجلس الصحى صلاحيته لها؛ يتناول اجباريا ١٥٠ فرنكا ويمضى وصل استلامه لها، بصفته متطوعا. ثم صدر قرار ٥ مارس ١٩٢١ يجعل اهل الجنوب الجزائرى خاضعين للخدمة العسكرية كاهل الشمال؛ وعندئذ قام اخواننا اهل ميزاب بحركتهم المعروفة ومساعيهم ووفودهم لاعفاء بلادهم الفقيرة البائسة من الخدمة العسكرية، زيادة على انها بلاد حماية لا مستعمرة.

والمسلم الجزائرى يعمل تحت السلاح عامين متواليين؛ بينما الفرنسى والمتفرنس لايعملان الا عاماً واحدا؛ ويبقى بعد انتهاء خدمته تابعاً لفرق الاحتياط مدة سبعة اعوام. والسن القانوني للخدمة العسكرية هو ٢٠ عاماً؛ ويمكن ان يعفى من الخدمة من كان السند الوحيد فى عائلته؛ او الطالب الى ان يتم مدة دراسته. ولا يحق للمسلم الجزائرى الغير المتجنس ان ينال في العسكرية فوق رتبة قبطان. الا ان هنا لك فرقة «القوم» وهي من المتطوعين العرب الذين يذهبون فرسانا تحت امرة الاغوات

او القياد للدفاع عن فرنسا . فرؤساء هذه الفرق يمكن ان ينالوا رتبا فوق ذلك الا انها رتب شرفية لا عملية .

الوظائف

راينا ان قانون السيناتوس كونسولت سمح نظريا للمسلمين بان يشاركوا في الوظائف المدنية العامة . الا ان قرار ٢٦ مارس ١٩١٩ وقرار ١٤ دسامبر ١٩٢٢ قد خصصا عدة وظائف سمياها «وظائف سلطة» لا يمكن للمسلم الجزائري ان يتولاها ، وهي : كاتب عام بالولاية العامة ومستشار حكومة ونائب مستشار حكومة ومدير بالولاية العامة وعامل وكاتب عام بادارة العمالة ونائب عامل ومستشار بالعمالة ومراقب او مدير او مدير ثان ببلدية ممتزجة ورئيس اول بدائرة استئناف ورئيس غرفة عالية ومستشار بالدائرة العدلية ومدعى عمومي ووكيل حق عام ونائب مدعى او نائب وكيل حق عام ورئيس محكمة ابتدائية ونائبه وقاضي بحث وحاكم نائب وقاضي صلح وقاضى صلح نائب ومدير جامعة علمية ومراقب علمي ومحافظ ومراقب مياه وغابات وقابض عام او خاص بالخزينة الجزائرية ومدير او مراقب للديوانة ومدير او مراقب للتسجيل واملاك الدولة والتامبر ومدير او مراقب بادارة الضرائب ومراقب ادارة الشغالين ومدير او مراقب بادارة البريد وكوميسار بوليس ومراقب بوليس السكك الحديدية والمراسي»

والذى يجرى به العمل الآن هو انه لايمكن للمسلم ان يتوظف في الادارة الجزائرية الا بصفة : قائد او قاض او مترجم اوعون بوليس اوشاوش ادارة او مدرس او كاتب باحدى الادارات ، والمتوظف المسلم يتناول في الاغلب مرتبا اقل مما يتناوله زميله الفرنسى من نفس رتبته ، وللفرنسى زيادة الثلث الاستعماري على المسلم

العمال المسلمون

هم السواد الاعظم فى الشعب الجزائرى ؛ بل هم الامة الجزائرية عموما ، لان طبقة المتمولين واصحاب الارض قد تقلص عددها وتضاءل بصفة مدهشة ؛ حتى اصبح عددها لا يكاد يجاوز ١ من ٦ . فالامة الجزائرية امة عمال .

والعامل الجزائرى لا يكاد يستطيع ان يسد رمقه او يطفىء غلته، فهو لا يتقاضى على عمله الشاق المنهك الا اجورا زهيدة طفيفة لا يعلم الا الله كيف يستطيع ان يعيش بها ويعول بها عائلته . فهو يتقاضى في الاوقات المعتادة اجرا يتراوح بين ٨ فرنكات و ١٢ فرنكا . (وثمن الكيلو من الخبز ٤٠ ـ ٢ واللتر من الزيت الاعتيادى ٤ فرنكات) واذا اسعده الحظ وعمل باحدى المصانع او بعض المراسى فهو يستطيع ان يتحصل على اجر فوق ذلك . لهذا تجد الفقر المدقع قد ضرب اطنابه بانحاء البلاد الجزائرية وخيم على ربوعها كالكابوس الرهيب ، وتصور حالة طبقة عامة هي خمسة اسداس السكان، لا ينال الرجل العامل منها فوق ١٢ فرنكا يوميا الا في القليل النادر، ولا يجد للتعليم سبيلا من بين ابنائها الا ١ في المائة فقط . ويا ويح امة سقطت منهوكة القوى بين مخالب الجهل والاقلال !

وجد العمال المسلمون الذين لم يستطيعوا صبرا على تلك الحالة ملجأ يلجؤن اليه الا وهو المعامل الفرنسية بارض فرنسا ، وقد كانت تلك المعامل تستقبلهم ايام الحرب الكبرى على الرحب والسعة ، فاخذوا ينزحون من بلادهم ؛ وخاصة من بلاد القبائل ؛ الى فرنسا ، حيث يتقاضون اجورا هي في الحقيقة دون الاجور التى يتلقاها الفرنسيون والاجانب ، الا انها اوفر كثيرا مما يتقاضاه اخوانهم بالارض الجزائرية .

لكن الدوائر الاستعمارية انزعجت جد الانزعاج بالجزائر ، ورات ان مغادرة اليد العاملة الاهلية لارض الجزائر ستجعل اليد العاملة الباقية قليلة ويجر ذلك الى رفع اجرتها ؛ فسنت الادارة قوانين صارمة تمنع ذهاب العملة الى فرنسا ، ورغم ان مجلس شورى الدولة قد حكم بعدم صحة ذلك القرار ، فان الادارة لا تزال تضع جم العراقيل في اوجه العمال لتمنعهم من السفر . من ذلك ان المسلم الجزائرى لا يمكنه ان يسافر الى فرنسا الا اذا تحصل على جواز سفر خاص ، بينما كل شخص سواه يستطيع ان يسافر اليها بدون ادنى جواز .

فالعمال المسلمون بفرنسا يبلغون زهاء المائتى الف عامل، منهم نحو ٧٠ الفا في

باريس ودائرتها ، وهم يتحملون شظف العيش وألم الغربة والفاقة كي يقتصدوا حثالة من المال تقوم باود عائلتهم في ارض الوطن ؛ ويجدوها عدة اذا اكفهر امامهم وجه الزمان ؛ وقد تبلغ احيانا تلك الكمية المقتصدة مبلغا قويا ، حتى ان مكتب بريد فور ناسيونال الذى هو من اكبر المراكز القبائلية يتلقى من العملة بفرنسا حوالات تبلغ زهاء ١٨ مليون فرنكا فى السنة يسلمها لعائلتهم .

واغرب من جميع ما ذكر ان فرنسا التى توصد ابوابها بهذه الصفة في وجه العمال المسلمين ؛ تفتح تلك الابواب في وجه العمال الاجانب من بولونيين وايطاليين (وعددهم نحو المليون بفرنسا) ويوغوسلاف وغيرهم . والجزائر نفسها تمنع المسلمين من السفر الى فرنسا لاجل العمل ، الا انها تفتح الباب للاجانب وخصوصا الاسبان الذين يزاحمون العامل الاهلي مزاحمة شديدة ؛ فالاهلي يتلقى اجرا زهيدا ، ويمنع من السفر الى البلاد التى يتقاضى اجرا مناسبا ؛ ثم هو يرى العمال الاجانب يزاحمونه في نفس ارضه . فكيف يستطيع اذا ان يعمل ويعيش ؟

يقولون ان العامل الاهلي غير متمرن ؛ وغير مقتدر على العمل الشاق ، ولا يعمل بهمة ونشاط . وكل ذلك غلط وتضليل . اما انه غير متمرن فلانه لا يستخدم فى الاشغال التى تناسب ؛ وان العامل لا يولد متمرنا ، انما مباشرته للاشغال هي التى تمرنه على العمل . فلو لم يقع الاتيان باليد العاملة الاجنبية واقتصر عليه وحده ، لنال تمرنا يفوق ما يلزم . واما انه غير مقتدر على العمل الشاق فذلك نتيجة سوء التغذية وفقد ما يكفى لتجديد قوة الجسم ؛ فالذى لا يتقاضى الا ٨ و ١٢ فرنكا يوميا يعول منها عائلته لا يستطيع ان يجدد قواه التى انهكها العمل ؛ واما انه لا يعمل بهمة ونشاط فذلك لانه يعلم انه يبذل جهدا لا يجازى عليه وانه يعمل بهمة لا تتلقى ادنى مكافأة ويصب عرق جبينه وهو لا يستطيع ان يسد بذلك رمق عائلته . هذا اذا فرضنا جدلا انه غير متمرن ولا يعمل بجد ولا قدرة له على تحمل المشاق . والحقيقة غير ذلك تماما قال موريس فيوليت في كتابه هل تحيا الجزائر ص ١٣٥ ما نصه : لا يجب

الغلو في وصف الضعف البادى فى اليد العاملة الاهلية • وان حجج المستعمرين التى يريدون ان يؤيدوا بها تلك التهم هي نفسها الحجج التى تثبت عكس ما يريدون اثباته ، • ذلك ان المستعمرين يلاحظون لك بكل اعجاب وفخر اعمالهم الفلاحية ، ونظام كرومهم البديعة ، وتلك الجبال التى لا تجد عليها شبرا بورا ! وتلك الوهاد التى تصول فيها المحاريث وتجول • كل ذلك حقيقي لا ريب فيه ، لكن كل ذلك هو نتيجة عمل العامل الاهلى • فالاروبى هو مدير الاعمال فقط ، ولا يوجد فى قطر الجزائر كثير من العمال الفلاحيين الاروبيين في غير عمالة وهران ؛ فما نراه من بدائع الاعمال بتلك السهول البديعة الخلابة بمتيجة ، وخصوصا ناحية الساحل ، انما هي من عمل اليد العاملة الاهلية •

ويقول فى موضع آخر من كتابه (ص ٤٠٩) ما تعريبه : اما اتهام الاهالى بالكسل وانهم لا يعملون الا لكي يتحصلوا على القوت الضرورى ، فتلك تهمة غير عادلة . الى ان يقول : لماذا لا يريدون ان يفهموا انه لو كان للاهالى مقدرة على شراء الضروريات ، ولو كان الكثير منهم لا يضطر لاكل ما لا يسد الرمق لكان جهدهم في العمل اعظم وانفع ؟ ثم من هم الذين كونوا تلك الكروم البديعة وتلك المزروعات التى تشبه الحدائق الغناء ، اليسوا هم الاهالى الكسالى ؟ فاذا كانت الجزائر اليوم ليست ارض بور فان ذلك نتيجة عمل اذرعتهم ، فكفاكم مبالغة وغلواً .

ثم يقول مسيو فيوليت هذه الجملة الجريئة التى لا نجد احسن منها لختم هذا الفصل : لقد ارادوا في هذه المدة الاخيرة ان ياتوا بيد عاملة اجنبية الى ارض الجزائر ، وتكلموا كثيرا في شان الاتيان بيد عاملة صينية . وقام بعض رجال الاستعمار باعمال في هذا الموضوع هي في نهاية الطيش وعدم التبصر . فاذا وقع تعميم هذا النوع من الاستعمار الصيني في البلاد ، فان ذلك يجر الى غضب عظيم وحنق من جانب الاهالى وذلك بعامل الغيرة وعامل الدفاع عن نفس حياتهم . فاذا ازاد المستعمرون ان ياتوا باليد العاملة الاجنبية لاسقاط قيمة اليد العاملة العربية ؛ واذا

ارتكبوا تلك الغلطة الفادحة باغلاق ابواب فرنسا في وجه العمال الجزائريين ، فان نتيجة ذلك تكون فتح مشكل اجتماعي عظيم بارض الجزائر ، ولا تكون نتيجته الا قلاقل خطرة للغاية. وما للنزاع الشديد الذى قام في فلسطين بين العرب واليهود من سبب اصلي الا تزاحم الفريقين حول موارد الحياة الطفيفة بهاتيك الاصقاع . »

الحالة الصحية

غني عن البيان ان اوساطا مثل تلك الاوساط العاملة البائسة تكون عرضة لاخطر الامراض وشر الآفات الاجتماعية ، وان كانت الادارة قد اتخذت كل احتياط مجهود لمقاومة الاوبئة والوافدات ، فانها لم تتمكن الى هذه الساعة من مقاومة الامراض الخبيثة التي تفتك بالاوساط الاسلامية فتكا ذريعا .

ان المسلمين الذين يسكنون المدن والقرى الكبيرة ، وعددهم لا يتجاوز نحو المليون والنصف مليون ، يسكنون المنازل التي تختلف قيمتها الصحية باختلاف موقعها ويجدون في حالة المرض طبيبا الى جانبهم ان استطاعوا الى الاستنجاد به سبيلا، وفي اغلب الاحيان لا يستطيع العامل ان يتحمل نفقات الطبيب والصيدلي اذ ان الاغلبية الكبرى من سكان المدن خاصة الساحلية منها عمال فقراء ، اما اصحاب الخيام وعددهم نحو المليون والنصف مليون واصحاب القرابى (جمع قربي) وعددهم نحو المليونين ونصف مليون ؛ فاولئك هم البائسون اليائسون الذين يقضون حياة الشقاء و يموتون موت العذاب الاليم. في تلك الاوساط البائسة تجد الامراض الخبيثة قد حطت رحالها من سل وزهري وغير ذلك .

ولقد ادلى مسيو فيوليت في كتابه الآنف الذكر باحصاءات غريبة استخرجها من التقارير العسكرية ، تدلنا دلالة قاطعة على سوء الحالة الصحية بصفة مزعجة في مختلف اوساطنا الاسلامية :

لبى دعوة السلطة العسكرية في مدينة الجزائر ١٨٦٠٧ من الشبان سنة ١٩٢٧ فوجدت تلك السلطة ان ٨٢٦٨ منهم لا يليقون للخدمة العسكرية لان حالتهم

الصحية تمنعهم من ذلك ! وتقدم بتيزي ويزونفس تلك السنة ٨٤٨٤ ، كان عدد الذين لا يستطيعون منهم تحمل اعباء العسكرية ٣٤٤١ فتامل النسبة !

اما بوهران فقد استدعت السلطة ١٤٦٤٢ عام ١٩٢٣ ؛ ورات ان فيهم ٥٤٤٦ لا يصلحون للعسكرية ؛ منهم ٢٦٧٣ بسبب ضعف الجسم وانحطاط القوى . و ١٦٥١ لامراض العيون . و٢٥٣ لامراض السل . و ٣٦٨ لامراض الزهري . و ٢١٨ لحمى البحر المتوسط . و٢٥٣ بسبب خلل خلقي في الجسم يدعى (راشيتيسم) و ينشأ غالبا عن عدم كفاية التغذية

تلك صورة للحالة الصحية بين مسلمي الجزائر . وكانت النتيجة الرهيبة لتلك الحالة الصحية الكدرة ان اطفال الاهالي يموتون في مقتبل العمر بنسبة خارقة للعادة ، فقد نشر الدكتور لافون المدرس بكلية الطب الجزائرية بحثا جليلا في هذا الشان جاء فيه : في فرنسا يولد ١٩ ولداً لكل الف من السكان ؛ بينما في الجزائر يولد ٢٢ ولدا لكل الف من الاروبيين ؛ و٣٨ ولدا لكل الف من المسلمين ، الا ان الاحصاء يؤكد لنا انه يموت من الثمانية والثلاثين صبيا مسلما نحو ٢٠ او ٢٥ حسب البقاع المختلفة ، وذلك اثر سنتي الولادة ؛ بسبب فقد وسائل الصحة والجهل »

اما دائرة الاحصاء الصحي في الجزائر ، فقد نشرت تقريرها سنة ١٩٢٥ جاء فيه انه فى سنة ١٩١٩ كانت اموات الاطفال قبل بلوغ العامين في عاصمة الجزائر ٦٦ و٤٤ فى الالف للاروبيين و١٧ و١٣٨ فى الالف للمسلمين . وقد كان طلب الوالى العام الماسوف عليه مسيو فيوليت من النيابات المالية ان تقرر فى ميزانيتها ٥ ملايين فرنكا تخصص لاعانة النساء المسلمات الفقيرات اثناء الولادة ، وذلك فى جلسة يوم ٢٦ جوان ١٩٢٦ التاريخية ؛ الا ان المجلس رفض ذلك باصوات ٣٠ ضد اصوات ٢٦ ، وكان نواب الاهالى فى الجلسة ١٥ فقط . فلو حضر الستة الابطال الذين تخلف بعضهم عمداً عن حضور تلك الجلسة لرجحوا الكفة ولشاركوا فى تخفيف بعض الويلات عن ابناء جنسهم . واقول تخلفوا عمداً ، لانني بعيني راسي رايت اثنين منهم يصولان ويجولان .. خارج جدران المجلس ، بينما كان الوالى فيوليت يتلقى هجمات خصومه القوية وهو

يناضل ويكافح بصفة لم ار لها مثيلا كي يحصل من المجلس على تلك الاعانة الطفيفة

ولقد قال مسيو فيوليت في كتابه (ص ١٧٥) : ولا استطيع ان افهم كيف ان الادارة قبلت ان يخفض مجلس النيابات المالية مقدار ٢٠٠٠٠٠ فرنك من المال المخصص للعيادات الطبية التى تتجول على الدواوير؛ فى نفس السنة التى تقرر ان يصرف فيها مائة مليون فرنك على احتفالات العيد المئوى! »

ولقد كانت الادارة انشأت ٩٧ مستوصفا خاصا بالاهالي ، وصفها مسيو فيوليت بقوله (ص ١٨٤) : لقد وجدت المستوصفات الاهلية عند قدومي للجزائر في حالة لايستطيع اى قلم وصفها ، ابنية نخرتها الرطوبة غالبا تجد في كل منها نحو العشرة اكوام من الحجارة المبنية ترتفع نحو ٦٠ صنتيما عن الارض ، وفوقها تجد (بياصا) مزعجا وتلك هى الفراشات ! اما ان وجد الفراش الحقيقي فلا تجده الا بحالة مزعجة فلم يكن فى قطر الجزائر كله الا نحو ١٥ مستوصفا لائقا حسن التجهيز » ثم يعطى مسيو فيوليت بعض فقرات استخرجها من تقرير المراقبة الصحية عن هذه المستوصفات جاء فيها عن مركز فيالاره مثلا ما نصه : « ان المستوصف كما هو الشان في جهات اخرى قد تركته ادارة البلدية الممتزجة المكلفة به فى حالة اهمال ، واصبح ذلك المستوصف غير لائق وخاليا من كل وسائل الصحة الى درجة انه يجب تحجير قبول المرضى فيه على ان المعالجة فيه طفيفة وذلك لفقد المال والحال انه يقع في مكان به عدد جم من الاهالي الذين تفتك بهم الامراض فتكا ذريعا » .

ويقول مسيو بورد الوالي العام السابق ايام كان عاملا لعمالة الجزائر فى تقريره الذى قدمه يوم ١١ ماية ١٩٢٧ ما نصه : اما فيما يتعلق بالمستوصفات الصحية بالعمالة فان القليل منها كان منذ ستة اشهر في حالة مرضية » .

اما اطباء الاستعمار فعددهم ١٠٣ ، لكل طبيب دآيرة مساحتها نحو ١٠٠ كيلو متر ، وعددهم لا يكفى بالمرة في قطر متسع كارض الجزائر وفيهم — على ما يحكى الرواة — من لا يقوم بوظيفه احسن قيام .

تلك هي صورة حقيقية للحالة الصحية بالجزائر ، وهي حالة لاتسر بالمرة من الجهة الاسلامية ، فواجب الادارة عظيم من هذه الناحية وعظيم جدا .

هذا ويجب ان لاننسى تلك الآفات العظيمة التي سببتها الخمر في الاوساط الاسلامية فقد تفشت الخمور بصفة مزعجة وكان البؤس وضعف الوازع الديني سببا في انتشارها بتلك الصفة الهائلة ، فكانت السبب في زيادة فقر الاهلي وحط قواه واقباله على الجرائم ولو جربت الادارة وحجرت الخمر على المسلمين شهرا واحدا لرات كيف ينقص عدد الجرائم وكيف يقبل الناس على العمل بنشاط لكن . . .

المراة المسلمة

كيف تريد ان تكون حال المراة في وسط عماله كما رايت ، وحالته الصحية كما سمعت ؟ تمتاز المراة المسلمة في قطر الجزائر بالجهل العظيم . فابناء جلدتها لم يفكروا في تكوين مدارس اهلية لها بعد ان اضمحلت « ديار المعلمة » والمدارس الحكومية للبنات لا تاوي الا نحو ثلاثة الاف بنت ؛ بقطع النظر عن نوع التعليم الذي يتلقينه فيها

ان المراة الجزائرية رغم جهلها العظيم تمتاز بخلال كريمة وسجايا طيبة ؛ فهي محافظة اتم المحافظة على التقاليد القديمة والعادات التي ورثتها عن الاسلاف ؛ وهي مسلمة متينة الايمان على قاعدة « ايمان العجائز » . ثم هي زوجة امينة صبورة وفية . تشاطر زوجها آلام الحياة دون جزع . اما نساء الطبقات الراقية في المدن الكبيرة . فهن اقلية صغيرة جدا ، وقد اشتهرن بشدة التمسك بالتقاليد القديمة ؛ ولهن آداب وفضائل جعلت الحياة المنزلية في اوساطهن اطيب حياة . وقد تلقى الكثير منهن مبادي العلوم الحديثة بالمدارس الفرنسية ، ومان بعض الميل الى المدنية الجديدة، الا انهن الى يومنا هذا ، لم ينزعن حجابهن ولم يفكرن في ذلك اصلا ، ولم يغشين ناديا عاما او محل لهو او مسرح او غير ذلك . فالمراة الجزائرية محافظة — عن روية — بصفة شديدة

والمراة في قطر الجزائر كله تتحجب في المدن ؛ اما في البادية فقلما تجد للحجاب وجودا وهنالك ترى المراة تعمل مع زوجها واقاربها اليد في اليد ، وتسعى للتحصيل

على قوتها عاملة في الارض او منكبة على المغزل والمنسج . والمراة العربية او القبائلية في هذا الصدد على حد سواء . ولقد تبلغ الفاقة احيانا بنساء البادية حدا يجعلهن ينزحن الى المدن فيعملن بصفة خادمات فى المنازل الاروبية والاسرائيلية ، وتقودهن الفاقة والحاجة الى المواخير ويعبث بهن عبثا تتفتت له القلوب وتنفطر منه الاكباد .

فاغلبية النساء في الجزائر تقاسى من المهد الى اللحد آلام الفاقة والاحتياج والعمل الشاق ولا تكاد تعرف للحياة معنى ولا للذة العيش سبيلا .

الموسيقى العربية

ان الشعب الذي يقاسي الآلام ويصادم في كل ادوار حياته مصاعب العيش ، لا يستطيع ان يغني ولا يجد الى الانبساط سبيلا ؛ فالموسيقى الجزائرية لم تتطور اصلا ولم تخط اى خطوة الى الامام ، وتكاد المداعبات الطريفة والنكات الحلوة تنعدم من الاوساط الجزائرية عامة حيث اصبحت الطباع غليظة والانفس فى الغالب منقبضة ، والمعاملات بين الناس تقع بصفة جافة لاتكاد ترى فيها نوعا من المجاملة كل ذلك من حوادث الايام وكوارث الليالي

اما الموسيقى فى بلاد البربر والموسيقى في البادية العربية ؛ فهى هى موسيقى الكاهنة وكسيلة هنالك وهى هى موسيقى بنى هلال و بنى سليم هنا . تعتمد على المعانى اكثر مما تعتمد على الانغام ، فلا تجد في الانشودة الطويلة الا لحنا واحدا بسيطا يعاد مع كل مصراع من البيت باعانة طبل وزمر ، تجد ذلك فى بلاد العرب و فى بلاد البربر معا كما تجد فى بلاد العرب نوعا من الموسيقى الحربية ذات انغام قوية تتردد دائما صحبة قرع الطبول ؛ وتكون غالبا اثناء العاب الفروسية على ظهور الجياد .

اما في المدن الكبيرة واغلب القرى الساحلية فالحال غير ذلك تماما ذلك ان رجال الاندلس والاتراك استقروا هنالك ردحا من الزمن فنقلوا الى تلك البلاد موسيقاهم البديعة الخلابة العديمة النظير ، ولقد نشأ بعاصمة الجزائر خليط جميل جليل من الموسيقى الاندلسية الخالصة النقية ، والموسيقى الاعجمية الاغريقية التي اتى بها الاتراك

فتكون من ذلك ديوان الموسيقى الجزائرية التى تقف شامخة الراس امام اي موسيقى شرقية اوغربية ؛ وقد احتفظ عليها اهل الجزائر احتفاظا دينيا وتناقلوها — لفظا وانغاما — صاغرا عن كابر الى يومنا هذا ؛ وهي موسيقة علمية فنية واسعة الغنى الى درجة مفرطة .

كانت النوبات الجزائرية تشمل ٢٤ نوبة ،واصلها من غرناطة و مالقة واشبيلية وقد ضاع مع تطاول الزمن نصفهاولم يبق منها الا ١٦ منها ٧ اصلية هى : جاركه والصيكةوالموال والعراق والرمل المايةوالزيدان والمزموم ، و٩ فروع هى : من الموال الذيل ورصد الذيل والماية ، من الزيدان الرمل والمجنبة ، من الجاركة الغريب ، من العراق الحسين والرصد ؛ من رمل الماية الغريب .

وكل نوبة تبتدى بتوشية و هى تقابل الباشراف عند المشارقة ، لها قيمة افتتاح الاوبرا ، ولا يلقى معها كلام وقد كانت لكل نوبة توشيتها الخاصة الا ان الكثير من تلك التوشيات قد ضاع ولم يبق منها الا٦ وهى :رمل ورمل الماية وغريب وزيدان وصيكة ومايه .

و بعد التوشية يقع المصدر وهويشبه قطعة الاوبرا ويكون بطيئا و يمكن ان يلقى بعد التوشية مصدران ، وبعد يلقى البطايحي وهو اخف من الاول ثم درج وهو اخف ايضا ، اثر ذلك يقع الاستخبار وهو يقوم مقام الليالي في الموسيقى الشرقية ويكون غالبا بالقاء بيتين من الشعر الاندلسى ينشدهما من نغمة النوبة صيت الحفلة وبعده يقع الانصراف وهو خفيف ، ثم تختم النوبة بالخلاص وهي نغمة رقص .

وهنالك بعض افتتاحات دخيلة اغلبها اعجمى تستعمل مثل التوشية وتسمى باشراف، تشامبار، وتشامبارعجمى، باشراف انقلابات .

اما الاشعار التى تنشد في هذه النوبات فهي كلها من الاشعار الاندلسية؛ فيها ما يتغنى بجمال الاندلس وطيب مناخها ولذة عيشها، ويكون في الانغام ذات البهجة والسرور، وفيها ما يندب سوء حظ الاندلس ويأسف على سالف ايامها،

ويكون في الانغـام المشجية المؤثرة ، وهنالك روائع وبدائع في الغراميات والغزل ؛ اما آلة الموسيقي الجزائرية فهي تشمل : العود والقانون والكمنجا والطـار والدربكة والنـاي والرباب .

قلنا ان القوم حافظوا على تلك الموسيقى محافظة غريبة ؛ لا في مدينة الجزائر فحسب ، بل في كل المدن الكبرى والساحلية بالقطر . وان كانت موسيقى قسنطينة وتلمسان قد تأثرتا ببعض التأثر بالموسيقى التونسية والشرقية ، فان موسيقى العاصمة لم تتأثر بأي مؤثر خارجي ، الا انه ينتقد على اصحابها اليوم انتقادا شديدا من ناحيتين: الاولى ادخالهم في الآلة «القيثارة» السنيترة ؛ وقد غيرت بعض التغير مخارج الانغام؛ والثانية اهمالهم بصفة تامة للصوت بدعوى ان العبـرة في الموسيقى باتقان الآلة فقط ؛ فتجد احيانا بعض المغنيين يتقنون الصناعة الى درجة الابـداع ؛ الا انك لا تتمالك ان تقول عند سماعهم : ان انكر الاصوات ...! وتوجد اليوم في عاصمة الجزائر ثلاث جمعيات موسيقية منظمة ؛ هي المطربية ، والجزائرية ، والاندلسية ، وبتلمسان جوق السيد الحاج العربي بن صاري ؛ وفي غير هذه المدن عـدة اجواق موسيقية اخرى ، تقوم ببعض الواجب في حفظ هذا التراث الثمين . وقد كان الفني الكبير ادمون يافيل سجل الكثير من القطع الموسيقية وضبطها « بالنوتة » باعانة بعض كبار الفنيين ، الا انه لم يسجل كل النوبات الجزائرية ، ويقول المطلعون على اسـرار الموسيقى الجزائرية ان القطع التي سجلها المعلم يافيل تنطوي على اغـلاط كثيرة وفيها خلل كبير ؛ فيا ليت حظ الموسيقى العربية الجزائرية الخلابة يسوق لها مثل البارون ديرلانجي ، او يسوق لها البارون ديرلانجي الانكليزي نفسه ، وهو الذي انفق مئات الآلاف وعمل بانفراده عملا تعجز عنه الجمعيات الكبيرة ، حيث سجل الموسيقى الاندلسية التونسية كلها تسجيلا مضبوطا لا يستطيع انسان ان يكتشف فيه خللا او فسادا

ان الموسيقى العربية في مدينة الجزائر صفحة من اروع واجمل صفحات

الفن الاندلسى ، وانها لصفحة ستنعدم وتضمحل مع الحضارة الجديدة ...فهل من يمد يده لحفظها وانتشالها ؟

هذا وقد كان من الواجب ان تنشأ الى جانب تلك الموسيقى المدرسية الفنيه موسيقى أخرى شعبية تعبر عن انفعالات النفس الجزائرية وكان من الواجب كذلك ان تنشأ في القطر فرق موسيقية عصريه تستعمل الالآت الحديثة (*Musique Symphonique*) ويكون ذلك الى جانب الموسيقى الوترية الآنفة الذكر الا ان شيئا من ذلك لم يقع ؛ وقد كانت حاوات جمعية الطليعة *l'avant garde* بالعاصمة كما حاول الوطني المبجل السيد محمد بن الموفق في مدينة سانت ارنو ان تنشيء هذه الموسيقى الحديثه على نمط الجمعيات الموسيقية التونسية امثال الناصرية والاسلامية وغيرها الا ان تلك الجهود لم تسفر الى اليوم عن نتيجة عملية .

هذا ولا يجب ان ننسى « المنولاجات » العصرية التى اخذت تظهر فى هذه الاونة الاخيرة مقتبسة انغامها من الموسيقى المصرية والاروبية ، وقد انشأ منها السيد محي الدين باش تارزى عدة قطع وطنية تستحث الهمم وتبذر الشعور ، وانشأ السيد الرشيد القسنطينى عدة قطع رائقة فى انتقاد العوائد المحلية الفاسدة ومحاربة البدع والضلالات ولقي هذا النوع من الشعب اقبالا شديدا .

التمثيل

لعل قطر الجزائر — بعد جزيرة العرب — هو القطر الاسلامى الوحيد الذى لم يدرك بعد اهمية التمثيل ولم ينشأ به المسرح العربى ، ولم يشعر شعبه حتى الساعة بوجود ذلك النقص العظيم فيه . ولقد كانت تؤسس بعض اجواق قصيرة الحياة ، لا تلبث ان تلقى حتفها وتذهب ضحية الجهل والغرور بعد ان تمثل رواية او روايتين وفي عاصمة الجزائر يوجد جوق يحيا كل سنة مرة اثناء شهر رمضان ، يمثل باللغة العامية بعض روايات يستخرجها من حكايات الف ليلة او يقتبسها من الروايات الفرنسية ، ولقد لقي ذلك النوع اقبالا من الشعب لا باس به ، لكن الضعف المادى

جعل تلك الفرقة لا تترقى ولا تعمل بانتظام . الا اننى اعتقد انه لا بد ان ينشأ عما قريب المسرح العربى بالجزائر ، لان هذه الجهود المتشتتة لا بد ان تجتمع ، وما يراه القوم من اقبال الناس على التمثيل لا بد انه سيحدوبهم الى تاسيس فرقة صحيحة تمثيلية تتقدم للشعب روايات تهذبه وتبث في اوساطه سامى الخلال وتعوده على فهم العربية الصحيحة وتجعله يصبو الى النطق بها . اما في خاصة مدينة الجزائر فالمسرح لا يستطيع ان يكون من اول امره عربيا فصيحا بصفة بحتة ، لقلة من يفهم تلك العربية بين طبقات العمال الفقيرة وطبقات المتعلمين تعلما فرنسيا ، بل لا بد من التدرج شيئا فشيئا ، وانتقاء عامية راقية للروايات تكون الف الوصل بين العامية الحالية والعربية الفصحى . واما فى مدن مثل قسنطينة وتلمسان وبسكرة فلا افهم مغزى خلوها من المسرح العربى ، اللهم الا ان يكون الضعف المادى هو الذى حال دون تكون ذلك . ولقد نشأت بقسنطينة فرقة « ناصر الدين دينى » وبعنابة اخيرا فرقة « المزهر البونى » ومثلن بعض روايات عربية نالت استحسانا كبيرا ، ومثل كذلك نادى السعادة بتلمسان رواية « فتح الاندلس » باتقان كبير ؛ فعسى كل هذه الجهود المتفرقة تسفر عن تكوين التمثيل العربى بقطر الجزائر بصفة جدية مفيدة .

الصحافة العربية

لما حلت لجنة مجلس الشيوخ بالجزائر سنة ١٩٣١ (انظر صفحة ٧١) كان من جملة من قدم اليها تقريرا وفد مدينة بوفاريك وجاء في ذلك التقرير ما نصه :

ولا ننسى ان نشكو لكم من المعاملة الجائرة الصارمة التى تعامل بها الصحافة العربية في بلادنا بحيث انها تعتبر صحافة اجنبية ، يكفي لتعطيلها مجرد قرار من وزير الداخلية بدون محاكمة ولا انذار ، ولا تكاد تمر مدة وجيزة حتى تسمع بان الادارة عطلت واحدة منها . وهنالك تناقض غريب فى مسالة الصحافة العربية ، اذ بينما نرى الحكومة تعتبر اللغة العربية لغة رسمية فى البلاد وتصدر بها جريدتها الرسمية الى جانب الرسمية الفرنسية ؛ نراها تعامل الصحافة العربية معاملة الصحف الاجنبية

وبهذا التضييق الغريب على الصحافة العربية لايجد الراى العام الاهلي وسيلة لابلاغ صوته للحكومة والحكومة ايضا تحرم نفسها من وسيلة تستطيع بهاان تعرف حقيقة ميول الراى العام الاهلي ».

وابلغ من هذاالكلام الصريح ما قالته جريدة النجاح القسنطينية وهى يومية قطر الجزائر الوحيدة ؛ بمناسبة دخولها فى عامها الثالث عشر قالت :

ان امة الجزائر التى هي بالنظر الى ماضيها الاخير امة جديدة الشعور الحي ولا تزال فى مهد حركتها ، تشعر بوجوب الاتحاد والالتحام وترى من الواجب الحتم ان ترفع صوتها عاليا بطلب حقوقها المقدسة المعقولة لا ينبغى لها ان تعتمد الاعتماد الكلي على الصحف العربية التى تعبر عن رغائب شعبها باللغة العربية . فان صحف العربية المقيدة الرازحة تحت القوانين الخاصة بها ليس في استطاعتها ان تسمع صوت امتها للدوائر العالية كما يجب ، وهل لمن حيل بينه وبين الحرية المطلقة ان يقول كل ما يجوس بصدره من مقدس معقول ؟

لا تتمتع صاحبة الجلالة المسكينة باى حق ولا باى حرية في الجزائر اذا كانت لغتها عربية ؛ اما ان كانت لغتها فرنسية فهي تتمتع باقصى الحقوق ، وتاريخ الصحافة العربية الجزائرية ليس الا تاريخ نضال متواصل ، وسقوط متتابع فى ميادين الشرف !

صدرت اول جريدة عربية بالجزائر حوالي سنة ١٩٠٤ ؛ وكان مصدرها فرنسيا يدعى مسيو قوسلان ، اصدرها باسم « النصيحة » لغايات مادية بحتة . ولم تلبث تلك الصحيفة ان ماتت مختنقة حتف انفها . واصدر العالم الجليل الشيخ محمود كحول الامام اليوم بالمسجد الاعظم بالعاصمة جريدة « كوكب افريقيا » سنة ١٩٠٧ فكانت راقية محررة باقلام بليغة ؛ واصدر الشيخ محمود كحول معها تقويم كوكب افريقيا ، فكان تقويما جزائريا جليل الشان ، وصدرت منه عدة اجزاء تعد تحفا وطرائف ، ولم يعمر الكوكب ولا تقويمه طويلا ، فاحتجبا .

وكانت اول صحيفة شعبية ظهرت فى العاصمة هي صحيفة « الجزائر » اصدرها

الكاتب الكبير والفنان المبدع السيد عمر راسم، سنة ١٩٠٨؛ ولم تعمر طويلا، فماتت بفقر الدم. وظهرت فى وهران سنة ١٩١١ جريدة «الحق» فعاشت مدة قصيرة؛ وكانت اول جريدة عربية فتحت قطر الجزائر اكتتابا للهلال الاحمر العثمانى ايام الحرب الطرابلسية.

في سنة ١٩١٢ اصدر الاستاذ الشيخ عمر بن قدور الجزائرى صحيفة «الفاروق» الراقية، والتف حولها الكثير من كتاب الجزائر وتونس، وكانت طيب الله ذكرها هي اول عهدي بالصحافة، اذ كتبت بها اول مقال في حياتى سنة ١٩١٤؛ وكنت يومئذ في الخامسة عشر من عمرى، تحت عنوان «القرآن الشريف وكيف يجب ان نتعلمه» وفى مفتتح سنة ١٩١٥ نكب صاحبها الفاضل وسير به للاغواط مبعدا. وبعد ذلك بقليل القت السلطة العسكرية القبض علي بتونس واودعتنى السجن المضيق فما غادرته الا بعد اربعة اعوام. وقفت على اثرى بالصديق الروحى الكريم حسين الجزيرى صاحب النديم، وما غادرنا السجن الا عند ما نفخت ابواق الهدنة. وفي سنة ١٩١٢ كذلك اصدر الوطنى الجسور السيد عمر راسم جريدة اخرى تحت اسم «ذو الفقار» بشكل مجلة مصورة، فكان يحررها، ثم يكتبها بخطه ويرسم صورها ويطبعها طبعا حجريا. وكانت اول جريدة عربية في الدنيا «اكتشفت» الخطر الصهيونى ونبهت عليه؛ ولم تكد الحرب الكبرى تعلن اهوالها حتى القي القبض على الاستاذ عمر راسم بتهمة التفاهم مع العدو؛ فحوكم عسكريا وحكم عليه بالاشغال الشاقة، ثم صدر عليه العفو اثر الحرب.

في اثناء الحرب اصدر المستعرب الشهير والادارى الخبير مسيو ميرانت مدير الامور الاهلية بالولاية العامة اليوم جريدة «اخبار الحرب» وكانت لطيفة المنظر عذبة التحرير، توزع في مختلف انحاء البلاد الجزائرية اسبوعيا كي تجعل المسلمين الجزائريين على علم من اخبار الحرب حسبما ترويه التقارير الرسمية الفرنسية.

استفاقت الصحافة العربية سنة ١٩١٩؛ مع الحركة الاسلامية لطلب الحقوق، فاسس الامير خالد حياه الله وبياه جريدة «الاقدام» باللسانين العربي والفرنسى؛ وكانت اول جريدة عربية تكلمت بلهجة حارة وعبرت عن عواطف المسلمين بدون وجل ولا اكتراث، وانشأ الحزب المعارض لسياسة الامير خالد الوطنية جريدة «النصيح» الا انها لم تعمر طويلا . وماتت جريدة الاقدام اثر اضطرار الامير خالد الى النزوح عن وطنه والاستقالة من كل المقاعد النيابية التى كان يشغلها .

في نفس سنة ١٩١٩ اصدر الصديق الفاضل الجليل الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمى جريدة «النجاح» في قسنطينة، فكانت ضعيفة ضئيلة، الا انها قاومت مقاومة الابطال كل عوامل السقوط المحيطة بها، وانضم لها الماهر المقدام السيد مامى اسماعيل فاخذت تكبر وتنتشر وتنتظم؛ الى ان اصبحت فى سنة ١٩٣٠ جريدة يومية كبرى تطبع ٥٠٠٠ نسخة في اليوم وتملك مطبعة من احسن المطابع واتمها .

صدرت اثر ذلك عدة جرائد اخرى، وكانت الحرب قد وضعت حدا فاصلا بين الصحافة العربية فى عهد صباها، وبين الصحافة فى عصر نموها؛ واصدر عام ١٩٢٤ الاستاذ عمر بن قدور الجزائرى من جديد «الفاروق» بصفة مجلة اسبوعية، ثم عدل عنه واشترك مع السيد محمد بن بكير في اصدار «الصديق» الذى لم تطل حياته كثيرا، وصدرت جريدة «لسان الدين» وكان يحررها الاستاذ الفاضل السيد مصطفى حافظ، الا ان ايامها لم تطل كذلك.

فى سنة ١٩٢٦ اصدر جماعة من فضلاء قسنطينة جريدة «المنتقد» فكانت مثالا من اجل واروع مثل الصحافة؛ محررة باقلام بديعة وافكار نيرة، وقد حملت حملة صادقة على البدع والضلالات والموبقات التى يرتكبها الكثير من مشائخ الطرق، وقامت الحملة الاصلاحية الكبرى التى زعزعت اركان العقائد الفاسدة، الا ان ايام المنتقد لم تطل؛ فتعطلت بامر حكومي، وصدرت مكانها مجلة «الشهاب» الاسبوعية ثم الشهرية، التى يتولاها الآن العلامة الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس

واصدر الشاعر الملي الكبير ، الشيخ محمد السعيد الزاهري ؛ سنة ١٩٢٥ جريدة «الجزائر» فكانت محررة بلهجة حرة لم تستطع الحكومة ان تستسيغها ؛ فعطلتها بامر اداري كذلك . وصدرت بعد ذلك بقسنطينة جريدة «البرق» الانتقادية : فلم تعش كذلك طويلا واغلقت بامر اداري ثم صدى الصحراء للشيخ احمد العابد.

وفي اثناء اشتعال الحملة الاصلاحية ضد الطرقيين ؛ صدرت جريدة «البلاغ الجزائري» عن الزاوية العليوية بمستغانم ، ثم انتقلت الى عاصمة الجزائر حيث قويت واشتد ساعدها واسست مطبعة خاصة لها ؛ وهي ذات برنامج ديني اسلامي وطني ؛ تدافع عن التصوف والطرقية ، انما تحمل على البدع والاضاليل التي يرتكبها شيوخ الطرق ومريدوها ويشوهون بها وجه الاسلام النقي .

ولقد انشأ العلامة الجليل والوطني الجسور صديقنا الشيخ ابو اليقظان ابراهيم جريدته الراقية «وادي ميزاب» فما استطاعت الادارة عليها صبرا وحجرتها بعد ان عاشت نحو عامين ونصف.ثم اصدر الاستاذ جريدة «ميزاب» فحجزت الادارة عددها الاول وعطلته ، واصدر من بعد «المغرب» فعاش مدة وجيزة ثم خنقت الادارة انفاسه ولم يعمر سوى عشرة اشهر . وقد اصدر عدده الاخير يحمل «حرز مرجانة» وهي تعويذة عامية خرقاء يحملها الجاهلون والجاهلات زعم انها تقيهم الاخطار ؛ فكان ذلك منه احتجاجا من ابدع وانبل الاحتجاج . والاستاذ يصدر الآن جريدته الجديدة «النور» وقاها الله !

ولقد اسس الاستاذ الكبير وداعية الاصلاح الاسلامي العظيم الشيخ الطيب العقبي بارك الله في انفاسه جريدته «الاصلاح» التي قوبلت بارتياح كبير وكان يتوقع لها مستقبل جسيم ، الا ان الادارة منعت طبعها بتونس ؛ فتعطل صدورها نحو السنة ، ثم تكبد الاستاذ العقبي وانصاره مشقة تركيب مطبعة ببسكرة النخيل ؛ اصدرت بعض اعداد من الجريدة ، ثم استولت عليها يد الاهمال والفساد ، وتعطل «الاصلاح» في ساعة تؤكد الحاجة اليه ، وشدة الاعتماد عليه .

الامة الجزائرية متعطشة لصحافة عربية حرة . الا ان الصحافة العربية الحرة لا تستطيع ان تنشأ قوية فعالة الا اذا كانت تتمتع بحرية تسمح لها ان تجاهر بصوتها وان تعبر عن آلام وآمال شعبها ، وهذه مسلوبة مفقودة ، لا تتمتع الصحافة العربية في الجزائر منها باي نصيب . ولطالما رايت الناس خاصة في الشرق ينتقدون على الصحافة الجزائرية برودة لهجتها وخفة معارضتها او انعدام فكرة المعارضة منها ، لكن ذلك الانتقاد في غير محله ، ومن عرف ان الجريدة العربية في ارض الجزائر تعتبر كانها جريدة المانية او شيوعية او غيرها من الجرائد الاجنبية ؛ يستطيع الوالي العام معتمدا على سلطة وزير الداخلية اغلاقها متى اراد ، علم ان الصحافة الجزائرية العربية يجب ان تتلقى اوصاف البطولة لا عبارات الانتقاد .

في الجزائر اقلام عالية ، وفيها افكار نيرة . وفيها رجال يستطيعون ان يلبسوا صاحبة الجلالة حلة تليق بسامي مقامها الا ان الحرية وهي غذاء الصحافة الوحيد ـ قبل المال ـ مفقودة ، فصارت صحافة الجزائر على قدر الكساء تمد رجلها .

ان شعب الجزائر متعطش بصفة غريبة لصحافة حرة . ويكفيك ان جريدة النجاح لما عزمت على الصدور يومية وفتحت اكتتابها ؛ جمعت ما يفوق المائة الف فرنك من سائر طبقات الامة بقطع النظر عن عواطفهم وميولهم : والاقبال الشديد الذى تلقاه الصحافة الان رغم تقيدها يعطيك صورة لشدة تعلق الناس اليها .

في سنة ١٩١٤ قبل الحرب الكبرى كانت امة الجزائر برمتها تقرأ ٨٠٠٠ عدد من الفاروق وذى الفقار في الشهر . على حساب الف عدد كل اسبوع من كل جريدة .

اما في سنة ١٩٣٠ فقد اصبحت امة الجزائر تقرأ شهريا ١٨٤٠٠٠ عددا من الصحف والمجلات هذا تفصيلها :

النجاح	٥٠٠٠ يوميا	١٥٠٠٠٠	في الشهر
البلاغ	٢٥٠٠ اسبوعيا	١٠٠٠٠	*
المغرب	٢٥٠٠ *	١٠٠٠٠	*

الشهاب	٢٠٠٠ شهريا	٢٠٠٠	*
الاصلاح	٣٠٠٠ اسبوعيا	١٢٠٠٠	*

فاقبال الشعب على الصحف والصحافة امر لا يحتاج بعد هذا الى دليل. فلو كانت قوانين ١٨٨١ تشمل الصحف العربية كما تشمل الصحف الفرنسية لكان للصحافة الجزائرية شان واى شان. وقد نالت الطباعة تقدما محسوسا مثل تقدم الصحافة اثر الحرب اذلم يكن للمسلمين بقطر الجزائر قبل الحرب الا مطبعة واحدة هي مطبعة دار مراد رودوسي؛ واليوم توجد بقطر الجزائر خمس مطابع ذات اهمية هي مطبعة دار مراد رودوسي الآنفة الذكر، ومطبعة النجاح بقسنطينة والمطبعة الاسلامية بها ايضا، ومطبعة البلاغ الجزائرى بالعاصمة والمطبعة العربية الحديثةبها؛ ولو كانت الصحافة حرة وحركتها ناشطة لكان للطباعة حظ اكبرمن هذا.

الدين الاسلامى والجمعيات الدينية

ترجع امور الدين الاسلامى كلها في قطر الجزائر بصفة عملية الى ادارة الامور الاهلية في الولاية العامة ولكن بصفة شبيهة بالرسمية لان قوانين سنة ١٩٠٥ التى نفذت فى ارض الجزائرسنة ١٩٠٧ قدجعلت الدين مفصولا بصفة تامةعن الدولة. وقدكانت بارض الجزائر قبل ذلك الفصل ادارة تابعة لفرنسا تدعى ادارة الاديان كانت ترعى المسيحية واليهودية والاسلامية وتقوم بنفقات رجال الدين انما تستعمل فى ذلك حيفا غريبا اذ كانت تنفق على الدين المسيحى وافراده لا يتجاوزن ٦٢٣٠٠٠ اذاك مبلغ ٨٨٤٠٠٠ فرنكا وعلى الدين الاسرائيلي وعدد افراده ٦٤ الفا ما يبلغ ٣١٠٠٠ فرنكا وعلى الدين الاسلامى وجماعته تجاوز ٤٥٠٠٠٠٠ نسمة اذاك ٣٣٧٠٠٠ فرنكا فاذا قسمنا ذلك على رءوس الافراد ناب كل كاثوليكى من ميزانية الاديان ٣٠ و١ وكل بروتستانى ٨ فرنكات وكل اسرائيلي ٥٠ صنتيما وكل مسلم ٧ صنتيمات ونصف. وكانت الدولة هي التى تنصب المفتى وهو رئيس المنطقة الدينية المحددة له يرعى مساجدها ويرشد الناس في امور دينهم وتسمى الائمة والخطباء والموقتين والمؤذنين والحزابين

وغيرهم . فلما صدر قانون ٩ دسامبر ١٩٠٥ ونفذ فى الجزائر بواسطة قرار ٢٧ سبتامبر ١٩٠٧ اصبحت كل المساجد والمعاهد الدينية واوقافها ملكا للدولة واصبحت الحكومة لا تتدخل مباشرة في امور الدين انما الجمعيات الدينية التى يمكن للمسلمين ان يؤلفوها في كل ناحية" وتعترف بها الدولة" هي التى تتولى ـ نظريا ـ الاشراف على المساجد وامور الدين وتسمية "رجال الافتاء والائمة" والخطباء والحزابين وتقوم الجمعيات — نظريا كذلك — بالاتفاق على رجال الدين مما تجمعه من اشتراكات اعضائها . ولكن الحكومة" مقابل استيلائها على اوقاف المسلمين الغنية" التى كانت تكفى للقيام بكل مساجد القطر ومعاهده الدينية" اخذت تدفع للجمعيات الدينية" « اعانات » سنوية" هي في الحقيقة" التى تدفع مرتبات رجال الدين كلهم والادارة ايضا تحت ستار الجمعيات الدينية" هي التى تسمى رجال الدين وتعزلهم واغلب الجمعيات الدينية" في القطر لا تستحق اسم الجمعيات الا مع التسامح الكبير فهي في الحقيقة" هيآت تابعة" للادارة لا تعمل الا باسمها ولا تتكلم الا برضاها ولا تسعى الا باشارتها . وما الانتخاب الصورى الذى يقع الا ذر رماد فى العيون . وقد قامت فى البلاد حركة" تطالب الجمعيات الدينية" باجراء امتحان لاسناد المناصب الدينية" حتى لا يتولاها الا الاحق وهذا طلب عادل نزيه لا ريب فيه ومعقول غاية" المعقولية" الا ان الجمعيات — ولا اقول من وراءها — لا يلوح عليها انها تميل الى العمل بهذا المبدأ الذى يلغى كل محابات ومحسوبية" ولقد كان الامير خالد بن الهاشمى بطل النهضة" الجزائرية" المعروفة" قد جعل من جملة مطالبه الاصلاحية" تنفيذ قانون فصل الدين عن الدولة" بالنسبة" للدين الاسلامى محاولا بذلك ان يجعل الجمعيات الدينية" الاسلامية" جمعيات حقيقية" تقوم بنفقات رجال الدين والمعاهد الدينية الاسلامية من مواردها الخاصة . لكن يصعب على العقل ان يتصور بان الادارة الجزائرية تطلق حبل المسلمين على غاربهم وتجعلهم يتصرفون فى امور دينهم باستقلال تام عنها . وقد قسمت الادارة بلاد الجزائر الى ٩٥ منطقة دينية ، فيها ١٦٦ مسجدا وزاوية ، ويعتبر المفتى رئيس المنطقة

— نظريا — والدولة تسمى على يد الجمعيات الدينية كل الرجال الذين يقومون بالعمل في تلك المساجد والزوايا .

ان حاجة الامة — وحاجة الحكومة ايضا — اكيدة لتأسيس (المجلس الاسلامي الاعلى) الذى يجب ان يجمع بالعاصمة نحو العشرة من علماء المسلمين بالقطر الجزائرى بين رسميين وغير رسميين تكون مهمته الاشراف على الحالة الدينية الاسلامية في كل قطر الجزائر ومراقبة الجمعيات الدينية واجراء الامتحانات اللازمة لطلاب الوظائف الدينية المختلفة وينتخب هذا المجلس الاعلى رجال الجمعيات الدينية والاعضاء العاملون فى جمعية العلماء المسلمين وتصادق الحكومة بعد ذلك عليه حتى تصير مهمته رسمية قانونية ؛ اما اذا رضيت الادارة ان تنزع يدها تماما عن امور الدين الاسلامي كما هو نص القانون فمهمة تشكيل المجلس الاسلامي الاعلى ترجع الى عهدة الامة وحدها ويكون على جمعياتها الدينية وجمعية علمائها انشاء هذا المجلس الرئيسى الذى يقابل نوعا ما مجلس (الكونسيستوار) عند الاسرائيليين حقق الله الآمـال .

الطرق والزوايا

لاتزال للطرق الصوفية بقطر الجزائر حظوة كبرى ونفوذ عظيم كما هو الشان فى بلاد الشرق وخاصة في ارض مصر حيث تنال الطرق الصوفية مكانة رسمية ، وتؤيدها الدولة المصرية تاييدا لا يعلم اسراره الا الله والراسخون في العلم .

لبعض الطرق الصوفية بقطرنا هذا مزية تاريخية لا يستطيع ان ينكرها حتى المكابر . تلك هى انها استطاعت ان تحفظ الاسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات وعمل رجالها الكاملون الاولون على تاسيس الزوايا — الرباطات — يرجعون فيها الضالين الى سواء السبيل ويقومون بتعليم الناشئة و بث العلم في صدور الرجال . ولولا تلك الجهود العظيمة التى بذلوها والتى نقف امامها موقف المعترف المعجب لما كنا نجد الساعة في بلادنا اثر اللعربية ولا لعلوم الدين فالزوايا الكبرى امثال معهد

الهامل و معهد اليلولي ومعهد سيدى منصور هى التى كونت دائما فى هذه البلاد طبقة" فاضلة من العلماء والفقهاء وحفظة" القرآن الشريف وكانت واسطه" فعليه" في نقل الاسلام الى بلاد اقاصي الجنوب والسودان وكانت فوق ذلك ملجأ للعاجز ولابن السبيل . انما اخذت الكثير من الزوايا بعد موت مؤسسيها الابرار تنقلب من معاهد علم واحسان وارشاد الى معاهد خرافات واباطيل ، تستثمر غفلة العامة وبلههم فتنال منهم مال السحت الذى يدفعونه بصفة وعدة اونذور ، وينفقه رجال الزاوية على ملاذهم وملاهيهم ومنكراتهم . وآل امر الكثير من هذه الزوايا والطرق الى احداث وثنية فى الاسلام ما انزل الله بها من سلطان واصبح شيخ الطريقة او المرابط فى كثير من النواحى يتصف باوصاف الربوبية فهو الذى يعطى وهو الذى يمنع وهو الذى يقبض وهو الذى يبسط هو منبع كل خير ومصدر كل شر ؛ وترى بعض السفهاء يقسم لك بالله جهد ايمانه ليقنعك بامرما . فان انت استحلفته بشيخ طريقته كان الموت اهون عليه من ان يقسم به فاجرا ، فاصبح شيخ الطريقة او صاحب الضريح اكبر مكانة فى نفس السواد المغفل من الله جل جلاله ، وتفشت اثر ذلك بدع واباطيل لاتشوه وجه الاسلام السمح وحده بل تسود وجه البشرية برمتها يزعمون انهم يقومون بها زلفى لله وتقربا اليه كضرب الدفوف والرقص واختلاط الرجال بالنساء فى ايام الزيارات واكل الحشرات السامة والتمرغ على الاشواك والتشبه بالحيوان الاعجم فى مشيته واصواته . سبحان ربك رب العزة عما يصفون . ومن رجال الطرق من يقوم بهذه الحفلات المؤلمة فى مواسم معينة وبمدن مخصوصة بقصد جلب السواحين اليها وتقاضى اجورهم منهم ، فهم يقومون بدور المهرجين في الملاعب المعروفة بنوع السيرك . والاروبيون والجاهلون منا يعتقدون ان ذلك هو عينه الاسلام . وان الذين يقومون بها هم الذين قال لهم الله فى كتابه العزيز : ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون » .

هذه المنكرات الدنسة هي التى جعلت الكثير من المتنورين ينفرون من الاسلام وينبذونه ، لانهم لم يتلقوا تعاليمه السامية ، واعتقدوا ان ما يفعله المرابطون وهذه الثلة الطالحة من انصارهم انما هي الدين بعينه ، زد على ذلك ان اغلب تلك الطرق تامر مريديها المساكين بالزهد في الدنيا والاقلاع عن العمل والاقبال على الآخرة وحدها . والله سبحانه وتعالى يقول : ولا تنس نصيبك من الدنيا .

الى جانب تلك الوثنية الجسمانية في الاسلام نشات وثنية اخرى تعتمد على الاولى وانبثت فى عقول العامة من رجال ونسوة مؤداها ان من ذبح دجاجة سوداء فى اليوم المعين وفي المكان المعين فانه يرزق ذرية ، ومن ذبح تيسا في موسم سيدي فلتان فانه ينال مالا ومن اشترى شمعة في وعدة الولي الفلانى فانه ينال كل مرغوب به ! لذلك غشيت الدين غاشية منكرة ، من الاباطيل واصبح دين عامة الجزائريين ـ وان كان متينا ـ مغلوثا بهذه البدع والاضاليل التى يحرص الكثير من رجال الطرق والزوايا على ابقائها وغرسها في القلوب لاستثمارها والانتفاع بها . قاتلهم الله انى يؤفكون .

هذه هى الزوايا وهذه هى البدع الضالة والآفات الفتاكة التى يجب على كل مسلم وعلى كل من في قلبه عاطفة انسانية ان يسعى في تحطيمها ومحو اثرها من الوجود وتقوم اليوم فى قطر الجزائر حركة اصلاحية جسيمة ضد هذه المنكرات ، كان لها الاثر المحمود وعلى راسها اليوم العالم الجليل الجسور صاحبنا الشيخ الطيب العقبي الذى كرس حياته واقواله وكتاباته كلها للتبشير بدين محمد الصحيح النقى الخالص ودحض مفتريات المبتدعين .

على ان العقلاء من الطرقيين انفسهم الذين يرون ان وظيفهم انما هو ارشاد الناس للدين والتمسك باهدابه وبث العلم في الصدور يشاركون المصلحين في مقاومة هذه البدع والاضاليل ، ولقد كانت جريدة البلاغ الجزائرى الغراء وهي لسان الزاوية العليوية رغبت من جمعية العلماء المسلمين « النظر فى احوال الاحتفالات التى تقع على بعض الضرائح ويحصل بها من اختلاط النساء بالرجال وغير ذلك مما شانه ان يفتك

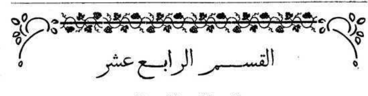
بالاخلاق ويحط بالسمعة القومية والدين في آن واحد » وقد بدأ الانتباه يدب في الامة واخذ نفوذ المبطلين المبتدعين يتقلص ؛ ولنا اليقين انه لن يبقى في ارض الجزائر بعد مدة وجيزة الا الزوايا التى تترفع عن كل خرافة وافك وضلالة والتى تجعل جهودها موجهة لهدي الناس الى سواء السبيل وبث العلم الصحيح في صدور الرجال .

هذا ، واهم الطرق الصوفية فى القطر الجزائرى هى :

* الرحمانية * اسسها سيدى محمد بن عبد الرحمان القشتولى الجرجرى . المولود سنة ١٧٢٠ من قبيلة ايث اسماعيل بالجرجرة . واسس طريقته ووقع له جدال عظيم مع علماء المسلمين بالعاصمة ؛ وتوفي بمسقط راسه سنة ١٧٩٤ ؛ ثم نقل الى العاصمة ودفن بضريحه المعروف فى حي بلكور * القادرية * اسسها الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلانى المولود بمدينة جيلان فى بلاد فارس سنة ١٠٧٩ والمتوفي ببغداد سنة ١١٦٦ * الشاذلية * نسبة الى الشيخ ابى الحسن الشاذلى التونسي المتوفى سنة ١٢٥٨ دفين مدينة الحميثرا بالصعيد المصرى * العيساوية * اسسها الشيخ محمد بن عيسى الادريسى المولود بمدينة مكناس في القرن الرابع عشر ميلادى والمتوفي بها سنة ١٥٢٤ * السنوسية * اسسها الشيخ محمد بن على السنوسى الخطابى المولود بمدينة يلل قرب مستغانم سنة ١٧٩٢ والمتوفي بواحة سيوة في جنوب برقة سنة ١٨٥٩ ولهذه الطريقة فضل عظيم جدا فى نشر الاسلام بوسط افريقيا . * الطيبية * اسسها مولاى عبد الله بن ابراهيم من اشراف المغرب بمدينة وزان ونظمها الشيخ مولاي الطيب وكانت عدة سياسية بيد سلاطين المغرب . وتوفي مولاي الطيب بمدينة وزان ١٦٦٨ * التيجانية * اسسها سنة ١٧٧٨ بمدينة فاس الشيخ احمد بن محمد المختار التجانى المولود بمدينة عين ماضى بناحية الاغواط . والمتوفي بمدينة فاس سنة ١٨١٥ ، العليوية * اسسها بمدينة مستغانم سنة ١٩١٠ الشيخ السيد احمد بن مصطفى بن عليوة المولود بمستغانم سنة ١٨٦٧ وهي احدث الطرق تاسيسا وتتبع فى دعايتها النظم العصرية من النشر فى الصحافة وعقد الاجتماعات العامة للمذاكرة في المسائل الدينية والاجتماعية وغير ذلك

النهضة الحديثة

في قطر الجزائر اليوم نهضة حديثة لا يستطيع المرء انكارها تشمل سائر ميادين النهضة من علمية واجتماعية واقتصادية وسياسية ، ولقد تختلف طرق الاصلاح المنشود ، الا ان الامر المحقق هو انه لم يبق في القطر من الجامدين البعيدين عن النهضة الا النزر اليسير ، ولقد تجلت تلك النهضة باجلى مظاهرها في قيام المدن المختلفة بتاسيس المدارس القرآنية الحديثة وابتناء المساجد والاقبال على التعاليم وتاسيس النوادى العامة للمفاوضة في المسائل الاجتماعية ، وما يقع فى تلك النوادى من الخطب والمحاضرات كنادى الترقي بالعاصمة ونادى برج بوعريريج ونادى تلمسان ، وما نراه من حفلات مدهشة مؤثرة بجمعية الشبيبة الاسلامية وجمعية السلام و مدرسة سيق ومدرسة الاخاء بسكرة ومدرسة الاستقامة بقالمة وغيرها ؛ والحركة الاصلاحية الكبرى الدينية التي زعزعت اركان الخرافات والاباطيل ؛ وما تنشره الصحف والمجلات الجزائرية رغم فقدها الحرية من المباحث والافكار ؛ وخاصة ذلك الاقبال الجسيم الذى لقيته دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والغيرة التى قابل بها العلماء والعامة تلك الجمعية التى اصبحت تحمل آمال مسلمى الجزائر كلهم في الاصلاح الدينى الاجتماعى ؛ زيادة على ما نراه من نهضة التجارة والفلاحة والصناعة بصفة نسبية ، كل ذلك يجعلنا نؤمن ايمانا صحيحا بحسن مستقبل القطر الجزائرى ونعتقد انه سائر الى الامام بقدم ثابتة في دائرة دينه ولغته وقوميته ، اخذ الله بيده .



القسم الرابع عشر

٢١ — ٢٢ — ٢٣ — ٢٤

الحالة الاقتصادية العامة

البحث الاول

الفلاحة

من الفلاحة يعيش القطر الجزائرى وعلى الفلاحة كل اعتماده فى الميدان الاقتصادى وجملة الاملاك العقارية الارضية في قطر الجزائر تنقسم هكذا :

٥ ٠٠٠ ٠٠٠ املاك الدولة خاصة

٤ ٢٠٠ ٠٠٠ أملاك البلديات (منها ٠٠٠ ٢٠٠ ٣ هكتار ارض مرعى)

٩ ٢٠٠ ٠٠٠ املاك الاهالي

٢ ٤٠٠ ٠٠٠ املاك المستعمرين

٢٠ ٨٠٠ ٠٠٠ الجملة هكتارات

اما املاك الاهالى المسلمين ، فلا تغرنك كثرتها لان اغلبها من الارض التى تكاد تكون لاقيمة لها ؛ اما املاك المستعمرين فهى كلها اجود واخصب واغنى الارض الجزائرية على الاطلاق ، ومعدل قيمة الهكتار الواحد من ارض الاستعمار تبلغ ٠٠٠ ٢٥ فرنكا ، ومعدل قيمة الهكتار من الارض الباقية للاهالي ٠٠٠ ٣ فرنكا . فيكون ثمن الارض الاستعمارية ٦٠ مليارا من الفرنكات وعددهم دون المليون وثمن الارض الاهلية نحو ٢٨ مليارا فقط وعدد المسلمين نحو الستة ملايين والعبرة بقيمة الارض لا بمساحتها .

وتتألف املاك المسلمين بهذه الصفة

٠٠٠ ١٨٠٠ املاك خاصة مفرنسة

٠٠٠ ٤٦٠٠ « « غير مفرنسة

٠٠٠ ٢٨٠٠ اراضي العروش (منها ٠٠٠ ٥٠٠ ١ فى عمالة قسنطينة)

٠٠٠ ٩٨٠٠ الجملة هكتـارات

والارض المفرنسة هي الارض التى اصبحت تابعة للمحاكم الفرنسية اصالة ولا نظر مطلقا للمحاكم الشرعية عليها . والارض الغير المفرنسة هي التى لا تنظر في شانها المحاكم الفرنسية الا اذا دخلت فى حوزة اوربى او تدخل اوربى باي صفة كانت فى كتابة رسومها والا فهي خاضعة لاحكام الشرع الاسلامى والعرف القبائلي .

واما ارض العروش فهى الاملاك المشاعة التى تملكها القبائل المختلفة . وقد كان الاستعمار يريد أن يضع يده على هاتيك الارض بدعوى انها كانت من املاك الدولة التركية وان الباشا كان يسمح للنازلين بها باستثمارها مقابل جعل خاص ودليلهم على ذلك ان التحاكم في النزاع الذى يقع فى شانها كان يقع امام الباشا . وهذا محض مغالطة ، لاننا لو سلمنا ان التحاكم الى شخص في شان ارض يجعل ذلك الشخص المتحكم اليه مالكا لتلك الارض ؛ لكان القضاة وقضاة الصلح ورؤساء المحاكم المختلفة مالكين لكل الارض التى يقع عليها التنازع امامهم الآن . ولقد صدر قانون السيناتوس كونسولت الشهير في ٢٢ افريل ١٨٦٣ يجعل ارض العروش ملكا ثابتا للقبائل المستقرة بها ؛ ونص على وجوب قسمتها بينهم ؛ على الدواوير اولا ثم على الافراد ؛ على أن اصبع الادارة كان يدخل دائما في تلك القسمة ، ويستولى على الكثير من تلك الارض بحجج مختلفة .

وانه يستحيل ان تستقر الحالة الاجتماعية بالجزائر الا اذا سلكت الحكومة سياسة الاستعمار الاهلى ، فسعت فى اقرار العرب بالارض ، ووزعت عليهم ما يكفيهم منها ، وجعلتهم فلاحين ملاكين بعد ان اصبح اكثرهم عملة مهضومى الحقوق .

واملاك الفرنسيين المستعمرين تنقسم الى قسمين ، قسم الاستعمار الرسمى ، وهو يشمل

الارض التي اعطتها الدولة للمستعمرين ؛ ومساحتها ١٧٠٠٠٠٠ ﻫ . وقسم الاستعمار الغير الرسمي ويشمل الارض التي اشتراها الاستعمار بصفة شخصية من اربابها ومساحتها ٧٠٠٠٠٠ هكتار . ويشتغل بالفلاحة من الاروبيين نحو ٣٧٠٠٠٠ نسمة منهم ٧٠٠٠٠ من المالكين .

اما الاهالي فاغلبهم عمال او خماسة عند المستعمرين او عند الفلاحين المسلمين ؛ وحالة هؤلاء الخماسين اشبه شيء بحالة العبيد الارضيين *Les Cerfs* في القرون الوسطى .

والفلاحة الاروبية تعتمد على رؤوس اموال عظيمة جسيمة ، والادارات والبنوك والجمعيات المختلفة والشركات تمدها بكل ما يلزم ؛ اما الفلاحة الاهلية فهي على عكس ذلك بصفة تامة ، فان كان الفلاح مقتدرا فانه يبذل جهده ويرقي فلاحته ويزاحم المعمر ويفوقه احيانا ، وذلك نادر جداً ؛ اما ان كان فقيرا وهو الاغلب فانه لا يجد في سنوات الجدب والفاقة الا المرابي الذي يمتص دمه ويدق عظمه ، وقلما وجد ما يسد به دينه حتى لو كانت السنة طيبة ؛ والجمعيات التعاونية لا تزال ضعيفة جدا لا تستطيع مقاومة هذا البلاء الاسود ؛ واحيانا تحيط بها حشرات فتاكة — حسبما يقال — تجعل التعامل معها حديث خرافة .

على ان الارض الجزائرية لا تستثمر كلها بل لا يكاد يستثمر منها الا نحو ٤ ملايين هكتار فقط ، هذا تفصيلها :

٣٠٠٠٠٠٠	حبوب	١٠٠٠٠	اشجار مثمرة
٦٤٠٠٠	فول وحمص وبطاطا	١٢٠٠٠	فواكه مبكرة
٢٦٠٠٠٠	مروج طبيعية	٣٠٠٠٠	دخان (تبغ)
٣٠٠٠٠	« صناعية	٦٠٠٠	قطن
٢٣٨٠٠٠	كروم	٤٠٠٠	عطرشاء وغيرها
٢٠٠٠٠٠	تين وزيتون	٣٨٥٤٠٠٠	الجملة هكتارات

ويضاف الى ذلك ٣٠٠٠٠٠٠ ﻫ من الغابات ؛ والغابات في ارض الجزائر تعتبر نقمة على المسلمين اكثر مما تعتبر نعمة ؛ لان الويلات والمصائب التي تنزل على المسلمين بسببها لاتكاد تعد ولا تحصى ؛ وطالما تجرد الاهلي من ماشيته لان عنزا له رعى في ارض الغابة ، فكانت الغرامة التي تنزل عليه من جراء ذلك تفوق قيمة ما يملك ؛ وتحجز الماشية وتباع بالمزاد فيسدد من ثمنها مبلغ الغرامة واحيانا لاتكفي للتسديد فيبقى بعد بيع ماشيته مطلوبا ببقية المبلغ ؛ اما ان احترق قسم من الغاب فان البلاء الاكبر ينصب على القبيلة التي بجانبه وذلك ما يدعى الضمان المشترك فيصيب التغريم الفادح المجرم والبريء معا .

هذا والارض الجزائرية كان يمكنها ان تعول عشرة اضعاف سكانها لو كان بها ري منتظم يحبس مياه الاودية ويوزعها على الارض الفلاحية لكن لاتوجد اليوم في قطر الجزائر باهم النواحي الاستعمارية الا سبعة سدود كبرى ؛ منها خمسة بناحية وهران . فمسالة المياه في قطر الجزائر هي اهم المسائل الحيوية ، لكنها لا تلقى الى الساعة ما يلزم من العناية .

والحبوب تنتج في قطر الجزائر نحو ٢٠ مليون قنطار في السنة ، الا ان السنوات تختلف اختلافا كبيرا في النتاج . وغراسة الشعير تشمل نحو ١٣٠٠٠٠٠ ﻫ . والقمح الصلب ١١٠٠٠٠٠ ﻫ . والاهالي ينتجون سنويا نحو ٦٥٠٠٠٠٠ قنطار من الشعير و ٤٠٠٠٠٠٠ قنطار من القمح ، والاوروبيون ينتجون من الاول مليون قنطار ومن الثاني مليونين ، اما القمح اللين او الفرينة فيبذره الاوروبيون في الاغلب على مساحة ٢٨٠٠٠٠ ﻫ ، وينتجون منه مليوني قنطار مقابل نصف مليون ينتجه الاهلي . اما القصيبة (الخرطال) فهي تبذر على مساحة ٢٥٠٠٠٠ هكتار ؛ وتنتج كل سنة نحو ١٥٠٠٠٠٠ قنطار . اما القطاني والبشنة فلا تبذر الا على نحو ١٠٠٠٠ هكتار . وتصدر الجزائر من الحبوب للخارج نحو ١٢٠٠٠٠٠ قنطار من القمح ، و ٨٠٠٠٠٠ قنطار من الشعير . والفول يغرس في مساحة ٣٠٠٠٠ هكتار . وينتج نحو ٢٠٠٠٠٠ قنطار في العام

والبطاطا تغرس في مساحة ١٨٠٠٠ هكتار . والحمص بانواعه ١٢٠٠٠ ه . واللوبية ٣٠٠٠ ه .

اما الكروم فهي ثروة الاستعمار بالجزائر، تشمل مساحة ١٣٤٠٠٠ ه بوهران و ٩٠٠٠٠ بالجزائر، و ١٤٠٠٠ بقسنطينة . وتنتج خمورا على معدل ١٠ ملايين هكتوليتر في السنة . والمسلمون لا يشاركون في غراسة الكروم وعصرها لحرمة ذلك في الدين

واهم الاشجار المثمرة في الجزائر هي الزيتونة المباركة، وعدد اشجار الزنبوج يبلغ ٥ ملايين شجرة ،اما الزيتون الصالح الملقم والمغروس فعدد اشجاره ٩ ملايين منها ٧ ملايين مستثمرة الآن ، للمسلمين ٤ ملايين و٣ ملايين الاروبيين . وناحية تيزي وزو وبلاد الجرجرة تشمل وحدها ٣٥٠٠٠٠ زيتونة ، منها مليون للاروبيين ، ونسبة نتاج الزيت السنوي هو ٣٤٠٠٠٠ هكتوليتر ؛ منها ٢٦٨٠٠٠ هكتوليتر ينتجها الاهالي و ٧٢٠٠٠ هكتوليتر ينتجها الاروبيون . وترسل الجزائر من زيونها كل سنة نحو ٢٥٠٠٠٠ هكتوليتر .

ويوجد التين بكثرة في بلاد الجرجرة يفي بحاجة سكانها ويرسل منه الكثير الى الخارج . اما النخيل فهو ثروة بلاد الجنوب ومورد حياة سكانه ؛ وتشمل الواحات الجزائرية نحو ٥٥٠٠٠٠٠ نخلة مثمرة ؛ منها نحو ٧٨٠٠٠٠ نخلة تنتج التمر المعروف بدقلة نور، وهو افخر نوع من التمر في الدنيا . وتنتج الواحات الجزائرية نحو ١٥٠٠٠٠٠ قنطار من التمر يرسل منه نحو ١٥٠٠٠٠ قنطار للخارج .

واهم الاشجار المثمرة الاخرى هي البرتقال ، ويغرس على مساحة ٥٠٠٠ هكتار . والمدالينا ، ولها نفس تلك المساحة ، واغلب تلك الاشجار بناحية الجزائر وبوفاريك ووهران وعنابة ؛ وتنتج سنويا نحو ٣٥٠٠٠٠ قنطار من البرتقال و ٤٠٠٠٠٠ قنطار من المدالينا .

وهنالك الثمار المبكرة وهي ثروة جديدة للجزائر، لان طقس هذه الارض

يسمح بنضوج كثير من البقول والثمار قبل نضوجها بفرنسا وغيرها ، فهي ترسل الى الاسواق الفرنسية وتباع بربح عظيم . واهم تلك البقول والثمار هي الارض شوكى ، والفصوليا والطماطم والبطاطا وعنب الاكل . ويشتغل بهذا النوع من الغراسة المبكرة نحو العشرة آلاف نسمة ، كلهم تقريباً من الاروبيين واغلبيتهم الساحقة من الاسبان .

والدخان (التبغ) هو اهم المغروسات الصناعية ، يشمل نحو ٣٠٠٠٠ هكتار ويشتغل بغراسته نحو عشرين الف مسلم والفين من الاروبيين . وينتج نحو ٣٠٠٠٠٠ قنطار في السنة . اما القطن فانه لم ينجح كثيرا وان كانت جهات الاصنام تلائمه بصفة تامة . الا ان انحطاط أسعاره بالاسواق العالمية قضى على غراسته قضاء مبرما رغم جودته ومشابهته للقطن المصرى « السكلاريدس » .

كانت دودة القز قد اعطت في الجزائر نتائج جليلة جميلة . الا انها كادت تنعدم اليوم.

الحلفة — الحلفة من اغرب النتائج الطبيعية بالجزائر . تكسب الكثير من النواحى ثروة ضئيلة لولاها لكانت قاعاصفصفا . وهذا النبات ينبت وحده بصفة طبيعية . وينتشر على مساحة نحو اربع ملايين من الهكتارات ، ينتج سنويا نحو ١٥٠٠٠٠ طنا . والحلفة كلها تشريها المعامل الانكليزية وتصنعها ورقا . وجملة الحلفة الجزائرية تصنع نحو ٧٥ الف طن من الورق والاعراب يقتلعون الحلفة ويبيعونها بأسعار بخسة لنواب الشركات. ومع الحلفة يوجد « الدوم » ويشتغل بعمله نحو ٣٠٠٠ عامل في نحو مائة معمل صغير

البحث الثاني

الماشية

الماشية الجزائرية مورد من اغزر موارد القطر ؛ الا انها تتأثر كثيرا بحالة الجفاف على الاخص ، واحيانا يتلف الجفاف ماشية الغنم وهي اهم ثروة سكان الهضاب والجنوب . وتعداد الماشية الجزائرية في السنوات الاعتيادية هو هذا :

النوع	للاهالي	للاروبيين	الجملة
البقر	٨٥٠ ٠٠٠	١٥٠ ٠٠٠	١ ٠٠٠ ٠٠٠
الخيل	١٤٠ ٠٠٠	٦٠ ٠٠٠	٢٠٠ ٠٠٠
البغال	١٠٠ ٠٠٠	٥٠ ٠٠٠	١٥٠ ٠٠٠
الحمير	٢٧٠ ٠٠٠	١٠ ٠٠٠	٢٨٠ ٠٠٠
الخنزير		١٠٠ ٠٠٠	١٠٠ ٠٠٠
الغنم	٧ ٥٠٠ ٠٠٠	٥٠٠ ٠٠٠	٨ ٠٠٠ ٠٠٠
المعز	٣ ٩٠٠ ٠٠٠	١٠٠ ٠٠٠	٤ ٠٠٠ ٠٠٠
الجمال	٢٠٠ ٠٠٠		٢٠٠ ٠٠٠

ولو ان تربية الماشية كانت تجد عناية اوفر وخصوصا مياها في اوقات الجفاف لاصبحت ثروة من اعظم ثروات الاهالي والاروبيين ؛ ولكن الجهل يفتك بها من جهة ؛ والجفاف يفتك بها من جهة اخرى ، فبقيت على حالها تتاخر ولا تكاد تتقدم .

والبقر في الجزائر لا يوجد الا في ناحية التل ؛ والثور الجزائري صبور عامل الا انه صغير الحجم ، والخيول الجزائرية شهيرة جدا بصبرها و جلدها وقناعتها بالقليل من الغذاء ؛ وقد فقدت تربية الخيول العربية الجزائرية الكثير من اهميتها الاولى بعد ما كان لها المقام الاول قبل الاحتلال وبعيده ، اما البغال فانها من النوع الجيد وتوجد بكثرة في بلاد الجرجرة وتوشك ان تقضى على الخيول فيها لانها امهر منها واقدر على اجتياز المسالك الجبلية الوعرة ، والابل هى سفن الصحراء بلا جدال ، لاينازعها سلطانها منازع وان كانت اهميتها قد اخذت تنعدم شيئا فشيئا في الهضاب العليا . وبعكس ذلك تجد اهمية الغنم تتزايد في تلك الهضاب ، تكاد تكون هي ثروة العرب الوحيدة هنالك ، فان كانت السنة ممطرة فان ارض الهضاب تكتسى حلة انيقة من الاعشاب الخضراء « الربيعية » وتبقى تلك الاعشاب مخضرة نحو الشهر ، ثم تصفر وتسمى من بعد « الهيشر » وتصلح في حالتها هذه غذاء للغنم

كذلك، وتاكل الغنم نوعا من الاعشاب اليابسة تدعى القطاف . وفقد الماء صيفا والبرد الغزير في الشتاء يفتكان بسائمة الغنم فتكا ذريعا وقد كان من جملة اقتراحات مسيو فيوليت على مجلس السينات في قانون الاصلاحات الجزائرية انشاء صهاريج كبرى في عدة نواح من الهضاب العليا يمكن ان تلتجئ اليها الغنم في حالة اشتداد الجفاف ويجب كذلك العناية بالمراعى الباقية وايجاد مزروعات فيها تتحمل شدة الطقس واختلافه واحداث ملاجئ في النواحى المختلفة تلجأ اليها الاغنام عند اشتداد البرد ونزول الثلج اما الصوف الذى تنتجه هذه الاغنام فهو ١٨٠٠٠٠ قنطار في السنة تستهلك الصناعة الاهلية نصفها لنسج الزرابى والبرانس والاقمشة وغيرها ـ والبقية تصدر الى الخارج

الصيد البحرى

يكاد المسلمون يكونون اجانب عن البحر وثروته، فالصيد على الساحل البحرى يكاد يكون وقفا على الايطاليين والاسبان، يشتغل به منهم نحو الستة الاف رجل ويشمل الصيد على الساحل الجزائرى ثلاثة اقسام : اولا صيد الاسماك التى تستهلك محليا ؛ وصيد الاسماك التى تدخر مثل السردين والتن ، وصيد المرجان

فالاسماك التى تستهلك في البلاد كثيرة الانواع وافرة وترسل صحبة السكك الحديد الى البلاد الداخلية حتى الى تخوم الصحراء ويرسل بعضها محفوظا فى الثلج الى مرسيليا والتن تنصب له الشباك فى ارزيو ؛ وراس ماتيفو ودلس ، ويرسل مع ما يصاد من السردين الى عدة معامل فى الغزوات ، والمرسى الكبير، والجزائر، وعنابة وسكيكدة ، وهنالك يوضع فى العلب بعد معالجته والمرجان يوجد بكثرة على السواحل الجزائرية ؛ الا انه لا يستثمر غالبا الا بناحية القالة وعنابة واشتهر مرسى الخرز الذى هو القالة بتصدير المرجان منذ القرون الوسطى ولا تزال عنابة والقالة ترسلان الى الاسواق الاوربية ما تحتاجه من المرجان ؛ وان كانت صناعة المرجان قد فقدت الكثير من اهميتها

البحث الثالث

﴿ المعادن والمناجم ﴾

في الارض الجزائرية معادن ومناجم كثيرة واسعة الغنى ؛ كلها بلا قيد ولا استثناء ملك للاروبيين لاينتفع المسلمون منها لا بالكثير ولا بالقليل ، اللهم الا اذا عملوا في استخراجها بصفة عملة ماجورين ، والفسفاط « السماد » هو اهم ما تخرجه الارض الجزائريـة من ثرواتها الدفينة ، ولقد ابتدىء باستخراج الفسفاط الجزائري سنة ١٨٩٣ واخرج منه تلك السنة خمسة الآف طن ، اما اليوم فمعدل ما يستخرج منه ٨٠٠ ٠٠٠ طن في السنة ، منها نحو ٧٠٠ ٠٠٠ طن من منجم الكويف قرب تبسة وقد اكتشف اخيرا بجبل العنق منجم به نحو المليار طن من الفوسفات على ان الفسفاط المغربي اخذ يزاحم الفسفاط الجزائري مزاحمة شديدة ، لانه اغنى منه في المواد الجيرية .

وقد نال الاروبيون في ارض الجزائر ١٢٧ منحة لاستخراج المعادن منها ١٥ في وهران و ٢٦ بعمالة الجزائر و ٩٦ بعمالة قسنطينة ؛ والحديد هو اهم تلك المعادن ويستثمر في مقطع الحديد قرب عنابة ، وخصوصا بناحية بنى مصاف حيث يستخرج سنويا نحو ٤٠٠ ٠٠٠ طن ، اما في ناحية الونزة فمجموع ما يستخرج سنويا ٨٠٠ ٠٠٠ طن ، فمعادن الحديد المستثمرة بقطر الجزائر تبلغ ٢٩ ؛ يعمل بها نحو سبعة الآف عامل وتنتج سنويا نحو مليوني طن ، اهمها الونزة (٨٣٩٠٠٠ ط وبنى مصاف (٣٣٢٠٠٠ طن) وجبل زكار (١٨١ ٠٠٠ ط) واغلب الحديد الجزائري تشتريه انكلترا لان فرنسا لا تحتاجه ، فالاسطول الانكليزي الذي ينقل الفحم الحجري للجزائر يحمل اثناء رجوعه الحديد لانكلترا .

ويلي مناجم الفسفاط والحديد ؛ مناجم الرصاص والزنك . وعدتها ٥٣ ، منها ٤ لا تخرج الا الرصاص ، و ١٧ لا تنتج الا الزنك ؛ والبقية تنتجهما معا . واهم تلك المناجم

يقع بجبال ونشريس وبجبال قرقور وبناحية سطيف . وقد يبلغ نتاج الزنك نحو ٥٠٠٠٠ طـن ؛ والرصاص نحو ٢٠٠٠٠ طن في السنة . اما النحاس فقليل الـوجود بالارض الجـزائرية ، يستخرج منه نحو ١٥٠٠ طـن في السنة بمنجم عين بربرا وقرب عنابة ، ويوجد الزئبق بقلة في عين الكرمة قرب عزابة يستخرج منه سنويا نحو ١٢٠٠ طن .

وطالما وقع البحث على البترول — النفط — وتاكد وجوده في عدة نواح ؛ واستثمرت بعض آباره فعلا الا انها ليست بذات اهمية كبرى ، اهمها عين الزفت في ناحية الظهرة . وتاكد اخيرا وجود الفحم الحجري بجهة القنادسة على التخوم المراكشية الجنوبية ؛ واستخرج منه سنويا نحو ١٤٠٠٠ طنا ، والمظنون انه يوجد بكثرة في ناحية التافيلالت بمراكش ؛ ولا يزال البحث يجري بنشاط غريب عنه .

ولا يجب ان ننسى المناجم التي يستخرج منها الجص في ارض الجزائر فهي تنتج نحو ٧٠٠٠٠ طن في السنة ، ومقاطع الرخام المرمر التي تنتج ٣٠٠٠ طن ، وحجارة (الجير) والسيمان تنتج سنويا ١٧٠٠٠٠ ط . اما الملح فالسباخ الجزائرية تنتج منه نحو ٤٥٠٠٠ طنا في العام . والمناجم والمعادن الجزائرية تشغل نحو ١٣٠٠٠ من العمال منهم ٤٠٠٠ يشتغلون في الفوسطاط . والجزائر — اي الشركات الاوربية — ترسل من نتائج المناجم للخارج بما قيمته ٢٠٠ مليون من الفرنكات سنويا .

البحث الرابع

الصناعة

الصناعة ضعيفة جدا بارض الجزائر سواء في ذلك الصناعة الاوروبية او بقايا الصناعة الاهلية . فالصناعة الاهلية تشمل صناعة نسج الزرابي والثياب الصوفية من برانس وحياك وغيرها ؛ وهي لا تستطيع مزاحمة الصناعة الاوربية التي تعتمد على المعامل الكبيرة . اما صناعة الاسلحة والحياكة والحدادة فقد كادت تنعدم او انعدمت ، واما صناعة الزرابي والتطريز والخزف فقد اخذت العناية الادارية تحوطها ، ويوجد اليوم بعاصمة

الجزائر نحو الخمسين معملا تشتغل فيها نحو ٧٠٠ فتاة مسلمة و ١١ معملا للزرابي تشتغل فيها نحو ١٤٠٠ نسمة بين فتيات ورجال . اما بكل الجزائر فيوجد نحو ٣٠٠ معمل للزرابي يشتغل فيها نحو الثلاثة الاف بين رجال ونسوة . هذا علاوة على المعامل العائلية المنتشرة في كل انحاء الجنوب وخاصة في بلاد ميزاب وبلاد جبال عمور .

وقد اخذ الاهالي يزاحمون مزاحمة محمودة في تكوين معامل عصرية لمختلف الصناعات مثل معامل الموهوب بالجزائر وابن جيكو بقسنطينة لخدمة الدخان والسجائر بآلات عصرية هي احدث ما اخرجته اروبا ، ومعامل ابن ونيش بالعاصمة لصناعة الخشب ومعاصر الزيت الكبيرة ببلاد القبائل وغيرها ،

﴿ مثال يحتذى ﴾

ويجب علينا ان نذكر هنا بكل اعجاب المعمل الوطني الجسيم الذى اسسه واستثمره الوطني النابغ السيد الزواي الحاج ، لصنع كل انواع الطيب والعطورات الشرقية الخلابة ذات الشذى الساحر ، والصابون الطاهر المعطر الذى فاق بجودته كل الانواع الموجودة وقد كان السيد الزواي الحاج يحاول ان يزاحم صناعة اروبا بصناعته الوطنية الشرقية ويفوز عليها ؛ فتمكن من ذلك بفضل مهارته التى لا تقف عند حد واصبح معمله بالعاصمة يعد من اكبر المعامل واجسمها لا في قطر الجزائر وحده بل في بلاد الشمال الافريقي كله ، وقد امتاز بالاتقان الغريب وجمع رقة الغرب الى جمال الشرق ؛ واخذ يقدم انواعا مختلفة من العطورات العربية الطاهرة النقية في ابدع حلة اخرجتها الصناعة الاروبية ؛ حتى راينا الكثير من الاروبيين يعمدون الى تقليده واستعمال اساليبه . وقد قابل المسلمون في قطر الجزائر والاقطار الاخرى بحمية كبرى ما تخرجه معامل السيد الزواي واقبلوا عليها اقبالا جعل المعمل يضاعف جهوده ، ويزيد نتاجه حتى اصبح في راسماله وانتاجه اكبر معمل وطني اسلامي بهذه الاقطار ووجب على سائر ابناء الوطن ان يقتدوا به في القيام بمثل هذه المشاريع الكبرى التي تعود بكل خير وبركة على القائمين بها وعلى الوطن المفدى

الصناعة الاروبية

وهي تشمل غالبا الصناعة التي تعتمد على النتائج الفلاحية ، كصناعة المطاحن وعددها نحو ١٥٠ ؛ تستخدم زهاء ٤٦٠٠ عامل ، واهمها مطحنة الحراش التي تخرج سنويا مقدار ٢٠٠ ٠٠٠ قنطار من الدقيق ؛ ثم معامل العجين وعددها نحو ٥٥ تستخدم زهاء ٧٠٠ عامل . اما معاصر الزيت فعددها في ارض الجزائر نحو ٥٠٠٠ معصرة ؛ منها ٢٦٤ على النظام الاروبي تستخدم ١٥٠٠ عامل و ٤٧٣٥ معصرة اهلية .

ومعامل الدخان تعد ٥٠ معملا في القطر يشتغل فيها نحو ٥٠٠٠ عامل ، امنا معامل الاسماك المقددة والخضروات المحفوظة بالعلب وغيرها فهي ثمانية يشتغل فيها نحو الالف عامل ؛ ويوجد معملان اروبيان للثقاب (اعواد الكبريت) احدهما بالجزائر والآخر بعنابة ، واما صناعة البهش (الخفاف وهو قشر شجر الفرنان) فتشمل ٨١ معملا يشتغل بها نحو ٤٠٠٠ عامل ، ولصنع البراميل ٨٥ معملا تشغل نحو الالف عامل ولصناعة دباغة الجلود ٥٤ معملا تشغل ٥٠٠ عامل ؛ اما صناعة الاحذية فلها ١٥ معملا وبها ٥٠٠ عامل ؛ ويوجد عدا ذلك عدة معامل لصنع الجير والجص والسيمان .

فالصناعة في القطر الجزائر من الناحية الاسلامية تكاد تكون معدومة اذا استثنينا بعض المعامل الكبرى القليلة ؛ وبعض الصناعات اليدوية الآنفة الذكر وقد اضمحلت طبقة الصناع اليدويين امام مزاحمة الالآت .

اما الصناعة الاروبية فهي ايضا ضعيفة ؛ وذلك لعدم وجود الفحم الحجري بقطر الجزائر بصفة تكفي لانشاء صناعة محلية تقاوم صناعة الخارج .

البحث الخامس

التجارة

كانت القروض معدومة في الجزائر بصفة رسمية ، وكان المال لا يوجد الا بواسطة

الصيارفة الذين يتقاضون ١٠ او ١٢ في المابة ، وفي سنة ١٨٥١ تـأسس بنك الجزائر وخول له الحق في طبع الاوراق المالية وصرف الحوالات التجارية وعم تاسيس البنوك فتوفرت الاموال للاروبيين — ونزر قليل من المسلمين — واتسع نطاق الحركة الاقتصادية بواسطة ذلك ، ولاتزال ديار القروض تؤسس وتغدق المال على الاروبيين من تجاروصناع وفلاحين ، اما الاهالي فقد بقوا محرومين من ذلك ، وابواب البنوك توصد في وجوههم غالبا ويضطرون الى التعامل لدى المرابين الذين يتناولون منهم احيانا فائضا يتراوح بين ١٨ و ٢٠ في المابة ، فمن الواجب وجوبا حتميا على مسلمي الجزائر تاسيس مصرف خاص بهم ؛ لا على نية مزاحمة المصارف الاروبية ذات رؤوس الاموال الجسيمة فذلك مالا يفكر فيه احد الساعة ، انما على نية انقاذ صغار التجار والفلاحين المسلمين من ايدي المرابين . ورجال البنك الاهلي يستطيعون معرفة التاجر والفلاح الاهلي اكثر مما يستطيع ان يعرفهما رجال البنك الاروبي ، وفكرة البنك هذه قد وجدت فعلا منذ مدة قصيرة الا انها لم تنجح لاسباب خفية ، رغم ما بذله بعض المخلصين الابرار من الجهد لانجازها ، ولا ريب انها ستعود لميدان البحث قريبا ؛ لانه لاترجى أبدا الحياة للتجارة الاهلية الا اذا تاسس لها هذا البنك المنشود . والتجارة الاسلامية لاتعتمد على رؤوس اموال قوية؛بل كلها ضعيف؛والقليل النادر من التجار من يستطيع جلب بضاعته من الخارج راسا ؛ امثال الاقمشة والمواد العطرية والاواني وغيرها ، وهنالك مسالة الشركات المساهمة التي لم ينتبه اليها المسلمون حتى يومنا هذا ولم يدركوا عظيم اهميتها ؛ فاذا كان راسمال الواحد ضعيفا فراسمال العشرة لابد ان يكون قويا يستطيع المزاحمة .

تجارة الجزائر مع جاراتها ؛ لقد كان قطر الجزائر منذ القديم مشتهرا بالتجارة ؛ وكان ايام دولة تيهرت ودولة الحماديين وسلطة الموحدين واسطة لنقل التجارة بين اروبا واواسط افريقيا بواسطة قوافله العديدة التي كانت تجوب اطراف الصحراء طولا وعرضا ، وفي ايام الاحتلال نصبت الدولة حاجزا على تجارة تونس والمغرب

الاقصى جعل التجارة مع القطرين ممنوعة ؛ ثم زال ذلك سنة ١٨٥٣ واستبدل بتعريفة جمركية في تلك السنة نفسها ؛ وفى ١٧ جويلية ١٨٦٧ صدر قانون يسمح بدخول البضاعة التونسية والمغربية بدون حاجز، وصدر من بعد قانون ١٨٩٠ بجعل البضاعة التونسية لاتدخل ارض الجزائر الا بمقدار محدد ؛ ومنذ سنة ١٩٢٢ وقع تنفيذ ذلك النظام على بضاعة المغرب ايضا . فاصبحت بضائع تونس والمغرب لاتدخل ارض الجزائر الا بمقدار معلوم ، اما بضاعة الجزائر فتدخل تونس والمغرب كانها بضاعة فرنسية لاقيد عليها ، واخيرا اخذت القيود تسقط شيئا فشيئا خاصة بين الجزائر وتونس حيث اصبحت البضائع التونسية الشهيرة كالشاشية والحرائر وغيرها تدخل ارض الجزائر حرة ولايبعد اليوم الذى يتم فيه رسميا الاتحاد الجمركى بين القطرين ، اما فى قطر المغرب فذلك بعيد الوقوع لان معاهدة الجزيرة نصت على ان جميع الدول تتمتع في القطر المغربي بتعريفة جمركية واحدة .

وتجارة قطر الجزائر مع تونس تبلغ ٢١٥ مليونا في السنة؛ أما مع المغرب الاقصى فتبلغ ٢٢٨ مليونا .

اما تجارة الجزائر من فرنسا فقد كانت فى اوائل عهد الاحتلال مقيدة بقيود كثيرة ؛ و منذ ١١ جانفى ١٨٥١ اصبح دخول بضاعة فرنسا للجزائر حرا و في ١٧ جويلية ١٨٦٧ اصبحت بضاعة الطرفين تدخل حرة .

الصادرات والواردات : يمكننا اعتبار سنة ١٩٢٧ سنة نسبة للتجارة الجزائرية فقد كانت جملة تجارتها ٨ مليارات و ٣٥٧ مليون فرنك منها واردات ٠٠٠ ٠٠٠ ٨٣٦ ٤ وصادرات ٠٠٠ ٠٠٠ ٥٢١ ٣ ، فالميزان الجزائرى ميزان خسارة للامة لا ميزان ربح لان الجزائريين يشترون بما يزيد ٠٠٠ ٠٠٠ ٣١٥ ١ عما يبيعون ، وذلك يؤدى للافلاس لان مثله مثل الرجل الذى يربح ١٠٠٠ فرنك فى الشهر ويصرف ١١٠٠ فرنكا . فهو يأكل راسماله ويفتقر شيئا فشيئا ، فالامة الرابحة هى التى تبيع اكثر مما تشترى او على الاقل تبيع على مقدار ما تشتري .

وقد كانت اهم صادرات الجزائر فى تلك السنة النسبية : ٧١٣٧٠٠٠ هكتو ليتر من الخمر قيمتها ١٣٩٤٠٠٠٠٠٠ فرنكا — ٦٥٨ الف قنطار من القمح ثمنها ١٠٨ ملايين — ٨٢٥ قنطارا من الشعير ثمنها ٩٣ مليون فرنك — الدقيق والعجين ٦٩ مليون فرنك — الخضر الجافة ٤٦ مليونا ف — البطاطا ٢٥ مليون ف — الفواكه والثمار ١٣٠ مليون ف، منها ١٩ مليون للبرتقال والمدالينا — العنب ٦ ملايين ف — التمر ٥٤ مليون ف — التين ٢٣ مليون ف — اللوز ٥ ملايين ف — زيت الزيتون ٦٠ الف قنطار قيمتها ٦٠ مليون ف — اوراق الدخان غير مصنوعة ١٣٠ الف قنطار ثمنها ٦٨ مليون ف — الدخان المصنوع ٥٧ مليون ف — عطر العطرشاه ١٨ مليون ف — القطن ١٧ الف قنطار ثمنها ٣٥ مليون ف — الخضر الطرية ٤٣ مليون ف — الغنم ٦٢٩٠٠٠ راس ثمنها ١١٣ مليون ف — الجلود ٥١ مليون ف — الصوف ١٢٦٠٠٠ قنطار ثمنها ١٣٧ مليون ف — بيض الدجاج ٣٥ مليون ف — البغش (الخفاف) ٤٨ الف طن ثمنها ٤٩ مليون ف — الحلفة ١٩٩ الف طن ثمنها ٨٠ مليون ف — الاسماك المختلفة والمرجان ٣٩ مليون ف — الحديد ٢٣٤٩٠٠٠ طن ثمنها ١٤١ مليون ف — الفوسفاط ٨٧٦ الف طن ثمنها ٦٦ مليون فرنك — الزنك ٦٤ الف طن ثمنها ٦٤ مليون ف — الرصاص ٣٣ الف طن ثمنها ٥٣ مليون ف — هذه اهم صادرات قطر الجزائر، اما اهم وارداته فهى :

القمح والدقيق (يختلف مقدارها باختلاف السنوات) — السكر ١٣٧ مليون ف — القهوة ١١٤ مليون ف — الحلواء والمشروبات السكرية بدون كحول ٥٤ مليون ف — التاي ٤١ مليون ف — زيوت، الحبوب ١٢٦ مليون ف — الخشب ١٠٩ ملايين ف — الفحم الحجرى ١١٧ مليونا ف — الزيت المعدنى والاسانس ١٢٢ مليون ف — الحديد ٧٤ مليون ف — الصابون والعطورات ١٠٥ ملايين ف — اقمشة القطن ٥٥٦ مليونا — اقمشة اخرى ٥٣ مليون ف — ثياب مختلفة ٥٨ مليون ف — الورق ١٠٦ ملايين ف — الجلد المصنوع ٩٧ مليون ف — الآلات المختلفة

٢٥٦ مليون ف — ادوات معدنية ٢١٠ ملايين ف — اتومبيلات ٢١٢ مليونا ف — كاوتشو مصنوع ٩٦ مليون ف — واردات اخرى صغيرة مختلفة ٢٥٧ مليون ف وينوب فرنسا وحدها من تجارة الجزائر ٥ مليارات و ٩٧٤ مليون فرنك ؛ حيث باعت فرنسا للجزائر ما قيمته ٣ مليارات و ٥٣٥ مليونا ف ، واشترت منها ما ثمنه ٢ مليارات و ٥٣٩ مليون ف. لذلك فهي تشترى ٦٩ في المائة من نتائج الجزائر وتبيع للجزائر ٧٣ فى المائة مما يلزمها

ولقد ذكرنا فى القسم الثامن اهمية مراسى الجزائر ولا باس ان ناتي هنا باختصار على تفصيل حركات النقل التجارى في اهمها : حركات النقل في جملة مراسى الجزائر تبلغ نحو ١٠ ملايين طن فى السنة . منها للجزائر ٣٨٠٠ ٠٠٠ طن ، ولوهران ٢٥٠٠٠٠٠ ولعنابة ٢١٠٠ ٠٠٠ ، وبنى مصاف ٧٠٠ ٠٠٠ طن وبجاية ٣٥٠ ٠٠٠ ط ، وسكيكدة ٣٢٠ ٠٠٠ ط ؛ ومستغانم ١٨٤٠٠٠ ط .

موقف المسلمين: هذا ونعيد القول بان المسلمين لا يشاركون في هذه التجارة الا مشاركة ضئيلة ، وهم يبيعون غنمهم واصوافهم وقموحهم وتمرهم وغير ذلك على يد سماسرة وتجار اجانب يستأثرون دونهم بالارباح الوافرة ، ويشترون البضائع من الخارج على يد سماسرة وتجار اجانب تذهب اليهم اغلب الارباح . ولا يستطيع المسلمون ان يربحوا ثروة او يكتسبوا ارباحا الا اذا الفوا شركات تعاونية ترسل نتائج بلادهم الى الخارج وتستجلب لهم ما يحتاجونه ، من غير وساطة السماسرة والتجار الاجانب . فالمزاحمة في الميدان التجارى اصبحت اليوم — مثل المزاحمة فى الميدان الفلاحى والصناعى — هي الاساس الوحيد الذى يمكن ان يرجع للمسلمين بعض ما فقدوه من ثروتهم . ولا يمكن القيام بتاسيس تلك الشركات الوطنية الا اذا وجدت في البلاد طبقة من الذين درسوا فنون التجارة وعرفوا اساليبها وتحصلوا على شهادتها العليا ، وكذلك لا يتم العمل الا اذا تاسس البنك الاهلى وتمكن من جعل فروع له في مختلف انحاء البلاد . اما بقاء التجارة الاهلية على حالها الآن — رغم ما يبدو عليها من مظاهر النشاط — فذلك لا تنتج عنه ادنى نتيجة عملية

البحث السادس

﴿ طرق المواصلات ﴾

في الجزائر اليوم طرق مواصلات طيبة جليلة ، بين سكك حديد وطرق معبدة وطرق ثانوية . الا ان اغلب تلك السكك والطرق لا يتخلل الا مراكز الاستعمار او مراكز المناجم ، او المراكز ذات الاهمية الوطنية .

فالطرقات الوطنية الكبرى وكلها — الا الاقل — في بلاد الشمال تشمل خطا يناهز طوله ٥٠٠٠ كيلومتر ، والطرق الثانوية ، واغلبها في بلاد الشمال كذلك يبلغ طولها ما يزيد عن ٢٠٠٠٠ كيلومترا . وعلى هذه الطرق المعبدة تسير في قطر الجزائر ما يزيد عن ستين الف عربة اطوموبيل ، وسبعمائة اوتوبيس لنقل المسافرين وستة آلاف كميون اطوموبيل لنقل السلع والبضائع . وتلك السيارات المختلفة تعمل بانتظام في خط طوله ٢٠ الف كيلومتر .

اما السكك الحديدية فاهميتها في القطر حربية واقتصادية معا ، ولقد وقع انشاء اول برنامج للسكك الحديدية سنة ١٨٥٧ ، وابتدىء العمل بخط الجزائر والبليدة عام ١٨٦٢ ، وبين الجزائر ووهران ١٨٧١ وكذلك بين سكيكدة وقسنطينة

وقد كانت بالجزائر خمس شركات تملك الخطوط الحديدية هي : شركة باريس وليون والبحر المتوسط ، وشركة الشرق الجزائرى ، وشركة الغرب الجزائرى ؛ وشركة بونة وقالمة ، والشركة الفرنسية الجزائرية . فكانت الفوضى ضاربة اطنابها في السكك الحديدية الجزائرية بصورة لاتطاق ، فلما نالت الجزائر استقلالها المالى سنة ١٩٠٠ ، واصبحت ذات نظر مطلق على السكك الحديد سنة ١٩٠٤ اخذت تشترى الخطوط الحديدية من الشركات المختلفة ؛ فاشترت اولا خط الشركةالفرنسية الجزائرية سنة ١٩٠٠ ، وخط الشرق الجزائرى سنة ١٩٠٧ ، وخط بونة وقالمة سنة ١٩١٣ ، وخط الغرب الجزائرى سنة ١٩٢٠ . واليوم تدير الدولة

الجزائرية كل الخطوط ما عدا خط وهران الذى تديرة شركة باريس ليون البحر المتوسط ، ويشرف على الادارتين مجلس اعلى للسكك الحديد .

والخط الاساسى بارض الجزائر هو الخط الاكبر الذى يسير من الحدود التونسية الى الحدود المراكشية ؛ ويتفرع منه فى البليدة خط يتجه نحو الجلفة وفي الاصنام يلتقى مع خط تنس ؛ وفي غليزان يلتقى مع الخط الذى يخرج من مستغانم ويصل الى تيارت وطوملى ، وفى بيرقو يلتقى مع خط وهران وارزيو الذى يتجه الى الصحراء ويصل الى بشار والقنادسة على ٧٧٠ كيلومترا جنوب وهران وفي التليلات يخرج الخط الذى يصل وهران بتلمسان والحد المراكشى ؛ ولهذا الخط فروع الى سيدى بلعباس ومعسكر وراس الماء وطابية ؛ ومن تلمسان الى بنى مصاف ، ومن وهران الى عين تموشنت هذا بالنسبة للخط الغربى .

اما الخط الشرقى ، من العاصمة الى الحد التونسى ، ففى منرفيل (ثنية بنى عائشة) يتصل بخط تيزى وزو وفى بنى منصور خط بجاية وفي القرزى خط بسكرة على بعد ٥٤٥ كيلو مترا عن ساحل البحر ، وفى أولاد رحمون خط العين البيضاء وتبسة وفرع الى خنشلة ؛ وفى الخروب خط الى سكيكدة ، وفي دوفيفي خط عنابة ، وفي سوق اهراس خط تبسة .

ويقع الكلام على انشاء خط ثان مواز للخط الكبير الاول ؛ ويوجد منه الآن شرقا خط اولاد رحمون الى تبسة ، وغربا خط سيدى بالعباس الى اتيارت وربما وصل الى قصر البخارى وسور الغزلان .

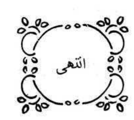
فجملة سكك الحديد ذات المنفعة العامة يبلغ طولها في قطر الجزائر ٤٣٧٣ كيلومترا . يضاف اليها ٤٤٠ كيلومترا من السكك ذات الفائدة المحلية ؛ و ٢٨ كيلومترا من السكك الصناعية ؛ و ١٢٠ كيلومترا من خطوط الترام الكهربائى والبخارى . فتكون جملة السكك عموما نحو ٥٠٠٠ كيلومتر .

ويوجد الان مشروع آخر لانجاز الخطوط الحديدية الجزائرية ، الا ان ضيق

ذات اليد . - جعلته ينام موقتا . والسكك الحديد تقاسي ازمة عنيفة لان مصاريفها اكثر من مداخليها . وفي مشروع ميزانية العام المقبل ١٩٣٢ كان مقدار المداخيل المقدرة ٣٠٠٠٠٠ ٣٣٢ ف ومقدار المصاريف المقدره ٤٠٠٠٠٠ ٤٤٠ (منها ٣٤٢٠٠٠٠٠٠ للمتوظفين. فالعجز يبلغ ١١٧١٠٠٠٠٠ فرنكا يسدد بعضه من اعانة دولية وبعضه الآخر من رفع اجور السفر .

ولقد وقع الكلام بنشاط حول تاسيس الخط الصحراوي العظيم الذي يربط الجزائر بالسودان ، الا انه لا يزال محل اخذ ورد ومناقشات لاطائل تحتها فحجرة تجارة وهران تريد ان تكون مدينة وهران هي راس الخط و حجرة الجزائر تريد ان تكون العاصمة هي الراس .

اما خطوط المواصلات الجوية فهي ضعيفة جدا تكاد تكون مفقودة ، لولا خط الشركة التي تسير طياراتها المائية بين الجزائر وفرنسا في مواقيت معينة وخط عنابة وتونس السريع ، ولا ريب ان العناية ستبذل بصفة فعالة لتكوين الخطوط الجوية خاصة بين الجزائر وتونس وبينها وبين المغرب ثم مع جهات الصحراء ؛ فخطوط المواصلات كلها سواء كانت حجرية او حديدية او جوية لابد ان تتقدم وتنمو في مستقبل الايام مع نمو الحركة المتزائد ، والحركة الجزائرية كلها سواء كانت اسلامية اوروبية سائرة سيرا متواصلا متينا الى الامام .



الخاتمة

أيها المسلم الجزائري ، يا صديقي ويا اخي الكريم .

هذا كتاب الجزائر بين يديك ؛ انجزت لك به وعدي ، واوفيت لك فيه بعهدي ؛ وانه لصورة حقيقية لقطر الجزائر السعيد ، لم ترسمها ريشة مصور يتعمد التحسين او التشويه ، انما رسمها قلم باحث جعل همه ذكر الحقائق كما هي فاخرجها لك وضاءة الجبين لاغبار عليها . وانك لتعرف ايها الشاب المسلم الصديق ، انني لست من الذين يخادعون ضمائرهم ، ولا من الذين يبيعون اقلامهم ، ولا من الذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم ، فكل ما ترى في هذا الكتاب انما هو صادر عن امانة واخلاص ، وما تراه فيه من انتقاد لاذع انما هو صادر عن نزاهة . ما قلت الا ما اعتقد انه الحق ، وما ارتايت الا ما اعتقد ان فيه صلاح هذه الامة والاخذ بيدها في طريق النهضة الاسلامية العامة .

فان كنت ترى ايها الصديق ان هذا الكتاب يستحق شكرا — ولا شكر على واجب — فالى امتك الجزائرية النبيلة ذات الشهامة والاحساس ، والى صحافتك الوطنية العربية ذات الغيرة والاخلاص يجب ان تقدم ثناءك العاطر وشكرك الجزيل ؛ فالصحافة الصادقة في القطرين الشقيقين نوهت بالكتاب واكبرت شأنه وحثت الامة على اقتنائه ، والامة الجزائرية الشريفة اقبلت على الاشتراك فيه اقبالا غير معهود ، مكننا من اخراجه في هذه الحلة البديعة وانجاز خريطته الكبرى ، واننا اعترافا بفضل الامة وتسجيلا لعملها الجليل وضعنا على واجهة الكتاب : « طبع على نفقة الامة الجزائرية » وتلك هي الحقيقة بعينها .

والآن يا صديقي الكريم ؛ وقد عرفت الجزائر ودرست ماضيها وحاضرها فماذا تراك تفكر في مستقبلها ؟ حاشاك ان تكون أيها الشاب المسلم انانيا لاتفكر الا

في مصلحة ذاتك ولا تعيش الا لنفسك ؛ وابتسمت الحياة حياة من حاول ان يكون لنفسه سعادة وحوله الامة بائسة مسكينة . وهو يسمعها تستنجد فلا ينجدها ؛ ويراها تستغيث فلا يمد لها يد الاغاثة ، لاتكون سعادة الفرد الا اذا سعد المجموع ولن تسعد الامة الا اذا اعتقد كل فرد من افرادها انه في سبيل المجموع يعمل ولفائدة المجموع يعيش ؛ وفداء المجموع يجب ان يموت ، فاذا عمل كل وطني في دائرة عمله كانه هو الامة كلها ، اصبح بعمله سعيدا واصبحت الامة بمجموع تلك الاعمال سعيدة

وحذار ثم حذار ان تعتمد في نهضتك على غيرك ، وان تنتظر من سواك ان يسير بك في طريق التقدم والفلاح ؛ فان من اعتمد في ميدان الحياة على غيره دون نفسه كان كمن عمد الى الكفاح وهو اعزل . واياك ثم اياك ان تغتر بمن يحاول ان يزين لك تلك الفكرة الحرقاء الباطلة ، فكرة نبذ القومية والتجرد عن كل صفاتك الجزائرية الاسلامية زعم انك بذلك التجرد تكتسب رقيا وتحرز على حقوق وتؤدى لامتك خدما ، فالمرء لا يرتقي الا بعزمه وثباته ، والامة لا تسعد الا ببقائها امة متماسكة محافظة على دينها وعلى تقاليدها وعلى لغتها وآدابها . والجزائر - وهي عربية مسلمة - لن ترقى وان تتقدم — رغم كل المحاولات التى لا طائل تحتها — الا في دائرة قوميتها وعربيتها واسلامها . وذلك هو ناموس التقدم الطبيعي . فدونك يا اخي القومية الجزائرية فاخدمها بصدق وثبات ؛ وتفان في خدمتها ؛ وافن في خدمتها . اخدمها في ميادين الاقتصاد ، واضرب بسهم صائب في التجارة والفلاحة والصناعة والشركات . واخدمها في ميادين الاخلاق ، واقض على كل ما تراه في اوساطها من عوامل الانحدار والتقهقر ، وحارب الرذيلة والفحشاء والخمور وانصر الفضيلة بين طبقاتها . واخدمها في ميادين الوحدة واقض على فكرة التحزب الممقوت لطريقة او لمذهب او لعنصرية . فالاسلام السمح والرابطة القومية يشملان الجميع . واخدمها في ميادين العلم ، وحاول ما استطعت ان تقضي على الامية فيها واعتمد على جهودك وجهود امثالك من الناهضين لتخرج الامة من ظلمات الجهل الى انوار المعرفة .

ودونك يا اخى اللغة العربية ، لغة دينك وقرآنك ، ولغة آبائك واجدادك ؛ لغة المدنية الاسلامية التى غمرت العالم بنورها ، والتى لا تزال رغم الايام الكنودة منبع حكمة وهدى ، انشرها بواسطة المدارس ، وبواسطة المحاضرات ؛ وبواسطة التمثيل و بواسطة الصحف ، و بواسطة التآليف . ابذل النفس والنفيس في نشرها ؛ فهي وسيلة الحياة و هى سلم النجاة .

ودونك يااخى دينك الاسلامي وقد غشيته غاشية من البدع والمنكرات . وقد افسده الجامد المضل و الجاحد المبطل ، وانه لهو الدين الذى اخرجنا من قبل من الظلمات الى النور واكسبنا العز والكرامة ؛ وجعلنا سادة البر والبحر واوصانا بان نكون اشداء في الحق قوامين بالقسط رحماء فيما بيننا عاملين جادين غير متواكلين ولا وهنين ؛ انار لنا طريق الحياة فى الدنيا حياة العز والانفة وبين لنا كيف نسلم روحنا الى خالقها راضية مرضية ، بذلك الدين الخالص نرتقى و بواسطته نسمو ، ولا يزال والحمد لله هو الوتر الحساس في قلوب الامة جمعاء ؛ وان النهضة الدينية لهى عماد كل نهضة صحيحة فى هذا الوطن الشريف ، فاعمل العمل الصالح لتعيد وجه الاسلام جليا نقيا ، وانزع عنه برقع البدع والاباطيل وادرسه حق الدراسة وبث انواره وتعاليمه بين الذين يحيطون بك ، وان الامة الجزائرية لسريعة الاهتداء اذا وجدت من يهديها ؛ وانست فيه الاخلاص والثبات . هذه حياة الجزائر الاسلامية يا اخى بين يديك ، وانت سليل الابطال وفي عروقك يجرى دم عظماء الرجال ؛ فارفع جزائرك عالية وسر بها والله يرعاك فى طريق النهضة الكبرى النهضة القومية العربية الاسلامية . واذا ما هتف الناس بحياة أوطانهم فلترفع الراس شامخا والعزة والكرامة مل جوانحك ولتهتف على رؤوس الملاء بصوت يسمعه كل الناس : — لتحي الجزائر الخالدة —

وقل الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

هذا وقد كان الفراغ من الكتاب في ٢٧ رجب سنة ١٣٥٠ والحمد لله رب العالمين

فهرس عمومى لكتاب الجزائر

القسم التاسع

الحكومة المركزية والادارات العامة بالجزائر

القسم العاشر

المجالس المنتخبة بالقطر

فهرس الخطأ والصواب

تنبيه اكيد: جاء في السطر الاخير من صفحة ٢٣٥ : لالا مغنية (ص) مركز من اهم المراكز في ارض الجنوب ؛ وصوابه: لالا مغنية (و) مركز من اهم مراكز عمالة وهران

الخطأ	الصواب	ص	س	بى	بنى	٢٠	٧
الاقصار	الاقطار	٥	١٧	بى	بنسى	٢٠	٨
تني	التي	٩	١٩	هودة	هوادة	٥٤	٤
الاستبداذ	الاستبداد	١٧	١١	١١٥٢	١٨٥٢	٥٨	٨
بن	بين	١٩	٥	ربعها	ريعها	٦١	٨

الخطأ	الصواب	ص	س	الخطأ	الصواب	ص	س
				بير	كبير	١٩٧	١٧
واخ ت	واخذت	٦٦	٩	دنى	دينى	٢٠٨	١٢
وشد	وشيد	٧٤	٨	نحتلها	تحتلها	٢٠٩	١٣
اخراقها	خرقها	٧٧	٢٠	الفنا	الفنار	٢١٠	٢١
يرودم	يروم	٨٥	٧	ستة	ستتم	٢١١	٥
السبخ	الشيخ	٩٢	١٥	٥٧١١٧	٧٥٧١١	٢١٧	٨
الانتشار العربية	انتشار العربية	٩٦	٢٢	ان الى احتلها	الى ان احتلها	٢٢٣	٩
وذكر جميلا	وذكرا جميلا	٩٩	٢٣	بى شداد	بن شداد	٢٣١	٢٠
متيكنا	متينا	١٠١	٣	الجيلى	الجبلي	٢٣٢	٧
وبهذا الطريقة	وبهذه الطريقة	١٠٥	٦	اثر	اثرا	٢٣٤	١٧
نجعل	تجعل	١٠٥	١٦	انتشار	انتشارا	٢٤٣	٢١
واذ	واذا	١٠٨	١٥	ليسو الا	ليسوا الا	٢٤٥	١٨
فقهيه	فقيهه	١١٨	١٠	٢٨٣٤	١٨٣٤	٢٣٩	١١
ونسي	نسي	١٤٢	١	١٦٨٠	١٨٦٠	٢٥٢	١
عصر	عنصر	١٤٥	١٧	ومدير	مدير	٢٦٤	٦
وكثيرا	وكثير	١٤٦	١٨	و رك	ويشارك	٢٨١	٤
الاعمال	بالاعمال	١٤٨	٦	٢ ــ محاكم	٢ ــ ٤ محاكم	٣١٣	٥
كويت	كونت	١٦٢	١٦	بالتثقيف	بالتثقيف(العقلة)	٣١٦	١
النغم	الغنم	١٦٥	٥	اذا حدث	اذا احدث	٣٢٧	١٣
اولانائلد	اولاد نائل	١٦٥	٢٣	بمحافظهم	بمحافظتهم	٣٥٤	٢
لارتهاعها	لارتفاعها	١٧٣	٤	وغراسة الشعير	وزراعة الشعير	٣٨٣	١٥

المطبعة العصرية